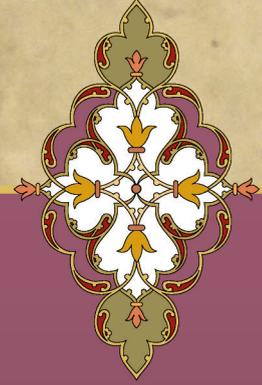




فؤاد عبد الهادي الفضلي



مداد العرفان

كلمات الوفاء للعلامة الفضلي

بين الرحيل والأربعين

منشورات لجنة مؤلفات العلامة الفضلي

مداد العرفان

كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

يصدر بمناسبة ذكرى أربعين رحيل العلامة الفضلي رحمه الله

مداد العرفان

كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين
الرحيل والأربعين

إعداد:

فؤاد عبد الهادي الفضلي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

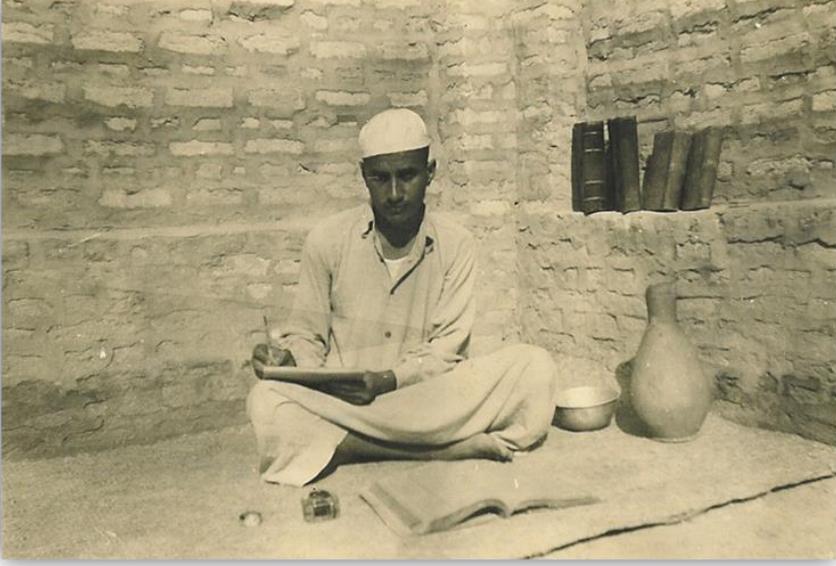


منشورات لجنة مؤلفات العلامة الفضلي
القطيف - المملكة العربية السعودية



سوف تبقى في عالم الاجيال
ويصير العيان وفهم خيال

هذه صوري وهذا مثالي
عندما اترك الحياة وفتنا



أَنَارَ دَرَبًا إِلَى الْأَجْيَالِ فِي كُتُبٍ
وَمَا أَرَادَ بِهَا مَالًا وَلَا ذَهَبًا
(على الحَصِيرِ وَكوزُ المَاءِ يَرْفُدُهُ
وذهنُهُ وَرُفوفٌ تَحْمِلُ الكُتُبَا)...!

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد..

إننا نسجل في هذا الكتاب كلمات الوفاء في ذكرى الأربعين لرحيل رجلٍ مثل تاريخاً حافلاً وشاهداً حياً على مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ أمتنا الإسلامية والعربية الحديث.

وقد تنوع كتاب هذه الكلمات، بين رفقاء دربٍ عاشوا والفقيد لذة المسير في العلم والعمل في سبيل الله تعالى.. وتلامذة تزودوا من علمه وعلومه في دروسه الجامعية والجوامعية ومحاضراته الثقافية..

وروادٍ مجالسين في مجلسه المبارك (دائرة الغريين)، كان المرابي والمعلم لهم عن قرب، وحملوا فكره وعلومه وتجربته.. وقراءٍ قريبين منه روحاً وفكراً وعاطفة، وإن بعد المكان.

وقد اقتصرنا فيه على ما كتب بعد رحيله رحمه الله حتى الأربعين فقط، ليكون خاصاً بالمناسبة، ولم نضم إليه ما كتب قبلها من دراسات وبحوث، والتي كان أبرزها المنشور في عدد مجلة (الكلمة) الخاص عن الشيخ الفضلي (العدد ٥٥، السنة ١٤، ربيع ٢٠٠٧م / ١٤٢٨هـ).

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وضم الكتاب نماذج يسيرة من بيانات التعازي والرسائل التي أصدرها المراجع والعلماء والأساتذة الأفاضل والبرقيات الحكومية، وبعضها مما أصدرته المجمع والمراكز العلمية، وذلك لضيق المقام في الكتاب أن يسعها كلها. وأدرجنا كذلك بعضاً مما وصلنا من قصائد شعرية تراثية سماحة الشيخ.

وقد جمعنا كل ما وصلنا من هذه التعازي والمراثي المنشورة نثرًا وشعرًا وخطابة في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، وعرضناها في صفحة العلامة الفضلي على (الفيسبوك) وقناته على (اليوتيوب)، وجمعناها في (قرص) سيوزع مع هذا الكتاب في حفل الأربعين.

ورغم أن أغلب هذه الكتابات عبارة عن مقالات وخواطر وانطباعات قصيرة كتبت على عجل من قبل أصحابها في تأيين سماحة الشيخ رحمته الله، إلا أن القارئ العزيز سيجد فيها لمحات وإضاءات مهمة ومتنوعة رسمت صورة عن مكانته وسيرته الرسالية، وشواهد مهمة عن عطاءاته الفكرية.

وحوى الكتاب بحثين موسعين مهمين، هما: بحث الدكتور محمد جواد الخرس وبحث السيد حسن الخليفة.

ونتقدم بالشكر والتقدير لكل من استجاب لدعوتنا بالمشاركة الكتابية في هذا الكتاب، رغم ضيق الوقت. ونهيب بمن لم يسعفه الوقت لإتمام الكتابة للمشاركة في مناسبة الذكرى السنوية لرحيل الشيخ رحمته الله، حيث سنعمل - إن شاء الله تعالى - على أن تكون مؤتمرًا تكريميًا علميًا يتناول بحوثًا ودراسات موسعة عن سماحة الفقيه رحمته الله.

أحاطت بعض هذه الكتابات بشخصية الفضلي (الإنسان) في جوانبها السلوكية التي تركت هذه السيرة العطرة في قلوب الناس. وبعضها بشخصية الفضلي (المربي الرسالي) الذي أثار من خلال المحاضرة والدرس والمنتدى (دارة الغريين) دربًا لأجيالٍ من المؤمنين العاملين في الساحة الإسلامية.

وبعضها بشخصية الفضلي (الكاتب المفكر المجدد) الذي قدّم هذا التراث الموسوعي الكبير في عالم الدراسات الجامعية والجوامعية (وهو مصطلح من مصطلحات الفضلي اللغوي)، وكيف «تفاعلت الاجتهادية في الشيخ، والمنهجية في الدكتور، تفاعلاً جدلياً لا لينفي أحدهما الآخر، وإنما ليثبته..، بل ليستحيلاً شيئاً واحداً..، تلك الاستحالة التي تهبأ لها ذهن استثنائي، وعقل مفكر، وقلب عاشق، أديب، شاعر، عارف!!»^(١).

والشيخ كما أشار غير واحد في هذا الكتاب، خير من زواج بين المؤسستين الجامعية والجوامعية عبر مشروعه الكبير في تجديد مناهج العلوم الشرعية واللغوية، وهو صاحب مدرسة ومنهج جديد في تقنين علوم الشريعة وتقديم الحضارة الإسلامية بلغة العصر ليشارك في حمل هذه الحضارة إلى العالمية وإعادتها إلى مركزها ودورها القيادي بين الحضارات الإنسانية.

□ أهمية مشروع الفضلي التجديدي

ولأن هذا المشروع، وهو الأهم في تراث الشيخ، قد تناولته أغلب الكتابات في هذا الكتاب، فلا أود الإطالة على القارئ في التعريف به، وإنما أود الإشارة هنا إلى أهمية هذا المشروع في عملية إحياء الفكر الإسلامي الحضاري، والذي يأتي منجز شيخنا العلامة الفضلي رحمته من أهم لبناته.. وذلك لتكتمل الصورة في ذهن القارئ فيتعرف على معنى (التجديد) الذي حمله الشيخ كمشروع حياتي قضى عمره الشريف وهو بينه لبنة لبنة، ويقدمه للأمة الإسلامية، ويبعد الصورة النمطية عن التجديد التي قد تكون غائمة فيلبس المعنى ويشوبه الغموض العقلي.

وسأستشهد لذلك بشاهد من كلمات شيخنا الفضلي؛ لأنه الأقدر على وصف رؤيته لمشروعه التجديدي من خلال جوابه عن سؤالين في حوار مع مجلة الكلمة (العدد ٤، السنة ١، صيف ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ):

(١) مقال السيد حسن الخليفة في هذا الكتاب.

■ كيف تقيمون الحالة الثقافية الإسلامية؟ وهل هناك أزمة

ثقافية؟ ما هي أسبابها؟ وما هي عوامل الخروج منها؟

□ الحالة الثقافية الإسلامية تتحرك الآن في مسارين: مسار إحياء التراث، ومسار البحث والتأليف. وهي في المسار الأول (مسار التحقيق ونشر التراث) أوفر بكثير منها في المسار الثاني (مسار البحث والتأليف).

فقد نشر الكثير الكثير من التراث - محققاً وغير محقق - وأعيد طبع الكثير من الذي كان مطبوعاً. وكانت هذه الحركة الواسعة لإحياء التراث وإعادة الطبع على حساب إضعاف حركة التأليف، وبخاصة في مجال البحث والدراسة.

ومن هنا نحن الآن بحاجة إلى دراسات موسعة أو موسوعات علمية في مجال الأنظمة الإسلامية في الإدارة والاقتصاد والاجتماع والحكم والقضاء والأخلاق، وفي مجال الفلسفة الإسلامية، والمعارف العامة... كما أننا بحاجة لدائرة معارف إسلامية تصدر عن مؤسسة خاصة وتسائر التطور لإضافة كل ما يستجد، شأنها شأن الدوائر الأخرى... كذلك نحن بحاجة إلى موسوعة تاريخية تعتمد التوثيق والتحقيق والتحليل والتعليل.... نحن بحاجة إلى هذه وأمثالها لتكون حضارتنا بين أيدينا، وبين أيدي الآخرين في أصالتها وشموليتها.

■ يكثر الحديث في الآونة الأخيرة عن ضرورة التجديد في

الفكر الإسلامي، كيف تقيمون مسيرة التجديد هذه؟ وما هي

أسس ومعلم عملية التجديد على مستوى الفكر الإسلامي؟

□ قد يقال - هنا - لا معنى للتجديد بعد اتفاق المسلمين كافة على أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. من هنا لا بدّ من أن نحدد محور التجديد أولاً، ثم نتحدث عن ضرورة التجديد وعدم ضرورته.

علينا أولاً أن نتفهم أن عندنا أحكاماً شرعية وآراء فقهية، والأحكام الشرعية هي التي أوحيت من قبل الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ وبلغها كما هي. وهي المقصودة

تقديم

بالمقولة المذكورة: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة».

أما الآراء الفقهية، فهي نتائج اجتهادات الفقهاء في فهم النصوص الشرعية، ذلك أن المسلمين في عهد النبي ﷺ كانوا يأخذون معنى النصوص الشرعية التي تفيد الحكم من تفسير وشرح النبي ﷺ لها، وما كانت تلكم الشروح والإفادات لتدوّن من قبل الصحابة، وبعْدَ العهد وانتهى آخر جيل من الصحابة، وبعد آخر جيل من أصحاب أهل البيت عليهم السلام انتقل أمر التشريع إلى الفقهاء فذهبوا يستقرون النصوص الشرعية ويستنتقونها، وكان فهمها من قبلهم يختلف باختلاف مستوى ذهنية الفقيه ومستوى خلفياته الثقافية.

ومن الطبيعي أن المبلّغ عليه السلام لأنه معصوم لا يخطأ في تبليغه، فما يبلغه هو الحلال بعينه والحرام بعينه. وعليه: لا مجال للتجديد فيه؛ لأنه هو عين الواقع والمصلحة التي أرادها الله تعالى من التشريع للإنسان تدور مداره. أما الفقيه، فلأنه غير معصوم، كما أنه لم يبلغ مستوى الكمال المطلق هو معرّض للخطأ في اجتهاده، ولا أقل من احتمال عدم إصابته للواقع. وهذا كافٍ لأن يجعل الرأي الفقهي محورًا للتجديد حسب مقتضيات التغيرات.

ولأضرب لهذا مثالاً: ائتمان الأموال في البنوك، والتعامل بالأوراق من شيكات وبطاقات وما يشاكلهما، إنه أمر تفرضه الضرورة، ويدخل ضمن التجديد، لا سيما أنه لم يرد فيه نص شرعي خاص لا في الكتاب ولا في السنة. ومثال آخر: التأمين، بنوك الدم، بنوك الأعضاء، كل هذه تدخل ضمن التجديد.

النظم الاقتصادية التي تحكم العالم اليوم، وكذلك النظم السياسية، فالمسلم - قَرَبَ منها أو بَعَدَ عنها - لا بدّ أن يتعامل معها بشكل مباشر أو غير مباشر. وعلى الفقه الإسلامي أن يدرسها وأن يقول كلمته فيها، هذا - أيضاً - يدخل ضمن التجديد.

أن تكون لدى المسلمين نظرية سياسية وأخرى اقتصادية مدونة وفق منهج البحث وأصول الكتابة المعاصرين هي من الفكر التجديدي. من هنا انطلق الواعون

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

والغيارى من علماء المسلمين يحددون، فرأينا الكثير من أعمال التجديد في الفكر على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المؤسسات. وكل الذي أقترحه - هنا - هو أن نسرع الخطى في هذا التجديد لنسد كل الفراغات ونلبي كل المتطلبات، فنحن وتجديدنا في سباق مع الزمن، والسابق هو الفائز».

□ الفضلي مؤرخاً لثلاثة أجيال

إن مسيرة شيخنا الفضلي الطويلة امتدت لتشهد ثلاثة أجيال:

- الجيل المؤسس.
- والجيل الباني.
- والجيل العامل الحاصد.

وكان رحمته الله الشاهد الحي على تعاقب هذه الأجيال الثلاثة، المدون لتاريخها فيما سطره يراعه الأمين من تراجم لرجال هذه المراحل وعرضه لأهم إسهامات هؤلاء الرجال في صنع تاريخنا المعاصر، وكانت قراءته أشمل للمرحلتين الأولى والثانية (جيلي المؤسسين والبناء) بحكم معاصرته لهما ومشاركته فيهما ولأهمية دورهما في عملية الإحياء.

ولأنه عالم موسوعي يهتم بالجانب العلمي الحضاري، فما خلده في كتاباته يلقي الضوء على أهم معالم التجديد في كل مرحلة وعن المنارات المهمة في البنيان الفكري للأمة، وكتابه (هكذا قرأتهم) من أهم المصادر التاريخية التي يمكن الاستفادة منها في دراسة تاريخ النهضة العلمية الحديث وبالأخص في المدرسة الإمامية، وأدوار رجال العصر في هذه النهضة.

ومن خلال جلساتنا اليومية الطويلة معه التي أنعم الله بها علينا، فإننا سمعنا منه الكثير عن هذه المدارس الفكرية وقاماتها العلمية، وتعرفنا رؤيته عن المشروع التجديدي الذي بدأه رحمته الله شاباً مع جيل المؤسسين وأكمله مع جيل البناء.

إن جيل المؤسسين الأوائل وجيل البناء كان زمن المفكرين العظام الذين رثاهم الشيخ واحداً واحداً فأوفي قدرهم ومنجزهم، وربما لم يبق منهم أحدٌ ليرثيه فيوفيه حقّه..

نتحدث عن زمن المفكرين الذين صنعوا التاريخ الإسلامي المعاصر ولا أقول الشيعي فقط.. زمن المؤسسين والبناء: السيد محسن الحكيم والشيخ كاشف الغطاء والشيخ آغا بزرگ الطهراني والشيخ الأمين والسيد الإمام الخميني والسيد الخوئي والشيخ المظفر والسيد التقى الحكيم والشهيد الصدر والشيخ زين الدين والشهيد مطهري والشيخ مغنية والسيد القائد الخامني والشيخ الوائلي والسيد فضل الله والشيخ شمس الدين وشيخنا الفضلي وباقي كوكبة المفكرين الذين أحدثوا أهم ثورة حضارية وفكرية وعلمية في تاريخ مذهب أهل البيت عليه السلام الحديث.

لقد تعلمت من والدي رحمته الله أن الحضارة يصنعها الفكر والعمل، وأن الحركة الإسلامية لا بد أن تقوم على نوعين من الرجال (وهو يضرب المثل دومًا بالنجف الأشرف؛ لأنه عاشها وهو ينطبق كذلك على قم المقدسة).. النوع الأول هم: المفكرون الذين ينظرون للحركة الإسلامية في مسارها الفكري والتشريعي وأسسها ومقوماتها الحضارية، والنوع الثاني من الرجال هم: القادة الميدانيون الذين يقودون الأحزاب الإسلامية في الميدان العملي، ومثاله الذي يرويه لنا أنهم اتفقوا في بداية تأسيس حزب الدعوة الإسلامي على الحاجة إلى هذين النوعين من الرجال لكي تستمر الحركة، فكانت المجموعة الأولى، وهم مفكرو الثورة: الشهيد الصدر وزين الدين والفضلي وفضل الله وشمس الدين... وأقرانهم، والمجموعة الثانية وهم القادة الميدانيون، فكانوا قادة الدعوة في بغداد والبصرة وباقي مدن العراق من الشهيد السبتي والشهيد عز الدين سليم والشهيد عارف البصري... وأقرانهم، الذين كانوا يعملون تحت إشراف السيد العسكري والسيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم - رضوان الله عليهم.

ضربت هذا المثال لأقف أمام حقيقة مرّة وهي أن الأحزاب الإسلامية اليوم

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تملك الرجال الأكفاء من النوع الثاني، وهم قادة الأحزاب، ولكن - وللأسف - ينقصها المفكرون والمنظرون، وقد أغفلوا هذا الجانب وبعّدوا عنه كثيرًا.

ولللأسف، عادت حوزة النجف وحوزة قم إلى سابق عهدها قبل انطلاق الثورتين المباركتين في إيران والعراق، وإن كانت حوزة قم بدأ فيها رجال حملوا راية الفكر، وخصوصًا في الجيل الجديد.

نعم، إننا نرثي اليوم مرحلة العصر الذهبي للنجف الأشرف كما أسماها الشيخ رحمته. فلقد كانت الإشعاع للحركة الإسلامية في العراق وخارجها، تمد الحركات الإسلامية بالفكر والنظرية وتؤسس لدخول الحضارة الإسلامية في ميدان الصراع العالمي.

ولكن الآية اليوم معكوسة، فأصبح القادة الميدانيون هم من يقودون نجف الحضارة والفكر، نرجو وندعو الله القدير أن نشهد عودة سريعة للنجف إلى دورها القيادي الذي يطرح فكرًا إسلاميًا يصل إلى العالم أجمع.

□ أمثلة من دور الفضلي في تأسيس الفكر السياسي الإسلامي

وهنا، أشير إلى جانب مهم لدى الشيخ الفضلي لم يدرس بعد ولم يكتب عنه سابقًا وفي هذا الكتاب، لكي أضعه كمحور بحثي بين يدي الكتاب والباحثين:

مع بدايات الحراك الفكري الحضاري في النجف، حيث كانت كتابات الشهيد الصدر كإقتصادنا وفلسفتنا وكتابات باقي الكوكبة التي أسست لتجديد الفكر وكان لها الدور في انطلاق الحضارة الإسلامية، بدأت أولى إسهامات الشيخ الفضلي رحمته الفكرية والتنظيرية التي ساهمت في رسم خطى الطريق الرسالي للحركة الإسلامية.

ومن هذه الإسهامات ما كان في الفكر السياسي الإسلامي، وسأشير هنا إلى ثلاثة أمثلة، إشارة فقط؛ لأن استعراضها وتحليلها سيتطلب دراسة موسعة كما قلنا،

الأول كتابه (في انتظار الإمام) الذي كان أول كتاب في الحوزات الشيعية يطرح النظرية السياسية في الحكم الإسلامي بمفهوم الدولة الحديث، والثاني مقاله (نحو كتابة دستور إسلامي) الذي أوضح فيه كيف يجب أن تكون معالم الدستور في الدولة الإسلامية، وذلك في بدايات انطلاق الحركة الإسلامية كجزء من التنظير لأطروحات يتبناها حزب الدعوة الذي كان في بدايات التأسيس، والمثال الأخير هو مقالاته التنظيرية في الفكر السياسي الإسلامي التي نشرت في سلسلة في جريدة عالم الخليج التي كانت تصدر في لندن، والتي جمعناها في كتاب (رأي في السياسة)، وهو أحد كتبه المهمة التي تفيد الأحزاب والحركات الإسلامية في الجانب الفكري.

إن هذه الأدوار في حياة شيخنا الفضلي لم تدرس بعد، ويمكن دراستها مستقلة أو ضمن قراءة موسعة للحركة النجفية وتطورها في جوانبها الفكرية المختلفة.

□ مكانة الفضلي بين الداخل والخارج

قبل الختام، نقدّم كلمة عتاب لعوالم الفكر والمعرفة والأدب في هذه البلاد العزيزة. حيث قال الأستاذ حسين بافقيه في تغريدة له: «إذا افتخرت العراق بمصطفى جواد في اللغة، ومصر بعباس حسن في اللغة والنحو، فيحق للسعودية أن تفخر بابنها العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله في النحو».

وهي عبارة صادقة من رجل صادق وأمين في كلمته وقالها من خلال معرفته وقراءته للشيخ الفضلي كعالم كبير في علوم اللغة وبالأخص النحو، ويمكن التعرف أكثر إلى اجتهادات الفضلي وتراثه العلمي المهم في مجالات اللغة والنحو في بحث السيد حسن الخليفة في هذا الكتاب، وسيرى القارئ الكريم مصداقاً لعبارة الأستاذ بافقيه.

لقد استوقفتني هذه العبارة، وكأن الأستاذ بافقيه أثار فيها سؤالاً استنكارياً: لماذا لم تفخر هذه البلاد بجهاتها الحكومية والأدبية والتعليمية بالدكتور الفضلي ولم تكرمه وتقدره بما هو أهل له في عالم النحو واللغة، هذا إذا تجاوزنا كونه الفقيه الأصولي المتبحر في علوم مذهب أهل البيت عليهم السلام للموقف الطائفي من ذلك.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

بالطبع، التكريم للعلماء لا يزيدهم رفعة، ولكنها من شيم الأمم المتحضرة أن تقدر علمائها..

هل السبب أنه كان بعيداً عن الأضواء ولا يجب الظهور، وهل العالم هو الذي يبحث ويسعى للظهور، أم أن الدولة والمجتمع هم من يقدر العلماء ويرفعهم إلى مكانتهم التي يستحقون وتفخر بهم كما قال الأستاذ.. ولكن يبدو أن ذات الموقف الطائفي هو الذي منع من هذا وذاك، فمتى نخرج من هذا المنغلق الفكري والاجتماعي ونعيد صياغة حالة الفكر الأوحى إلى فكر متعدد نسمو به من واقعنا المثقل بالتخلف الفكري والحضاري؟!!

وكذلك يقع بعض اللوم على العراق التي كان دور الشيخ فيها مؤسساً ومنظراً ومجاهداً، ومن القادة الأوائل للحركة الإسلامية هناك، ولم نجدها أبنته بالصورة التي يستحقها..

وعلى النظر من ذلك، فإن الجمهورية الإسلامية تستحق منا كل الشكر والتحية على تقديرها لساحة الوالد رحمته الله قبل وبعد الرحيل. فقد كان مراجع التقليد في قم يكون كل التقدير والاحترام للشيخ الفضلي رغم عدم معرفتهم به، إلا من خلال كتبه وأبحاثه، وشهدنا رسائل شفوية عديدة من الشيخ النكراني رحمته الله والشيخ مكارم الشيرازي والشيخ السبحاني والشيخ محسن الأراكي وغيرهم نقلها بعض الطلبة وبعض الأخوة في زياراتهم لهؤلاء المراجع، وكذلك المرجع السيد القائد الذي رأيناه بحق مع ساحة الوالد ومع باقي العلماء يعرف قدر العلماء ويتواضع أمامهم إجلالاً، ولا ننسى صورته المعبرة عن هذا التواضع في زيارته الشيخ رحمته الله في المستشفى ورفعته ليده الشريفة ووصفها بأنها من الأيادي العظيمة التي خدمت الإسلام بما قدمته من تراث وفكر عظيم، وهو الذي قال عن مجموعة من كتبه عندما أُهديت إليه مرة أننا سنستفيد منها كثيراً. وقد حصل كتاب الشيخ المهم (دروس في أصول فقه الإمامية ١/ ٢) على جائزة الفارابي وهي أعلى جائزة علمية في إيران.

□ الواحتان في طريق المجد المنشود

وأخيراً، فإن هذه المنطقة الشرقية العزيزة على قلب الشيخ الفضلي جداً، والتي اكتسب حبها وحمل همومها من والده رحمه الله، ونظر إليها كوحدة اجتماعية ومجتمع واحد مع الحفاظ على الخصوصية في الانتماء المحلي، فيكون للفرد في نظرهما رحمتهما انتماء عام يجمع الواحيتين وانتماء خاص للمكان المحلي، وكان ينادي لتحقيق هذه الوحدة الاجتماعية في العاطفة وفي العمل.

ومضى على رسالته في تقديم كل ما يملك من تعليم وتثقيف وتربية لشبابها قبل وبعد القدوم إليها، وأثمرت جهوده في النقلة الثقافية المهمة التي أرادها وآت بعض أكلها وسارت في طريقها المأمول، وتشكلت فيها أفلام واعدة وشباب مثقف في كل أنحاء المنطقة وواحاتها.. وما هذا الكتاب إلا أحد الشواهد على هذه النقلة أو لنقل الثورة الثقافية في هذه المنطقة الغالية.

وكان موقفها في ردّ الجميل إليه مشهوداً ومشكوراً في ذلك التشيع المهيّب الذي حضره معظم الأهالي من علماء ووجهاء وشيوخ وشباب، وشاركت فيه اللجان الثقافية من كل المدن والقرى، وما أفاض فيه خطباء الجمعة والمنبر الحسيني في تأبين الشيخ، فجزى الله تعالى الجميع عنه وعنا أحسن الجزاء في الدنيا والآخرة.

ونتمنى أن يستمر الحراك الثقافي والوعي الذي أسس له الشيخ الفضلي رحمته لكي يرى وهو في الملأ الأعلى منطقتة الحبيبة تتقدم في خطى حثيثة نحو المجد والرقي.

وأهم من ذلك أن تتوحد المنطقة كما كان يريد لها الشيخ بشخصيته الجامعة.

□ وكلمة رثاء في الختام

لقد فقدنا يا والدي صوتك الحنون وصورتك الملائكية وجلال الأولياء الذي

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

كنا نشعر بقداسته كلما جلسنا في حضرتك.

وما أروع أبياتك المعبرة في رثاء والدك رحمه الله وأنت تقف على قبره في بقيق الغرقد، وما أجمل أن نرثيك بها فهي تحكي ما نشعر به اليوم من ألم الفراق (يا أبي والفراقُ صعبٌ عظيمٌ)، وتصف بأبلغ تعبير ما يصيبنا من شجون القلب ودموع العين كلما وقفنا على قبرك الشريف:

جئت أبكيك لم أجد من دموعي ما يوفى به المصاب الأليم
فتشرتُ الفؤاد عندك حزناً فإذا دمعتي الدم المسجوم
كيف أسلوك والسلو عديم يا أبي والفراق صعبٌ عظيم
كنت لي الحب والحنان وظلاً وارف الفياء والفؤاد رحيم
مات في ثغري النشيد وغابت نفحة الحب فالحياة كلوم
وعزائي أني غداً سأوا فيك وألقاك والحياة نعيم

رحمك الله تعالى يا أبتاه.. وأثابك على صنيعك الكبير وتراثك الغني وسيرتك الحسنة التي تركتها في هذه الدار، خلوداً ونعيماً في دارك الأخرى التي رحلت إليها.
وسلام على روحك الطاهرة التي رجعت إلى ربها راضية مرضية.

فؤاد عبد الهادي الفضلي

٢ / ٧ / ١٤٣٤ هـ : ١٣ / ٥ / ٢٠١٣ م

القسم الأول

كلمات التعازي وشواهد العزاء

- بيان أبناء الفقيد
- من بيانات المراجع وعلماء الدين
- من البرقيات الحكومية
- من بيانات المراكز والجامع العلمية والإعلامية
- شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾

ماذا سيكتب في تأبيك القلم
وما هو الجرح مني يستحيل لظي
يا راحلاً كم زها بالعلم مجلسه
الله درك ما أسماك من علم
وفي فؤادي أضحي يحفر الألم
من المصاب وركن الصبر منحطم
عبر السنين مجلي حسنه الكلم
للعلم عشت وفيه كنت تحترم^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الحزن والأسى ووقع الألم وصدى الجراح، ننعى فقيدنا الغالي سماحة
الوالد العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي قدس الله تعالى روحه الزكية وتقبله بقبوله
الحسن مع أوليائه محمد ﷺ وآله الطاهرين.

(١) الأبيات من قصيدة للشيخ جعفر الهلالي في رثاء الشيخ الميرزا محسن الفضلي رحمته والذ الشيخ،
واقتبسنا منها هذه الأبيات؛ لأنها تحكي صورة الأب والابن معاً. وقد ورث الشيخ الفضلي عن
والده حب العلم والإيمان والكثير من الخصال والسلوك، رحمهما الله تعالى برحمته ورضوانه.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، إنها الساعة التي اختارها الله (عزَّ وجلَّ) ليختتم هذا الرجل العظيم حياته الزاخرة بالعلم والجهاد، بعد أن عاش مراحلها في عطاء دائم وإشراقات متواصلة لم يتوقف لحظة في مسيرته العلمية والعملية التي رسمها وأتقن العمل في إنجازها وتحقيق مشاريعه واحداً تلو الآخر.

كان في مرحلته النجفية أستاذاً ورائداً من رواد الجيل النجفي في عصره الذهبي شارك في بناء النهضة الحضارية النجفية بقلمه المبارك مع أساتذته المظفر والتقي الحكيم وتنظيره وجهاده مع أستاذه الشهيد الصدر والكوكبة المؤمنة العاملة من رفاقه، وكأن القدر أراد أن يحكي لنا عمق علاقته بأستاذه الشهيد الصدر فكان رحيله في يوم ذكراه - قدس الله نفسيهما وجمعهما عنده في الأبرار والصالحين.

وواصل بعد خروجه من العراق دوره التعليمي والتربوي والرسالي في الجامعات والمجتمعات التي سكنها فكان دوره الكبير في تربية جيل مثقف ورعاية أقلام واعدة عبر الدرس الأكاديمي والمحاضرات والندوات ومجلسه اليومي المبارك (دارة الغريين)، ويدل هذا الاسم على عمق علاقته الروحية بالنجف الأشرف.

وأهم إنجاز في مسيرته المباركة كان مشروعه في تجديد مناهج الدرس في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، والذي استمر في إكماله خطوة خطوة في كل مراحل حياته حتى أتمها (موسوعة جامعة) في ست مجموعات (مجموعة أصول الفقه ومجموعة المعارف العقلية ومجموعة علوم القرآن والحديث والمجموعة الفقهية ومجموعة علوم اللغة العربية ومجموعة المعارف العامة)، إضافة لمؤلفات وبحوث وتراجم في مجالات فكرية متعددة.

لم يكن سماحة الشيخ - رضوان الله عليه - يحب الظهور والأضواء مقتدياً بتواضع والده عليه السلام فعاش في الظل يقرأ ويكتب ويُعلِّم ويعمل في سكون، ولعله أراد أن يعطي الدرس العملي للإيمان والتواضع الذي يبتعد دوماً عن زخرف الحياة وزبدها ويهتم بما ينفع الناس من فكر وعطاء.

نودعك اليوم يا أبتاه... بعد أن ملأت دنيانا بروحك الطاهرة وفكرك المنير وقامتك الشاخحة التي يشعر ويفخر بها كل من انتسب إليها نسباً طبيعياً أو نسباً معنوياً، فكل تلاميذك اليوم افتقدوا فيك الأب المربي والعالم الأستاذ، وكل المجتمعات التي عشت فيها في البصرة والنجف الأشرف وجدة ومثلث البحرين الحضاري تعتبرك من رجالها وقادتها، وكل الحوزات والمعاهد العلمية والجامعات الأكاديمية في العالم الإسلامي تنعك اليوم وتدعو لك بالغفران والرحمة.

فباسم كل هؤلاء وباسمنا نرفع أيدينا بالدعاء لله سبحانه وتعالى أن يتغمد روحك الطاهرة بواسع رحمته ونبتهل إليه تعالى أن يحشرها مع محمد وآله الأطهار وأن يلهمنا وكل إخواننا المؤمنين الصبر والسلوان.

لقد فقدت الأمة الإسلامية اليوم رجلاً من رجالات الفقه وعلومه ورجالات العربية وآدابها ورجالات الحكمة ومعارفها، أفنى حياته في خدمة الفكر والمبدأ، وبكل ما لديه من طاقة، حتى خرج من هذه الدنيا راضياً مرضياً، لأنه قدّم بين يديه في عالمه الآخر الذي ذهب إليه هذه السيرة العطرة، وخلف وراءه في عالمنا هذا هذه الذكرى الحسنة.

فسلامٌ عليه في هذه، وفي تلك، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أبناء الفقيه العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ : ٩ أبريل ٢٠١٣ م

أولاً

من بيانات المراجع وعلماء الدين

بيان الإمام السيد علي الخامنئي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

تلقيت ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل العلامة آية الله الدكتور عبد الهادي
الفضلي إلى جوار ربه.

لقد قضى العلامة الفقيه عمره الشريف في الجهاد العلمي والسياسي والدفاع
عن مقدسات الأمة الإسلامية وقضاياها العادلة.

كان الفقيه من رواد الفكر والمنظرين الاسلاميين البارزين وخير دليل على
ذلك ما نجده في مؤلفاته وآثاره الجليلة.

كان رحمه الله ملاذاً لعلماء الأمة حيث جسد بفكره وحركته وجهاده وجهوده
الوحدوية قدوة لتأليف القلوب وتوحيد الصف الإسلامي ولمّ الشمل ونبذ
الخلافات وتوجيه الأنظار والأفكار نحو العدو المشترك لأبناء أمتنا الإسلامية
العظيمة.

كما قدم الفقيه الراحل من خلال صبره على الابتلاء الإلهي في أواخر حياته

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

حيث ألم به المرض وكبده الكثير من العناء تصويرًا ومثالاً رائعًا للإنسان المؤمن الصابر الشاكر المحتسب المتوكل على الله العلي القدير.

إنني بهذه المناسبة الأليمة إذ أتقدم بأحر التعازي لأعضاء أسرته الكريمة ورفاق دربه وتلامذته ومحبيه ولا سيما لعلماء أمتنا الإسلامية والحوزات العلمية الدينية، أسأل الله أن يتغمده برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جنانه ويدخله في سعة رضوانه ويلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، كما أسأل الله جل وعلا أن يمن على جميع علمائنا الأخيار بوفور الصحة ودوام التوفيق والاقتراد بفقيدنا السعيد فكريًا وسلوكًا وجهادًا و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

السيد علي الحسيني الخامنئي

بتاريخ: ثمانية وعشرين من جمادى الأولى من عام ألف وأربع مئة وأربعة وثلاثين

بيان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

لقد أوجب شديد تأثرنا وتأسفنا الفقدان المؤلم للعالم الرباني المرحوم آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

إن هذا العالم البارز قدم خدمات كثيرة للدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد خلف آثارًا مفيدة ووافرة، كما كان فعالاً بالأخص في طريق الوحدة الإسلامية.

إننا نأمل من الأخوة العلماء الأعزاء في الأحساء والقطيف وسائر المناطق أن يواصلوا نهجه رحمته الله.

وإننا إذ نعزي في هذه المصيبة جميع العلماء المحترمين في السعودية وعائلته الكريمة نسأل الله تعالى السرور لروح ذلك العالم الخدوم، والصبر والأجر العظيم لذوي الفقيد السعيد.

بيان السيد محمود الهاشمي

بمزيد من الأسى نبأ رحيل العالم الجليل والعلامة الفقيه الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي - رحمه الله تعالى. والذي كان بحق من خيرة علمائنا العاملين والمجاهدين، والذي صرف عمره الشريف والمبارك في خدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الوعي والفكر الإسلامي، ورفد الحوزات العلمية والجامعات الدينية بالكتب الدراسية المفيدة والمثمرة.

ونتقدّم إلى أسرة الفيد العزيز وطلبة الحوزات العلمية، وخاصّة علماء المنطقة الشرقية بوافر العزاء والمواساة.

نسأل الله تعالى أن يتغمّد فقيدنا الكبير برحمته الواسعة، وأن يحشره مع من يحبّ ويتولّى محمد وآله الطاهرين.

السيد محمود الهاشمي ٢٧ / جمادى الأولى / ١٤٣٤ هـ

بيان الشيخ جعفر السبحاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

تلقينا ببالغ الحزن والألم نبأ رحيل العالم الجليل والمحقق الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله، الذي كرس حياته لخدمة الفقه والتاريخ والأدب، وترك آثاراً قيّمة خالدة في حقول مختلفة.

وفقيدنا الغالي منذ أن أتمّ دراساته العالية في الجامعة الدينية الكبرى للشيعة في النجف الأشرف، انتقل إلى وطنه، فخدم العلم والنشء الجديد بقلمه وبيانه، وبذلك زرع في قلوب المؤمنين مكانة سامية.

وها نحن نعزيّ إمام العصر والزمان، وعلماء الإسلام، لاسيّما في المنطقة الشرقية وأسرّة الراحل وأبنائه ومحبيه. نسأل الله تعالى له أن يحشره مع من تولاّه من النبي الأكرم عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام، وأن يمنّ على أهله وذويه بالصبر والسلوان.

جعفر السبحاني

قم المقدّسة - الحوزة العلمية

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

بيان أمين عام العتبة العلوية المقدسة

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا به، وإناله وإليه راجعون وصلاته وسلامه على سادة أوليائه وهداة أصفياه محمد وآله الطاهرين.

في هذه الأيام الحزينة نفقد علمًا من أعلام الأمة ومربيًا من مربيه النجباء.. إنه فقيه العلم والأدب سماحة العلامة الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

كان المربي الإيماني الخبير الذي انطلق في تربيته للأجيال الحوزوية من خلال ما يحتاجه الخط الحوزوي من علوم ليرسم المناهج التي لا غنى عنها في هذا الخط القويم.

وانطلق في تربيته للأجيال الإيمانية المثقفة مما تفتقر إليه هذه الثقافة من أصول ثقافية رائدة.

وانطلق في تربيته للأجيال الأدبية مما يهيئ لها انضواءها في غاياتها لتنال بغيها في هذه المجالات ومن معينها الصافي...

ليبقى تراثه خالدًا معطاء لا في الأجيال الحاضرة وإنما إلى عديد من العصور.

وكان المربي الإيماني الخبير الذي استكمل كلمته المربية بسلوكه الأخلاقي والإيماني القويم ليكون المعلم وليكون النبراس وليكون العلم الرفيع الذي تتطلع العقول والأنفس إلى الاهتداء به كما تتطلع الآذان إلى استماع كلمته والأعين إلى قراءة تراثه.

أولاً: من بيانات المراجع وعلماء الدين

وكان المربي الخبير الذي جمع إلى تربية الأفراد من طلبته ومريديه تربية مجتمعات رأت فيما قال وفيما كتب وفيما فعل غناء حاجاتها من العلم ومن الهدى ومن الأسوة ما طبعها بطابعه الخاص ابناً وأخاً وأباً ولعديد من العقود وفي عديد من البلدان بل وليصبح غطاؤه فيها ركناً يسمها للعديد من الأجيال وهي تستهدي به في طريق الله القويم.

فرحمك الله أيها الأستاذ والأديب والمربي الخالد وحشرك مع ساداتك الكرام محمد وآله العظام، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

ضياء الدين زين الدين

الشيخ عيسى أحمد قاسم البحراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأفاضل عائلة سماحة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ مصابكم الجلل بوفاة والدكم الجليل، وكم كان
بودّنا أن نعزيكم عن قرب إلا أن الظروف كما تعلمون لا تسمح لنا بذلك.

وأنتم نعم البقية ونعم الخلف.

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح الجنان، وحشره في زمرة ساداته محمد
وآله الأطهار، وأهلمكم وذويه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

الاثنين ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

٨ أبريل ٢٠١٣ م

بيان المجلس الإسلامي العلمائي بالبحرين

قامة شاخحة.. وخسارة فادحة

ببالغ الحزن والأسى، تلقينا نبأ رحيل العالم الرباني والمفكر الكبير العلامة المحقق آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، الذي يمثل فقدته ثلثة كبيرة في الإسلام، وخسارة فادحة؛ لما لساحته من جهود كبيرة في خدمة الدين ونشر المعارف الإسلامية وتربية نخبة من العلماء والمفكرين، عبر الكثير من حلقات الدرس والمؤلفات العلمية الرصينة والفكرية الأصيلة، التي أثرت المكتبة الإسلامية.

وكان ساحة الفقيه مثال العالم الرباني الذي كان كل همّه خدمة الإسلام وعزّته، ونصرة العقيدة، من خلال منهج إسلامي رائد، يعتمد الاعتدال والعقلانية والمواءمة بين الأصالة والتجديد في طرح الإسلام ورؤاه وأفكاره، كما كان رمزاً من رموز الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، وداعية إلى التسامح والتعايش بين المسلمين بشتى مذاهبهم، عبر مواقفه التقريبية وفكره الوحدوي.

وبهذا المصاب الأليم نرفع التعازي لمقام مولانا صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) وللمرجعية الدينية وعلماء الإسلام وعائلة الفقيه وعموم العلماء الأجلاء والمؤمنين في السعودية وأبناء الأمة الإسلامية، وندعو الله تعالى أن يتغمد الراحل بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّته، ويلهم أهل وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

كما نسأل الله تعالى أن يعوّض الأمة الإسلامية علماء ربانيين ورجالاً مخلصين
يوصلون الدرب النير الذي سلكه سماحته وبذل مهجته وعمره الشريف في السير
عليه خدمة للدين الحنيف.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

المجلس الإسلامي العلمائي - البحرين

٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ : ٨ أبريل ٢٠١٣

بيان السيد علي فضل الله

لقد فقد العالم الإسلامي بوفاة سماحة الشيخ عبد الهادي الفضلي، عالماً إسلامياً كبيراً، وفقهياً مجدداً، أثرى المكتبة الإسلامية بالمؤلفات والأبحاث الفقهية والفكرية والأدبية، وكان من الشخصيات الإسلامية الوحيدة التي عملت بصدق للوحدة الإسلامية، وأرادت للمجتمع الإسلامي أن يعيش هذه الوحدة في مواجهة كل أولئك الذين أرادوا الإيقاع بين المسلمين السنة والشيعة، وكان من الأوائل الذين رأوا مرجعية سماحة السيد محمد حسين فضل الله رحمته الله منطلقاً لرؤية علمية جديدة، وأساساً لصون الواقع الإسلامي وحمايته، وتقديم صورة إسلامية مشرقة للعصر.

لقد شكّل رحيل هذا العالم الكبير خسارة كبرى لمسيرة العلم والعلماء، وثلمة لا تسدّ. وإننا إذ نسأل المولى تعالى أن يتغمّده بواسع رحمته، ويسكنه الفسيح من جنّاته، نبتهل إليه تعالى أن يعوّض هذه الأمة بأمثاله، وبالعلماء العاملين لوحدة الأمة وعزّتها وكرامتها ومنعتها، إنه سميعٌ مجيب.

﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

السيد علي فضل الله

بيان الحوزة العلمية بالأحساء

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بمزيد من الحزن والأسى تنعى الحوزة العلمية بالأحساء فقيدها الراحل سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي طيب الله ثراه، الذي قضى عمره الشريف في بيان ونشر معارف آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين وخدمة شريعة سيد المرسلين ص وبهذه المناسبة الأليمة ترفع أحر التعازي وفائق المواساة إلى مقام بقية الله الحجة بن الحسن عجب والمراجع العظام ومنسوبي الحوزات العلمية وأسرة الفقيد والمؤمنين كافة.

وتفيد المؤمنين أنه سيشتيع جثمانه الطاهر عصر يوم غد الثلاثاء الموافق ٢٨ / ٥ / ١٤٣٤ هـ من مسجد الامام الكاظم عليه السلام بالقرب من جمعية سيهات الخيرية.

كما تعلن عن إقامة مجلس العزاء على روحه الشريفة في مقر الحوزة العلمية بالأحساء الواقعة بحي النزهة شمال المبرز وذلك لمدة ثلاثة أيام عصرًا وليلاً ابتداءً من يوم الأربعاء ٢٩ / ٥ / ١٤٣٤ هـ الى نهاية يوم الجمعة ١ / ٦ / ١٤٣٤ هـ.

وتدعو عموم العلماء والمؤمنين للمشاركة في عزاء هذا المصاب الجليل سائلة الله العلي القدير أن يتغمد فقيدها السعيد برحمته ويسكنه فسيح جنته ويحشره مع محمد وآله الطاهرين.

الحوزة العلمية بالأحساء، ٢٧ / ٥ / ١٤٣٤ هـ

علماء القطيف والأحساء يعزّون برحيل العلامة الفضلي

جريدة البيان العراقية - ١٠ أبريل ٢٠١٣م

أغنى الشيخ الدكتور الفضلي بمؤلفاته وتصانيفه القيمة التي تجاوزت المائة كتاب المكتبة العربية والإسلامية، ونظرًا لما تتميز به مؤلفاته من منهجية علمية، وأسلوب عصري؛ فقد أصبح بعضها يدرس في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

نعى العديد من الفاعليات الشيعية في محافظتي القطيف والأحساء شرقي السعودية رحيل (العلامة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي)، أبرز رجال الدين الشيعة في المنطقة الشرقية والذي وافاه الأجل بعد صراع طويل مع المرض.

ووصف الشيخ حسن الصفار في بيان رحيل العلامة الفضلي بـ «العالم الرباني، والفقير المجدد، والمفكر الرسالي، الذي تربى على يديه، وعبر مناهجه الدراسية العلمية، جيل من العلماء البارزين، والمثقفين الرساليين، ورفد الحوزات العلمية ببحوثه وطروحاته التجديدية، وأثرى الساحة بعطائه الفكري الأصيل».

ونعى الشيخ فوزي السيف رحيل الشيخ الفضلي «بعد عمر قضاه في العمل

الديني والإسلامي، وبعد حياة مليئة بالإنتاج العلمي والمنهجي». وقال الشيخ السيف «يعتبر المرحوم الشيخ الفضلي رضوان الله عليه من الرعيل الأول من قادة الحركة الإسلامية المعاصرة، ومن رواد الدعوة إلى الإصلاح على مختلف المستويات». وأضاف «بدءاً من الحوزة العلمية ومناهج التدريس فيها حيث أنتج عددًا مهمًا من الدراسات المنهجية للسطوح المختلفة، وأيضًا في العمل الثقافي حيث كانت دراساته وكتبه تعد من الأساسيات للتثقيف الديني في الجامعات الشبانية بالإضافة إلى دوره الاجتماعي في التبليغ وإلقاء المحاضرات النافعة».

ونعى السيد حسن النمر الموسوي الراحل الفضلي ووصفه بـ «العالمِ العاملِ والراعي الكفوِّ والأبِّ الحنون؛ والفقية الموسوعي والمفكر الكبير والكاتب المبدع». وأشاد السيد الموسوي بجهود الراحل «بعد عمرٍ مديدٍ زاخرٍ بالعطاءٍ للقريبِ والبعيدِ، وبعد مسيرةٍ خيرٍ شهد لها أهلُ الفضلِ والإحسانِ». وتابع «وإننا إذ نستقبل هذا القضاءَ الربانيَّ بالتسليمِ والرضا فإننا ندعو الله تعالى أن يجزي الفقيدَ الراحلَ بأحسنِ الجزاءِ على ما قدَّم في سبيلِ الله؛ من خدماتٍ جليلَةٍ كانت؛ وستظلُّ بإذنِ الله، مشاعلَ وضاءً تنيرُ الدربَ لطلابِ العلمِ والساعينِ في طريقِ الكرامةِ والاستقامةِ».

ونعى الشيخ الدكتور عبد الله اليوسف في بيان صادر عن مكتبه، رحيل العلامة الفضلي «بعد حياة مليئة بالعلم والعمل، والعطاء والإنتاج العلمي والفكري والأدبي المتميز». وأضاف «إن الساحة الدينية والعلمية قد خسرت بفقدته قامة علمية متميزة، ورائدًا من رواد الإصلاح والتجديد، ومفكرًا مستنيرًا ملأ الدنيا بعطاءه العلمي، وفكره المتجدد، ومؤلفاته القيمة، ومصنفاته المتميزة؛ وهذا ما سيجعله مخلدًا على مر الأيام والسنين». وذكر بيان الشيخ اليوسف «أعنى الشيخ الدكتور الفضلي بمؤلفاته وتصانيفه القيمة التي تجاوزت المائة كتاب المكتبة العربية والإسلامية، ونظرًا لما تتميز به مؤلفاته من منهجية علمية، وأسلوب عصري؛ فقد أصبح بعضها يدرس في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية».

أولاً: من بيانات المراجع وعلماء الدين

كما نعى الشيخ فيصل العوامي في بيان رحيل الشيخ الفضلي «بعد مسيرة حافلة وكفاح طويل، وأداءٍ متميز في تثقيف الأمة ودعوتها لعلوم آل محمد». ووصفه أنه «مفخرةٌ من مفاخر هجر الحاضرة التي قدّمت إلى العلم والمعرفة رجالاً خدموا المسيرة الإسلامية بإنجازاتٍ وعطاءاتٍ هامة». مقدّمًا تعازيه لعائلة الفقيد.

ووصف الشيخ محمد المدلوح «رحيل هذا العالم الكبير ذائع الصيت في الحوزات العلمية ببحوثه القيمة ومؤلفاته العديدة والتي أسهمت في تبسيط بعض المواد ككتابي مبادئ الأصول وخلاصة المنطق وغيرهما من الكتب والآثار العلمية لخسارة كبيرة جداً».

ونعت حوزة (دار العلم) بالقطيف الفقيد الذي اعتبرته في بيان لها بأنه «كان رمزاً من رموز العلم والعمل والجهاد». وأضاف بيان الحوزة «لقد ملأ بعلمه الجم المكتبة الفقهية والأصولية والفكرية الإسلامية بالكثير ممّا يُغني الساحة العلمية؛ وملأ بجهاده الروح الرسالية المخلصة، وملأ بخطبه ومحاضراته وتوجيهاته ولذلك فإنّ رحيله يعد خسارة كبيرة للأمة».

ونعى أعضاء اللجنة التنظيمية لـ (منتدى الثلاثاء الثقافي) بالقطيف رحيل «علماً من أعلام الفكر والثقافة في وطننا»، وأعلن المنتدى بتأجيل ندوة هذا الأسبوع الذي كان مقرراً عقدها أمس الأول الثلاثاء.

ووصف الشيخ علي المعلم العلامة الفضلي أنه «علماً من أعلام الفكر والوعي ورمزاً من رموز الإصلاح في العالم الإسلامي، ومفكراً من الطراز الأول، ومعلماً بارزاً من معالم المسيرة الإسلامية، ومربيّاً لجيل من أبناء الأمة، رقد المكتبة الإسلامية بأروع ما صاغه في الفكر والثقافة والدراسات التخصصية».

ونعت (لجان الولاية الإسلامية) بأم الحمام رحيل الشيخ الفضلي بعد «صراعٍ طويل تكابده مع انتكاساته الصحية، غيّبته عن المحافل العلمية، وحلقات درسه

وعطائه». واعتبرت «سجله الزاخر يسجل بصمات سماحته التي كانت مفصلاً من مفاصل التغيير الهامة في منطقتنا بل عموم العالم الإسلامي، وقد تفتياً بظلاله الوارفة كلُّ هذا الرعيل الناهض في العالم الإسلامي اليوم، بما امتلكه من نبوغٍ علمي، وطموحٍ متحفز، وبصيرةٍ ثاقبةٍ تُلامس تطلعات الأمة، وتعي جراحها، وتعرف طيبها وما تعتازه لإصلاح اعتلالاتها الجمّة». كما وصفت «الرصيد الضخم الذي خلفه سماحته من المكتوب الحوزوي، والإسلامي الاجتماعي، وسلاسل محاضراته وندواته المسجلة خير شاهدٍ على هذه الهوة التي صنعها رحيل هذا العَلم العظيم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ونعى الشيخ حسين الراضي الراحل الفضلي «الذي بذل كل وقته وجهده في سبيل العلم وتطويره من خلال مؤلفاته الكثيرة وقلمه السيل الذي سخّره من أجل تطوير المناهج العلمية الحوزوية وغيرها». واصفاً إياه أنه «مثال للزهد والورع وحب الخير والتواضع. ومثال للجهاد في سبيل العلم والعلماء».

ونعى الشيخ حسين المصطفى في بيان تعزية «برحيل جسد هذا العالم المعرفي الموسوعي إلى بارئها، لا تبقى إلاّ المنجزات العظام التي خلفها على صعيد العلم والمعرفة والحركة الإسلامية؛ إنه شاهد فريد على عصر مملوء بالصراعات الفكرية العميقة لا غنى لأي باحث عن شهادته وشخصه».

بيان الشيخ اليعقوبي

فُجع العالم الإسلامي برحيل سماحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وفقد بوفاته عالماً رسالياً مصلحاً مثقفاً أديباً حصيفاً، ونحن بأمس الحاجة لجهود أمثاله ممن اجتمعت فيه هذه الصفات الكريمة لحل مشاكل الأمة والارتقاء بأبنائها.

عرفت سماحة الشيخ الفقيه منذ عقود حينما قرأت ما كان ينشر في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي في النجف الأشرف منذ العام ١٣٨٣/١٩٦٣، حيث شخّص بفطرته ووعيه وإخلاصه منذ سنوات دراسته المبكرة حاجة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية إلى التحديث وإعادة النظر لتواكب متطلبات الحياة المعاصرة وتحدياتها، ولا عجب في ميله إلى المدرسة الإصلاحية فقد كان من طلبة العلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر رحمته الله في الحوزة العلمية وفي كلية الفقه فتأثر بأرائه وأفكاره، واختار صفحات مجلة الإيمان ومجلة أضواء التي كانت يصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف ليطلق دعواته تلك، ولم تقف عند حدود التمنيّات والتنظير بل وضع فعلاً بعض الخلاصات للمنطق وأصول الفقه تأسياً بأستاذه المظفر رحمته الله واستمر بالدراسة والتدريس حتى حضر بحوث الخارج عند أبرز مراجع وعلماء العصر (قدس الله أرواحهم).

كما أدرك (رحمه الله تعالى) في ذلك الوقت الفجوة الكبيرة بين الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية بل الشباب والمثقفين عموماً الذين انخرطوا في الحركات السياسية والأيدولوجيات البعيدة عن الدين، فرأى لزماً عليه أن يعمل ما بوسعه

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

لردم هذه الفجوة المصطنعة بمكر أعداء الإسلام وجهل أبنائه والمدّعين لسدانة مؤسسته الإلهية المباركة، وعرف أن العمل المثمر يكون بولوج هذه الجامعات من أبوابها بأن يكون عنصراً فاعلاً وصاحب قرار فيها فالتحق بكلية الفقه التي أسسها المرحوم الشيخ المظفر وكان من طلبة الدفعة الأولى التي تخرجت عام ١٩٦٢ ثم واصل دراسة الماجستير والدكتوراه وحصل عليها من القاهرة بامتياز.

كل هذا يدل على أنه ذا همّة عالية وشعور كبير بالمسؤولية وأمل عريض برفعة الإسلام وعزّة أبنائه، ولم يكتف في عطائه بعمره في الدنيا الذي ناهز الثمانين، بل أضاف له عمراً ثانياً ممتداً بإذن الله تعالى حين طبّق الحديث النبوي الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث) فترك لنا مؤلفات نافعة ومؤسسات مثمرة وأنجالاً صالحين لتكون له صدقات جارية.

ومضافاً إلى ذلك فقد كان أديباً وعضواً في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف التي أسسها المرحوم جدّي الشيخ محمد علي اليعقوبي ونخبة من زملائه سنة ١٩٣١ وبقي عميداً لها أكثر من ٣٠ سنة حتى وفاته عام ١٩٦٥.

لقد رحل فقيدنا الجليل والجميع بحاجة إلى مساعيه الحكيمة للقضاء على الفتن والتوترات التي يعاني منها أحببتنا في أرض الحرمين الشريفين المباركة حرسها الله وأهلها من كل سوء ووقاها شر الأعداء المتربّصين، ونراهن على حكمة العقلاء من جميع الأطراف لتطويق الأزمة وفك عقدها بالحوار البناء والابتعاد عن الانفعال والتعصّب، وان يكون هاجس الجميع ازدهار البلد ورفاه أبنائه وعزّتهم وكرامتهم.

تغمّد الله تعالى فقدينا الراحل برحمته الواسعة وألحقه بالصالحين من عباده، وجعل روحه الطاهرة مصدر إلهام لإخواننا في المملكة ولجميع المسلمين في فعل الخيرات، والله ولي المؤمنين.

محمد اليعقوبي - النجف الأشرف

٢٨ / جمادى الأولى / ١٤٣٤ هـ : ٩ / ٤ / ٢٠١٣

بيان مكتب السيد كمال الحيدري

«إذا مات العالم، ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء»

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ رحيل العالم المجاهد الكبير والمفكر الإسلامي، عضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام «العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي» صباح يوم الاثنين الموافق ٠٨ / ٠٤ / ٢٠١٣م، بعد حياة مليئة بالعلم والعمل، والعطاء والانتاج العلمي والفكري المتميز، عن عمر مديد في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل.

نسأل الله عز وجل أن يتغمد الفقيد السعيد بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يحشره مع محمد وآله الأطهار، وأن يلهم أهل ذويه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ..

مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة

بيان مكتب السيد حسين الصدر - الكاظمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

تلقينا ببالغ الأسى والأسف وفاة فضيلة العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي - رحمه الله تعالى، هذا العالم الجليل الذي نذر نفسه لخدمة الاسلام والمسلمين وعمل بجد وإخلاص لإعلاء كلمة الحق من خلال تهذيب العقول، وتنوير النفوس بنور الايمان.

لقد كان فقيدنا الراحل، من الشخصيات العلمية المرموقة، التي قدّمت الأفكار الناضجة من أجل توحيد صفوف المسلمين، ومحاربة جميع مظاهر الانحرافات الفكرية، التي تحاول تصديق صفوف الأمة الاسلامية، بإشاعة التطرف والتعصب ورفض الإصغاء للرأي الآخر.

وبهذا المصاب الجلل يقدم المكتب الإعلامي للمرجع الصدر أحرّ تعازي وساحة المرجع الصدر إلى عائلة الفقيد - رحمه الله تعالى - وإلى جميع محبيه، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يتغمّد هذا العالم الكبير بالرحمة والرضوان، وأن يمنّ على ذويه ومحبيه بالصبر والسلوان، و﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

المكتب الإعلامي للسيد حسين الصدر / الكاظمية المقدسة

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ: ٨ / ٤ / ٢٠١٣ م

بيان الشيخ محمد مهدي الأصفى

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

تسليماً ورضاً بقضاء الله تعالى وقدره، ننعى إلى المؤمنين علماً من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وحجة من حجج الإسلام في الأرض، ورائداً من رواد الوعي الإسلامي المعاصرين... المفكر والمنظر والكاتب والمؤلف الإسلامي المعاصر حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

وبفقدته فقدنا خبرة وتجربة لنصف قرن في العمل الميداني الإسلامي، والحركة الإسلامية المعاصرة، والدعوة إلى الله، والكتابة والتأليف والتنظير العلمي والمنهجي، وفقدت أخصاً عزيزاً عاشرتة طويلاً، وعرفت فيه التقوى والوعي والمعرفة والاهتمام بشؤون المسلمين والإخلاص.

اشتهر بالوعي، والعلم، والتقوى، والاعتدال، والمثابرة، في ساحات الحوزة العلمية والأوساط الجامعية، والحركة الإسلامية والأوساط العلمية المعاصرة... وخلف من بعده تراثاً نافعاً للحوزات العلمية والجامعات وساحات الحركة الإسلامية الناهضة في العالم الإسلامي.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تغمده الله برحمته الواسعة، وتعازينا إلى المؤمنين الذين يشعرون فداحة الخسارة
بفقدته وتعازينا لأولاده وأحفاده وأسرته، وإنا لفقدته لمحزونون.

والحمد لله رب العالمين، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

محمد مهدي الآصفي - النجف الأشرف

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

بيان مكتب الشيخ محمد علي العمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾

ببالغ الحزن والأسى نرفع عزائنا إلى مولانا صاحب الأمر والزمان برحيل العلامة الكبير آية الله الدكتور المجاهد الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي كان له دور بارز في رفد الحوزة العلمية بمؤلفاته القيمة ومساهماته العلمية والفكرية الرصينة التي سبقت لها أثر مخلص لشخصه ومجده كما ورد في الحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة أو علم ينتفع به»، وكذلك الدور العلمي والتميز في الداخل والخارج وقد فقدنا بفقده نورًا بازنًا وطودًا شامخًا وعلماً خلاقًا.

والله تعالى نسأل أن يعوض الأمة الإسلامية عن هذه الخسارة الفادحة من يتصدى لهداياها وجمع كلمتها والأخذ بها إلى ساحل النجاة والأمان، كما نرفع عزائنا إلى عائلة الشيخ الفقيه السعيد وجميع العالم الإسلامي وبالخصوص المحبين لآل البيت عليهم السلام وجميع المؤمنين. رحم الله الفقيد وحشره في زمرة محمد وآله الطاهرين..
مكتب آية الله الشيخ محمد علي العمري - المدينة المنورة

ثانيًا

من برقيات الجهات والمؤسسات الحكومية

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ولي العهد ووزير الدفاع

المكرّمون أسرة الدكتور عبد الهادي ابن الشيخ ميرزا الفضلي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحسن الله عزاءكم وعظّم أجركم في مصابكم، سائلين المولى عزّ وجلّ أن
يلهمكم الصبر، ويجزل لكم الأجر. والحمد لله على فضله وقدره. ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾.

سلمان بن عبد العزيز - ديوان سموّ ولي العهد، الرياض

صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف أمير المنطقة الشرقية

المحترم

الأستاذ عماد عبد الهادي بن ميرزا الفضلي

تلقينا نبأ وفاة والدكم الشيخ عبد الهادي رحمته، معربين لكم عن خالص تعازينا.
سائلين المولى العليّ القدير أن يتعمّد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّاته وأن
يلهمكم والأسرة الصبر والسلوان. ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أمير المنطقة الشرقية

سعود بن نايف بن عبد العزيز

صاحب السمو الملكي الأمير جلوي بن عبد العزيز بن مساعد نائب أمير المنطقة الشرقية

المحترم

الأستاذ عماد عبد الهادي بن ميرزا الفضلي

تلقينا نبأ وفاة والدكم الشيخ عبد الهادي رحمته، معربين لكم عن خالص تعازينا.
سائلين المولى العليّ القدير أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّاته وأن
يلهمكم والأسرة الصبر والسلوان. ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

نائب أمير المنطقة الشرقية

جلوي بن عبد العزيز بن مساعد

ثالثاً

من بيانات المراكز والجامع العلمية والإعلامية

المجمع العالمي لأهل البيت عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«إِذَا مَاتَ الْعَالَمُ تُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلَمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ»

تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ ارتحال «العلامة الدكتور سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي قدس الله نفسه الزكية» المفكر الإسلامي الكبير وعضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليه.

لقد كان المرحوم المغفور له علماً من أعلام الإسلام ومفكراً إسلامياً وكان يحتذى به في الأوساط العلمية والمراكز الدينية وقد قدم خدمات جليلة لأبناء الأمة الإسلامية طيلة عمره الشريف والحافل بالعطاء وقد قضى عمره الشريف في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل ومدرسة أهل البيت عليه.

وكما كان المرحوم المغفور رائداً من رواد التقريب بين المذاهب الإسلامية حيث أضاء طريق الجماهير المسلمة بأفكاره الحكيمة وآثاره العلمية الصائبة، وكان من عظيم شرفنا واعتزازنا أن يكون هذا الفقيه السعيد عضواً بارزاً وعضداً وسنداً فكرياً ومعنوياً وعملياً للمجمع العالمي لأهل البيت عليه.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ولقد أصاب خبر ارتحال العلامة الجليل آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي المسلمين عامة وأتباع أهل بيت النبوة خاصة، بالحزن والألم لما لهذه الشخصية العلمية من فضل كبير على الحوزات العلمية وأتباع أهل البيت عليهم السلام بسبب ما أرفده من مؤلفات كثيرة نافعة في مختلف المجالات.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بالعزاء إلى الإمام المهدي المنتظر (عج) وإلى قائد الثورة الإسلامية ومراجع التقليد العظام والحوزات العلميّة والعلماء الأعلام والمثقفين وإلى أسرة وذوي فقيدنا العزيز؛ سائلين الله المتعال أن يتعمد روحه الطاهرة بالرحمة الواسعة وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان ويحشره الله مع الأنبياء والصالحين والأئمة الأطهار إنه سميعٌ مجيبٌ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

27 جمادى الأولى عام 1434 هـ

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد فجعنا بنبأ رحيل العلامة المفكر آيت الله الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

لقد كان علماً بارزاً من أعلام الإسلام حملة همماً كبيراً وسخر نفسه لخدمته في مختلف المجالات (الفقهية والأصولية والتاريخية والأدبية).

ولقد ألف الكثير من الكتب التي صار بعضها مرجعاً علمياً للباحثين والمحققين، كما ربي الكثير من الطلبة والدارسين في المجالات الحوزوية والجامعية، وحاضر في بلدان عديدة فكان المفكر الأملعي الجامع والمؤلف الإسلامي الكبير والمربّي الديني للجماهير.

وقد نال الأستاذ المرحوم إعجاب الحوزات العلمية والعلماء الأعلام فوصفه «المرحوم الطهراني» بأنه الواصل في حداثة سنه إلى أعلى مراتب الكمال، كما وصفه «الشهيد الإمام السيد محمد باقر الصدر» بأنه ممن يرفع الرأس عالياً ويشكل رقماً من الأرقام الحية على عظمة حوزة النجف العلمية.

رحمه الله رحمة واسعة وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وإنني باسم علماء التقريب أرفع آيات العزاء لساحة الإمام القائد السيد علي الخامنئي وسائر المراجع العظام، كما أعزي به الحوزات العلمية والجامعية، وأخص بالتعزية أهالي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الذين طالما نعموا بروحة الطاهرة وعلومه الجمّة.

محمد علي التسخيري

رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

تلقينا ببالغ الأسى نبأ رحيل رجل العلم والجهاد، وسيد المنبر والمحراب، وأحد رواد التقريب، الكاتب والمفكر الإسلامي الكبير سماحة العلامة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي - رضوان الله تعالى عليه - الذي عرف بخدماته الجليلة للدين الحنيف وأمته ونذر حياته المباركة بإخلاص من أجل إعلاء كلمة الحق والوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية؛ وقد خسرت الأمة الإسلامية بوفاته، عالماً جليلاً ومجاهداً كبيراً ومفكراً مبدعاً ووحيداً صادقاً ومربيّاً مخلصاً.

والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، إذ ينعى إلى الأمة الإسلامية فقيداً الراحل، يتقدم بهذه المناسبة الأليمة بأحر التعازي إلى جميع علماء الأمة الأجلاء وأحبائه وتلامذته وأسرته الموقرة، راجين الله جل وعلا أن يتغمد فقيدنا الغالي برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته ويلهم ذويه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

محسن الأراكي

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

جامعة المصطفى العالمية بقم المقدسة

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

ببالغ الحزن والأسى تلقينا رحيل العلامة المجاهد آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي - قدس الله نفسه، وقد ثلم في الإسلام - بفقد هذا العالم - ثلثة لا يسدها شيء، وقد أوجد رحيله في صفّ المجاهدين في سبيل الله فراغاً لا يملأه أي شخصية أخرى، وكان رحيله صدمة كبيرة للحوزة العلمية ولشعب بلاد الحرمين ولأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وقد أمضى هذا العالم الجليل حياته في تلقي العلوم الإسلامية ونشرها، وكان في مقدّمة الذين دعموا الثورة الإسلامية، وفي طليعة دعاة التجديد في الحوزات العلمية، ومن المهتمّين بنشر التراث المحمّدي الأصيل. وكان له حضور مستمرّ في مجال هداية الشعوب المسلمة وإرشادها والدفاع عن القيم الإسلامية المتعالية، وكان متحلّياً بالوعي في هذا المجال، وقد استطاع بحكمته وذكائه وروحه الجهادية وبكلّ ما يمتلك من قوّة وقدرة وقابلية أن يؤلّف الكثير من الكتب القيّمة اتباعاً لنهج سلفه الصالح في الحوزات العلمية والعلماء والمجاهدين في سبيل الله، وبقي على عهده مع الإمام الراحل وقائد الثورة حتّى فارق الحياة الدنيا والتحق بعالم الملكوت مخلّفاً وراءه الكثير من الباقيات الصالحات.

ثالثاً: من بيانات المراكز والمجامع العلمية والإعلامية

وأنا بدوري، ونيابة عن جامعة المصطفى، أقدم أسمى التعازي لصاحب العصر والزمان - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ولمراجع الدين العظام ولعلماء الإسلام وللحوزات العلمية، ولأسيباً علماء وفضلاء بلاد الحرمين وأسرة الفقيد المكرّم. وأدعو الجميع إلى تمجيد هذه الشخصية الرفيعة، وأسأل الله أن يتغمّد الفقيد السعيد برحمته الواسعة، وأن يرزقه الدرجات الرفيعة، كما أسأل الله أن يفرّج عن أتباع أهل البيت عليهم السلام في بلاد الحرمين.

عاش سعيداً، ومات سعيداً.

علي رضا الأعرافي

رئيس ديوان الوقف الشيعي بالعراق

ببالغ الأسى والحزن تلقينا نبأ وفاة آية الله العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي ذلك العالم البصري الذي نشأ نشأة علمية دينية عالية برعاية والده آية الله الميرزا محسن الفضلي رحمته الله حيث كان منذ صغره مورد إعجاب الكثيرين وقد جمع بين الدراسة الحوزوية والدراسة الأكاديمية حتى صار علماً من أعلام الفقه والأدب، ونحن في هذا اليوم إذا ننعى فقيدنا الشيخ عبد الهادي الفضلي ننعى نجماً لامعاً وبيرقاً من أعلى البيارق.. إذ جمع في كتاباته بين الموسوعية والموضوعية فترك لنا تراثاً ثراً يغني الباحث ويفتح الآفاق أمام المستقبل.

إن رحيل الفضلي خسارة كبيرة للعالم الإسلامي وللمكتبة العربية التي فقدت رجلاً وباحثاً يشار له بالبنان وعزائنا الوحيد بما تركه الفقيد من تراث إنساني وثقافي كبير.. نسأل الله تعالى أن يسكنه فسيح جناته وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة إنه سميع مجيب وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السيد صالح الحيدري

رئيس ديوان الوقف الشيعي

حزب الدعوة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيَنَّهَا نَفَسُ الْمُطْمَئِنِّةِ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾

انتقل إلى جوار ربه الفقيه العلامة سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي
تغمده الله برحمته الواسعة الذي وافاه الأجل في المملكة العربية السعودية اليوم
الاثنين، ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ للهجرة، الموافق ٨ نيسان ٢٠١٣ للميلاد.

كان الفقيه الراحل من رواد الحركة الإسلامية في العراق، ومن الرعيل الأول
الذي انضم إلى حزب الدعوة الإسلامية، وساهم مع آية الله العظمى السيد الشهيد
محمد باقر الصدر في بناء الحركة الإسلامية في العراق وقدم خدمات جليلة للمكتبة
الإسلامية، وكان أحد أعلام الحوزة العلمية في النجف الأشرف والمحافل العلمية
خارجها. كما إن المغفور له ساهم مساهمة فاعلة في إغناء الحركة العلمية في العراق
وفي العالمين العربي والإسلامي وقد ترك عشرات المؤلفات القيمة واستمر في جهوده
العلمية إلى آخر يوم من حياته الشريفة.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وبهذه المناسبة الأليمة يعزّي حزب الدعوة الإسلامية الحوزة العلمية في النجف الأشرف وأبناء الحركة الإسلامية في العراق وجميع العلماء والمسلمين في أنحاء العالم برحيل هذا العلم الشامخ، سائلاً الله عز وجل أن يتغمّد الفقيد برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب.

حزب الدعوة الإسلامية - المكتب الإعلامي

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ - الموافق ٨ نيسان ٢٠١٣ م

حزب الدعوة الإسلامية - تنظيم العراق وقناة المسار الأولى الفضائية

انتقل إلى رحمة الله العلامة والمفكر الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي عضو الهيئة العليا للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام بعد عمر حافل بالعطاء قضاه في خدمة الإسلام والعقيدة ونشر الفكر المحمدي الأصيل صباح الاثنين بعد صراع طويل مع المرض دام لعدة أعوام.

للفقيد عدد كبير من المؤلفات المتخصصة باللغة العربية بوصفه أستاذاً فيها وكذلك هو من الحائزين على مرتبة الاجتهاد في الفقه الإسلامي، إذ تتلمذ على يد المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر عليه السلام ورافق عددًا من كبار العلماء أمثال السيد محمد حسين فضل الله - طاب ثراه - وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين - طاب ثراه.

وبهذه المناسبة الأليمة التي أفجعت قلوب الإنسانية نعي حزب الدعوة الإسلامية / تنظيم العراق رحيل العلامة الفضلي.

كما نعي كل من الأمين العام لحزب الدعوة الإسلامية - تنظيم العراق السيد هاشم الموسوي ونائب رئيس الجمهورية د. خضير الخزاعي ومدير عام فضائية المسار الأولى الأستاذ حسن السعيد ورئيس الكتلة النيابية لحزب الدعوة الإسلامية /

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تنظيم العراق النائب خالد الأسدي، نعوا رحيل العلامة والمفكر الإسلامي الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله وأسكنه فسيح جناته.

وفي هذا الصدد تتقدم فضائية المسار الأولى بأحر التعازي للأمة الإسلامية والشعب العراقي برحيل العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي كان عالماً ومجاهداً ومزج بين العلوم الحوزوية والأكاديمية، نسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيد برحمته وغفرانه.

مركز الغدير للدراسات والنشر

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

«إذا مات العالم، ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء»

الإمام الصادق عليه السلام

بكامل الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى، تلقينا نبأ وفاة العلامة المجاهد والفقيه العامل الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

لقد كان العلامة الفضلي منارةً من منارات العلم والمعرفة والوعي والبصيرة، وكان امتداداً لمدرسة أستاذه الشهيد السعيد الإمام السيد محمد باقر الصدر رحمته الله، ولا غرو أن يصادف رحيله ذكرى استشهاد أستاذه الشهيد الصدر، فقد كان من أبناء هذه المدرسة الجهادية والعلمية، وقضى عمره الشريف في رفد المكتبة الإسلامية بمجموعة رائعة من الكتب والمصنّفات المتنوّعة في العلوم الإسلامية المختلفة.

إن رحيل هذا الرمز الكبير مأساة عظيمة تدرّ الدمعة وتكسر الفؤاد، وكلّنا أمل في أن يمنّ الله على الإسلام والمسلمين بأمثال هؤلاء العلماء الصالحين.

ومركز الغدير للدراسات والنشر إذ ينعي هذا العالم الفاضل، يفترخ في علاقته الوطيدة التي كانت تربطه به، ويعتزّ بمساهمته في نشر مجموعته العلمية الكاملة،

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

خدمةً للدين والإسلام والحقّ، كل ذلك يكون عربون وفاء لهذا الفقيه المجاهد مقابل خدماته الكثيرة للفكر والمعرفة والإنسان.

إننا إذ نعزي الأمة الإسلامية وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأسرة الفقيد الكرام، نسأل الله تعالى لفقيدنا الجليل الرحمة والرضوان، وأن يحشره مع أئمة الكرام، محمد وآله الطاهرين. إنه قريب مجيب الدعاء.

أسد الله حسني

٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

مدير عام مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت

مؤسسة كاشف الغطاء العامة - النجف الأشرف

وما كان قيسٌ فقدَه فقد واحدٌ ولكتّه بنیان قوم تهِدّما
نعزّي الأمة الإسلامية والحوزات العلمية بفقد عَلمٍ من أعلام الفضل
وأساطين الفكر، ذلكم هو سماحة العلامة الكبير والکاتب الإسلامي المعروف
الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي.
طیب الله رمسه، وقدس نفسه. ذلك العَلم الشامخ الذي أغنى المكتبة العربية
والإسلامية بروائع الآثار النافعة والتي ما زال الكثير منها يدرّس في الحوزات
العلمية.

أجل، فقدنا برحيل شيخنا الفضلي ركنًا شامخًا من أركان الفضل والفضيلة.
وقد عزّ على جميع تلامذته وعارفي فضله أن يرحل عنهم في الوقت الذي هم بأمسّ
الحاجة إلى توجيهاته العلمية وآرائه الصائبة في المناهج الدراسية والبحوث العلمية،
وهذه المناسبة الأليمة تتقدّم مؤسسة كاشف الغطاء العامة بتقديم أحر التعازي إلى
صاحب العصر والزمان - عجل الله فرجه - ومراجع الدين العظام والأمة الإسلامية
والحوزات العلمية والمعاهد والجامعات، كما تُعزّي أهله وذويه. تغمّده الله برحمته
الواسعة وأسكنه فسيح جنّته. ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

قد هدّد ركن الفضل فقدُ عميده فخر الأمائل صفوة الأجداد
وبمنتهى الأسف الأحبة أرخوا: عمّ الأسى بغياب عبد الهادي
٥١ ٧٦ ١٠٥ ١٠٢ ١١٠ ٨٠

سنة ١٤٣٤ هـ

النجف الأشرف - مؤسسة كاشف الغطاء العامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عز من قائل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بأسى بالغ يعتصر القلوب، تلقينا نبأ الرحيل المفجع للمشرف العام لجامعة آل البيت عليه السلام العالمية العالم الرباني ساحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي.

وبهذا المصاب الجلل نتقدم بالعزاء الخالص والمواساة لبقية الله الأعظم أرواحنا فداه وولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي - دام ظله الوارف - والمراجع العظام - أدام الله بقاءهم - والحواضر العلمية والحوزات الدينية وأهله وذويه وللأمة الإسلامية جمعاء.

فهو علم من الأعلام التي طالما رفرفت فوق أعالي القمم، ومشعل أضواء القلوب والعقول بعلمه وعمله وفكره وتقواه وكلماته وحروفه، وهو طود شامخ ضربت جذوره عمق الأرض مستلهمًا هدي السماء بروحه السمحاء.

أيها الشيخ الشامخ، بفقدك فقدنا أبا حنونًا وحصنًا دافعًا طالما وقانا من حر الصيف وبرد الشتاء.

ثالثاً: من بيانات المراكز والمجامع العلمية والإعلامية

نم قرير العين، فصرحك المتمثل في جامعة آل البيت عليه السلام العالمية الذي رويته بعلمك وفكرك وهديك، سيواصل الدرب مستنيراً بالنور الذي أودعته ما بين الدفتين.

رحمك الله أيها العالم المتقي، وحشرك مع محمد وآله الطيبين الطاهرين.

جامعة آل البيت عليه السلام العالمية

الثلاثاء ٢٧ - جمادى الأولى - ١٤٣٤ هـ ق

قم المقدسة

رابعاً

شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

مؤسسة الأبرار بلندن تقيم تأبيناً للشيخ الفضلي

السبت ١٣ أبريل ٢٠١٣

أقامت مؤسسة الأبرار في ١١ أبريل ٢٠١٣م حفلاً تأبيناً لوفاة سماحة آية الله السيد عبد الهادي الفضلي، تحلل الحفل كلمات لطلبة وزملاء الفقيد في هذه المناسبة.

□ السيد فاضل الميلاني:

حين نؤبن علماً من علماء الحوزة لا بد أن نستذكر نقاطاً في تعميق الفكر.

التحديث في الكتب الدراسية بالحوزة كان موضع انتباه الكثير ومنهم الشيخ محمد رضا المظفر، وكذلك السيد محمد تقي الحكيم، ونجد الفكر التجديدي في منتدى النشر وكلية الفقه، والشيخ الفضلي خير من تخرج على يدي المظفر والحكيم.

أتذكر أنني حين التحقت بكلية الفقه كان الدكتور الفضلي والوائل والسيد مصطفى جمال الدين من الذين سبقونا لها.. وفي ١٩٦٧م، تخرجت منها وكان الفضلي مدير المدرسة الثانوية، واضطرت للعمل في تلك المدرسة للحصول على نفقات الجامعة المستنصرية التي التحقت بها.. كنت أجد فيه روح المرابي وليس المدير وثمة فرق كبير، التربية تعتبر مفردة أساسية من الفكر الإسلامي فالله هو رب العالمين والرب فيه تركيز على التربية، هناك أساتذة يقدمون معلومات ولكن بدون

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

إعطاء المنهج، أما الفضلي فكان يريهم ويقدم لهم المنهج.

عشنا مع الشيخ الفضلي قبل (٥٠) سنة في النجف ثم جاءت موجة التهجير فعاد إلى السعودية ومارس التدريس بجامعة الملك عبد العزيز وتخرج على يديه عدد كبير من المتعلمين.

قبل (٢٢) عامًا جلسنا مع الدكتور الشهرستاني رحمته الله وقررنا أن نبدأ بتأسيس الجامعة العالمية واتفقنا أن يكون الجانب العلمي بيدي والإداري بيدي الشهرستاني.

كان اسم الشيخ الفضلي من أول الأسماء التي وضعتها في قائمة المقترحين للتدريس ثم السيد جمال الدين والدكتور محمود المظفر والدكتور العاتي... ما عرفته لدى الشيخ الفضلي من إمكانات لإنجاح المشروع جعلني أضعه على رأس المشروع. كان للدكتور الفضلي مادة واحدة على الأقل في منهج التدريس في كل عام دراسي، وقد تخرج من الجامعة مجموعة من العلماء ومنهم الشيخ حسن التريكي، وأشاهد في هذه القاعة عددًا منهم.

إن فكر الفضلي سواء بكلية الفقه أم جامعة عبد العزيز أم الجامعة الإسلامية لم يمنعه من ممارسة دوره في المنطقة الشرقية كمربٍ رغم ضغوط السلطة، لا يمكن أن يحسب الشيخ الفضلي من المعارضة لأنه كان يركز على تربية الشباب، وكان مجلسه عامرًا بالعطاء... هذا العطاء كان له دور في تنشيط الشباب في المنطقة الشرقية الذين عادوا إلى الجامعة الإسلامية وقدموا أطروحات الماجستير والدكتوراه.

هذه الذكريات حية في ذهني، وبقينا على تواصل مع الدكتور الفضلي الذي ربما كان قابلاً في المنزل ولكنه كان يمد الباحثين بالفكر الرصين. كان من ممثلي الفكر النير وكانت الوساطة مركزية في ذهنه رحمته الله.

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

□ كلمة الجامعة والأكاديميين ألقاها الدكتور إبراهيم العاتي:

وأخيراً عبر عالمنا الفاني ساحة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي وترك فراغاً
لن يسد ولكن البركة في تلامذته.

في مهرجان للرابطة الأدبية في النجف في الستينيات اصطحبني الوالد وألقى
قصيدة مطلعها:

قالوا وقولهم في النفس يرتسم نعم الحياة حياة خطها القلم

ولم أجد مصداقاً لذلك الشعر مثل الدكتور الفضلي... حياة زينها القلم طيلة
عمره.

كان بقاءً وصانع أجيال ومبلور عقول، ولم يترك الكتابة والتأليف.. حتى في
مرضه، كتب الكتب وأهدانا نسخاً منها بيد ولده البار فؤاد مثل موسوعي الفقه
والأصول الاستدلالي.

كان للفضلي حياة حافلة بالعطاء، تتلمذ على يدي محمد طاهر آل راضي،
والشيخ محمد أمين زين الدين والسيد محمد باقر الصدر ولكنه لازم الشيخ المظفر
والسيد محمد تقي الحكيم.

وقد أفاد من الشيخ المظفر تركيزه على الانفتاح ودعوته للإصلاح وتجديد
المنهج العلمية والانفتاح على الثقافات، بل يجب أن يطلع على الثقافات المختلفة،
ولذلك في كتبه تفصيل عن المنهج الاستقرائي وما قدمه ديكرت وهذه الكتب
أصبحت مواداً أساسية في الدرس لدى طلاب الحوزة، مثل كتابي (المنطق) و(أصول
الفقه).

وتميز الشيخ الفضلي بالتركيز على الجوهر وعدم الإطناب في الأمور الأخرى،

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

فكان كتابه خلاصة المنطق مرجعاً وهو أول كتبه الدراسية في مشروعه التجديدي.

التقيته في مصر بعد أن ترك العراق وذهب إلى دار العلوم بالقاهرة في ١٩٧٦ و١٩٧٧ وكانت دراسته في الدكتوراه عن القراءات القرآنية. شملت كتبه أصناف المعرفة العربية والإسلامية واللغوية، وتجدون له كتباً تدريسية في هذه الأصناف، وله كتاب فيه تجديد للعروض. تميز بالابتسامه والتواضع فإذا قيل تواضع العلماء فدونك الشيخ أبو عماد، ما كان ينشغل بالصغائر.

كان رحمه الله من مؤسسي الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، وألف كتباً لها من بينها (أصول البحث) و(أصول رجال الحديث) وكتب للمرة الأولى كتاباً حول (تاريخ التشريع الإسلامي) بين فيه تطور الفقه الشيعي منذ عصر الأئمة فسد فراعاً كبيراً، وكتبه خصيصاً للجامعة الإسلامية وسجله كمحاضرات، وأينما أذهب أجدها لدى الشباب.

في الدراسات العليا، كان يشجع الطاقات الشابة، قبل مرضه الأخير كانت في مجلسه دارة الغرين يستقبل بها زواره وتدور بها أحاديث المعرفة، وما طلبت منه أن يشرف على طالب ورفض، كان يقسو على نفسه، ويتعبها ليرى كادراً علمياً ظهر إلى الوجود، وأذكر أننا عملنا حفل تكريم له بقاعة بروناي بمناسبة تخرج أول دفعة من الجامعة الإسلامية وكانت لي قصيدة بالمناسبة.

سيظل الشيخ الفضلي طوداً شامخاً وعلماً خفياً، حشره الله مع محمد وآل محمد.

□ فضيلة الدكتور كمال الهلباوي:

ساحة آية الله الدكتور الفضلي رحمه الله وأجزل له الغفران يمثل قلة من العلماء الذين يمرون بممرات واسعة في الدنيا، بعضهم عالم في علم من العلوم وبعضهم متخصص ولكن لا يترك أكثرهم تراثاً كالذي تركه الشيخ الفضلي. اللافت للنظر أن

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

العالم إذا تنقل وتوسعت آفاقه توسع أثره كما نرى في الشيخ الفضلي.

رجل يتنقل بين الحوزة في العراق والسعودية ومصر ولندن، ويهتم بأجل ما يعين في تكوين الشخصية كما ذكر السيد الميلاني والدكتور العاتي الاهتمام بمنهج التربية هو أساس التربية وهو العنصر الأساس لبناء الشخصية. بدون منهج لا يستطيع الإنسان أن يرتقي إلى مراتب من العلم كثيرة، هذا فضلاً عن منهج الوحدة والأمة الواحدة، هذا كله يشكل نواة الأمة الواحدة واستمرارها.

حياة الشيخ الفضلي تجعلنا أن نجعل منها مثلاً كبيراً في العلم الغزير والتواضع، العالم الذي يرى في رسول الله وآله النماذج التي تُتخذى لهُ رجل كبير.

الشيخ الفضلي برغم أن لقائنا قليل معه، كان له أثر كبير في الانفتاح والتقريب الإسلامي وتوسيع مدارك الذين ينتمون إلى الأمة وسعدوا بتدريسه لهم المناهج. من أصعب الأمور التي تواجه الإنسان أن يسعى لتخريج الأجيال الداعية للوحدة والتقارب. رحم الله الشيخ الفضلي رحمة واسعة.

□ الشيخ إبراهيم كوني من ساحل العاج:

إذا أردنا أن نعطي الشيخ ما له من حق سواء في علمه وورعه وفضله علينا فلن يتوفر لنا الوقت ولكن كما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك جله)، كان والدًا ومربيًا في كل ما مارسناه عندما كنا ندرس في الجامعة.

عندما التحقنا في الجامعة لم تكن المواد سهلة، ولكن في دروس الشيخ كنا نرتاح كثيرًا، في مادة المنطق مثلاً، كنا نجد أسلوبه التدريسي سهلاً منظمًا يرتاح الطالب بالاستماع إليه.

وعندما فوجئت بنبأ وفاته، تذكرت خطبة الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد: «يا

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، المال تنقصه النفقة والعلم ينمو بالإنفاق»، نتحدث هنا عن الجميل الذي قدمه شيخنا الفضلي للإسلام والمذهب، «العلم حاكم والمال محكوم عليه، هلك خزان المال وهم أحياء»، شيخنا العزيز، أنت بعيد عن الأنظار ولكن وجودك في القلوب حاضر، فمؤلفاته تجعله خالدًا.

في إفريقيا عندنا مثل يقول إن الشجرة التي يصعد عليها والدك أو أستاذك ليصل إلى القمة فإذا لم تستطع الصعود فاجلس جانبها، فإذا لم نستطع الصعود إلى ما وصل إليه الشيخ فلنجلس قريبًا من الشجرة التي صعد عليها الشيخ ونقطف من ثمارها (المؤلفات).

رجل علم وإيمان وعمل

من خطبة الجمعة للشيخ عيسى قاسم بتاريخ ١٢ / ٤ / ٢٠١٣م

ثلاثة أبعاد تنظر في شخصية الإنسان بنظر الإيمان، إيمانه ودرجة هذا الإيمان، وعلمه ومستوى ما عليه علمه، ودوره النافع وما لهذا الدور من أهمية ومساحة وامتداد، فكل شخصية تكتسب أهميتها في مدرسة الإسلام من مجموع هذه الأبعاد الثلاثة وما لها من تجذر وترسخ فيها وامتداد.

وآية الله الدكتور الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي مؤمن عالم عامل، مؤمن عن علم، وعالم في إيمان، وعامل بعلمه وإيمانه، وعلى هدى وبصيرة وقد عرفته الأوساط بالإخلاص.

أعطى للإيمان، وأعطى للعلم، وأعطى لحركة التصحيح والتغيير والإصلاح في الأمة، وكان رجل الترفع عما ترفع عنه الشخصيات الجليلة، ورجل التواضع لمن يجب الله أن يتواضع له، ورجل الخلق الكريم.

كتب ولم يكتب لتسويق ما كتب، وإنما ليُنتفع بما كتب، كتابته علمية ثرة رصينة متماسكة بعيدة عن الفضول، لا يسرق من وقت قراءها، ولا تستهدف تضيية الوقت ولا تقع في تضييعه.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تتبع شخصيته الفذة الفطنة والنباهة والوعي والبساطة والتسامح والانفتاح والتواضع ..

ممن عاش همّ الأمة بصدقٍ، وعمل على إنقاذها بجِدِّ، وعلى استعادة وحدتها وعزتها وكرامتها بإخلاصٍ، وممن أجاد مخاطبة الأمة واهتدى طريق إنقاذها بالعودة الجادة منها لربها، وقرآنها ونبياها وأئمتها الذين دلّها الله (عز وجل) عليهم، ورضيهم لها وللإنسانية جمعاء أئمة وسادة وقادة.

ذلك هو الشيخ الفضلي الذي فجعت الأمة بفقده.

وفي نعيه واقع شاخص من الإيمان والعلم والعمل الصالح، والجهد والمصابرة.

ولفقده ترفع التعازي لصاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) ولفقهاء الأمة وعلماؤها، وعموم المؤمنين والمسلمين، وأسرته الكريمة.

عوّض الله الأمة المسلمة عن كل عالم من علمائها المخلصين الهادين ممن تفتقد نوره وهداه وأعزّها باتباع الدين الحق، ورحم شيخنا الأستاذ وبوأه المنزلة الرفيعة في الجنة.

آية الله الشيخ الناصري ينعى الشيخ الفضلي ويقيم مجلس عزاء على روحه الطاهرة

عمار الحسيني، شبكة أخبار الناصرية، ١٤ أبريل ٢٠١٣م

أقام آية الله الشيخ محمد باقر الناصري مجلس عزاء على روح فقيه الأمة الإسلامية سماحة العلامة الكبير آية الله المحقق الشيخ عبد الهادي الفضلي.

وقال الشيخ الناصري في بيان نعى فيه الفقيه وحصلت شبكة أخبار الناصرية على نسخة منه، إن سماحته لبي نداء ربه اليوم بعد عمر من العلم والعمل والتأليف.

وأضاف، لقد كان الفقيه علماً من أعلام الأمة ومحققاً عرفته حوزة النجف الأشرف والحوزات والجامعات العربية والإسلامية حيث ربي أجيالاً وخرج أجيالاً من العلماء والأكاديميين من العرب والمسلمين. وأوضح أنه كان من أوائل جيل الوعي والصحو الإسلامية المعاصرة في العراق والعالم ونشأ على يده كثير من فضلاء الحوزة العلمية والعاملين فيها، فضلاً عن أنه رقد الحوزات بكتبه وتحقيقاته فهو من خيرة رفاقنا ومفاخر حوزاتنا لأكثر من ستين عاماً خلت في العلم والعمل.

وانتهى الشيخ الناصري قائلاً: «لقد عزّ علينا فراقه وشقّ علينا نعيه فإننا لله وإنا إليه راجعون، ونحن إذ نعزي رفاق الدرب من المراجع والعلماء والمحققين وكافة عارفي فضل الفقيه نتضرع إلى الله العليّ القدير بأن يرفع درجاته».

كان الشيخ الفضلي أهلاً لكل الأوسمة وعماداً للحركة الجهادية في السعودية

الشيخ محمد علي التسخيري ١٢/٤/٢٠١٣م

قال آية الله الشيخ محمد علي التسخيري المستشار الأعلى لقائد الثورة الإسلامية في إيران، إن العلامة الفقيه الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله، كان عالماً موسوعياً وفقهياً مثقفاً عاش حياته في ظل العلم والعلماء وقدم للوسط العلمي الإسلامي تجربة فريدة صاغت المعرفة بالروحانية ودمجت بين الفكر الأصيل والمنهجية المعاصرة؛ زاوج بين المسيرة الحوزوية والأداء الأكاديمي، ليعطي منهجاً جديداً في التربية ويقدم نتاجاً علمياً للحوزات، صار في بعض الأحيان كتاباً دراسياً لها.

وأكد الشيخ التسخيري، في كلمة له أمام حشد علمائي غفير أقيم، أمس الخميس، بمدرسة الحجازيين الإسلامية في محافظة قم المقدسة، إن شيخنا الفقيه كان أدبياً بارعاً استطاع أن يوصل فكر أهل البيت عليهم السلام، ويبين فضائل هؤلاء الأطهار من خلال آثاره العلمية والأدبية الثمينة وحضوره الفاعل في المراكز العلمية والأكاديمية، وحاضر أكاديمياً في بلدان عديدة كجامعة الفقه بالنجف الأشرف وجامعة جدة بالسعودية، وكلية العلوم الإسلامية في لندن.

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

وأشار آية الله التسخيري، إلى أن الشيخ الفضلي، خلف للعالم الإسلامي العديد من المؤلفات التي أصبحت اليوم مرجعاً علمياً للباحثين والمحققين، وقدم نبذة من الطلبة والدارسين في المجالات الحوزوية والجامعية، فكان المفكر الألمعي الجامع والمؤلف الإسلامي الكبير والمربي الديني للجماهير.

وأضاف سماحته، إن الشيخ الدكتور الفضلي نال إعجاب العلماء الأعلام بعبقريته في تحصيل شتى العلوم وقد وصفه الشهيد السيد محمد باقر الصدر بأنه ممن يرفع الرأس عالياً ويشكل رقماً من الأرقام الحية على عظمة حوزة النجف العلمية.

وشدد المستشار الأعلى لقائد الثورة الإسلامية على أن آية الله الدكتور الفضلي، أهل لكل الأوسمة، وكان العماد الداعم للحركة الجهادية في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، يلجأ إليه العلماء وطلاب العلوم الإسلامية ليتنهلوا من آرائه وأفكاره الحكيمة والسامية.

ودعا الشيخ التسخيري طلاب الحوزات الإسلامية وعملاء الدين، «الذين يريدون أن يسلكوا طريق الكمال»، إلى التأسّي بالعلامة المرحوم الشيخ الفضلي؛ سائلاً المولى القدير أن يتغمّده برحمته الواسعة وأن يسكنه فسيح جنانه.

المعتوق: عبد الهادي الفضلي أثرى المكتبة الإسلامية والحوزات العلمية بمؤلفاته

عمار الهاشم، صحيفة النهار الكويتية - العدد ١٨٢٩ - ١٤/٤/٢٠١٣ م

وسط حضور رجال الدين وشخصيات بارزة في المجتمع وحشد من المؤمنين، أقامت حسينية الزهراء يوم الخميس حفلاً تأييداً للفقيه والمفكر الإسلامي سماحة العلامة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي، حيث تطرق الشيخ حسين المعتوق في كلمته على آثاره الكبيرة وعن مؤلفاته التي غدت المكتبة، ويستفيد منها طلاب الحوزات الدينية والجامعات.

وأضاف المعتوق بأن العالم الإسلامي فجع بخبر رحيل سماحة آية الله د. الشيخ عبد الهادي الفضلي، مؤكداً بأنه بوفاته فقد العالم الإسلامي أحد أعلامه البارزين ورجال دينه الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم وكتبهم التي أصبحت مصدراً ومرجعاً لأغلب طالبي العلوم الإسلامية.

وأشار المعتوق إلى أن الفقيه كان رسالياً ومنهجياً مثقفاً، حيث كنا في شبابتنا بأمس الحاجة لجهوده وأمثاله ممن اجتمعت فيهم هذه الصفات العلمية والرسالية الكريمة لحل مشاكل الأمة والمضي بها للأمام بأبنائها، وكان لنا ما تأملنا به، حيث أصبحت علومه وكتبه تدرس في الحوزات العلمية والمدارس الإسلامية الحديثة.

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

وتطرق المعتوق إلى صفات وخلق الراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي حيث أكد أنه تحلى بشخصية رائعة محبوبة بين المسلمين جميعاً، إذ شخص بفطرته منذ سنواته الدراسية المبكرة في الحوزة الحاجة إلى التحديث وإعادة النظر لتواكب متطلبات المعاصرة وتحدياتها واجتهد من أجل تحقيق هذا الهدف السامي.

أمير الشرقية يُقدِّم واجب العزاء في وفاة الفضلي

صحيفة الشرق ١٢ / ٤ / ٢٠١٣ م - العدد ٤٩٥

قدم أمير المنطقة الشرقية الأمير سعود بن نايف عصر أمس، تعازيه لأسرة الفضلي في وفاة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي وافته المنية الإثنين الماضي.

وكان في استقباله لدى وصوله لمجلس السيد علي الناصر في حي العنود بالدمام، ذوو الفقيد وعدد من المشايخ والعلماء.

ودعا الأمير سعود بن نايف أن يلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وأن يتغمد الفقيد بواسع رحمته.

من جهتهم، عبّر ذوو الراحل عن شكرهم وتقديرهم لأمر الشرقية على هذه اللقطة الحنونة التي كان لها أثر كبير في تخفيف ألمهم وحزنهم في هذا المصاب.

كما وصل إلى المنطقة الشرقية قادمًا من العاصمة اللبنانية بيروت، السيد علي نجل المرجع الديني الراحل السيد محمد حسين فضل الله، وقدم واجب العزاء لذوي الفقيد ومحبيه وعلماء المنطقة بمصاب رحيل الفضلي، وحرص فضل الله على زيارة قبر الفقيد في مقبرة سيهات حيث ووري الثرى.

الراحل الفضلي مصداق العالم الرباني

من خطبة الجمعة للشيخ حسن الصفار ١٤/٤/٢٠١٣م

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بشخصية الراحل آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي انتقل إلى جوار ربه قبل أيام معتبراً إياه «أنموذجاً ومصداقاً للعالم الرباني».

جاء ذلك خلال خطبة الجمعة (١ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ١٢ أبريل ٢٠١٣م) التي ألقاها الشيخ الصفار في مدينة القطيف شرق السعودية. وقال سماحته «آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي أنموذج ومصداق للعالم الرباني لما ظهر من عشقه للعلم والمعرفة طوال حياته الشريفة ولانعكاس العلم على سلوكه».

واعتبر الشيخ الصفار رحيل الشيخ الفضلي «خسارة ليس علينا في المنطقة فقط وإنما يشعر بهذه الخسارة الحوزات العلمية والأوساط العلمية».

وتناول سماحته أمام حشد من المصلين جوانب من سيرة الراحل. وأشاد بالفاعلية التي تميز بها الفضلي في مختلف الظروف ومن ذلك دوره في تأسيس الحركة الإسلامية وفي تطوير المناهج في الجامعات والحوزات العلمية. وأضاف بأن الراحل استمر بذات الفاعلية مع انتقاله من العراق إلى المملكة واشتغاله بالسلك الأكاديمي وتأسيسه قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز بجدة إلى جانب انخراطه في

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

سلسلة من الهيئات والمؤسسات داخل وخارج الجامعة.

وقال سماحته إن الشيخ الفضلي كان له دورٌ كبيرٌ في المنطقة عبر ممارسته التثقيف الجماهيري إلى جانب رعاية وتربية جيل من المثقفين.

وأشار سماحته إلى ما وصفها بالاستمرارية العلمية للفقيه الراحل وحرصه على ممارسة الاجتهاد وتنقيح الآراء وإضافة الجديد منها والنأي في مقابل ذلك عن الكتابة الإنشائية وتكرار ما تناولته البحوث السابقة. وأضاف الشيخ الصفار أن كتابات الشيخ الفضلي اتسمت دائماً بغزارة البحث وسعة الاطلاع.

وقال بأن الراحل كان طوال حياته مهموماً بالعلم واستمر في الكتابة حتى بعد تعرضه لظروف صحية قاسية وإصابته بالشلل النصفي نتيجة جلطة دماغية.

وتناول الشيخ الصفار مطولاً السجيا الأخلاقية العالية التي امتاز بها الراحل قائلاً «كان يُججل الإنسان بتواضعه وحسن انصاته والنأي عن استعراض عضلاته العلمية على أحد». وأشار سماحته إلى أن الراحل الفضلي كان أبعد ما يكون عن الانفعالية حتى مع بعض من أساء إليه متناولاً في ذات السياق سلسلة من المواقف التي عايشها مع الراحل.

وقال الشيخ الصفار مشيداً بالشيخ الفضلي «هكذا ينبغي أن يكون العالم المتمي لمدرسة جعفر بن محمد الصادق، العالم الذي يتفاعل مع الأجواء الحسنة التي يعيشها، ويحسن التعامل مع الجميع وينفتح على الجميع، وتكون له فاعلية في كل ظروف».

الشيخ الفضلي رحمته الله حفظ للطائفة كينونتها، وردم الهوة بين السنة والشيعة

من خطبة الجمعة للسيد عبد الله الموسوي ١٤/٤/٢٠١٣م

ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين عابد».

إنه لمن دواعي الألم أن يتم دفن هذا العلم الذي فقدناه بالأمس، ومن الأمور الأكثر إيلاماً الوقوف لتأبينه رضوان الله عليه.

المنطقة بل الطائفة بل العالم الإسلامي فقد بالأمس رجلاً هو بحق رفع راية الإسلام منذ نعومة أظفاره، منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره الشريف.

□ من هو الفضلي؟

الحديث هنا باقتضاب باعتبار أن هناك ثمة معرفة شخصية بهذا العلم في المنطقة، أقول: الشيخ الفضلي رضوان الله عليه مولود في عام ١٣٥٤، وقد خرج من البصرة عام ١٣٦٨ وكان له من العمر أربعة عشر عاماً، نعم قبل الرابعة عشرة كان يدرس في الابتدائية، ويدرس أيضاً مقدمات حوزوية عند والده وعند الشيخ جاسم البصير رضوان الله عليهما. وفي سن الرابعة عشرة أنهى الابتدائية وأنهى المقدمات في

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

النحو والصرف والبلاغة (اللغويات)، أنهاها حيثئذٍ ثم رحل إلى النجف الأشرف.

من حيث الأبوين عاش في ظل والده الذي يعتبر أحد كبار علماء البصرة بل محور علمائها آنذاك، وأمه السيدة الجليلة من آل البطاط (سادة البطاط) المجودين في البصرة، وهي من قبيلة معروفة وعشيرة معروفة بالشرف والسؤدد.

الشيخ وإن كان في الأصل من المنطقة من قرية العمران إلا أنه عاش في البصرة باعتبار أن أباه كان ثقة المراجع في البصرة وكانت لديه الوكالات من مراجع العصر، مثل: السيد أبو الحسن - عليه الرحمة - وبقية المراجع رحمته فكان ثقة المراجع آنذاك، لذا ولد - رحمة الله عليه - في قرية يقال لها الصبخة في مدينة البصرة، عرف عنه النبوغ لذا اهتم به والده منذ الصغر.

والدليل أنه لم يكمل ٢٠ سنة أو أنه كان في العشرين من العمر تعرّف على الشيخ الآغا بزرك الطهراني رحمته وكتب له إجازة رواية، جاء في الإجازة كلمات تدل على حالة النبوغ الموجودة عند شيخنا الراحل رحمته، وهو بالفعل أحد مفاخر هذه المنطقة التي يُفترض - حقيقةً - أن أكثر الناس تحتفي به في هذه المنطقة، يقول عنه رحمته في إجازته: (الشيخ الفاضل البارع الشاب المقبل الواصل في حداثة سنه إلى أعالي مراقي الكمال والبالغ من الفضائل مبلغاً لا ينال إلا بالكد الأكيد من كبار الرجال)، وهذا تقييم البزورك الطهراني، والآغا الطهراني بحأثة علامة وعنده علاقة تواصل مع جميع الحوزات العلمية.

وهذا يعني أنه مر عليه الآلاف من العلماء، فحينما يُقيّم فإنه لا يُقيّم إلا عن خبرة وليس جزافاً، ففرق بين إنسان هذه العبارات عنده كقالب يقوله لكل إنسان، وبين إنسان أنضجته السنون، فحينما يُقيّم يكون تقييمه ناتجاً عن معرفة، الشيخ الآغا الطهراني هو من هذا الصنف. أنظر إلى تقييمه في (طبقات الشيعة) وفي (الذريعة للأعلام) من أعلام هذه الطائفة، لا تجد أن هناك ثمة تشابه بين ترجمة وترجمة لأنه

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

يتحدث عن معرفة شخصية وهذا مهم جداً.

□ خمسة عباقره سبقوا أزمتههم..

الشيخ الفضلي رحمته الله بعد رحيله إلى النجف بدأ دراسته فاختار الأساتذة الأكفاء أولاً والأصدقاء النماذج ثانياً. يمكن للإنسان أن يختار أي مدرس في الحوزات العلمية عندنا بهذه الطريقة ويمكن أن يلتقي بأي شاب أو أي شيخ أو أي سيد، لكن الفرق هو حسن الاختيار وهذا الحسن للاختيار يدل على رجاحة عقل، لأن الإنسان إذا اختار صديقاً فالصديق يمكن أن يعرف، (قل لي من تصادق أقل لك من أنت) كما يقولون، أساتذته في النجف الأشرف هم:

١. السيد محسن الحكيم.
٢. والسيد أبو القاسم الخوئي.
٣. والشيخ محمد رضا المظفر.
٤. والسيد محمد تقي الحكيم.
٥. والشهيد الصدر.

إذن الأساتذة خمسة من العباقره الذين سبقوا أزمتههم فقهاً وأصولاً وأخلاقاً.

أما زملاؤه ومن اختارهم للعمل معهم، فهم من تركوا أكبر الأثر في حياتنا وما زالوا يعتبرون قادة المدارس الحركية التي تحكم الساحة الإسلامية في يومنا هذا، وهم رواد النهضة الإسلامية الحديثة، أمثال:

١. الشهيد الصدر رحمته الله كان أستاذاً وزميلاً في نفس الوقت كان أستاذاً له في الفقه وزميلاً له عند السيد الخوئي رحمته الله، هذا وضع طبيعي في الحوزات العلمية، رحمة الله على الإمام الخميني كان يدرس عند السيد محمد تقي الخونساري وبعد أن ينهي الدرس يذهب هو وأستاذه جميعاً إلى درس الشيخ الحائري اليزدي.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

٢. الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

٣. الشيخ محمد علي التسخيري.

وكما ذكرت فإن أولئك الأساتذة كانوا يتحكمون - حقيقة - في الساحة، ونحن نتاج تلك الحقبة، كنا لا نقرأ إلا لواحد من هؤلاء، وهؤلاء هم زملاء الشيخ رحمته، وهم رواد النهضة الحديثة كما يقال، تلك الثلة المرتبطة بمرجعية السيد الحكيم والمرتبطة بالشهيد الصدر.

أذكر مثلاً الشيخ محمد أمين زين الدين عندما تذكره تجده من هذا الجيل، عندما تذكر كل من كتب عن الثقافة الإسلامية بشكل عام أو عن العقيدة التي يراد ان تصل إلى الجميع ويفهمها الجميع ستجد أن كتابها وروادها هم هذه الثلة، من جاء بعدهم فهو عيال عليهم.

ومن الأمثلة مما كتب الشيخ الفضلي،.. وهو في ريعان شبابه رحمته كتب كتاب (مشكلة الفقر) الذي كان يدرس عند النخب المثقفة لمواجهة الحركة الشيوعية. إذن حينما كان في النجف كان العلم يملأ جوانحه والاهتمام بالساحة اهتمام بالفكر الإسلامي يأخذ كل وقته رحمته.

□ حتى لا يحصل انحراف فكري في الجامعات

وبعدما انتقل إلى جده وهذه النقلة مهمة فيها شيء من الرمزية لدخول المرحلة الثالثة. نحن نعلم بأن علماء إيران دخلوا إلى الجامعة مبكرين؛ لثلا يحصل انزلاق وانحراف. فأنت تلاحظ أن الدول الإسلامية الأخرى، حينما تدع العلماء والدعاة الذين يعيشون حالة الوعي وتخلوا منهم الجامعات، ما الذي حصل، ساد الفكر الشيوعي والليبرالي والعلماني وسادت كل المدارس تقريباً إلا الفكر الإسلامي. بينما في إيران لا تجد هذه الحالة لا يعني أنها غير موجودة، إلا أنها غير سائدة بل بقي الناس يحتفظون بمعتقداتهم والتزامهم وارتباطهم بالعلماء.

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

السيد البروجردى والإمام عملاً معاً على ملء الجامعات بطلابهم فوجهوا مجموعة من العلماء مثل السيد البهشتي والشهيد المطهري والشيخ محمد جواد باهنر وكثير من العلماء الذين تم توجيههم للجامعات فأوجدوا جسوراً تربط بين المرجعية وبين الأمة.

في عالمنا العربي لم يكن هذا موجوداً، لذا الحركة التي قام بها الفضلي رحمته الله لوحده في منطقتنا، باعتباره عالماً له مستقبل والمستقبل كبير ومغزٍ بالنسبة لآية الله الفضلي رحمته الله، يقول عنه الشهيد الصدر رحمته الله في إحدى رسائله له: (مما يحز في النفس أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد الإقامة فيها أمثالكم..) - مثلك أنت تبقى في الحوزة أنت المستقبل أنت الأمل لو كان موجوداً في الحوزات لكان أحد كبار مراجع الطائفة -، ثم يقول: (يزهد الإقامة فيها أمثالكم ممن يرفع الرأس عالياً ويشكل رقماً من الأرقام الحية على عظمة هذه الحوزة..)، غريب يقول أولاً يرفع رأس الحوزة فهو مفخرة حقيقية ويشكل رقماً من الأرقام الحية على عظمة هذه الحوزة المباركة، انتاج حوزوي بهذا المعنى ترك كل هذا من أجل أن يأخذ بيد شبابنا وأن يقول لهم إن الدخول في الجهاز الأكاديمي لا يعني الاصطدام بالدين كما تم تصويره، في الدول العربية الأخرى هناك علاقة عناد وعداوة بين العمدة وبين الأكاديمي.

□ بوعي حفظ للطائفة كينونتها..

الشيخ الفضلي رحمته الله طرح نفسه باعتباره أحد العلماء الذين يعايشون هذه الأزمة ويجدون بأنها ليست أزمة وإنما هي محاولة لتأزيم الوضع من غير أن يكون هناك أسباب لهذا النوع من التأزم، لو كان في النجف أو في قم المقدسة لحصل على ما لا يحلم به الكثيرون ولكنه ضحى بكل هذه الأمور من أجل الحفاظ على الدين هذا الأمر الأول والأمر الآخر، أنا زرت المناطق التي يتواجد فيها رحمته الله، المنطقة الغربية فوجدت حالة وعي عند أبنائنا الذين يعيشون حالة عزلة عنا لم تكن لولا وجوده رحمته الله، هو من حفظ هؤلاء كينونتهم بل هو من أبقى عليهم عبر تواصله معهم، ومن

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ثم هو بث الحياة من جديد في عروقهم ببركة وجوده، نحن نعرف أن هناك مجموعة من البدو والمدن القرية من جدة من القدم مرتبطون بأهل البيت عليه السلام وباعتبار البعد المسافي ضعفت هذه الحالة، وحينما تواجد عليه السلام كانت إحدى بركات وجوده هو حالة الوعي التي انتشرت بين هؤلاء وأصبحوا ممن يفتخرون بالانتساب إلى أهل البيت عليه السلام بالإضافة إلى احتضانه لأبنائنا المهاجرين من أجل الدراسة هناك.

بالإضافة إلى ما قام به من خدمات للدين وهو يعيش هناك، وهي الإشراف على تتبع أوراق حالات دينية قديمة كادت أن تندثر، مثل: مسألة التحقيق في موقع الغدير وأيضاً التحقيق في مسألة السيل الكبير وهل هذا الموجود هو الميقات أم لا وحدود الحرم وإلى آخره... هذا ما أفاد العلماء في الحوزات العلمية وإلى الآن يستفيدون من هذه البحوث.

هذه المرحلة واقعاً مرحلة حساسة أحييت الطائفة في المنطقة الغربية والشرقية على حد سواء، يعني خيره وبركاته على الطائفة في كلتا المنطقتين.

□ ردم الهوة بين السنة والشيعة ..

بالإضافة إلى تصديه إلى حالات النفرة والانقسام بين المسلمين، فأبرز من خلال ما قرأون من كتبه بعض الدكاترة حوله، أبرز واقعاً مختلفاً عما كان الآخرون يعملون له، ألا وهو ردم الهوة بين السنة والشيعة وأبرز لهم العالم الشيعي الذي يقيم من خلاله المذهب فقبول باعتباره أحد الأعلام لا باعتباره من نفس الطائفة، بمعنى أنه لم يكن يتعامل بالتقية بل باعتباره أحد أعلام مدرسة أهل البيت عليه السلام؛ لذا وهذا المهم يقيمه المحقق الدقيق والمؤرخ الكبير المرحوم الشيخ علي الدواني وهو أحد كبار مؤرخينا ومحققي التراث يقول: (وإذا شئنا أن ننطلق من المحددات التي وضعناها وهو وضع محددات لنشر الإسلام والدفاع عنه والتصدي للأفكار المعارضة للدين..)، قال: (فإن محمد حسين الطبطبائي..) - لاحظ ودقق في هذه العبارة -

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

(...فإن محمد حسين الطبطبائي وعبد الهادي الفضلي وأضرابهما يدخلان في رموز الإحياء الإسلامي المعاصر من خلال ما تضمنه فكرهما من مرتكزات في الإحياء والنهضة وكذلك من خلال بعض مسارات سلوكهما أيضاً)، رائع! إنه يقرن آيه الله الفضلي بالعلامة الطبطبائي (رضوان الله عليهما) في المشروع النهضوي، وهذا يأتي من قبل مَنْ؟ من قبل عالم ومحقق هو الشيخ علي الدواني (رضوان الله عليه) الذي هو تخصصه علم الرجال وقراءة الفكر، حيث له أكثر من ٣٠-٤٠ مجلد فقط مرتبط بعلم الرجال وفكر الرجال - إذن - في هذه المرحلة، فالشيخ الفضلي (رضوان الله عليه) قفز بالطائفة إلى مرتبة معينة من خلال جذب أنظار الآخرين، وأتباع المدرسة الأخرى له.

□ عاصرتُهُ وهكذا وجدته...

المرحلة الأخيرة، لا أظن أنها تكفي ولكن بشكل عام أنا عاصرتَه في رحلته الأخيرة - يعني بعد تقاعده، في فترة طويلة منذ عام ١٤٠٩ حيث تقاعد، وأنا في آخر هذا العام وصلت إلى المنطقة.

وأهم ما يتميز به في هذه المرحلة عدم الكلل والتعب (هو جاء متقاعد) يفترض أن يخلد للراحة، ونحن شباب وأصحاء أيضاً لم نقم حقيقة بعمل إلا صلاة الجماعة وقليل من العمل الإرشادي والثقافي والاجتماعي.

عمل عظيم لكن إذا جئت لأقارنه بهذا الشيخ الجليل أجد أن هناك ثمة تفاوت كبير، فالرجل جاء لا ليستريح بل لينطلق من جديد وكأنه شاب حينئذٍ، يعني نحن حينما جئنا لسنا أكثر حرارة منه بل كنا نتزود بالطاقة منه كشيخ كبير في السن، أنا كنت حينما أجلس بجانبه، أو أنظر إليه في مشاركاته واقعاً ألوم نفسي، فنحن كنا شباباً في ذلك الوقت وكانت أعمارنا في حدود ٢٧ سنة تقريباً، كنت واقعاً ألوم نفسي أنه كيف أن الشيخ في الستين من العمر ونحن بعد شباب لا نقوم بما يقوم به.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

على أقل تقدير لا يكون لنا ثمة تواجد، فهو تجده في الأحساء وفي القطيف والدمام وفي أماكن أخرى ليوصل رسالته ويحمل رسالته، بينما نحن كنا نخلد للراحة.

□ منه استلهمت الاندفاع والنشاط..

هذا الأمر وهو الأعم وأختم به، وإن كانت بقيت هذه المرحلة ناقصة، حينما أردتُ أن أشرع في النشاط الاجتماعي والتبليغي ذهبت إليه رحمته، طرحت عليه مجموعة من المسائل قلت له: لكنني أخشى.. لأنني كنت صاحب تجربة في النجف الأشرف، كانت بداية دراستي وبعدها ذهبت إلى قم المقدسة، عشت تجربة، وإذا كان هناك ثمة عمل رسالي أجد معوقات كثيرة... فالإنسان تشن عليه حملات لا مبرر لها حقيقة، لأنها إما تحدث عن قضايا في القلوب، فهذه مشكلة، فكنت أقول له هنالك أمور ينبغي التصدي لها أخشى من هذه المسألة بالحرف الواحد، قال لي: (سيدنا تجاهلهم ولا تلتفت للوراء)، قلت له: شيخنا الجليل المسألة ليست مسألة بناء فقط، لأنك حينما تبني فإنه يوجد من يهدم تتحرك، قال لي: (ما كان الله ينمو)، وحينها والله كانت لي هذه الاندفاع ببركة وجوده رحمته، وكنتُ كلما واجهت مشكلة كنت أجد منه الاحتضان لكل عمل رسالي ولكل عمل يفيد هذه الطائفة، وهذه الأمة، والأخوة الذين كانوا يرافقونني أكثر من شخصين من المشايخ وغيرهم يشهدون بذلك، لذا فنحن حينما نفتقده في الحقيقة لا نفتقده كأب ولا نفتقده فقط آية الله، لكننا نفتقد رجالاً في الثمانين ولكن حينما تزوره تشعر أنه لا زال في حرارة العشرينات من عمره الشريف، وهذا الفرق بينه وبين غيره.

□ والختامة دعاء..

أسأل من الله (عز وجل) أن يدخله الفسيح من جناته، وأن يحشره مع محمد وآله، كما أسأل منه عز وجل أن يوفقنا للاستفادة من تراثه رحمته، كما أسأل من الله أن

رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة

ينصر الإسلام والمسلمين وأن يخذل الكفار والمنافقين، وأسأل من الله أن ينصر ولي أمر المسلمين، وأن يحفظ مراجعنا العظام، وأن يؤيدهم وينصرهم، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينصر حكيم آل محمد والمجاهدين على الثغور، وأن يوفقكم ويحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القسم الثاني

كتابات الوفاء

من الرحيل حتّى الأربعين

الموت يغيب علماً من أعلام الإصلاح في الفكر والثقافة

مركز آفاق للدراسات والبحوث - ٨ / ٤ / ٢٠١٣

غيب الموت اليوم الاثنين الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي المعروف بعد صراع طويل مع المرض.

ويعد الفضلي رمزاً من رموز الإصلاح الفكري في المنطقة وعلماً من أعلام الفكر والأدب.

وأعلنت عائلة الفقيد أن مراسم التشييع ستجري غدًا الثلاثاء في مدينة سيهات بمحافظة القطيف.

وجمع الفضلي بين الدراسات الحوزوية والأكاديمية وبلغ أعلى الدرجات العلمية في الحوزات العلمية والأكاديمية.

ودرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف الأصول على أبرز أساتذة الحوزة ومنهم آية الله السيد أبو القاسم الخوئي، آية الله الشيخ محمد طاهر آل راضي، آية الله الشيخ محمد رضا المظفر وآية الله السيد محمد تقي الحكيم.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

كما درس الفقه على يد آية الله السيد محسن الحكيم، آية الله السيد أبو القاسم الخوئي وآية الله السيد محمد باقر الصدر.

وغادر النجف الأشرف سنة ١٩٧١ للعمل أستاذاً لمادتي النحو والصرف في جامعة الملك عبد العزيز في مدينة جدة.

وابتعث بعدها لدراسة الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة التي تخرج منها سنة ١٩٧٦ بدرجة دكتوراه في اللغة العربية في النحو والصرف والعروض بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.

وينظر للشيخ الفضلي باعتباره ثقة المفكر الإسلامي الكبير الشهيد محمد باقر الصدر وقد أشار الشهيد في بعض رسائله للشيخ الفضلي بأنه من مفاخر الحوزة العلمية بالنجف.

كما نعى الفقيد السيد علي فضل الله بقوله: «لقد فقد العالم الإسلامي بوفاة ساحة الشيخ عبد الهادي الفضلي، عالماً إسلامياً كبيراً، وفقياً مجدداً، أثرى المكتبة الإسلامية بالمؤلفات والأبحاث الفقهية والفكرية والأدبية، وكان من الشخصيات الإسلامية الوحودية التي عملت بصدق للوحدة الإسلامية، وأرادت للمجتمع الإسلامي أن يعيش هذه الوحدة في مواجهة كل أولئك الذين أرادوا الإيقاع بين المسلمين السنة والشيعة».

ويعد الانتاج العلمي والثقافي المتعدد للعلامة الفضلي، بأنه لا يؤسس للعزلة والقطيعة مع العالم الحديث، وإنما هو يبلور خيار الفهم الإسلامي الذي لا يتناقض في مسيرته وخياراته مع التواصل الفعّال مع العصر والعالم الحديث.

والإسلام في المحصلة النهائية يمتلك قدرة فكرية ومنهجية وثقافية هائلة، على التطور والانفتاح والتفاعل مع مكاسب العلم والحضارة الحديثة.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

وتجربة العلامة الفضلي العلمية (الحوزوية والأكاديمية) والثقافية والاجتماعية والسياسية، غنية ومليئة بالعبر والدروس، وفيها الكثير من المحطات التي تثير العديد من الأسئلة.

وإذا كانت تجارب المصلحين وجهودهم الفكرية والعلمية تحتل أكثر من قراءة.. فإن الميزة الأساسية لتجربة العلامة الفضلي أنه كسر الحدود وألغى الفواصل بين الحوزة والجامعة، وأضحى علمًا ومتميزًا وقديرًا في الحقل الحوزوي بكل تفاصيله ومقتضياته، كما كان بارعًا ونوعيًا في جهده الجامعي والأكاديمي.

العلامة الفضلي رحمته الله عالم تجديدي وفتية معاصر

الكاتبة ملاك عبد الله (*)

بقدر ما يحتاج فيه العالم الإسلامي اليوم إلى روادٍ ينهضون بهذا الواقع المتخبّط، المليء بمخاطر التقسيم والعصبوية، والذي يتّسع ليحضن التخلف والجهل، بات فقدانُ عالم من العلماء الرائدین بمثابة حجر عثرةٍ له وقعه الكبير والمؤلم على مسيرة التطور الحضاري في الرّكب الإسلامي العام، وخصوصاً في ظلّ بيئةٍ أصبح إنتاج العلماء المتميزين فيها قليل، وأضحى على العالم فيها أن يبذل جهوداً مضاعفةً وجبارة ليكون له التأثير الإيجابي على الجمهور، بعد أن زاحمته على ذلك تكنولوجيا التّواصل وعمالة الإعلام والصّورة..

وإن كان الواقع الحالي ولاذًا لعلماء تُوجّههم الامبراطوريات السياسية والمصالح الشخصية، فإننا في الحاضر والمستقبل - إن ظلّ الواقع على ما هو عليه - قد نجد أنفسنا نعرف من معين العلماء الذين سبقوا عصرهم، وهذا رغم إيجابياته هو أمرٌ ينم عن عقم الأمة، وهذا ما لا نرجوه لأنه لا تُحمد عقباه...

ولما كانت المؤامرات التي تُحكّك في المنطقة مصيداً موجعاً للعلماء المستنيرين، لا سيّما الوجوديين منهم والسّاعين إلى نبذ كل أشكال العنف والإقتتال، والذين كان

(*) مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث، ٩ / ٤ / ٢٠١٣.

آخرهم العلامة محمد سعيد البوطي رحمه الله، لم يكن المرض المقدّر أقل فتكاً وإيلاماً، بعد أن عانت خيرة من المصلحين، والمجتمعات لا تزال أحوج ما تكون إليهم. فلم يمض وقتٌ طويل على رحيل العالم الحركي السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله والذي اعتبر الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي أن المسلمين يحتاجون منّي سنة ما بعد وفاته حتى يفهموا فكره ويطبّقوه، غادر أمس العلامة الفضلي، ليترك لنا حقّ الكتابة عنه، بل وحقّ الاقتباس منه، لنقول بأنّ وعيك وفكرك السّابقين لعصرهما يدفعا بنا إلى الاعتراف بالقول: أنت من ثلّة العلماء الذين يحتاج المسلمون زمناً ليدركوا عمق وعيك الذي يستوعب الأزمنة الغابرة واللاحقة.. ولسنا بمتكلّفين حين ننطق بهذا الكلام، على اعتبار أن السيرة العمليّة والعلميّة للمرحوم العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله كانت من النّصاعة بحيث أنه أثار دروباً مظلمة ووعرةً للعديد من السّالّكين طريق الحقّ والهدى.

فالعلامة الدكتور رحمه الله علم من أعلام الفكر والإصلاح، جمع بين الدّراسة الحوزويّة والأكاديميّة، فواكب المناهج العصريّة عن كثب، حتى أضحى تجديد المناهج الحوزويّة هدفاً أساساً سعى إلى تحقيقه، كما بات تثقيف الطالب الحوزويّ ضرورةً أدركها فضيلته، واضعاً مكّونات لا بدّ وأنّ يخرّجها ذاك الطالب، ويمكن اختصارها بالمكون العلمي من خلال دروس الحوزة، والمكوّن الثقافي والفكري الذي قد لا تقدّمه الحوزة، وبالتالي على الطالب أن يصنع لنفسه برنامجاً ثقافياً، والمكوّن الروحي والأخلاقي والعملي، ليكون المتعلّم نموذجاً للأخلاق والورع والإنسانيّة. وفضيلته رحمه الله إن كان له هذا السعي في تطوير مقررات الدرس الحوزويّ، فلأن ذلك سبيلاً إلى تحقيق الوعي الإسلاميّ العامّ، وتجديد الفكر الإسلاميّ المعاصر، الذي ظلّ ساحتها حاملاً ذاك الهمّ الرسالي حتى توفاه الله..

وهكذا كان رحمه الله مفكراً بحجم الأمة الإسلاميّة، ومرتبياً حدّقاً بحجم المحبّة التي احتضنها في قلبه، فانفتح بها على الناس كلهم، موافقين ومخالفين له، حتى تميّز بروحه الرّحبة، وبأخلاقه الإيثارية السّامية، وبحسّه الإجتماعيّ البعيد الغور. إنّه العالم

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الموسوعي، والفقير المثقف، والوحدوي الحركي، الذي واجه التعصب بمنطق الإنفتاح، والحدق بمنطق العفو والتسامح، والجهل بالدعوة إلى اكتساب المعرفة والتعلم الواعي المتجاوز للتقاليد البالية. ومن هنا تميز بأصالة النزعة التجديدية التي دائماً ما تحرص على تقديم الإسلام بقالب علمي عصري حكيم.

إنَّ ما تركه فضيلة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله من علم ومؤلفاتٍ وسيرة طيبة، ومن تلامذة تربوا على فكره ومنهجه، يجعلنا ندرك حجم الخسارة التي لحقت بالأمة الإسلامية عمومًا برحيله، ويضعنا من جديد أمام المسؤولية الرسالية الربانية في مواجهة هذا الفراغ العلمائي الذي بات خطرًا حقيقياً يتهدّدنا في ظلّ تزايد غياب العمالقة، في زمنٍ نحن أحوج ما نكون إليهم في ظلّ تنامي تيار الفكر الظلامي الذي يتهدّد واقعنا وحاضرنا وحتى مستقبلنا والمصير.

وجع الرحيل

الأستاذ محمد محفوظ(*)

دائمًا فقد ورحيل الكبار علمًا ومقامًا ودورًا يفجع ويوجع، لأنه يترك فراغًا هائلًا على المستويات النفسية والاجتماعية والعلمية، وهذا الفراغ يحتاج إلى صبر ومصابرة ووعي عميق بطبيعة الدنيا الفانية لاستيعابه، والخروج من متوالياته السلبية.

ورحيل العالم الرباني العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي - رحمه الله تعالى - لا يخرج عن هذا السياق. فهو ومنذ مدة زمنية يعاني المرض بصبر حتى تعودنا جميعًا على مرضه، ولكن مع كل هذا فإن فقدته ورحيله يفجعنا جميعًا، لأن عطاءه ودوره ووظيفته الدينية والثقافية والتربوية، سنفتقده برحليه، وهذا مما يوجعنا ويجعلنا جميعًا نشعر بالفراغ بفقدته في لحظة زمنية عصبية تعيشها أمتنا على أكثر من صعيد.

وذكرياتي مع الراحل الكبير عديدة ومتنوعة وأحتاج إلى تجاوز صعوبة الفقد والرحيل، حتى أتمكن من تدوينها .. ولكن وفي هذه المناسبة الأليمة أود ذكر النقاط التالية:

(*) مركز آفاق للدراسات والبحوث، ٩/٤/٢٠١٣ م.

١- إن الراحل الكبير لم يكن يتصنع التواضع، بل هو سجيته الأساسية واللازمة لشخصه، لذلك تراه يعيش التواضع بكل جوانحه ومع الجميع بدون استثناء .. ولعمري إن هذه الخصلة من أهم الخصال لأي عالم ينشد توسيع دائرة علمه ويقوم بدوره الرسالي في مجتمعه وأمته .. وتتناسل من قيمة التواضع الملاصقة والملازمة لشخصية الراحل الكبير، قيمة حسن الإنصات للطرف الآخر، ومناقشة أفكاره وحججه بهدوء وموضوعية وبدون عصبية تقتل الأفكار في مهدها .. ودائم التشجيع للجيل الطالع، فهو لم يبخل على أحد بكلمة تشجيعية أو دعوة مباشرة لتحفيزه وتفعيل دوره، لذلك تخلق حوله الكثير من الشباب المتطلع صوب العلم والمعرفة والعمل العام، لاستلهام أفكاره والنهل من خبراته الواسعة في الحياة.

وأحسب إن أحد العوامل العميقة التي ساهمت في انجذاب الكثير إليه على هذا الصعيد هو أبويته وجامعيته واحتضانه للجميع بدون تمييز أو محاباة لأحد على حساب أحد آخر .. لذلك فإن الجميع يشعر أن لديه علاقة خاصة وشخصية مع الراحل الكبير .. فالتواضع والتشجيع الدائم وحسن الإنصات إلى رأي الشاب وفكره وإشكالاته ومشاغباته، كلها عناصر ساهمت في تعزيز موقع ودور الشيخ العلمي والتربوي في مسيرة مجتمعنا وأمتنا.

٢- تعلمنا تجربة الراحل الكبير العلمية والتربوية، أن الالتزام الفكري شيء والتعصب شيء آخر .. فالالتزام لا يساوي التعصب الأعمى للذات وأفكارها، وإنما يساوي الالتزام بقناعة فكرية وفق أدلة معتبرة لدى الذات .. والتعصب هو نزوع فكري وسلوكي لتعميم قناعات الذات على الآخرين بوسائل قسرية - قمعية.

وانطلاقاً من هذا التمييز بين الالتزام والتعصب، نقرأ تجربة الراحل الكبير، فلم يدفعه التزامه الفكري صوب الانحباس على فئة اجتماعية دون أخرى، بل مارس دوره العام بدون تمييز بين شرائح وأطياف المجتمع .. فكان والد الجميع بدون تعصب أو انغلاق .. وهكذا ينبغي أن يكون عالم الدين في كل بيئاتنا الاجتماعية ..

القسم الثاني: كتابات الوفاء

فهو ليس عالماً لفئة دون أخرى، أو لطيف دون آخر، بل هو عالم للجميع ويمارس دوره ورعايته للجميع، فالعلامة الفضلي كان أنموذجاً لكل علماء الدين على هذا الصعيد، انفتح مع الجميع، وتواصل مع الجميع، وتعاون مع الجميع، دون أن يتخلى عن قناعاته الفكرية.

وبرحيل العلامة الفضلي، تتأكد الحاجة إلى إحياء منهجه الذي يعلي شأن الوحدة، ويفتح المجال للتعاون بكل صورته، ويهرب من المعارك الجزئية والتافهة، ويعمل بجد صوب صياغة أفكار إسلامية قادرة على مواكبة العصر ومستجداته، والاستجابة الواعية لتحديات الراهن المعرفية والحضارية. رحمك الله يا شيخنا الكبير، وألهم ذويك الصبر والسلوان وحشرك الله مع الصديقين والشهداء. ﴿وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أستاذ العلماء، سيبقى نبأً للعطاء

الأستاذ علي آل غراش (*)

الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، أستاذ العلماء، ورائد التدريس والتأليف، والتأسيس والعمل الأكاديمي في الجامعات الوطنية، وقدوة العمل الوحدوي والوطني، والدعوة للوحدة والمحبة والعطاء. رحم الله الفقيد الكبير الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته.

الدكتور آية الله الشيخ الفضلي رحمه الله عالم شامخ في مجاله، ونجم في عالم العلم والعلماء، وأستاذ كبير تربى وتخرج العديد من العلماء المتميزين في عالمنا من بين يديه - من رجال الدين والأكاديمين، وهو عالم فاضل متمكن يشار له بالبنان والفضيلة، أضاف الكثير من العلم والمعرفة إلى المكتبة والعقل العربي والإسلامي والعالمي، من خلال المؤلفات العديدة التي ألفها، وبالخصوص في مجاله اللغة العربية، فهو علامة ودكتور ورائد عظيم في هذا المجال، بالإضافة للكتب العلمية للحوزات حيث قدم العديد من الكتب العلمية، فهو رائد مبدع في مجال تبسيط وتسهيل المواد العلمية الحوزوية، وقد خسرت المدارس العلمية برحيله، أستاذ ورائد ومؤسس لكلية وقسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز في جدة.

(*) صحيفة الوطن الجزائرية، ٩/٤/٢٠١٣م.

الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي عالم ومفكر، وهو أول من فتح مجال المطارحات والنقاشات والمحاضرات المباشرة مع الشباب. عالم يحظى بالتقدير والاحترام، وله علاقات قوية في معظم دول العالم ومع شخصيات كبيرة ومرموقة ودولية. عالم تعاطى مع الأحداث برؤية خاصة بعيداً عن الانفعالية، لم يسمح باستغلال اسمه، في الخلافات والانقسامات.

شخصيته العلمية والهادئة تفرض وجوده في كل مكان يتواجد فيه رغم تواضعه وبعده عن الأضواء والشهرة، وابتعاده عن القيادة التي أتته زاحفة بين يديه. ولو أراد الزعامة والقيادة، لتمكن من جمع أكبر عدد من العلماء والأكاديميين والمثقفين والنشطاء والشباب ومن عامة المجتمع، لما يتمتع به الراحل من مقومات قيادية وجاذبية ومستوى علمي وعلاقات قوية. ولكن وجوده رغم هدوئه وبعده عن الأضواء كان شبحاً، يخيف من يبحث عن الوجاهة، أو من يظن نفسه قائداً للمجتمع.

لقد كان الدكتور الشيخ الفضلي هو الأكثر علمًا، فهو أستاذ للجميع باعتراف الجميع، من الذين في داخل الوطن وخارجه. ومن الذين ساهموا في تهميشه لكيلا يتصدى، ويأخذ المكانة التي تتناسب مع منزلته ومكانته الحقيقية، التي يعلم بها من هم... رحمك الله أيها العالم الفاضل المميز الزاهد.

وفي أيام رحيل ووداع جسد الدكتور آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي، العالم الفاضل، والأستاذ الكبير، والعالم العامل في سبيل الوحدة والانفتاح على الآخر، والعالم المتواضع الزاهد.. ينبغي التأمل في حياته، المليئة بالعطاء والابداع للعلم والمعرفة، والذي جمع بين الدراسة الأكاديمية والحوزوية بنجاح وبامتياز.

إذ رحل الدكتور الأستاذ الشيخ الفضلي بجسده، سيبقى حياً بفكره وعطائه العلمي، وما تركه من علوم ومعارف من خلال العديد من الكتب التي تدرس

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

في الجامعات والمدارس وبالخصوص في الحوزات العلمية.

«إِذَا مَاتَ الْعَالَمُ ثَلَمَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمَةٌ، وَلَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ورحمك الله يا أستاذ العلماء، ورائد التدريس والتأليف، والتأسيس والعمل الأكاديمي في الجامعات الوطنية، وقدوة العمل الوجدوي والوطني، والدعوة للوحدة والمحبة والعطاء.

إنا لله وإنا إليه راجعون. وألهم الله أهل ومحبي الفقيه - فقيه الإسلام والعلم والمعرفة والوطن - العزيز، الصبر والسلوان، وجعل الله قبره روضة من رياض الجنان.

وأفاد الله الناس بما تركه الفقيه العالم الشامخ، من العلوم والمعارف، والأخلاق العالية والفنون، فالشيخ الفضلي سيبقى نبراساً للعطاء، وقدوة للعلماء والأكاديميين، العالم الزاهد المتواضع المتميز بعلمه وعطاءه.

الفضلي يرحل تاركًا ٧٠ مؤلفاً في اللغة والأصول..

الأستاذ عبد الوهاب العريض - الدمام(*)

تشيع في مدينة سيهات بمحافظة القطيف عصر اليوم الثلاثاء جثمان الدكتور عبد الهادي الفضلي، الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح أمس الإثنين عن عمر يناهز الـ ٧٩ عامًا، وذلك بعد معاناة طويلة مع المرض، وقد أدخل قبل يومين أحد مستشفيات الدمام للعناية المركزة بعد تعرضه لوعكة صحية، وكان الفضلي قد أصيب قبل سنوات بجلطة دماغية أثرت على نشاطه الحركي.

ولد الدكتور عبد الهادي في السادس من ديسمبر ١٩٣٥م في إحدى القرى القريبة من البصرة في العراق. ونشأ في البصرة. وفي عام ١٩٧١، غادر مدينة النجف عائلاً إلى (جدة) حيث عين مدرساً لمادتي النحو والصرف في (جامعة الملك عبد العزيز) وبعد سنتين من التدريس، ابتعث من قبل الجامعة إلى كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وتخرج فيها سنة ١٩٧٦م بدرجة دكتوراة في اللغة العربية في النحو والصرف والعروض بمرتبة الشرف. وبقي مدرساً في الجامعة حتى تقاعده في عام ١٩٨٨م، وفي نفس العام اختير أستاذاً لمادتي المنطق وأصول البحث في (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية) في لندن، وقام بالإشراف على بعض طلبة الماجستير

(*) صحيفة الشرق، العدد ٤٩٢ - ٩/٤/٢٠١٣م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

والدكتوراة فيها. وكان الدكتور يقيم في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية.

يذكر بأن الفضلي تم اختياره عضواً في هيئة تحرير نشرة (أخبار الجامعة) أثناء وجوده في جامعة الملك عبد العزيز، وفي نفس الجامعة كان هو الرئيس الأول المؤسس لقسم اللغة العربية والعضو المؤسس والدائم في لجنة المخطوطات بمكاتبها المركزية وشارك في مناقشة بعض الرسائل الجامعية للدراسات العليا وكان له الإشراف على بعضها، واختير أيضاً محكماً لجملة من أبحاث الترقيات العلمية. وله ما يزيد على ٧٠ مؤلفاً بين علوم اللغة العربية، والأصول والشريعة.

أدباء وأكاديميون يطالبون بجمع نتاجه العلمي في موسوعة..

ويؤكدون: لم يغره بريق الشهرة

□ **مكة المكرمة - نعيم تميم الحكيم، الزبير الأنصاري**

اعتبر عدد من الأكاديميين والأدباء وفاة الدكتور الفضلي خسارة فادحة لعلوم اللغة العربية وآدابها موضحين أنه من أكثر علماء اللغة الذين أثروا الدرس اللغوي خلال العقود الأخيرة من خلال كتاباته وأبحاثه وعلمه الأكاديمي.

□ **باحث مجتهد**

وقال رئيس نادي جدة الأدبي الأسبق الناقد الدكتور عبد المحسن القحطاني الذي بدا مفجوعاً بوفاة الفضلي إن «الأخير عالم وأديب جمع ما بين أدب النفس وأدب الدرس كما يقال، وله مؤلفات مهمة في تأسيس النحو والإيقاع الشعري، كما أنه باحث دؤوب ومجتهد» لافتاً إلى أن مؤلفاته الأخيرة تنبئ عن اعتدال فكره، وسهاحة نفسه، بحيث لا تلاحظ تنوعات فيما يؤلف ويكتب.

وأشار إلى أن الدكتور الفضلي كان جميلاً على الصعيد الإنساني، يجزل من نفسه وكان حياً، وهذا طبع الباحث الجاد الذي ينأى بوقته عما لا فائدة منه من الأحاديث والجدالات العقيمة.. وتطرق إلى الفترة التي زامل فيها الفضلي أستاذاً في قسم اللغة

العربية في جامعة الملك عبد العزيز، وقال إنه عمل في الجامعة أستاذًا ورئيسًا للقسم، وهذا يدل على أن العلم يقفز على الطائفية وتبايناتها، وبرغم اختلافه المذهبي عن باقي أعضاء القسم، حيث كان شيعيًا، وبرغم أن رئاسة القسم تتم عن طريق الانتخاب، لا التعيين، إلا أن هذا لم يجل بين أعضاء هيئة التدريس، وبين انتخابه بالإجماع رئيسًا للقسم، وقد أدار القسم باقتدار، وكان يحب الجميع، ومع الجميع، كما أن تلاميذه يجلونه ويقدرونه غاية التقدير.

ولفت إلى أنه سبق له أن طرح الدكتور الفضلي كنموذج للتعايش في جلسات الحوار الوطني، نظرًا لسعة علمه، وأخلاقه السمحة التي كان يتعاطى بها مع الجميع.

□ زاهد في الشهرة

وقال مدير عام الأندية الأدبية حسين بافقيه عن الراحل «كان العلامة عبد الهادي الفضلي صورة ناصعة لعلمائنا الكبار في تراثنا العظيم.. وأنا أفخر به ما حييت وأدعو الله أن يرحمه». وأضاف كان العلامة الفضلي رحمه الله زاهدًا في الشهرة منكبًا على البحث والدرس والتأليف، مشيرًا إلى أنه يعد مرجعًا مجتهدًا في غير علم من العلوم العربية والإسلامية.

□ مرجعية لكل باحث

ويشير عضو هيئة التدريس في جامعة أم القرى الدكتور محمود زيني إلى أن الراحل يعد مرجعًا كبيرًا ليس على مستوى المملكة فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي في اللغة العربية وفنونها وعلومها وآدابها. وشدد على أن مآثر الفضلي تعتبر مرجعية لكل راغب في البحث والتدريس والتعليم في مجال اللغة العربية، مطالبًا بضرورة جمع كل أبحاثه وكتبه وإنتاجه العلمي في موسوعة يستفيد منها كل طالب علم وباحث لغوي.

□ قامة علمية

بدوره، قال رئيس نادي مكة الأدبي الدكتور حامد الربيعي إن الدكتور عبد

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الهادي الفضلي قامة علمية لا يمكن إنكار أو تغافل جهودها في الدرس اللغوي المعاصر، حيث أثرى هذا المجال إثراء منقطع النظير، وقد عرفه طلاب الدراسات العليا، والباحثون في مجال اللغة العربية، وعولوا على أبحاثه كثيرًا، وهلوا منها، فهو باختصار شديد من أعلام العصر ويفقده تفقد اللغة العربية رمزًا من رموزها ومجاهدًا في سبيل حمايتها، لغة وأدبًا. وأشار إلى أن الفقيه ترك خلفه إرثًا عظيمًا يحفظه على مر الأزمان، وعلماً نافعًا.

□ ٧٩ عاماً من الترحال

- عبد الهادي الميرزا محسن الفضلي
- ولد في العراق ١٠ رمضان ١٣٥٤ هـ
- ١٣٦٨ هـ هاجر إلى النجف لإكمال دراسته وله من العمر (١٤) عاماً
- ١٣٨٢ هـ حصل على البكالوريوس من كلية الفقه في النجف في اللغة العربية
- ١٣٩١ هـ غادر النجف إلى مدينة جدة للعمل في جامعة الملك عبد العزيز
- ١٩٣٩٣ هـ ابتعث من قبل الجامعة إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة
- ١٣٩٦ هـ عاد بدرجة دكتوراة بمرتبة الشرف في اللغة العربية
- ١٤٠٩ هـ تقاعد من جامعة الملك عبد العزيز
- ١٤٠٩ هـ تم اختياره كأستاذ لمادتي المنطق وأصول البحث في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن.
- توفي في الدمام ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ.

□ نشاطه في جامعة الملك عبد العزيز

- مؤسس قسم اللغة العربية، وأول رئيس للقسم في جامعة الملك عبد العزيز.
- عضو مؤسس ودائم في لجنة المخطوطات في جامعة الملك عبد العزيز.
- عضو مؤسس في هيئة تحرير نشرة أخبار الجمعة - جامعة الملك عبد العزيز.
- أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا والدكتوراه.

العلامة عبد الهادي الفضلي: أكبر من حنجرة الناعي

الأديب جاسم الصحيح (*)

العظاء لا يموتون بصمت، وإن كان الصمتُ هو أبلغ ما تبتكره الحناجرُ من رثاء حينما يكون صوتُ الفاجعة أكبر من حنجرة الناعي.

وحينما ننفجع في العظاء، فإننا ننفجع في الحقيقة والجوهر لأنهم يمثلون رمزاً لحقيقة وجودنا وإكسيراً لجوهر كينونتنا.

وفي هذا الأسبوع، غادرنا إلى فردوس ربِّه رجلٌ بحجم أمّة، رجلٌ جاء في موسم الجفاف وعيناه تحملان حقولَ سنابل، رجلٌ توحد بالفكر والخبر والورق ثم تشظى في كائناتٍ من الكُتبِ واستراح.. ذلك هو فضيلة العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله تعالى.

الكلماتُ التي استفاقت على فداحة المعنى وأنين العبارة، أيقظت معها الذكريات النائمة في مضاجع الزمان ومراقد المكان.

هناك في العراق حيث الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومنتدى النشر وكلية

(*) صحيفة اليوم، ١٠/٤/٢٠١٣ م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الفقه، وهنا حيث جامعة الملك عبد العزيز في جدة، والمجالس الدينية في سيهات والقطيف والأحساء.. هناك وهنا امتدَّ العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي نهارًا مضيئًا بالعلم والمعرفة كي يطرد ذئاب الجهل والظلام والتخلف. أجيالٌ من طلبة العلوم الدينية والأكاديمية تخرَّجت من أكمام معارفه، وما تزال هذه الأجيال تستسقي يديه فصولاً من العطاء، وتحفظ له هذا المعروف وسامًا على جبين الأعوام.

ومن نافل القول أن نذكر أن شيخنا الجليل كان أحد الرواد الموسوعيين الذين جمعوا بين الثقافة الدينية والثقافة الأكاديمية، وأنه كان يزاوج ما بين الأصالة والمعاصرة في صناعة الفكر..

الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمه الله تعالى كان فريدًا من نوعه في تجاوز كلِّ ما هو قشريّ إلى ما هو جوهريّ، والتعامل مع البذور في كلِّ الحقول التي قام بفلاحتها، وعلى رأسها حقول اللغة العربية.

لذلك، لا أراني مجافيًا للحقيقة حينما أزعم أن اللغة بعد رحيل شيخنا الجليل عالقةٌ في ورطةٍ كبرى حينما تحاول أن ترثيه، فهو اللغويّ الذي أفنى حياته في خدمتها، وكأنها الحروف تجمّعت على نفسها في يديه فتكوّنت المفردة، وتوحّدت المفردات فتكوّنت الفكرة، وتجلّت الفكرة فأضاء المعنى، وأضاء المعنى فأبصر الإنسان طريق الحياة.

في رثائك يا (أبا إياد)، لا يمكن للغة أن تصنع شيئًا أكثر من أن توزّع حزنها وحزنها على الكلمات كي نرفع العزاء إلى أسرتك الكبيرة.. هذه الأسرة التي تبدأ من أفراد عائلتك ولا تنتهي عند حدود الأمة الإسلامية والوطن والثقافة بكلِّ أطرافها..

سلامٌ من الله عليك يومَ ولدتَ ويومَ متَّ ويومَ تبعثَ حيًّا.

السَّيِّدُ الْفَضْلِيُّ: مِنَ الْبَصْرَةِ وَالنَّجْفِ إِلَى جَدَّةِ وَالْقَطِيفِ

د. رشيد الخيَّون (*)

إذا جرى الحديث عن الإسلام السِّيَاسِي الْعِرَاقِي، بنسخته الشيعية، يحضر اسم السَّيِّدِ عَبْدِ الْهَادِي الْمِرْزَا مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ (١٩٣٥ - ٢٠١٣)، وإذا جرى الحديث عن البحث الفقهي يحضر كتاب الفضلي (أصول البحث - ١٩٩٠)، هو وكتاب (منهج البحث الأدبي - ١٩٨٦) لكبير النُّقَادِ عَلِيِّ جَوَادِ الطَّاهِرِ (ت ١٩٩٦) يُعَدَانِ مِنَ الْمَرَاجِعِ فِي هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، بِدَايَةِ مِّنْ تَعْيِينِ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ مَرُورًا فِي تَحْضِيرِ مَادَتِهِ إِلَى إِنْجَاذِهِ. بَلْ إِنَّ الطَّاهِرَ يَأْخُذُ بِيَدِ الْمُؤَلِّفِ مِنَ الْخَطْوَةِ الْأُولَى حَتَّى يَسْلَمَ مُؤَلَّفُهُ إِلَى الْمَطْبَعَةِ.

قرأت في صحيفة «الشرق» السُّعُودِيَّةِ نَعِيًّا لِلسَّيِّدِ عَبْدِ الْهَادِي الْفَضْلِيِّ، مَعَ صُورٍ مِنْ مَحَطَاتِ حَيَاتِهِ.. وَوُلِدَ بِالْبَصْرَةِ الْعَامَ ١٩٣٥ مِنْ أَبِي قَطِيفِي [أَحْسَائِي] وَأُمِّ مِنْ آلِ الْبَطَّاطِ بَصْرِيَّةٍ، وَتَعَلَّمَ فِي كِتَابَتَيْهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ لِلدِّرَاسَةِ الدِّينِيَّةِ بِالنَّجْفِ، مَجْتَازًا الْمَرَاهِلَ الثَّلَاثَ: الْمَقْدِمَاتِ وَالسُّطُوحِ وَدَرَسِ الْخَارِجِ، وَهَذِهِ الْمَرَاهِلَ تَمَيِّزَهَا الْكُتُبُ الَّتِي تُدْرَسُ فِيهَا، وَالدَّرْسُ الْخَارِجُ يَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِ الْأَسْتَاذِ.

ظل الفضلي، حسب كتاب (قراءات في فكر العلامة عبد الهادي الفضلي)،

(*) مجلة المجلة، لندن، الجمعة ١٢ أبريل ٢٠١٣.

الذي أعده نجله فؤاد، يتردد بين النجف والبصرة، حتى استقر بالنجف ليتركها العام ١٩٧١ إلى مدينة جدة، ويتعين مدرسًا بجامعة الملك عبد العزيز، وكان قد نال شهادتي البكالوريوس والماجستير في اللغة، ثم بعثته الجامعة المذكورة على حسابها للدراسة بجامعة القاهرة، وعاد إليها العام ١٩٧٦ فأخذ يُدرس علوم اللغة والأدب من صرف ونحو وعروض مع تدريس تحقيق المخطوطات. أسس بجامعة الملك عبد العزيز قسم اللغة العربية، وصار أول رئيس له، وعضوًا مؤسسًا دائمًا في لجنة المخطوطات بالجامعة نفسها، وأشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه فيها.

استفدتُ كثيرًا من ذكرياته التي تضمنها الكتاب المذكور أعلاه، أثناء العمل في كتاب (مئة عام من الإسلام السياسي بالعراق)، بمعلومة تفرد بها، أو بتأكيد أو نفي معلومات الآخرين، وهو يُعد معاصرًا لفترة تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، ويؤكد أن ذلك حصل نتيجة لتعاظم أمر اليسار بالعراق بعد يوليو/ تموز ١٩٥٨، وكان من المتصددين آنذاك للعمل الإسلامي الذي بدأ منظمًا العام ١٩٥٩، ويؤكد الفضلي بأن الاتجاه كان في بداية الأمر بتسمية الحزب بالحزب الإسلامي، ولكن بسبب وجود هذا الاسم لحزب الإخوان المسلمين عدل إلى اسم (الدعوة).

كان الفضلي أحد أعضاء جماعة العلماء، التي تأسست بالنجف بعد تموز ١٩٥٨ لمواجهة اليسار العراقي، الممثل بالحزب الشيوعي العراقي، وكانت تتكون من فئتين: فئة العلماء الكبار وفئة الشباب، والفضلي من الفئة الثانية. يقول أحد هؤلاء الشباب آنذاك وهو السيد طالب الرفاعي الآتي: «انتخب هؤلاء عشرة من الشباب كطبقة ثانية بعد طبقتهم الأولى، ويقفون تحت شعاع العشرة الأولى، ليكونوا مساعدين لهم، وكنت أحد هؤلاء الشباب من المعتمدين أيضًا. كان من العشرة الثانية: السيد محمد مهدي الحكيم، والسيد محمد سعيد الحكيم (المرجع الحالي بالنجف)، والشيخ عبد الحلیم الزّين، والشيخ عبد الهادي الفضلي، والسيد جعفر بحر العلوم، والشيخ محمد علي الزّين، والشيخ محمد مهدي السّماوي، ومن فاتني ذكر اسمه، وأنا».. (أمالي السيد طالب الرفاعي).

كان هؤلاء يتدربون على الخطابة بنمط جديد مختلف عن قراء المنبر الحسيني، أو الذين عرفوا بالروزخونية، كي يواجهوا الثقافة المعاصرة ويؤثروا في طبقة المثقفين، ويتمكنوا من دحر خصومهم، ومعلوم أن اليساريين كانوا أهل ثقافة. والشيء بالشيء يُذكر أن مفردة الـروزخونية قد نحتت من اسم كتاب الملا حسين الكاشفي (ت ٩١٠ هـ) «روضة الشهداء»، أي قصة مقتل الحسين، وجرى تأليفها وقراءتها منذ العهد الصفوي (١٥٠١ - ١٧٢٣ ميلادية).

يحدد الرفاعي بأن الشيخ الفضلي كان من الأوائل الذين انتموا لتنظيم الدعوة، ف «محمد مهدي الحكيم هو الذي صدح بالدعوة بعد المبايعة (مبايعة الانتفاء للدعوة)، في ١٤ أو ١٥ تموز ١٩٥٩ فأخذ يذهب إلى العلماء ويحدثهم ويحرضهم، ويختار الطلبة المميزين، في الحوزة الدينية، ويأخذ منهم موافقات الانتفاء إلى الحزب، وهو يتم عادةً على شكل بيعة. وبعدها أخذ السيد محمد باقر الصدر يُلقى دروساً عليهم ولم أحضرها، كانت دروساً تثقيفية، وكانت تُنشر في نشرة الدعوة، ومن هؤلاء كان الشيخ عبد الهادي الفضلي». وكان الأخير عضواً في هيئة تحرير مجلة (الأضواء) إلى جانب آخرين من الدعوة.

وبعد خروج السيد محمد باقر الصدر (أعدم ١٩٨٠) تولى قيادة الحزب بالنجف جماعة بلا رأس؛ كان أحدهم عبد الهادي الفضلي، وقد دخل الأخير في النزاع بين أهل العمائم والأفندية داخل الحزب، وكان إلى جانب السيد طالب الرفاعي في هذا الأمر.

قاد الرفاعي والفضلي أول انشقاق في حزب الدعوة ضد الأفندية (غير المعممين). يقول الرفاعي: «وكان الشيخ عبد الهادي الفضلي يحمل مثل تلك الأفكار، في التمييز بين أهل العمائم وحاسري الرؤوس (الأفندية) داخل التنظيم. قال لي الفضلي: ألا رأيت ماذا فعل الأفندية بنا؟ فقلت له: صحيح ما تقول ولا بد من أن نفعل شيئاً! فقال: أنا بخدمتك أبو آمنة! فصارحت: يجب أن نأخذ زمام القيادة

في الحزب، أي كمعممين! فقال: أنا تابع لك، لكن أنا وأنت لا نتمكن من فعل شيء. فما رأيك بعدنان البكاء! وكان حينها من المعممين. فقلت: إن البكاء يأتي في الدرجة الرابعة، وأنا في الدرجة الأولى، وأنت في الثانية، في داخل التنظيم. أليس هذا يعتبر طفرة في تسلسل الدرجات الحزبية؟ فقال: أرى أن يكون معنا السيد عدنان البكاء. وكان كذلك» (أماي السيد طالب الرفاعي).

كلُّ هذا جرى في شرح السَّبَاب، وفي مواجهة ظرف عَصِيب، مثلما يعتبره الإسلاميون، فكان عمر الفضلي في تلك الأيام لم يتجاوز الخامسة والعشرين، لكن بعد ذلك توجه إلى الدرس وطلب العلم، وألف كتبًا عديدة تصل إلى خمسة وسبعين كتابًا، وبينها ما صدر في أكثر من مجلد. وأن فترة سبعة عشر عامًا (١٩٧١-١٩٨٨) من التدريس وممارسة الإشراف العلمي بجامعة الملك عبد العزيز حتى تقاعده، ثم مواصلة الإشراف العلمي من الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن، لم تبق السياسة والحزبية تشغلا حيزًا في نفسه.

لقد تعدته موجة الثورة الإيرانية، والموجة الدِّينية السياسية بسبب هذه الثورة وحرب أفغانستان، وانتعاش الإسلام السِّياسي بشتى أصنافه، فأصبحت تلك الأيام تاريخًا وعبرًا، ومن ينجز خمسة وسبعين كتابًا ويترأس قسمًا علميًا لسنوات طويلة، لا يجد فرصة للتفكير في حزب أو أيديولوجية. فماذا لو ظل الفضلي مقيدًا بقيد الحزبية والعقيدة السِّياسية؟ السؤال لا أجيب عنه أنا، إنما يجيب عنه ما آل إليه الحال من هزيمة العقل.

سمعنا من الذين خالطوا الفضلي أنه كان إنسانًا هادئ الطَّبَاع، صادقًا مع نفسه ومع مَنْ حوله، يتمكن برزاقته من استيعاب مخالفيه، والأوطان عنده تستوعب الجميع، وأن ترحاله بين المدن المختلفة في مذاهبها مدته بخبرة وتجربة، وأن مثلَّ عِمامة عبد الهادي الفضلي لا تفرط في إنسانية ولا تعتمر على كراهية، فقد ولد ونشأ بالبصرة، تلك المدينة المختلطة، التي تعلم ساكنوها القدرة على التعايش، وتعلم

بالنَّجف وَصَلب عوده فيها، حيث مارس السِّياسة، دون أن تأخذه بعيدًا، فما هي إلا أعوام ويفيق لتحقيق حلمه في العِلْم، ثم وصل مدينة جدة وهو ناضج، وهي الأخرى مفتوحة لا تضيق بإنسان مثل الفضلي، ومات وشيع في مدينة سيهات، وكلها أسماء كتب التَّاريخ ورحلات الرحالين ملأى بأخبارها.

أخيرًا، في حياة الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، وهو يعبر من النَّجف إلى جدة بعمامته البيضاء، ما يحمده جمة الطَّائفية، وقد احتل منزلةً علميةً بجامعة الملك عبد العزيز، كتلك التي احتلها ابن الكوفة محمد مهدي المخزومي (ت ١٩٩٣) بجامعة الملك سعود بالرياض، وما زالت صورته معلقة على واجهة قسم اللغة العربية فيها، وقد وقفت تحتها.

إن في حياة الفضلي درسًا عميقًا لمن يتولى الشَّأن الدِّيني، مغزاه: في الدِّين على مختلف مذاهبه فسحة، لا يضيق بها البشر، أليس الكتاب الكريم يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(١). ولنا التَّذكير بما قاله صالح الجعفري (ت ١٩٧٩)، في ظرف حالك كظرفنا هذا (شعراء الغري):

لا دَخَلَ لِللِّسَانِ كَلا ولا يَلْزَمُ أَنْ نُوحِدَ المِذْهَبا

(١) سورة هود، الآية: ١١٨.

من رواد حزب الدعوة الإسلامية الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في ذمة الله

الدكتور علي التميمي (*)

في ٨ / ٤ / ٢٠١٣ م في الدمام في المنطقة الشرقية من السعودية، انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي الذي كان من رواد التنظيم الرسالي في حزب الدعوة الإسلامية في مرحلة التأسيس والانتشار العالمي.

والراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي كان داعية إلى الله عندما كانت الدعوة الإسلامية أطروحة عشق روحي، ومشروع عمل جهادي، ليس فيها ما يغري بالتكسب المادي الدنيوي كما هو اليوم، وليس فيها الأنانيات والبغضاء والتقاطع والتدابير كما هو اليوم، وإنما كنا جنودًا مجهولين نعمل في سبيل الله لنكون مجتمعًا يعرف نفسه ليعرف ربه، ثم ليعرف رسالته، ولذلك كنا كخلية النحل تتكامل أديارنا مع بعضنا، جيوبنا كالأواني المستطرقة، وقلوبنا موحدة، وعقولنا متحدة لم نتفاخر بشيء سوى خدمة الناس، حتى أحبنا من عرفنا، واطمأن إلينا من اخترنا وجربنا.

(*) رئيس مركز الدراسات والأبحاث الوطنية، ١٣ / ٤ / ٢٠١٣ م.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

والراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي اتخذ من الجد في طلب العلم سبيلاً لتعزيز الدعوة إلى الله مع من يلتقيهم ويعمل معهم، فهو السعودي الجنسية المولود في البصرة عام ١٩٣٥ ارتحل إلى النجف الأشرف عام ١٩٤٩ فدرس على يد كل من الأساتذة:

- الشيخ علي زين الدين
- السيد جمال الدين الخوئي
- الشيخ محمد أمين زين الدين
- الشيخ علي شبر
- الشيخ محمد علي الخمايسي
- السيد محمد حسين الحكيم
- السيد أبو القاسم الخوئي
- الشيخ محمد طاهر آل راضي
- الشيخ محمد رضا المظفر
- السيد محمد تقي الحكيم
- السيد محسن الحكيم
- الشهيد السيد محمد باقر الصدر

والراحل هو عبد الهادي بن ميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي، درس المقدمات والسطوح والبحث الخارج في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وحصل على بكالوريوس من كلية الفقه، ثم ماجستير آداب اللغة العربية من جامعة بغداد عام ١٣٩١ هجرية، ثم عمل مدرساً للنحو والصرف في جامعة الملك عبد العزيز، عام ١٣٩٦ حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف في اللغة العربية من جامعة القاهرة، بعدها عاد إلى السعودية وبقي في جدة مدرساً في الجامعة إلى عام ١٤٠٩ هجرية حيث أحيل على التقاعد، ثم عمل أستاذاً في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن حيث أشرف على تدريس المنطق وأصول البحث، بعدها أقام في الدمام إلى أن توفاه الله يوم ٨/٤/٢٠١٣ م.

من مؤلفاته:

- خلاصة المنطق
- مبادئ أصول الفقه

والراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، أشاد بمنزلته العلمية الشيخ آغا بزرگ الطهراني، وأجازه في الرواية عنه، وكتب له الشهيد محمد باقر الصدر فيلسوف القرن العشرين رسالة عندما قرر مغادرة النجف، يثني عليه ويبيد أسفه لرحيله عن الحوزة العلمية في النجف التي تخسر من أمثاله.

والراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي كان من أوائل الدعاة الذين أقبلوا بشغف الانخراط في طريق الدعوة إلى الله من خلال التبليغ البعيد عن بهارج الدنيا وأغراء العناوين، وكان عليه السلام مثال الجد والاستقامة والتواضع، وهو من الأوائل الذين اكتنوا بنار الصراعات والمعاناة التي واجهت الدعاة الأوائل في مرحلة التأسيس حيث كان الشهيد محمد باقر الصدر يقود سفينة العمل الدعوتي مما جلب له الكثير من الكيد والحسد حتى بلغ ببعضهم أن ينعتوه بكاتب المقالات تقليلاً من شأنه وتحديدًا في ظن أولئك من قيمته العلمية وموقعه في قلوب محبيه وكل من عرفه حتى بلغت المضايقات لشخصه الكريم أن بعضهم كان يتعمد عدم احترام السيد محمد باقر الصدر عندما يدخل إلى بعض المجالس، وحدث ذات مرة أن حضر السيد إلى مجلس عزاء حسيني يقرأ فيه المرحوم السيد جواد شبر، فلما دخل السيد محمد باقر الصدر إلى المجلس لم يقم له أحد من وجهاء القوم، فما كان من المرحوم السيد جواد شبر وهو على المنبر إلا أن قطع خطبته وقال: المجلس الذي لا يحترم فيه مثل السيد محمد باقر الصدر لا يستحق أن أقرأ فيه وهم بالنزول من المنبر مما أحدث صدمة للحاضرين الذين رجوه أن يستمر وقام البعض بإفساح المكان المناسب للسيد محمد باقر الصدر، وظلت هذه المعاناة تلاحق المخلصين وأصحاب الاستقامة ومنهم الراحل الشيخ عبد الهادي الفضلي، وانعكست تلك المعاناة حتى داخل الخط

التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية في مراحل متقدمة، نتيجة احتدام الصراع بين الإرهاصات الروحية التي يوفق لها بعض الدعاة، وبين الانجذاب إلى المادة وغوايتها التي تتحرك من خلال سيل المشاعر المندفعة بحركة الهرمونات وكيمياء الدم التي يفشل أمامها الحضور العقلي غير المرتاض بحرارة الإيمان والزخم الروحي المتصل بوعي الكون المتدين؟

ونتيجة لذلك الصراع الخفي في الخلايا القيادية الأولى كان المرحوم الشيخ عبد الهادي الفضلي مرشحاً لقيادة الجناح الحركي بعد قرر السيد المؤسس محمد باقر الصدر أن يتفرغ للدور المرجعي، ويتخلى عن الشأن التنظيمي للقيادة الدعوتية التي كانت تظم نخبة من خيرة الدعاة، وذلك من أجل أن يفي السيد الصدر بنصيحة من المرجع السيد محسن الحكيم بعد الوشاية التي قام بها البعثي المدعو «حسين الصافي» وهذه الحادثة استثمرت لاحقاً بغير حقيقتها وشوه محتواها ووصلت إلى الناس محرفة يتحمل مسؤوليتها من كان ورائها.

وقد شاءت الأقدار أن تكون هناك مفاضلة غير مقصودة بنوايا مضرة، والمفاضلة هي بين الشهيد المهندس محمد هادي السبيتي «أبو حسن» القيادي صاحب العقل الحركي الفذ، وبين الراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، وكان المسؤول عن المفاضلة المرحوم آية الله العلامة «مرتضى العسكري» المحقق المعروف وصاحب كتاب «مائة وخمسون صحابي مختلق» وكان ترجيح العلامة مرتضى العسكري للأستاذ المهندس محمد هادي السبيتي وليس للشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، ولأن التنظيم كان في مرحلته السرية لذلك لم تعرف تفاصيل ما حدث سوى بعض التسريبات القليلة والتي ألمح إليها معي العلامة المرحوم مرتضى العسكري في بعض لقاءاتنا في طهران حيث كان عندما تلم به وعكة صحية يطلب من أبنائه أن يتصلوا بي لفحصه وتشخيص حالته الصحية، وكذلك لقائي بالشهيد محمد هادي السبيتي الذي زارنا في دمشق وكان مقيماً في الأردن وطلبت منه بإلحاح أن يترك الأردن خوفاً عليه من مخابرات صدام حسين التي كانت مطلقة اليد في

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الأردن كما في أمارات الخليج وكان معي في لقائنا الأخ فؤاد الدوركي «أبو سجي» وقد اقتنع الشهيد بترك الأردن ولكنه عندما دخل الأردن ألفت عليه المخابرات الأردنية القبض وسلمته إلى برزان التكريتي الأخ غير الشقيق لصدام حسن الذي انتقل معه إلى بغداد وشوهد آخر مرة من قبل الأستاذ محمد الألويسي في سجن إلا من العامة والذي سأله: كيف تقضي وقتك؟ قال السبيتي: لا يوجد عندي فراغ فأنا مشغول بالعبادة؟.

واليوم عندما يرحل عنا الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، فإننا نودع رجلاً من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، رحل العلامة الفضلي ولم يأخذ معه من حطام الدنيا سوى ما قدمه لطلابه من علم ينتفعون به، وما قدمه لنفسه من عمل صالح ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فللذين يريدون العمل في طريق الدعوة إلى الله وتعبيد الناس بالإيمان والإسلام أن يعتبروا بسيرة الراحل الذي كان كأستاذه الشهيد الصدر الذي لم يأخذ من حطام الدنيا وهو الذي ضرب لنا مثلاً بهارون الرشيد الذي كان يقول للغيمة أين ما تمطري فلي خراجك، وعندما طواه الموت لم تعد مقولته لترد عنه الردى.

رحل العلامة الفضلي بهدوء كما رحل العلامة العسكري والدكتور الداعية جابر العطا وكما رحل الشيخ المجاهد فرج الله وكما رحل الشيخ مهدي العطار والشيخ مجيد الصيمري، أولئك أصحابي فجئتني بمثلهم. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

الأمير سعود بن نايف يعزي أسرة الفضلي في الدكتور عبد الهادي

الأستاذ سعيد الباحث (*)

واسى صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز آل سعود أمير المنطقة الشرقية أسرة آل الفضلي وأرحامهم في وفاة الدكتور عبد الهادي بن الشيخ ميرزا محسن الفضلي الذي انتقل إلى رحمة الله ووري جثمانه الثري بإحدى المقابر في الدمام بعد أن أدت الصلاة عليه.

سائلاً سموه الله جلت قدرته بأن يتغمد الفقيد بوسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويلهم أهله الصبر والسلوان في مصابهم. وقدمت أسرة الفضلي شكرها لسمو الأمير سعود بن نايف لهذه الزيارة، التي خففت الكثير من مصابهم، داعين الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

يذكر أن الدكتور عبد الهادي الفضلي كان كاتباً معروفاً، عرف منذ صغره بحبه لطلب العلم وتفوقه الواضح على أقرانه، وإتقانه الدروس والعلوم الجامعية، كما حاز على الدكتوراه في اللغة وعلم الأصول، وعاش حياته بين العراق ومصر والدمام بحي المباركية.

وكان الفضلي رحمته الله له مشاركات واسعة في المجالات الثقافية بالمنطقة، من المحاضرات والندوات والمهرجانات الثقافية.

(*) صحيفة عكاظ، ٣/٦/١٤٣٤هـ، ١٣/٤/٢٠١٣م، العدد ٤٣١٨.

رحمك الله يا شيخنا الفضلي

الأستاذ سلمان عبد الأعلى (*)

لعلّي لا أجانِب الصَّواب لو قلت إنّ فقيدنا الراحل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله هو أبرز علماء المنطقة، الأحساء والقطيف، في تاريخنا المعاصر، وهذا الكلام أو الحُكم ليس نتيجة لعاطفة محضة، وإنما نتيجة مراعاة للجوانب الموضوعيّة، فمن من علماء المنطقة المعاصرين كانت له تجربة كتجربته، ونتاج كنتاجه، وثقافة كثقافته، ووعي كوعيه! فالفقيه الراحل كان قامّةً فكرية كبرى في ميدان الفكر الإسلامي، ورقمًا من الأرقام الحية على عظمة الحوزة العلمية، كما قال في حقّه الشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

تربّى الشيخ الفضلي رحمته الله في أحضان الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف، وتلمذ على كبار علمائها آنذاك، كالسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشهيد السيد محمد باقر الصدر، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم وغيرهم، وكانت تربطه بالشّهيد الصّدّر علاقة خاصّة ومميّزة، يعرفها كلّ من اطّلع على الرسائل التي بينه وبين السيّد الشّهيد بعد هجرته من النّجف، والتي تدل على المكانة الرفيعة التي كانت للشيخ الفضلي عند الشهيد الصدر.

(*) موقع (بينات)، ٣/٦/١٤٣٤هـ الموافق ١٣/٤/٢٠١٣م.

وعلى الرغم مما تميَّز به الشيخ رحمته الله في الحوزة العلمية، إلا أنه لم يكنف فقط بدراسة العلوم الحوزوية وتدريسها، كما هو شأن الكثير من العلماء وطلبة العلوم الدينية، بل اجتمعت فيه من الخصال التي لم تجتمع لغيره من الشخصيات العلمية الأخرى في المنطقة، فهو إضافةً إلى دراسته وتدريسه في الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف؛ واصل دراسته الأكاديميَّة، وتنقَّل من أجل ذلك بين عدة جامعات للدراسة والتدريس، فمن جامعة أصول الفقه في النجف الأشرف حيث درس البكالوريوس، إلى جامعة بغداد حيث درس الماجستير في اللغة العربية، إلى القاهرة حيث درس الدكتوراه، إلى مدينة جدة في المملكة العربية السعوديَّة حيث مارس التدريس في جامعة الملك عبد العزيز ورأس قسم اللغة العربيَّة فيها، إلى لندن حيث مارس التدريس في الجامعة العالمية للعلوم الإسلاميَّة.

ولم يقتصر دور الشيخ رحمته الله ونشاطه على الدراسة والتدريس الحوزوي والأكاديمي فحسب، بل نجده ساهم في تجديد المناهج الحوزوية وإصلاحه، من خلال تأليف العديد من الكتب وإعدادها، ومنها كتب: مذكرة المنطق، خلاصة المنطق، خلاصة علم الكلام، أصول البحث، أصول تحقيق التراث، أصول الحديث، أصول علم الرجال، تاريخ التشريع الإسلامي، مبادئ علم الفقه، ودروس في فقه الإمامية، وغيرها من الكتب والمؤلفات في الفكر الإسلامي وعلوم اللغة العربية.

ومن يطلِّع على كتب الشيخ الفضلي، يعرف كيف استطاع رحمته الله أن يزواج ويكامل بين العلوم الحوزوية والأكاديميَّة، فكتابته للمناهج كانت عبارة عن ولادة لمزاوجة تمت بين تجربته الحوزويَّة والأكاديميَّة؛ حيث أسهم في تحقيق التكامل المعرفي بين الحوزة والجامعة، وهذه السمة نجدها واضحة أيضًا في دروسه في الجامعة العالمية للعلوم الإسلاميَّة، وفي ندواته ومحاضراته.

إضافةً إلى ذلك كلِّه، اتسم شيخنا الفضلي رحمته الله بالأخلاق العمليَّة العالية على المستوى السلوكي، فكلُّ من عرفه يذكر له ذلك، وقد برزت هذه السمة أكثر عندما

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تعرض لحمالات التسقيط بسبب موقفه الإيجابي من مرجعية السيد محمد حسين فضل الله رحمته الله حيث ترفع عن الردّ أو المواجهة، ولم تصدر عنه أي كلمة أو تصريح أو تدخل في أي صراع.

فرحمك الله يا شيخنا الفضلي، وأسكنك فسيح جناته، فمن أمثالك نتعلم كيف نكون حريصين على تحصيل العلم والمعرفة، ومن أمثالك نتعلم كيف نعمل بهدوء وصمت، ومن أمثالك نتعلم كيف نتجنب الصراعات.

العلامة الفضلي.. مفكرٌ إصلاحِي²⁸

المهندس جعفر الشايب(*)

غيب الموت الأسبوع الماضي علماً من أعلام الفكر والعلم في المنطقة، هو العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، الذي تنقل في مواقع عديدة دينية وعلمية، دارساً ومربيّاً ومصلحاً ومفكراً وباحثاً.

الفضلي ذو الأصول الأحسائية ولد في العراق، وهناك بدأ دراسته الأولية وانتقل إلى المدارس الدينية في مدينة النجف، ثم في جامعة بغداد، وبعدها في مصر، وأسس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ثم مشرفاً على أبحاث الدراسات العليا في عديد من الجامعات والكليات العلمية.

له من المؤلفات حوالي سبعين كتاباً في مختلف جوانب علوم اللغة العربية، وأصول البحث والعلوم الدينية كالفقه والمنطق والحديث وعلم الرجال، وكذلك في قضايا الإصلاح الفكري. كما ساهم في إثراء الساحة من خلال محاضراته وندواته التي تميزت بالطرح العلمي والموضوعي والنقدي بشكل عام.

وبعيداً عن ذكر مناقبه الشخصية العالية، كالتواضع والجدية، التي هي محل

(*) صحيفة الشرق، العدد: ٤٩٧، ١٤/٤/٢٠١٣م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

إجماع بين كل من تعرف عليه وعاشره، فإن العلامة الفضلي استطاع خلال مسيرة حياته أن يعزز منهجية الدمج بين أسلوب التعليم الديني التقليدي والدراسة الحديثة. وساهم في تطوير منظومة دراسات حديثة في مختلف العلوم الشرعية تحولت إلى مناهج تعليمية في المدارس الدينية وكذلك في بعض الجامعات المعروفة.

هذه المنهجية جعلت منه عالماً فقهياً متشرعاً، منفتحاً على العلوم الحديثة ومتفاعلاً معها، وهو نهج مشى عليه ثلة من المفكرين الإسلاميين الذي ساهموا في تحريك الثقافة الدينية إلى أطر أكثر انفتاحاً واتساعاً. كما أن انتفاء المذهبي لم يجعله أبداً منغلِقاً، بل إنه كان منفتحاً على مختلف المدارس الإسلامية داعياً للوحدة والتآلف.

تبرز لدى العلامة الفضلي أيضاً محاولاته الإصلاحية في الخطاب الديني بشكل عام، مما يجعله من أنصار مدرسة التجديد من حيث التمييز بين النصوص المقدسة والاجتهاد البشري، حيث يتناول تقديس الموروث بعمومه باعتباره من عوامل إبطاء حركة التجديد.

يسير العلامة الفضلي في تناوله لموضوع التراث على نهج المجددين والمصلحين في تاريخنا المعاصر الذين يرون ضرورة تنقيح التراث وغربلته مما لحق به، وهو في ذلك يضيف مساهمات جادة وبأسلوب يميل إلى الاعتدال وعدم الصدامية.

وطوال فترة أيام العزاء خلال الأيام الماضية، حفلت المنطقة بحضور كوكبة من المثقفين والعلماء البارزين من داخل المملكة وخارجها، وأتاح ذلك فرص لقاءات ثقافية متعددة تناولت أزمة الفكر الإسلامي، والحاجة إلى التجديد، والفجوة بين الإنجازات السياسية والانحسار الثقافي.

من أبرز ضيوف المنطقة المعزين كان السيد علي فضل الله والشيخ حسين الخشن والشيخ علي حلاوة من لبنان والسيد عبدالله الغريفي من البحرين وكلهم من ذوي الاتجاهات الفكرية التجديدية، حيث التقوا بعدد من الشخصيات الدينية والثقافية في المنطقة.

يحق لوطننا أن يفخر بهذه القائمة العلمية الرائدة التي تستحق كل تقدير وتكريم في المهرجانات والمناسبات الثقافية والوطنية.

أكاديميون ومشايخ يتذكرون «الفضلي»... عالم لغة وهب نفسه للعلم

الأستاذ عبد الله الدحيلان(*)

أشاد أكاديميون وباحثون مكانة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، الذي توفي قبل أيام، بصفته رجل علم وبحث من الطراز النادر، الذي جمع بين سعة الأفق في مختلف العلوم خصوصاً اللغة العربية، ورصانة في الفكر وانفتاح في الرؤية جعلته يحظى بمحبة الجميع واحترامهم.

فهو الفقيه والأكاديمي وعالم اللغة الذي وهب نفسه للعلم والدرس والبحث، وقضى سنوات عمره في خدمة طلابه في مختلف الجامعات التي درس فيها، بدءاً من جامعة الملك عبد العزيز في جدة رئيساً ومؤسساً لقسم اللغة العربية، مروراً بالعراق وبريطانيا، حتى استقر في مدينة سيهات بعد رحلة مع العلم استمرت نحو ٧٠ عاماً، وترك إرثاً علمياً يصل إلى ١٠٠ مؤلف.

وانتقل الفضلي إلى مثواه الأخير بعد معاناة مع المرض.. وكان قبل وفاته أدخل العناية المركزة في أحد المستشفيات إثر تعرضه لوعكة صحية.. وشهدت جنازته

(*) صحيفة الحياة، الاثنين ١٥ أبريل ٢٠١٣م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

حشدًا كبيرًا من طلابه ومحبيه، إضافة إلى ذويه ومجموعة من طلبة العلوم الأكاديمية والشرعية، وعدد كبير منهم من خارج السعودية.

وكان أمير المنطقة الشرقية الأمير سعود بن نايف قدّم العزاء لأسرته يوم الجمعة، والتقى مجموعة منهم، مؤكدًا أن الفقيه يحظى بمكانة مرموقة علميًا.

والفضلي هو سعودي من مواليد العراق، وختم القرآن الكريم لدى كتّاب البصرة، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، وفي الفترة ذاتها بدأ دراسة العلوم الدينية، فقرأ على والده بعض كتب النحو والصرف والمنطق والبلاغة، كما قرأ لدى الشيخ جاسم البصري، ثم هاجر إلى النجف لإكمال دراسته وله من العمر ١٤ عامًا.. شغل الفضلي منصب رئيس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وهو من حائزي مرتبة الاجتهاد في الفقه الإسلامي.

وجمع الراحل بين الدراسة التقليدية (الحوزوية)، والدراسة الأكاديمية النظامية.

ونعى مجموعة من المثقفين ورجالات الدين الفضلي عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ كتب الدكتور محمد الهرفي عبر حسابه في «تويتر»: «رحم الله الفضلي، فهو أحد علماء اللغة والفقه والمنطق، وهو أول من أسس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز، وانتخب رئيسًا للقسم، واستمر أستاذًا في الجامعة حتى تقاعده، حيث انتقل إلى مدينة سيهات وبدأ التدريس والمحاضرات، ومتابعة التأليف، وكان محبوبًا من جميع من عرفه».

وذكر الهرفي أن الفضلي «ابتعد عن الأضواء والشهرة مع أنه كان مؤهلاً لها أكثر من غيره، وأثر عليها العلم والتعليم وكان الاعتدال في الفكر من مزاياه التي أفرزته»، معتبرًا إياه «واحدًا ممن آمن بالاعتدال والأخذ من منابع العلم المعتدل السليم».

القسم الثاني: كتابات الوفاء

فيما سرد الكاتب حسين الشيخ مجموعة من مواقفه ومشاهده مع الراحل، في مقالة له في مدونته، ذكر فيها أنه «من الأمثلة التي يذكرها لنا في الهمة والنشاط أنه كان في إبان وجوده في النجف، كان يدرس ما يعادل ١٦ درسًا في اليوم الواحد، مبتدئًا من الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، ومنتهيًا في المغرب».

كما ذكر أنه «عرضت عليه أكثر من جهة إقامة مهرجان تكريم، ورفضها جميعًا، وكان في كل مرة يقول: الأموال الكثيرة التي تنفق في مثل هذه الأمور هناك من يحتاجها من المعوزين، أو تحتاجها بعض البرامج الاجتماعية، فإذا كنتم مصرّين، فاعتبروني كرمت من قبلكم، وابعثوا هذه المصروفات إلى هذه البرامج أو الجمعيات الخيرية».

الدكتور الفضلي... جسارة الفقيه المثقف

الكاتب وسام السبع (*)

برحيل الشيخ عبد الهادي الميرزا محسن الفضلي (١٩٣٥ - ٢٠١٣) يكون العالم الإسلامي قد فقد أحد ركائز الإصلاح الديني وأبرز المساهمين في تجديد المعرفة الدينية، ليس من خلال الخطايات والشعارات التي يبرع في ترديدها كثيرون في الاحتفاليات والمؤتمرات التي يفترض أن تكون علمية، بل من خلال تراث علمي خصب تركه الفضلي قبل أن يودّعنا قبل أيام إلى جوار رحمة الله.

كثيرًا ما يتردد اسم الفضلي، في الكتب والدراسات المتعلقة بالمعرفة الدينية، أو تلك الكتب التي تتحدث عن تاريخ الإسلام السياسي الشيعي، بوصفه واحدًا من أبرز المساهمين في تأسيس الحالة الإسلامية في العراق، والفاعلين فيها، ورغم حداثة سنه يوم التحق بالمجموعة القيادية الأولى في حزب الدعوة الإسلامية حيث لم يكن يتجاوز عمره ٢٥ عامًا، إلا أنه وبسبب تفوقه العلمي ونبوغه وجديته استطاع أن يحظى بمكانة خاصة لدى كبار علماء الحوزة العلمية النجفية.

ثنائيات كثيرة تبدو واضحة في مسيرة حياة هذه الشخصية الفذة، ثنائية الدور: الفقيه المثقف، وثنائية التكوين العلمي: العالم الذي جمع بين التعليم الجامعي

(*) صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٣٨٧٤، الثلاثاء ١٦/٤/٢٠١٣م.

الحديث، وبين التعليم الجوامعي (من الجامع أو المسجد، المكان الذي يأخذ فيه الطالب الحوزوي دروسه)، وثنائية اجتماعية: العراق والسعودية التي أمدته بتجربة إنسانية واجتماعية غاية في الخصب والغنى، فقد وُلد بالبصرة العام ١٩٣٥ من أبٍ أحسائي وأم من آل البطاط بصرية المنحدر.

أوراق دفتر عمر هذا الرجل سخية بتفاصيل تاريخية مهمة، فالرجل عاش في وقت كانت النجف تعيش عصرها الذهبي، وقد واكب وساهم مع رجال المؤسسة الدينية المسكونين بالهم الإصلاحية وبكثير من الجرأة والشجاعة والتوثب، في إحداث ثورة فكرية في مدينة بدت شاحبة وبعيدة عن اهتمامات العصر وشؤونه.

لقد كان الفضلي سخيًّا في ذكر مناقبية الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٩٦٣) والسيد محمد تقي الحكيم (ت ٢٠٠٢) والسيد محمد باقر الصدر (أعدم ١٩٨٠) والشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٩٩٨). وما يرويه عن تأثره بالشيخ زين الدين، أن الأخير عقد حلقة تدريس لكتابه «الإسلام... ينابيع مناهجه غاياته»، حضرها معه ثلة من طلبة الحوزة العلمية منهم السيد مهدي الحكيم (أغتيل ١٩٨٨) والسيد محمد باقر الحكيم (أغتيل ٢٠٠٣) وآخرون اختارهم الشيخ زين الدين بنفسه لتعليمهم نظريًّا وتطبيقيًّا على كتابة المقالة الأدبية، وهو أول درسٍ من نوعه في النجف في مواجهة الأدب الاشتراكي الذي كانت تتلقفه أيدي الشباب.

غادر الفضلي النجف الأشرف العام ١٩٧١ بسبب الظرف السياسي الصعب الذي مرَّ بالعراق بعد هيمنة النظام البعثي، وتوجَّه نحو الكويت ثم منها غادر إلى مدينة جدة، حيث عيّن مدرسًا لمادة الأدب العربي في جامعة الملك عبد العزيز، وبعد سنتين من التدريس ابتعث من قبل الجامعة إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

ولأنه عاش وحيدًا خلال هذه الفترة حيث كانت العائلة ما تزال تعيش في العراق، فقد استغل وقته بجولات ميدانية بسيارته الفولكس في معالم مكة والمدينة

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

يسجّل ويصوّر ما يشاهده، ويكون قبلها قد دوّن ما قرأه عن الأماكن التي يقصدها في كتب التاريخ والفقه والرحلات، ويقول، كما يروي نجله فؤاد، إنه كان يحمل فراشه معه بالسيارة، فينام متى ما جنّ عليه الليل.

في القاهرة، صادف عددًا كبيرًا من زملائه ورفاقه النجفيين من الذين كانوا يدرسون في الجامعات، منهم الشيخ أحمد الوائلي (ت ٢٠٠٣) والسيد مصطفى جمال الدين (ت ١٩٩٦)، وصالح الظالمي والسيد عبد الهادي بن السيد محسن الحكيم والسيد محمد بحر العلوم والسيد طالب الرفاعي، وكانت لهم لقاءات علمية وأدبية.

مدن وأماكن رسمت معالم تجربة الشيخ الفضلي التي حرص أكثر من كتاب على الإمساك بطرف منها، فقد وُلد ونشأ بالبصرة، المدينة المختلطة التي أدركت مبكرًا أهمية التعايش والتسامح المذهبي، وقد وهبته النجف أكثر من العلم ومنحته خبرة السّياسة دون أن تستغرق وعيه وتسد منافذه، ثم أغرته مدينة جدة حين أدركه النضج العلمي واضعًا بذلك حدًا لنشاطه السياسي في صفوف الدعوة الذي كان أحد قياديينها، ثم استضافته القاهرة المعززة لدراسة الدكتوراه، وتردّد على لندن مستكملًا دوره العلمي عبر دوره الإشرافي في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.

كما عاش بالقطيف سنواته الأخيرة هادئًا كدأبه وهو في ذروة عطائه وبزوغ نجمه العلمي، واهنًا مستسلمًا لثقل السنين، مستأنسًا بالكتاب والمكتبة التي ظل وفيًا لها طيلة ٧٨ عامًا.

بالنسبة للبحرين، يعد الفضلي أكثر من عالم دين اتسمت شخصيته بالشمولية والنشاط العلمي، فهو أستاذ لجيل واسع من كبار علماء البحرين من الذين تتلمذوا على يديه في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف في ذروة عطائها العلمي في النصف الثاني من القرن الماضي، كان منهم أغلب من درس في كلية الفقه وهم كثيرون، منهم الشيخ عيسى أحمد قاسم والسيد عبد الله الغريفي، إذ شارك الفضلي أستاذًا في

القسم الثاني: كتابات الوفاء

متوسطة وثانوية متتدى النشر، وأصبح بعد تخرجه في كلية الفقه معيداً فيها، ثم انضم إلى أساتذة الكلية يشارك في دعم مسيرة النهضة العلمية النجفية الحديثة، وشارك في الكثير من الفعاليات الدينية في البحرين محاضراً وضيئاً كبيراً على احتفالياتها ومناسباتها الدينية.

ناهيك عن التراث العلمي الكبير الذي تركه في سياق اشتغاله بمنهجة التعليم الديني في الحوزة العلمية والمؤسسات الإسلامية الأكاديمية الحديثة، كالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، حيث عمل وتعلم - مرةً أخرى - على يديه نفعاً غير قليل من الطلبة البحرينيين منهم الشيخ سعيد النوري، سيد صادق الوداعي، الشيخ توفيق الحداد، الشيخ ناصر الشويخ، سيد محمد الغريفي والشيخ صادق الكربابادي وآخرون.

وضع الفضلي خمسة وسبعين كتاباً، بعضها صدر في أكثر من مجلد. وقد أعطته فترة العمل لمدة سبعة عشر عاماً (١٩٧١ - ١٩٨٨) الخبرة الأكاديمية الضرورية واللازمة لرجل الدين، والإفادة منها في تثبيت دعائم مشروعه الكبير في منهجة العلوم الدينية في الحوزة.

لقد أخذ مشروع الفضلي الذي وهبه عمره ووقته في تجديد مناهج ومقررات الدرس الحوزوي مراحل ثلاث:

الأولى: إعادة كتابة مقررات الدرس الحوزوي لمواده الدراسية الحالية بلغة ميسرة وأسلوب تربوي جديد، يتناسب ولغة ومتطلبات العصر، ومن أمثلتها كتبه «خلاصة المنطق» و«مبادئ أصول الفقه» و«التربية الدينية» و«أصول الحديث» و«مبادئ علم الفقه» بأجزائه الثلاثة.

الثانية: استكمال المقررات الناقصة في الدرس الحوزوي للعلوم القديمة وإدخال مقررات لبعض العلوم الحديثة المهمة التي لها علاقة بالدراسات الإسلامية،

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وقد كان فيها رائدًا، ومن أمثلتها كتبه «تاريخ التشريع الإسلامي» و«أصول البحث» و«أصول علم الرجال» و«أصول تحقيق التراث».

أما المرحلة الثالثة: فهي بحوث استدلالية في الفقه والأصول وفق منهج جديد وضعه وبنى عليه كافة مسائل ونظريات العلم، وهو ما أسماه «المنهج اللغوي الاجتماعي»، ومؤلفاه في هذا الباب «دروس في أصول فقه الإمامية» و«دروس في فقه الإمامية».

رحم الله الشيخ الفضلي.. الفقيه المثقف والرسالي.

رحم الله اللغوي الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي

ترك الدكتور الفضلي إرثاً علمياً غزيراً يصب كله في خدمة لغة القرآن التي
أخلص لها أيماً إخلاص

أ.د. محمد خضر عريف(*)

فُجعنا، كما فُجع جمهور العلماء عامة واللغويين خاصة في المملكة العربية
السعودية والعالم العربي بنأ وفاة العالم والمفكر، والنحوي والعروضي السعودي
الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله.

وكان رحمته الله من العلماء الأفاضل الذين يتعمدون الابتعاد عن الأضواء، فعاش في
سكينة ومات في هدوء بعد أن أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة النافعة، وكان
مرجعاً في كل علوم اللغة لا يُسأل في مسألة لغوية إلا أجاب ووقى.

وكان الدكتور الفضلي رحمته الله من الرواد والمؤسسين لقسم اللغة العربية بكلية
الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، فقد تأسس هذا القسم العريق

(*) صحيفة المدينة، ١٧/٠٤/٢٠١٣م.

على يد أستاذي الأستاذ الدكتور عمر الطيب الساسي ويد الفقيد جزاهما الله خير الجزاء، وقد تولى الدكتور الفضلي رحمته الله رئاسة قسم اللغة العربية في بداية نشأته، كما أشرف على مجلة (الرائد) التي كانت تصدر عن اللجنة الاجتماعية بكلية الآداب، وشرفت بأن كنت رأس تحريرها تحت إشرافه رحمته الله حين كنت أول معيد في قسم اللغة العربية، وعينت في القسم حين كان سعادة الأستاذ الدكتور عمر الطيب الساسي وكيلاً لكلية الآداب، وسعادة الدكتور الفضلي رئيساً لقسم اللغة العربية عام ١٣٩٨هـ، ولكوني المعيد الأول في القسم والوحيد كذلك في هذه المرحلة التأسيسية، فقد أتاحت لي الفرصة أكثر من غيري ممن عينوا بعد ذلك أن أستفيد من خبرات الأستاذين الفاضلين المؤسسين، وتوثقت علاقتي بالدكتور الفضلي أكثر فأكثر حين سافرنا معاً ضمن فريق الإشراف على رحلة طلابية إلى إسبانيا برئاسة الأستاذ الدكتور عمر الطيب الساسي، وأذكر أن فريق الإشراف شمل الدكتور حسن خفاجي والدكتور خالد كويتي، ومن رافقونا في تلك الرحلة: الدكتور مبارك الحازمي وكان طالباً وقتها، والأستاذ سامي حنظاظة والأستاذ إبراهيم دمياطي، والدكتور أحمد اليوسف وكان طالباً وقتها، إضافة إلى أربعين طالباً، وكان الهدف زيارة مدن الأندلس وقد زرناها جميعاً والله الحمد بما فيها: غرناطة وقرطبة وإشبيلية وسواها.

وقد رافقت الدكتور الفضلي وقتها كظله، وعرفته عن كثب رجلاً دمث الأخلاق حسن المعشر كريم اليد، عف اللسان، كما أفدت من علمه كثيراً في تلك الرحلة الرائعة البديعة أيام الصبا والشباب.

وبعد سفري للبعثة في أمريكا عام ١٩٨١م كما أذكر، زارني في مدينة سان دييجو بولاية كاليفورنيا يرافقه ابنه الأكبر عماد الذي كان ملاحاً في الخطوط السعودية، ومكثنا عندي أسبوعاً كاملاً تجولت فيه معها في كل المرافق السياحية في هذه المدينة الساحرة، وسافرنا معاً إلى المكسيك بالسيارة إذ لا تبعد مدينة تيوانا المكسيكية عن سان دييجو إلا ٢٠ ميلاً.

وسافر الدكتور الفضلي بعدها مع ابنه عماد إلى جزر هاواي، ولم يلبث أن ارسل لي رسالة رقيقة بالبريد من هاواي ضمنها قصيدة رقيقة جداً، يتغزل فيها بمدينة سان دييجو الساحرة، ويثني عليّ فيها بأبيات من عيون الشعر العربي، وما زلت أحفظ منها بيتين:

أبأ أيمن، ويا خير خلٍ طيبت فرعه، أصول الجدود
أيقظت ذكريات عهدك شعري بشعوري، وكنت بيت القصيد

وقد ضمنت هذين البيتين الرائعين قصيدة مدحت بها أحد الإخوة المقربين من نفسي، وما زلت أحفظ بقصيدة الدكتور الفضلي حتى اليوم منذ ٣٠ عامًا.

وبعد عودتي من البعثة سعدت بزمالته ولقيت منه كل ترحاب وكل عون ومؤازرة، وأذكر أنني كنت أزوره في بيته في سكن الجامعة القديم ذي الحديقة الجميلة المنمقة في كل أسبوع مرتين على الأقل لأستفيد من علمه الغزير وأعرض عليه أبحاثي ودراساتي وأدون ملحوظاته وإرشاداته.

ولم أفارقه أبدًا حتى تقاعد من القسم وأقمنا له حفلًا كبيرًا، وأذكر أننا اتفقنا أن نقدم له هدية ثمينة، واستقر بنا الرأي على تقديم سبيكة ذهبية ثقيلة شارك الجميع في ثمنها إضافة إلى درع وشهادة شكر، كانت أقل ما يمكن تقديمه لهذا المؤسس الرائد والعالم الفاضل، وقد غادر جدة بعدها ليستقر في المنطقة الشرقية بين أهله وذويه، وقد واصلته فترة ثم انقطعت عنه في المدة الأخيرة قبل وفاته لأنه كان مريضًا ولا يتحدث إلى الناس إلا لمامًا، وقد ترك الدكتور الفضلي إرثًا علميًا غزيرًا يصب كله في خدمة لغة القرآن التي أخلص لها أيما إخلاص ويمثل كتاباه العظيمان: «مختصر النحو» و«مختصر الصرف» جزءًا من إلمامه الموسوعي بعلوم العربية، فهما مرجعان لكل متخصص ولا غنى لكل مكتبة عربية عنهما.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وله مؤلفات أخرى كثيرة مثل «دراسات في الإعراب» و«دراسات في الفعل»،
وله كتاب نادر في تحقيق المخطوطات إضافة إلى رسالة في العروض، وكتب أخرى
كثيرة وأبحاث ودراسات يصعب حصرها.

رحم الله العالم الجليل واللغوي الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي وأهله
وذويه وتلامذته ومحبيه الصبر والسلوان.

المتلقي والعلامة الفضلي بين صدمة الكتابة وذهول المجالسة

الأديب السيد حسين الخليفة(*)

دفعني حبي للشعر - وقد كنتُ طالبًا في المرحلة المتوسطة - أن أخوض عباب البحر وأسبر أغوار علم العروض، لأنجح في كتابة أبيات موزونة سليمة من الكسر ومن الخلط بين البحور. عندها عزمت على ارتياد المكتبات للبحث عن ضالتي ولتحقيق الغرض المذكور، وقع نظري على كتابين تراثيين، الأول يحمل عنوان (مفتاح العلوم) للسكاكي والثاني يحمل عنوان (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.. المؤلفان جعلتا للعروض نصيبًا من كتابيهما، ولكنني بعد تجوال متكرر في سفرهما رأيتني أرجع بخفي حنين، فلم أحصل على بعض نصيب من نصيبهما.

ثم وقع نظري على كتابين خاصين خالصين في تقديم علم العروض وهما لمؤلفين معاصرين، اسم الكتاب الأول (ميزان الذهب) واسم الكتاب الثاني (أهدى سبيل إلى علمي الخليل).. الكتابان المعاصران نهجا نهج أخويهما التراثيين؛ فقد أربكتني المصطلحات الكثيرة للزحافات والعلل، والتفصيلات المبنية على دوائر الخليل في توزيع وتعيين الأسباب والأوتاد والفواصل.

(*) صحيفة الشرق، العدد ٥٠٣، ٢٠/٤/٢٠١٣م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

لقد أذهلني رسم دوائر الخليل، فتصورت أنني أقرأ في كتب السحر والطلاسم..!

لكن كتاب (في علم العروض نقد واقتراح) للعلامة الأستاذ الفضلي، بمجرد أن وقع نظري على قسم النقد فيه الذي وجهه إلى نقد المنهج القديم وخلص العلم من فرضيات الدوائر ومن كثير من المصطلحات المبنية على أساس منها، ارتحت كثيرًا لأن الكتاب قد نقد جانباً شكل عقبة لي حالت بيني وبين تعلم بحور الشعر وأوزانه.

ثم كان كتاب العلامة الفضلي الثاني (تلخيص العروض) خالصاً لتقديم العلم وفق منهجه الجديد، وكان أوسع من سابقه في التطبيقات.

إن لغة العلامة الفضلي تتمتع بسحر الجاذبية، فتغري القارئ العادي وتدفعه إلى أن يكون جريئاً يقتحم دهاليز العلوم التخصصية، فإن حاله الحظ ظفر، وإن لم يحالفه الحظ، فإنه لن يرجع بخفي حنين.. إن استعجالي ووهي بالشعر جعلني أقرأ البحور كلها وأعيد قراءتها عدة مرات، مما سبب لي بعض التشويش من الناحية التطبيقية.. وبمقدار رشفات من (استكانة) شاي، وبمدة زمنية لا تتجاوز نصف دقيقة، قال لي صاحب المنهج الجديد في علم العروض: عليك أن تركز على بحر واحد فتتقنه من خلال التطبيقات، ثم تنتقل إلى البحر الآخر، وهكذا دواليك حتى تتقن البحور كلها؛ ذلك لأن التركيز على بحر سيبعدك عن الارتباك، وبفهمه ستوضح لك الطريقة وتكون بقية البحور بمثابة أمثلة أخرى على كيفية الميزان الشعري.. طبقتُ ما قاله لي المؤلف الأستاذ، فوجدتني أنطلق بسرعة الصاروخ في فهم العلم والوقوف على تفاصيله كلها.

عبقرية العلامة الفضلي في كتاباته تصدم وتذهل، ولكنك لو سنحت لك الفرصة وجالسته، فإن ذهولك سيتعاضم حين تكتشف أن لجج بحر كتاباته التي أذهلتك ما هي إلا قطرات من بحر علمه العجيب.. ستكتشف أنه يقدم العلم في

كتاباته وفق خطة تربوية محسوبة تهدف إلى الأخذ بيد المتعلم شيئاً فشيئاً حتى يصلب عوده ويقف على حقائق العلوم.

وعلى طريقة الشيء بالشيء يُذكر، سيكون مثالي الآخر على مستويات علمية الفضلي التي تفوق بكثير مستويات علمية كتاباته من خلال استفساري منه حول علم المنطق.. سألتُ العلامة الفضلي وهو صاحب كتابين شهيرين في علم المنطق (خلاصة المنطق) و(مذكرة المنطق)، وكان سؤالاً حول النقطة التالية: كيف لنا أن نوفق بين ادعاء المنطق بأنه يُعلّم التفكير الصحيح وأن العلوم كلها تحتاج إليه، بحيث عبر عنه بأنه خادم العلوم وسيدها، وبين طريقة الدراسة الجامعية للعلوم الطبيعية والإنسانية في الدراسات المعاصرة؛ فإن مبدعي التقنيات الحديثة والمنظرين والباحثين لم يدرسوا المنطق، ومع ذلك فإنهم فكروا وكان تفكيرهم صحيحاً أنتج لنا كل التطور التقني الذي نتمتع اليوم بمنتجاته؟! التطور التقني الذي نتمتع اليوم بمنتجاته؟!

تبسم العلامة الفضلي قليلاً، ثم فاجأني بقوله: إن علم المنطق يعتبر من مناهج البحث القديمة التي تعود إلى أيام أرسطو، أما الآن فقد تطورت مناهج البحث، وتفكير الباحثين كانت نتائجه علمية سليمة تبعاً لمناهج البحث الحديثة، وبهذا اللحاظ لم تعد الحاجة إلى منهج بحث عمره بعمر أرسطو..! فما الحاجة - والحال هذه - إلى تسليط الأضواء على منهج بحث بعمر أرسطو؟!

المنحى التربوي لدى العلامة الفضلي سيقول لنا: إن الحاجة تربوية تهدف إلى عرض المنطق القديم بأسلوب واضح ليتسنى للدارس هضم مطالبه بيسر، فلا يقع فريسة التعقيد اللفظي والعبارات المغلقة كما هي حال المصنفات السابقة الكثيرة. وبدراسته يستطيع الباحث أن يفهم العبارات التي حُشيت بمصطلحات منطقية.. ففي علم النحو يأتي ابن صاحب ألفية ابن مالك المعروف بـ (ابن الناظم) حين يشرح قول أبيه:

«كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم»

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

يبدأ بيان الفرق بين (الكلام والكلم) فيحشر المصطلحات المنطقية في شرحه ليخبرنا بوجود (خصوص وعموم من وجه بين الكلام والكلم) ولا يعرف طالب النحو معنى (الخصوص والعموم من وجه) حتى يدرس (النسب الأربعة) في (علم المنطق).

ويقحام المصطلحات المنطقية في علوم العربية والعلوم الشرعية، ستكون الحاجة إلى دراسة المنطق الأرسطي مطلوبة لغرض فك العبارات الملتغزة بالمصطلح المنطقي.

بينما نجد أن ابن عقيل لم يحشر المطالب المنطقية في شرحه للبيت نفسه.. فدارس ابن عقيل لا يحتاج إلى منطق أرسطو ليفهم النحو، مثلما يحتاج إليه دارس ابن الناظم.

وكما وقع كثير من كتّاب اليوم في دائرة الانبهار بالمصطلحات الأجنبية، حتى إنك قد تصادف مقالاً بحجم صفحة واحدة أو صفحتين يحشر فيه كاتبه كلمات من قبيل (أيديولوجيا، ميثولوجيا، سوسيولوجيا، وكل عائلة لوجيا...)، وقع أيضاً الكتاب القدماء في دائرة الانبهار بالفكر اليوناني إبان حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي.

وقد يحتاج الدارس الحديث إلى الاطلاع على المنطق الأرسطي للاستضاءة والتعرف إلى تاريخ مناهج البحث.

ولهذا وذلك كانت خلاصة الفضلي ومذكرته في علم المنطق، ولتأكيد على أهمية مناهج البحث الحديثة التي تنبع حاجتها من موضوعيتها الذاتية في توجيه البحث العلمي الوجهة الصحيحة، كان كتابه الموسوم بـ (أصول البحث) مليئاً بالحاجة المذكورة، بخلاف المنطق القديم المقتصر حاجته على فك عبارات المصنفات المغلفة بمصطلحاته، أو المساهمة في إضاءة تاريخ منهجية البحث كما تقدم.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

رحم الله العلامة الفضلي، فقد كان متفانياً في تواضعه، مخلصاً في عطائه، يجبر من يجالسه أياً كان على تبجيله والإعجاب به إلى درجة الذهول، وكانت ولا زالت آثاره العلمية تشكل بوابة يطل من خلالها القارئ على شخصية علمية فذة سيبقى يراعيها معيناً للواردين وكنزاً معرفياً عظيماً تُشدُّ إليه رحال القاصدين.

رحيل الفضلي خسارة علمية ومعرفية للوطن العربي

الأستاذ واصل عبد الله ابو خضر(*)

خسر الوسط العلمي خلال الأيام الماضية العلامة عبد الهادي الميرزا الفضلي الذي كان رمزاً في مسارات متعددة وبالذات علوم اللغة العربية والنحو والمنطق وشؤون البحث وأضراب التفكير والتأمل، وكان من أجمل ما قيل في حق الفضلي ما كتبه الدكتور إبراهيم الجعفري بقوله إن ذلك الفضلي ربط بين الجامعي والجوامعي وفي هذه الصحيفة عدد (٥٠٣) الصادر بتاريخ السبت ١٤٣٤/٦/١٠ هـ مداخلة الأخ حسين الخليفة تحت عنوان (المتلقي والعلامة الفضلي بين صدمة الكتابة وذهول المجالسة)..

وقبل أن تندرج هذه المشاركة المتواضعة ضمن موضوع ما ذكرنا، أجدني على جانب من الرغبة الجارحة في توطئة سريعة أمام القصد المطلوب، وإن كان قصارى ذلك من المفترض أن يكون أكبر مما حصل وأكثر اتساعاً وتفاعلاً بشتى أنواع الحراك الثقافي والنشاط المتجدد، والجدير بمكانة الفضلي وتسامغه الحقيقي بين القيمة والقيم والأمين والقمين باستقرائه في قامته وبقائه لنقرأ ما هو منسوب إلى الأديب أو شيخ الكتاب المصريين توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧م) بقلم الأستاذ محمد مصطفى

(*) صحيفة الشرق، العدد ٥٠٦، ٢٣/٤/٢٠١٣م.

ص ٩١ من كتاب «صور وحكايات» على لسان الكاتب صلاح منتصر... قال: «إن الفنان أو الأديب لا يهيمه الذم أو النقد بل إنها يدعمان وجوده، إنها الذي يهدمه ويقتله حقاً هو الإهمال... وقد كان يعتقد أنه كتب أعمالاً تستحق الخلود فوجد نفسه بعد شهرين فقط من دخوله المستشفى شخصاً منسياً لا يذكره أحد...»، ولو جسدنا ما كان يهدم الشخص أو نسيانه وفق نظر الحكيم لوجدنا أن هذا الفقيه الدكتور عبد الهادي الميرزا محسن الفضلي (١٣٥٤ - ١٤٣٤هـ) رحمته الله له النصيب الأوفر في هذا المجال، و(عطفًا) على ما قاله: الحكيم فقد يكون أكثر ترجمان للواقع إذا ضم إليه نوع المرض والمكان والشخص ذاته بمدة تزيد تدريجيًا، وهنا من الممكن أن يكون النسيان رفيق ذلك المريض ولكن! مثل هذا الموسوعي الذي قل نظيره حفل بما اعتقد به الحكيم وهو فيهم وبينهم وفي مشفاه الأخير وما عساه الحال أن يكون بعد رحيله الأبدى؟

الكل يعرف من هو الدكتور الفضلي وما طبيعة نشاطه الفكري والعملي، وما سأكتبه بعد ذلك ما هو إلا مزاحمة مع غيره ممن تناولوا هذا الموضوع بحسب ما له من نتيجة خالصة بسطًا ومقامًا ومن كانت له تأملًا دون نتيجة وهي نثار بتصرف من هذا وذاك، وإلا فالفضلي مسيرته هي مكانته العلمية وحضوره في الوسط المتجدد والمتنوع، كذلك عواطف محبيه والمتابعين لفنه واتجاهه بل وكل لون معرفي له جزء منه وكل حراك رأته اللغة العربية وضرور المعارف فيها له جزء آخر يتشكل من ذلك اسم للفضلي، فبعد ذلك هل يفيد أن نعرف أرقامًا أو أمكنة في أزمته تفيده من هو الفضلي؟..

لكن لما هو متعارف ومنظور للجميع نذكر بأنه هو ابن ميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي البصري الأحسائي النجفي؛ حيث ولد ليلة العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٤هـ الموافق السادس من كانون الأول سنة ١٩٣٥ بقرية (صبخة العرب) إحدى القرى القريبة من البصرة - العراق، ونشأ نشأة علمية دينية عالية برعاية والده آية الله الميرزا محسن الفضلي رحمته الله.. جمع الدكتور الفضلي

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

الدراسة التقليدية الحوزوية والدراسة الأكاديمية المنتظمة، عليه!.. فقد أصبح له رأي في أكثر الفنون المعرفية والثقافية فعام (١٩٧١) غادر مدينة النجف عائداً إلى جدة في جامعة الملك عبد العزيز مدرّساً فيها لمادتي النحو والصرف، وفي عام ١٩٧٦ حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية تخصص النحو والصرف والعروض بمرتبة الشرف من القاهرة، وبقي أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز حتى تقاعده في عام ١٤٠٨ هـ، ويعتبر أيضاً أستاذاً لمادتي المنطق وأصول البحث في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، ولا يمكن أن ننسى أن الدكتور الفضي تم اختياره عضواً في هيئة تحرير نشرة أخبار الجامعة أثناء وجوده فيها، وهو أيضاً الرئيس الأول والمؤسس لقسم اللغة العربية والعضو الدائم في لجنة المخطوطات في مكتبتها المركزية، وشارك في مناقشة بعض الرسائل الجامعية للدراسات العليا واختياره محكماً لجملة من أبحاث الترقيات العلمية وقد رحل الدكتور تاركاً ٧٠ مؤلفاً في اللغة العربية والأصول الفقهية والمنطق والفلسفة، وربما كل علم يحتاجه المثقف الواعي لخوض غمار مسيرته الحياتية من فكر وسلوك..

نعم! هو ذلك الجبل الذي نراه ثابتاً دون تحرك مهما طالت السنون أو اشتدت العواصف رحل عن عالمنا بعد رحلة من المعاناة والحزن والألم قابلها بالصبر والتحمل، وأخيراً نذكر بعض ما ذكره الشاعر المرفه الحس الأستاذ أحمد الصالح (مسافر) عندما أدخل المستشفى الجامعي وأجريت له عملية جراحية ضمن قصيدة أهداها إلى الأستاذ فيصل السيف بعنوان (المشفى الجامعي):

ليلي بأوجاع تـؤرقني استبدا ثقلت به الساعات آلاماً وسهدا
فمللت صحبته وكان مؤانسي وإليه أصغى عاشقاً قد مل بعدا
فإذا بمشفى الجامعي يقيلني مما أقاسيه وكم قد كنت جلدا

وكذلك الشاعر والوزير غازي القصيبي (١٩٤٠-٢٠١٠م) في مشفاه الأخير

قال:

القسم الثاني: كتابات الوفاء

أغالب الليل الحزين الطويل أغالب الداء المقيم الويل
أغالب الآلام مهما طغت بحسبي الله ونعم الوكيل
فحسبي الله قبيل الشروق وحسبي الله ونعم الوكيل

وقياسًا على ذلك ما كان يقاسيه ويكابده هذا الفقيه السعيد، وتواصلًا مع ما نحن بصده نذكر من اتكأنا عليه في استقراء هذا المصاب الجلل ببعض العناوين المنشورة في بعض الصحف كـ (الفضلي يرحل تاركًا ٧٠ مؤلفًا في اللغة العربية والأصول) عبد الوهاب العريض الدمام ص ٢٦ ثقافة - الشرق، عدد ٤٩٢ بتاريخ الثلاثاء ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ إبريل ٢٠١٣)، وكذلك (تشيع الشيخ الفضلي لمثواه الأخير في مقبرة سيهات وافته المنية عن عمر ٨٧ عامًا بعد معاناة مع المرض بالدمام - جعفر تركي سيهات محليات - اليوم، عدد ١٤٥٤٤ بتاريخ الأربعاء ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٤ - ١٠ إبريل ٢٠١٣) وعنوان آخر (الشاعر جاسم الصحيح في الجسر الثقافي في صحيفة اليوم، عدد ١٤٥٤٥ بتاريخ ١ جمادى الآخرة ١٤٣٤ - ١١ إبريل ٢٠١٣) وهو العلامة عبد الهادي الفضلي أكبر من حنجرة الناعي..

وعليه ألا يستحق هذا الفقيه ما يثبت اسمه كمعلم أثري لثقافة يكون ترجمانًا للجيل القادم كأن تكون جامعة باسمه أو جمعية ما ترعى شؤون الأدباء والناشطين في الحقل المعرفي أو أن تتوفر لجنة متخصصة في دراسة النتاج الثقافي للفقيه.

خوات وذكريات في مناسبة تأبين فقيها الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله

الشيخ حسين المصطفى - القطيف

نلتقي هذه الليلة في تأبين - العالم الأمة - الذي عاش من أجل رسالة عبقة،
وأشاع بأيام عمره الفكر والروح، وأزهر ثقافة الإنسان والحياة والبناء.

لقد كان الفقيه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله رائداً في فهرسة واقع
الحوزة، فناناً في الدعوة والإقناع، مؤسساً لروح العلم والمعرفة.. و«بحسبك أن
قوماً موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قوماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم».

لقد عاش الدكتور الشيخ الفضلي رحمته الله مصلحاً منهجياً، بعيداً عن بعض نماذج
الخطاب الديني التقليدي الذي عودنا أطيافه على تحويل الدين إلى أيديولوجية فكرية
فاشلة، أو إلى منصة لإطلاق صواريخ التشهير والإدانة وأنواع الشتم والتكفير.

فالإسلام يريد رجلاً جياش العاطفة بالعطاء، صادق الحس بالأم الغير، ينطلق
كالسهم في تفرجها دون توقف، ولو كان يتعامل مع غير أبناء مذهبه ودينه، إن النبع
السيال لا يجبس برّه عن محتاج.. وهكذا كان شيخنا الدكتور الشيخ الفضلي رحمته الله.. فيها
هو يعبر من النجف إلى جدة بعمامته البيضاء، ما يخمد جمرة الطائفية، وقد احتل منزلة
علمية شاحنة بجامعة الملك عبد العزيز.

وبعيداً - أيضاً - عن أيّ قراءةٍ تبريريةٍ للواقع تجعلُ الدينَ طبعاً يُدقّ في مواكب المستبدين، فلا دينَ حيثُ لا حرية، وكان ﷺ يعيشُ الحريةَ عشقه لنسمة الصباح. وأقولها: «ما أحترمه فيك شيخنا هو احترامك الحريةَ في ممارسةِ فَناعاتِ الآخرين».

لم يكن يستخدمُ الدينَ الذي يحمله ليخدرَ به مَنْ حوله وتحت منبره، أو يستغلّ به أصحابَ العقولِ البسيطة التي ائتمنته على وعيها؛ لأنَّ الدينَ في نظر شيخنا الفضلي منبّهٌ للشعوب في وعيها وفكرها وروحها.

وبعيداً عن كلِّ مَنْ أرادَ أن يحوّلَ خطابَ التغييرِ إلى جدلٍ عقيمٍ ليس من ورائه إلا التنظيرَ والثروةَ والتزيينَ اللفظي، لقد كانت صناعةُ الكلامِ عند شيخنا الدكتور الفضلي هو الدينُ الذي ينبج عنه الحبُّ، والعلمُ، والتواصلُ، والتعايشُ.

فالرؤية عند شيخنا الفضلي ﷺ ليست عابثةً أو عابرةً، وإنما بدايةُ اجتهادات مستنيرة ووثابة، فأنت «مجتهد في اجتهاداتك» - كما وصفك المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل ﷺ - تدعو إلى المزيد من التعقل والتفكير والعناية والتدبر.

فالعناية الفائقة التي تستولي عليك تأكيدك على الحقائق عن طريق العلم والمعرفة؛ لأنَّ الحقيقةَ أم الفرائض؛ وفي الرواية الصحيحة عن أبي جعفر الباقر، قال: «عَالِمٌ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ».

لقد رحل جسد هذا العالم المعرفي الموسوعي إلى بارئها، ولا تبقى إلا المنجزات العظام التي خلفها على صعيد العلم والمعرفة والحركة الإسلامية؛ إنه شاهد فريد على عصرٍ مملوءٍ بالصراعات الفكرية العميقة، لا غنى لأيّ باحثٍ عن شهادته وشخصه.

لقد تعلمت من مسيرتي الطويلة معك - وكانت بدايتها سنة ١٤٠٨ هـ - قواعد ذهبية أنثر بعضها:

القاعدة الأولى: أن تكون مسالماً بعلم وعمل:

فالتوحيد لا يحتاج إلى عصا تُلهبُ الجلود كي يقتنع الناس به. فالإسلام دينٌ أساسه عقلي فطري، يجد طريقه ميسراً إلى القلوب، ممهداً إلى أولي الألباب؛ قال أمير المؤمنين: «لَأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسَبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي؛ الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ».

القاعدة الثانية: الفطنة والذكاء:

لقد ملك شيخنا مفاهيم الحكمة والوعي، فها هو علم وحجة من أعلام الرجال والحديث العلامة الطهراني - صاحب كتاب الذريعة - يصفه في إجازته الروائية له (المؤرخة ١٣٧٤هـ) وهو ابن عشرين سنة بقوله: «الشيخ الفاضل البارع، الشاب المقبل، الواصل في حداثة سنه إلى أعلى مراقي الكمال، والبالغ من الفضائل مبلغاً لا ينال إلا بالكد الأكيد من كبار الرجال المدعو بالشيخ عبد الهادي بن الشيخ ميرزا محسن بن الشيخ سلطان بن محمد الفضلي».

نعم، كلما كان أفقُ العلماء والدعاة متنوراً ورحباً وتجاوز ثقافة التدين الشعبي التي تدافع عن مفردات الموت والظلام، أو فقه الخلاص الشخصي، إلى مفاهيم ومقاصد الدين الرحبة التي تقوم على ترابط الدين والدنيا كلما حقق إنجازات رائعة، وكان أقرب إلى روح الإسلام.. وهذا ما لمستته بصدق في وعي وروح شيخنا رحمته الله.

القاعدة الثالثة: أن تصحب الله:

وأن تستحضر رقابته لك فهو عزة لتدينك، وقد وقف الجميع على هذه المفردات في حياة شيخنا الفقيه رحمته الله، وجسدها في مرضه بشكل منقطع النظر، وقد وصفها الإمام الخامني - دام ظله - في تأبينه لفقيدنا فقال: «قدّم الفقيد الراحل من

خلال صبره على الابتلاء الإلهي في أواخر حياته؛ حيث ألم به المرض وكبده الكثير من العناء تصويرًا ومثالاً رائعًا للإنسان المؤمن الصابر الشاكر المحتسب المتوكل على الله العلي القدير».

القاعدة الرابعة: قرآنية المنهج والتدريس:

في التربية المعرفية تصاب بعض المدراس بفقدان مبدأ الأولويات فيعطى للفقهِ - مثلاً - أولوية على حساب السنّة وعلومها، أو تعطى للسنّة أسبقية على القرآن وتدبره. وكان شيخنا رحمته كثيرًا ما يؤكد على الاهتمام بالقرآن تدبرًا وفهمًا وإسقاطه على الواقع בזكاء وروية.

القاعدة الخامسة: المرأة أولاً وأخيرًا:

فقد أولاهما اهتمامه الخاص في وعيه وثقافته وبرامجه.

أيها الأحبة..

ما نحتاجه اليوم حقًا هو فكر يسبق فكر هذا الرجل المصلح العملاق، فكر يجي باسم الإسلام ويدافع عن الناس بغض النظر عن معتقداتهم، ويرتقي بالخطاب الديني إلى مستوى العصر والراهن.

ففي الرواية الصحيحة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ لَمْ يُرْفَعْ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ إِلَّا وَقَدْ وَرَثَ عِلْمَهُ؛ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَبْقَى بِغَيْرِ عَالِمٍ».

أتذكرك يا شيخنا، في خلواتي معك، وأكثر ما يؤلمك ما تجده من حالة سُباتٍ فكري وتبعيّة محزنة في الواقع الديني والثقافي.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

أتذكرك يا شيخنا، في خلواتي معك، وأنت توصيني ألا أكون متأثراً بمنطق
العقل الجمعي، وأحب أن تبقى في مسيرتك كداعية على هذا الخط.

لقد اغترفت منك معيناً لا يزال يغترف منه عقلي وقلبي.. رحمك الله يا شيخنا
فقد اعتصرك الأمل والألم في مسيرتك الحافلة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

الشيخ حيدر حب الله في تأبين الفضلي

العلامة الفضلي .. رحمه الله .

ولله دره من عالم متواضع مغمور..

آثر أن يخدم الدين دون زعامة أو شهرة أو صراعات..

وآثر أن يكون كبيراً دون حاشية أو حجاب أو ستار..

رحلت علامتنا الفضلي.. وتركت جيلاً كبيراً تربى على يديك..

وكنت تعيش الأمل في صناعة وعي جديد..

كان همّك إيصال الفكرة، وليس إخفاؤها أو ادّخارها..

قاتلت لكي تجعل العلم يسيراً.. بدل أن يكون طلاسماً وأغلالاً وسعيراً.

كان همّك إيصال الفكرة، وليس إخفاؤها أو ادّخارها..

قاتلت لكي تجعل العلم يسيراً.. بدل أن يكون طلاسماً وأغلالاً وسعيراً..

وناضلت لدينٍ بسيط بعيد عن التعقيدات والمتاهات والمهاترات..

عن أي شيءٍ أتحدث؟ عن تواضعك وما ولت أذكر اللقاء الرائع الذي جمعني

بك قبل عشر سنوات في الدمام..

عن أخلاقك.. عن علمك.. عن همّك الذي حملته في صدرك.. عن رحمتك

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ورأفتك .. عن روحك الأبوية والتربوية التي بتنا نفتقدها في حياتنا ..
رحمك الله .. ومنّ على أسرتك الكريمة بالصبر والعافية والرضا والتوكل
والتسليم .. وأرانا في وُلدك شخصك وأخلاقك وعلمك وجهادك ..
فهنيئاً لكل بلدان الخليج بك .. هنيئاً بهذا البستان الذي أينع في دياركم وأثمر ..
رحمك الله وحشرك مع الأنبياء والأوصياء والصالحين .. وحسن أولئك رفيقاً ..
آمين .

الشيخ الفضلي سيرة نماذج ومناهج

الشيخ عبد الجليل بن سعد - الأحساء

العلامة الفضلي كان عالماً جهيداً، موالياً صادقاً، وجهاً من وجوه الأمة الإسلامية، عيناً من عيون الطائفة الإمامية، زيناً للحوزة وأهلها، نوراً للجامعة وفخرها، مربيّاً للطلّعة، رمزاً للتفاني والإخلاص، وإن فقدته خسارة كبيرة لا يستشعرها إلا من عاشه زميلاً أو تلميذاً أو مستفيداً من رحيق عطائه..

□ مشروع الحياة

قلّ ما تجد عالماً يعيش همّ مشروع إصلاحٍ ينذر له نفسه وما حوت يمينه لنصف قرن أو ما يزيد.. وأيّ مشروع؟

إنه أكّمة الحوزة من غير انبهار ولا طرب بالأكاديمية على نقيض من البعض الذين أوغلوا في متاهات الإفراط أو التفريط في هذا الجانب!

هذا هو العلامة اللوذعي الشيخ عبد الهادي نجل الميرزا محسن الفضلي (الراضي المرضي) الذي قد أخضع الحوزة في مرحلتها المبادئ والسطوح للتجربة الأكاديمية متأثراً ببعض أساتذته الذين كان لهم سبق الريادة في بذر هذا المشروع وتركوا له رعايته وسقيه.

وقد شخّذ طاقاته لتحويل النص الموروث الفقهي الإمامي وأصوله وفق برامج وأدبيات العرض الحديثة، فأبى عشقه وأنفة الولاء لديه أن يبقى فقهاً في مؤخرة القاطرات السائرة على طريق الفقه الإسلامية، فمد المكتبات العربية والإسلامية بنفائس مصوغاته كـ (مبادئ علم الفقه) و(دروس في فقه الإمامية)، و(دروس في أصول فقه الإمامية) التي جاءت تمثل فقه العترة الشريفة إلى جنب مشروع الشيخ مصطفى الزرقا في (موسوعة الفقه الكويتية)، والمشاريع التي من بعده كعمل الدكتور المعاصر الشيخ وهبة الزحيلي في موسوعتيه (الفقه الإسلامي المعاصر) و(أصول الفقه الإسلامي).

□ نَفْسُ الْكَاتِبِ وَلَيْسَ كَاتِبَ النَّفْسِ

ليس مقياس الدقة العلمية ولا علامتها أن يبدي الباحث النهم رأيه أو أن يدس اعتراضه بين النظرية والأخرى فحسب.. فقد تلوح الدقة والنضج الفكري عندما يكتب العيلم في شتى فنون المعقول والمنقول والدال منها - علوم الآلة - والمدلول، كالمنطق، والعقيدة، والأصول، والفقه، والدراية والرجال... وعندما يجدد المحاولة مع كل علم في شكل مراحل متتالية دون أن يؤخذ عليه خطأ أو اختلاط أو عيب كما برز في كتابة البعض من عدم لَمَّ شتات العلم الذي انصبت عليه جهودهم أو عدم المنع لشتات غيره من المعلوم والمهارات الفكرية البشرية والشرعية.

ولكن كان الشيخ الراحل إذا أمسك بريشة حقل من الحقول التي تعزى إلى الدراسة الإسلامية، أو الإنسانية، أو الألسنية لا يغمسها إلا في محبرة ذلك القبيل من العلم.

فقد نسج لكل بغاة العلم وطلابه بساطاً من ريح يحملهم فوق المصطلحات والطلسمات والتعقيدات فكان هذا نفس كاتبنا الجليل، ولم يكن يثر على طريقة البعض ممن يكتب لنفس الاجتهاد الذي يسد به ثغرة تكوينه الذاتي أكثر مما يسد به

ثغرة العاجز ممن يمشي معه ذات الطريق.. فلئن كان كلاهما من شرائف الأنفاس ولطيفها المأجور عليها عند الله سبحانه، فلا مرية في أن النفس الذي تصعد من صدر كاتبنا العظيم أشرف وأحوج لطالب العلم في هذا الزمان.

□ السليقة السليمة

إن حسن السليقة واستقامتها وسدادة الطريقة واستيعابها وهدوء التفكير هي ملامح شيخنا المفضل بالمقارنة مع البعض ممن انفتحوا على التيارات الثقافية الوافدة: والضد يكشف زيفه الضد وبضدها تميز الأشياء

فإن البعض - وللأسف الخارق للقلوب - هتك الحجاب بينه وبين هذه التيارات فاندلعت عليه أشباح يأجوج ومأجوج الملبسين وعفارية الثقافة المضادة فطبخوا عقله وتفنونوا في طبخه فصار جاهزاً سائغاً في سرعة لا تجارى إذ تحولوا إلى معارضة تجيد النقد التصيدي والاستفزازي لا النقد الطامح مع الحوزة معلنين مصارحين بالاستقالة منها روحاً، لكن لا يزالون متلبسين بها زياً وثوباً!!

ولكن هذا الفارس المغوار وبالرغم من توغله في معسكرات الثقافات البديلة واقتحام أطنابها لم يُعرف عنه ما يخل بقداسة الكيان العلمي وبقي محامياً ذائداً عن الأصالة لم يتورط في شبهة أبداً رغم تواصله المبكر مع الوجه الثقافي الآخر بكل السبل، حتى ما كان منها موضع ريبة في بيئته التي كانت تتخوف (محقة) من الجديد القادم وشرع أبوابه أمام الجميع كبيئة النجف آنذاك، ولا يفوتني فيما فات حديث الشيخ مهدي الآصفي (بارك الله عطاءه) يقول: كنت والشيخ عبد الهادي الفضلي نستقل بغرفة في النجف الأشرف وكان لدينا مذياع نخفيه خلف رفوف الكتب لئلا يطلع عليه أحد وإذا ما أردنا الاستماع إلى النشرات الخبرية أو البرامج الثقافية أغلقنا الباب وأحکمنا إغلاقه!!.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

ولكنه جاهد في سبيل الأصالة مضمونًا وتجاوز ما رسمه السابقون عليه ديكورًا، وهذا الوعي اختار الشيخ العزيز أن يتجاوز ما رسمه السابقون لكن في حركة نقد ميداني؛ وذلك بخلق النماذج، وابتكار المناهج في عملية أشبه بالزحف إلى أن تتم سيطرة الجديد على القديم!

ومن يوسع النظر ويستقرئ في الجيل الحوزي الذي تخرج على يد الشيخ الفضلي أو جايله يرى تصدي العديد منهم للتجديد وتنافسهم في إلقاء المحاولات كل وتجربته، ومن أعلاهم صيتًا الشيخ باقر الأيرواني (حرسه الله عن الأسوء والضراء)، بما قدم من طرح ورسم لمصعد السطح الخاص بحركة الاجتهاد الفقهي، خلا عن اللجان العلمية التي تشكلت في قم، وهي مستمرة في مطالعة السوق بالبدل.. فقد كان توجه الكثير منهم مستمداً ومستلهماً من سلفهم الشيخ الفضلي الذي له سبق الفروسية في هذا المعترك وشرف البدء في الانطلاقة الشاملة دعك عما كان لبعض أساتذته من انطلاقة جزئية لم ترمي في مسيرتها إلى نقطة أقصى من الأصول أو المنطق..

□ التلميذ المائل والتلميذ الممثل

إن التلميذ متى ما يحرز الاستفادة من صانعه ومربيه فهو تلميذ مائل مثل نفسه، ولا يكون ممثلاً لأستاذه مخلداً له إلا بالقدرة على الإفادة بعد الاستفادة وحمل خصائص الأستاذ، وهذا هو النابغة الهجري وهذه هي مثابته ونسبته إلى أساتذته الذين ومن حسن طالع أن ألقى به القدر في أحضانهم وهم المميزون في النجف الأشرف فبرمجوا له حياته العلمية وخطوا له دروب المستقبل.

نعود لنروي ثم نحكم فنقول:

لقد مَثَّلَ الكثير بين هؤلاء العمالقة ورأوهم كما رأهم، فالكثير حظوا بدرس السيد الشهيد الخالد محمد باقر الصدر (رفع الله ذكره)، والتصق العديد أيضاً

بالشيخ المظفر (أجزل الله أجره)، وأما من عايش السيد تقي الحكيم (نور الله برهانه) فليس بالقليل، ثم غير هذا السيد وذاك الشيخ الكثير من أعلام الفكر والاجتهاد ومراكز الدفع والطاقة في النجف الأشرف إلا أن الكثير من طلابهم عاد تلميذاً كابن غلبت عليه صفات الأم (الحوزة) ولم يرث من خلال الأب والأستاذ الذي انقطع شبيهه وعز نظيره إلا الذكريات!

ولكن يبقى هذا العلم السامق واحداً من الباقيات الصالحات الذي لم ينقطع معه عمل سلفه وآبائه الروحانيين، ومهندسي فكره البارعين من المشايخ والسادة المذكورين.

فكان التلميذ لأساتذته الذي يخجل سائر التلاميذ؛ إذ ورث الأم والأب معاً!!

□ من الحوزة.. إلى الحوزة

إن الانتساب إلى الحوزة المباركة بين العقدين والثلاثة ثم الاندغام في الجامعة والانخراط في سلك الأكاديمية، ثم استئناف الاتصال بالحوزة والتفرغ للحبيب القديم وهو الورشة الفكرية ومشروع الكتابة الذي يغطي حاجات الدين والجيل الصاعد من طلابه لم تكن نزوة مثقف أو مشياً وراء أمل خادع انكشف أمره فيما بعد، بل هي مهمة رسالية نجحت في تثبيت الشخصية الحوزية المميزة مكان القلب من الجامعة، وأحرزت توفيقاً في تكريم الشخصية الجامعية في الحوزة، فهذه وما أدراك ما هذه؟؟ إنها الرسالة الإصلاحية العظيمة التي سخر لها المصلحون التربويون من العلماء شعاراتهم وتبليغاتهم ورفعوها في قمة مطالبهم الاجتماعية أمثال الإمام الخميني وكبار الأساتذة المصلحين من خريجي الجامعة أيضاً، ولكن الفقيه أسوة بالشهيد اللامع المطهري (أحيا الله ذكره) قد جسد هذه الرسالة دون شعار ولكن في مسرح ملحمي^(١) يرى العمل أنجح من إطلاق الصوت، والحقيقة والواقع أهم من الدعوة والمناشدة.

(١) مصطلح أدبي للمسرح الذي يرى الحقيقة أهم من المجاز والمضمون أولى من الشكل.

□ إبداع يُظهر الإبداع

إن الإبداع مفهوم له معناه المختلف عند شيخنا الكبير والجمال العلمي والحسن والبهاء الفكري في نظره المتوازن لا يمكن اختصاره مع شكل من الأشكال، بل هو من نوع الجمال الخلقى في الطبيعة والبشر.. أي تقاسمه الأفراد ولا ينحاز ب كله إلى أحد دون أحد..

فإن هذا من علامات الذوق الحر لأن من يرى الجمال جميعه في إنسان فهو أسير الذوق وسجين النظر! وإن عَلِمَ بلادنا الراحل (قدس الله مكنونه) ممن يتمتع بهذا الذوق، فهو هو إذا تحدث أو كتب عن أعلام الفكر الجديد كدراسته للحياة الإقبالية اللاهوتية، أو دراسته للأدوار الأمينية الزينية البحرانية ظنت أنه المعرض المستقل لشأن الأعلام التقليديين - إن سمح الاصطلاح - فبينا أنت تسري مع ظن الحداثوية في حق الشيخ؛ إذ يفاجئك بعرض فاتن وحديث مليح عن أسانذة الفقه والأصول البارعين، وعن مرجعيات وشخصيات علمية لم تتجاوز الرتبة والرتب العام فيما لمس وظهر من نشاطها.

وإن هذه قدرة نادرة على تفهم النجاح ودقة ملاحظته في أخفى صوره بين عشرات الآلاف من صور الرجال وليس هذا وانتهى.. بل إنه وبهذه السيرة قد حرر لنا مفهوم النجاح والإبداع وأنه شيء لا يقاس بالجددة والقدم فليس كل تجدد إبداع وليس كل قديم إرجاع.. فإن الفرق بين التجدد والتلمص وبين الابداع والابتداع أمر غم على الكثيرين في وقتنا خلا الناهين الفاهمين شروى هذا السلف الذي نرجو أن يكون له بين طلاب الجامعتين الدينية والأكاديمية خلف.

فإذا كان يجيء لنا من خلال طرحه المشيد الذي جاء في مقالات وكتابات متفرقة حياة أستاذين متباينين في زاوية ممن زوايا الفكر ومختلفين على مستوى بعض الإيديولوجيات وهما الشهيد الصدر وأستاذه السيد الخوئي؟

لقد صنع منهما لوحة تحمل لونين مستقلين لئرى التجدد الذي لا يؤدي إلا الاستلاب الكلي وانقطاع المرء عن نفسه وعن انتمائه إلى غيره حيث أمانى الانتماء المجهول؟! ولكن تجددًا كما كان عند الصدر المتصدر في القلوب (نور الله ضريحه) الذي كان يحمل أستاذه الخوئي في وجدانه وينزلق ذكره من لسانه في كل مجلس ومرفأ مدللًا بذلك على أن الخلاف للانتماء وليس الخلاف للإرتماء بعيدًا كما يصنع البعض!!

□ معرفة الرجال تصنع الرجال

إن الشخصيات من ذوي الريادة العلمية والفكرية والأدبية تحمل في سجلاتها لقاء العظمة والسؤدد، ولكن فك رموزها كفك الجوزة الهندية..

فتلك الشخصيات في جوف سيرتها ماء حياة العلم والكمال، وإن رشفه من حتميات الرقي والإزدهار، كما أن الدخول من ماضيهم لنقد الحاضر دخول من أسرع وأوسع الأبواب ومن هذا الوعي أسهم الشيخ الهادي في تأسيس (علم الأعلام)، أو الترجمة الموضوعية في أيسر تسمياتها من خلال سفره الثر: (هكذا قرأتهم)، هذا الركن الذي أضيف حديثًا إلى المكتبة العربية والإسلامية فالشيعية، عرف أول ما عرف في النجف الأشرف على يد الأستاذ جعفر الخليلي في مجموعته الرجالية (هكذا عرفتهم)، ثم تابعه كل من الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (هكذا رأيتهم)، وعلامة الخليج العربي في عصرنا الشيخ الفضلي في هذه المجموعة (هكذا قرأتهم) وقد توافق إنتاجه وإنتاج الدكتور الصغير في تاريخ واحد!

وهكذا أرى بأن العلامة الفضلي وزملائه قد مهدوا بذلك لعلم (البيرو سونولوجيا الإسلامي) أو علم الشخصية الإسلامية!!

□ العشق المعدي

إن تحبيب العلم وتزيين البحث في نفوس الشباب والكتاب مسؤولية لا يقبلها الكثير ولكنها ستعترف - لو خليت - لرجل العلم والفكر في واحتنا بالأمانة وعدم الخيانة لها العمر كله! وليس ذلك من جهة ما يتجلى فيه من حراك وعراك فردي مع الكتب أيام فتوته إلى حين ركوعه أمام جبروت الشيخوخة فحسب.. بل فيما يتجلى من رعاية أبوية دائبة راتبة مع كل المحاولات والتجارب المساقة بين يديه الفتية منها والمراهقة للبلوغ العلمي والمسنة ذات العمر الراسخ في العطاء.. نلمس ذلك في مقدماته التي تصدر الإبداعات وتعرف القراء بالروائع وتمهد للبوأير من الأعمال الفكرية..

ولعل من أصدق الادعاء القول: أنه لا يوجد في دنيا الحوزة العلمية الشيعية المقدسة - بعد شهاب الدين المرعشي - من هو أكثر طرًا للمقدمات بين يدي الكتب والدراسات والمحققات من النصوص التراثية وغيرها من الفقيه السعيد (أكرم الله جواره) وهذا ما يبين عن قيمة للشيخ في نفوس العناصر الحوزية والأكاديمية الفاعلة فقصدوه بأعمالهم وإنجازاتهم، وانتخبوه حكمًا يحكم في جهودهم برأيه المستصحف لما قرأوا فيه من موسوعية وموضوعية بل لما لمسوا قيمتهم عنده بما بدى لهم فيه من بساطة ورحابة خلق..

ويذكرني الشيخ الفاضل الفضلي في ميزته هذه بالشيخ الكوثري الدمشقي أيضًا صاحب المقدمات الفائقة على الإحصاء.

والحق أن الكثير (ولا نغلوها في الكل) من تقديرات عالمنا المبجل تملؤك شوقًا لقراءة العمل الذي وطئ بها فترى وكأن ذلك الكتاب هو العروس وأنه قد شفع بين العروس والعريس فجاءت يزفها بكلماته إلى قلب القارئ!

□ عاش السلام مع نفسه فأثمر طريقه

كان العالم المميز بمقابلة الهزات والصدمات الطائفية والاتجاهوية بالطمأنينة الفكرية والسيطرة النفسية التي تبنتني على أساس الوعي بحجم تلك الشكاسات وليس على أساس الاهیمال لما يحدث أو عدم الإكتراث. لقد كان یحاشي لسانه ونثر كلماته ومقالاته عن التورط في شيء من ذلك في العلن، فبقدر ما كان یرحب بالجدل في العلم ویقبل على السجال الكلامي المعقم إلا أنه كان وفي المقابل یكرم نفسه عن الخوض في السجال الكلامي العقيم وإن كان قد نال منه..

إذا ما أراد المرء إكرام نفسه رعاها ووقاها القبيح وزينا
أليس إذا هانت على المرء نفسه ولم یرعها كانت على الناس أهونا

فكان خبيرًا بلغات العالم الاستفزازية المختلفة!!

وفي قريب الزمان نصب له أحدهم مدفعية ثقيلة ناقداً له كأخشن ما يكون
النقد بعد ظهوره أثره البديع (في ذكرى أبي)، ولكنه صد ما كان من هجمات بسلاح
الصمت واتخذ الوعي دريئة!!

فمن يعيش السلام مع نفسه، يعيش السلام مع قومه!

وفي زمان مقارب أيضًا فزعت طائفة من المؤمنين الغيارى وأطلقوا أصوات
الإنذار فيما یحسبونه غزوًا علمانيًا أو إحدائيًا للمنطقة فكان يباشر عقولهم ویبشر
أرواحهم الثائرة بالقول: أن ما ترونه هو زوبعة لا تهيج إلا في الفضاء الصحراوي
الخالی ولكنها تتفكك وتتبدد بعد وصولها واصطدامها بالبقاع المعمورة من المباني
والجبال وواحات الزرع كما كان يقول أيضًا: هذا ما قد عشناه بالعراق وذعرنا له
بادئ الأمر ثم عادت الصحوة الإسلامية معلنة انتصارها.. أبشروا ثم ابشروا فإن ما
كف أداة أولئك عن العمل هناك یكفها عن العمل هنا بإذن الله فالتجربة هي التجربة

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

والنصر هو النصر والقول قول العجاج: والدهر بالإنسان دواري.

□ الفضلي في أروقة النقد

مهما بلغت نشوة التذوق لإسهاماته وانبثاقه صيته المدهشة ومع الاحتفالية به ميئاً التي ربما تكون استدرأكا لما فات من واجبنا تجاهه حياً إلا أننا نريد أن نبدأ من حيث انتهى الفضلي لا من حيث بدأ.. وهذا ما يحتم علينا تسليمه إلى أروقة النقد وإخضاع جسده ومكونه العلمي والفكري لمشرحة النقد الواعي وتسلمه ثمة مع النتائج الدقيقة!

فهل أن كتاباته وأعماله نماذج شكلائية أم هي نماذج عليا وبأي مستوى؟ هل يزيد الشيخ الفضلي فيما ورثه من علوم آلية، ومقالية، ونقلية^(١)، على ما ورثه الأقران والأتراب أم أنه سابق عليهم إلى النسخ والتوظيف والاستخدام فقط؟

ولست أقصد بهذه الأسئلة ما يطرحه البنيويون في نظرية (موت المؤلف).. إنما أنطلق من ضرورة التقييم لما قدمه للمستهلك أو المنتج الثقافي والمعرفي في عالمنا العربي والإسلامي، ومدى استجابة القارئ المنتمي واللامتمي لآثاره، وهذا ما يستدعي تحليلاً ثقافياً مجرداً دون تحيزات إيديولوجية معينة ومعتادة على التبرص بالمبدعين ممن يمكن أن نسميهم بـ(خصوم النجاح وأهله)!!؟

والحذر ينبغي أن يزداد خصوصاً إذا ما أردنا أن نفتش في تألهات الشيخ وولاءاته إذ أن السجال النقدي (وأقول ما أقول بمرارة) في الأجواء المقدسة غالباً ما يبرز فيه طرفان في قبال طرف واحد وهو المنقود، والأخطر بين الطرفين الآخرين هو من يسمع الكلام فيعمل فيه بسحر التأويل وحبال التسقيط؟!!

(١) الآلية كالمطلق والنحو وسائر علوم اللغة، والمقالية كالفلسفة، والنقلية أبرز أمثلتها الفقه والحديث.

أما عني ذاتاً فإني أرى تاج الفضل يلوح على رأسه وإن تقدمه - في اعتباري - البعض في الهرمية التفاضلية فإنما يتقدمونه في بعض الجوانب فقط.. بل وإعجابي بتوازنه كبير حيث لم أره يعمل العقلانية الأوروبية وما تقوم عليه من منطلقات واستراتيجيات معرفية في معالجة الفجوات والفراغات الثقافية كما فعل بعض أنداده والمعاصرين له وما مضى من السطور قادر أن يصل بتلك الصورة إلى خيال القارئ..

ولكن هذا لا يمنعني من أن لا أسلم له في كل شيء فربما كان لدي تأملات في بعض ما تبرزه كتاباته الشريفة، أو تحفظات على بعض تعبيراته وإن لم أكن من أنصار المذهب القائل: «إن أي اختلاف في التعبير فهو بالضرورة اختلاف في التفكير»، ولست أبتغي بهذه النهاية للمقال طريقاً إلى زرع الشكوك حول الشيخ.. ولكن لقيمة النقد الحوارية.. وليطمئن من يرى أن شراع عقولنا يقوده هوى التقديس للشيخ من غير بصيرة فينا!

رحمك الله يا عماد ويا أبا العماد.. صلى الله على روحك ما صلى ويصلي على أهل المداد من العلماء، ربي أخرجهم من هالة الظلمة إلى هالة النور إلى محمد وآل محمد عليهم السلام.

الفضلي رائد الإصلاح والتجديد الحوزوي

الشيخ عباس الموسى ٢٠/٤/٢٠١٣م

عندما تبحث في الشخصيات الحوزوية قلّ أن تجد حوزوياً موسوعياً في الفكر والكتابة، وقلّ أن تجد متبحراً في العلوم المختلفة وله شمولية في مختلف الجوانب، وقلّ أن تجد حوزوياً يحمل هم العلم كله ويسطر جلّ حياته في نشر العلم وبسطه، آية الله العلامة الفضلي (أعلى الله مقامه) وأسكنه الفسيح من جناته وجعله في أعلى عليين مع النبيين والشهداء والصالحين، هو أحد هؤلاء القلائل الذي جاد بنفسه وبقلمه بل وبكله للعلم كله، ولم يكتف بذلك بل سعى في تطوير العلم الحوزوي والأكاديمي لكي يصل إلى كل طالب يسر وبسهولة.

فالطالب الحوزوي وعندما يدرس المقدمات والسطوح قد يتخرج منها - بل يتخرج منها - ولم يعرف ويدرك أهم المصطلحات التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها، وما ذلك إلا لأن الكتب المستخدمة في الحوزات ليست كتباً معدة للدرس والتدريس وإنما هي أفكار ونتاج مؤلفيها وتقاريراتهم بعد إبداعاتهم الأصولية والفقهية مما حدا بطلابهم أن يتناولوها درساً وبحثاً فأصبحت مداراً للدرس وليست هي معدة لذلك، فكتب الأصول كالمعالم والرسائل والكفاية ليست كتباً تدريسية تعليمية بقدر ما هي تمثل آراء أصحابها، وكذلك كتب الفقه كالشرائع واللمعة والمكاسب إنما هي بحوث استدلالية تمثل آراء مؤلفيها، هذا في الفقه والأصول، وأما

في اللغة العربية - مثلاً - فلا يوجد كتاب شيعي يدرس في الحوزات العلمية - فالقطر وشرح ابن عقيل والمغني ليست كتباً شيعية - لعدم وجود متخصص منذ ذلك الزمن البعيد وإلى يومنا هذا وإن كانت هناك كتباً علمية وعميقة إلا أنها لا تدرس.

وأما كتب الحديث والرجال فليس في منهجية الحوزات قديماً وحديثاً - إلا ما شذ - تدريس الرجال والحديث بل قد ليس هناك كتب متخصصة ثلاث مكانة هذين العلمين واستنباط الفقيه.

وكذلك الحال في مختلف العلوم الكلامية والفلسفية والقرآنية بل لا يكاد تذكر منهجية تعليمية قرآنية في الحوزة وكأن القرآن على هامش الحوزة وكل ما هو موجود من نتاج قرآني فهي اجتهادات شخصية وجهود فردية وكل ما في الحوزة الفقه والأصول.

وعندما يدرس الطالب الحوزوي الكتب الأصولية والفقهية يكون أكثر همهم أن يفكك العبارات ويحاول معرفة إرجاع الضمائر إلى متعلقها ويضع جلّ وقته وسنواته في فهم العبارات وقد يخرج بنتيجة وقد لا!، فمثلاً كتاب اللعة الدمشقية للشهيدين شرحه السيد كلانتر والسيد الترحيني - مثلاً - وجاء الأستاذ وجداني فخر في شرحه (الجواهر الفخرية في شرح الروضة البهية) ليتخصص في إرجاع الضمائر إلى متعلقاتها بالإضافة إلى الشرح المبسط، والطالب الحوزوي لو أراد أن يقرأ هذه الشروحات لاحتاج إلى سنوات ولماذا كل ذلك؟! لأن هذه الكتب ليست معدة للدرس والتدريس.

وهنا يأتي دور شيخنا الراحل والأستاذ المتبحر والعالم المثقف آية الله العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الذي جمع بين الدرسين الحوزوي والأكاديمي وصاغ تجربته في كلا الاتجاهين بمزج جميل ظهرت آثاره في مؤلفاته التعليمية

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

التحقيقية والتي تنم عن بُعد في العلم والثقافة والإدراك وقوة البصيرة حتى إنك لا تجد بعض البحوث قد تناولها أحد مثلما تناولها هو وإن أمكن سنبرز بعض تلك الملامح.

والأهم هنا بيان أن العلامة الدكتور الفضلي كان الرائد الأول في تطوير المناهج الحوزوية وإن سبقت بعض التجارب كالشيخ المظفر والسيد الشهيد الصدر إلا أنهما لم يوفقا لإبراز ذلك في مختلف العلوم والتوجهات بل انحصرت تطويرهما في الجانب الأصولي بالتحديد. أما الشيخ الفضلي (أعلى الله مقامه) فقد برز رائدًا فكريًا وحوزويًا متصلعًا ومصلحًا جديدًا في إطار البحث والتأليف^(١). وأحاول هنا بشكل مجمل إبراز ذلك كالتالي:

□ (١) تطوير كتب اللغة العربية

أدرك العلامة الفضلي أن كتب اللغة العربية التي تُدرّس في الحوزات والجامعات ليست قادرة على إيصال المعلومة للطالب بشكل سهل وسلس وهذه المناهج غير مؤهلة، لذلك فله في النحو مختصره وفي الصرف مختصره، وهما يبرزان أساسيات العلم ويمكنان الطالب من إدراك كل المطالب التي يحتاج إليها الطالب الحوزوي والأكاديمي في هذا الاتجاه.

ولا تفتقر كتبه عن المادة العلمية والأسلوب الحوزوي بل قد يستعرض الآراء المختلفة في الفكرة الواحدة ليتمكن الطالب من معرفة تلك الآراء المتنوعة.

كما أنه أول حوزوي - كما يبدو لي - استخدم المشجرات التعليمية كتلخيص للأفكار العامة للدرس في حين أنك عندما تقرأ الكتب الحوزوية المختلفة ترى القسم

(١) وللإنصاف، إن هناك تجارب متعددة أيضًا حاولت التجديد في التعلم الحوزوي، كما هي تجربة الشيخ محمد جواد مغنية، حيث ألف فقه الإمام الصادق وعلم أصول الفقه في ثوبه الجديد، وكذلك الشيخ محمد باقر الأيرواني وقد ألف كتب متعددة كدروس تمهيدية في علم الرجال، ودروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي وغير ذلك.

الأول في الصفحة الأولى - مثلاً - وقسيميه - مثلاً - في صفحات أخرى حتى لا تكاد تعرف المقسم من القسم والقسيم، ولكن العلامة الفضلي يبرز هذا المنهج في كل كتبه الأصولية والحديثية والفقهية واللغوية والكلامية.

فأسلوب المشجرات والتقسيمات العلمية هي الأبرز في كتب العلامة الفضلي ولا تجد لها نظيراً فيمن سبقه. وليست هذه هي الكتب اللغوية فقط وإنما ذكرت ما يرتبط بالجانب التطويري الحوزوي هنا بالدرجة الخاصة، مع العلم أن كتبه هذه تدرس في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

□ (٢) تطوير الكتب الأصولية

للعلامة الفضلي سعي حثيث في تطوير كتب الأصول فقد ألف في ذلك أربعة كتب:

١. دروس في أصول فقه الإمامية (مجلدان).
٢. مبادئ علم الأصول.
٣. الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية.
٤. التقليد والاجتهاد.

وفي (مبادئ علم الأصول) لمحة أصولية عن مختلف الجوانب والمواضيع الأصولية بالترتيب الأصولي المعروف في الكتب، والبارز في هذا الكتاب أنك لا تجده كتاباً جامداً، ألفاظاً يصعب تفكيكها، بل سهولة في الطرح وإيضاح بالأمثلة وإبراز للفكرة بصورة جلية قل أن تجد الكتب الأصولية السابقة له تبرز هذه الحيشة فيبدأ بتعريف وإيضاح التعريف ثم إعطاء مثال لذلك لتكتمل الصورة.

ثم يلي هذا الكتاب (دروس في أصول فقه الإمامية) وفيه يتناول الطالب الأصولية بأكثر شمولية وأكثر عمق ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١. دراسة المصطلح الأصولي لغويًا وقد برز هذا الجانب عنده بشكل واضح وملموس لم يبرزه غيره بل لم يشر إليه أحد.
٢. الربط بين علم الأصول واللغة في كل الأبحاث حتى تجد وتدرك العمق والتحقيق في البحث الأصولي واللغوي ومدى إدراكه واطلاعه الواسع على مختلف الآراء حتى إنه ليكفيك عناء البحث في ذلك.
٣. إبراز الأمثلة بعنوان خاص وتطبيق التعريف على المثال بصورة واضحة.
٤. بيان محور البحث ومحل النزاع.
٥. استعراض مختلف التعريفات للمصطلح الأصولي عند الأصوليين المختلفين ومناقشة ذلك.

وقبل هذا يعطيك في هذا الكتاب لمحة عن المناهج التأليفية في الأصول والمدارس الأصولية وتاريخ التأليف وأهم المصطلحات الأصولية التي لا تجدها في كتب من سبقه حتى كأنك إذا درست الكتب الأصولية القديمة تدخل في بحر لا تستطيع أن تأخذ من كنوزه ما تشاء لصعوبة ما فيه وغموض ألفاظه.

ثم يأتي كتاب الوسيط - المشار إليه - وميزته تكمن في نوعية تأليفه وأنه الكتاب الأوحى في اتجاهه وهو محاولته لعرض الطريقة الصحيحة والنموذجية لفهم النصوص الشرعية فكثيرًا ما يدرس الطالب كتب الأصول ثم يخرج ولا يستطيع تطبيق الأصول في الفقه بل لا يعرف كيف يستفيد من دراسته للأصول في فهم النصوص. وهذا الكتاب ميزته أن يوضح كيف يسير الفقيه في فهم النصوص الشرعية وبتدرج متقن يستطيع الطالب بدراسة وقراءة تمنع إدراك ذلك كله قبل التعمق في المطالب الأصولية المعمقة التي لا طائل ولا ثمرة في الكثير منها.

□ (٣) تطوير الكتب المنطقية

ضمن دراسة المقدمات، يدرس الطالب المنطق ويدرسون قديمًا حاشية الملا

عبد الله وشرح الشمسية وغيرها وأما حديثاً فيدرسون منطق المظفر وهو الكتاب الأشمل والأوضح كما يبدو، ولكن المشكلة فيه كثرة المعلومات وعمقها حتى إذا ما بدأ بها الطالب وانتهى لم يكن الجميع متقناً كل ما فيه خصوصاً إذا لم يكن الطالب الحوزوي قد أنهى دراسته الأكاديمية التي تساعده في فهم المنطق، وهنا تجلت حركة العلامة الفضلي التطويرية في إيجاد كتابين أسمى أحدهما (خلاصة المنطق) والآخر (مذكرة المنطق) والثاني أوسع بقليل من الأول والهدف منهما إعطاء لمحة عامة وإيضاح الدروس بشكل سلس، وفي هذين الكتابين لا تدرس المادة كمادة جامدة، كلام متصل قد لا تعرف بدايته من نهايته في بعض الأحيان كأنك تطالع مخطوطة، أو نسخة حجرية، بل تدرس مادة علمية تعليمية تتميز بما يلي:

١. تعاريف وتوضيحات سهلة غير ناقصة.

٢. أمثلة تطبيقية واضحة.

٣. خلاصة مشجرة توضح مجمل الدرس.

ولو درس الطالب خلاصة المنطق لأمكنه استيعاب منطق المظفر بشكل أسهل. ووفقنا في تدريس الكتابين خلال السنوات الست السابقة. بل واستفدنا منها في إعداد كتابنا المنطقي المعدّ للطباعة (الضوابط المنطقية) والمشابه لكتبه رحمته في المنهج.

□ (٤) تطوير الكتب الكلامية والفلسفية

للعلامة الفضلي - حسياً أمتلك - ثلاثة كتب أحدها (التربية الدينية) وهو كتاب للشباب يوضح فيه أهم الجوانب العقديّة بأسلوب شيق وجميل يفهمه الشباب، و(خلاصة علم الكلام) ويتناول فيه أهم مصطلحاته بالإضافة إلى دراسة أصول الدين والأدلة على ذلك من عقلٍ ونقل، والكتاب يصلح كمبادئٍ لدراسة علم الكلام قبل التعمق في ذلك، و(خلاصة الحكمة الإلهية) والتي يبرز فيها أهم معالم ومصطلحات الفلسفة لأنه يصعب على دارس الفلسفة أن يبدأ ب (بداية

الحكمة) للسيد الطباطبائي هكذا دون أن تكون له دروس تمهيدية في ذلك، وهذا الكتاب معدٌّ لذلك وقد استفدنا منه أيضًا في كتابنا المعدّ للطباعة (دروس تمهيدية في الفلسفة الإسلامية).

□ (٥) تطوير الكتب الفقهية

كتب الشيخ الفضلي في ذلك كتب وأبحاث متعددة، بعض كتبه دراسية منها (مبادئ علم الفقه - مجلدان) أحدهما خاص بالطهارة والصلاة، ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١. تعريف المصطلحات لغويًا وفقهيًا بل لا يمرّ على مصطلح إلا ويبينه بخلاف قراءتك لكتاب فقهي آخر تحتاج فيه إلى الرجوع للمعاجم والقواميس لفهم ذلك أو تحتاج إلى شارح ومبسّط لذلك.
٢. يستعرض الآراء المختلفة في المسألة.
٣. يبين المصطلحات العلمية للمصطلح الفقهي والطريقة العلمية لتحقيق ذلك في الخارج ويبين الفرق بينه وبين المشابه له كما في موضوع الخمر.

فالطالب - الحوزوي - عندما يدرس هذه المادة يكون ملماً بالمصطلحات الفقهية في بابي الطهارة والصلاة وما يرتبط بهما من مصطلحات لغوية وعلمية واجتماعية وهذا لا تجده في الرسائل العملية للمراجع التي تحتاج إلى مزيد عناية لمعرفة مصطلحاتها ولا في البحوث الاستدلالية.

وله كتاب آخر أسماه (دروس في فقه الإمامية) من ثلاث مجلدات وللأسف أفتقد الجزء الأول منه، وأما الجزئين الأخيرين فقد تناول فيهما الجانب المعاملاتي وبدأ كعادته بمنهجة الكتاب وبيان المقصود من المعاملة وأوضح النظريات والقواعد المستخدمة في جانب المعاملات ثم بدأ في الجزء الثالث بدراسة البيع وأنواع البيوع وبعض المعاملات كالربا والدّين والقرض والمضاربة والهبة والجعالة ثم ختمه

بالمعاملات المستحدثة، وميزة الكتاب:

١. بيان التعريفات اللغوية والفقهية كعاداته ﷺ.
٢. استعراض الآراء المختلفة للفقهاء في ذلك.
٣. بيان الحالة التاريخية التي تمثل السيرة العرفية الجارية قبل زمن المعصوم وإلى زمانه.
٤. بيان أهم عناصر وأحكام المسألة.
٥. إبراز ذلك بالأمثلة التطبيقية والأدلة الاستدلالية في ذلك.

والأهم من ذلك العمق المعلوماتي والسهولة في الطرح التي قل أن يتوفر في شخص واحد.

وحين يستعرض القواعد الفقهية في المعاملات يحاول إثبات ما يستظهر من القاعدة من جوانب مختلفة، فمثلاً إثبات العموم من قوله تعالى: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) فهل هذه من العمومات التي يرجع إليها في إثبات حليّة ومشروعية ما ثبت أنه عقد عرفاً سواء أكان عقداً متداولاً أو مستحدثاً.

ولكي يصل إلى النتيجة الإيجابية من ذلك يدرس ذلك في عدة خطوات:

١. دراسة مفردات القاعدة والتدليل عليها من أقوال اللغويين والفقهاء.
٢. دراسة المصطلح قبل زمن الإسلام بلحاظ استعمال هذه الألفاظ قبل الإسلام وإمضاء الشارع لها لكون المعاملات ليست مما وضع الشارع ألفاظ بإزائها وإنما هي إمضاءات لما هو موجود في الغالب.
٣. ربط المصطلح بالقواعد الأصولية.
٤. دراسة دلالة النص وكيفية الاستدلال به على المطلوب.
٥. النتيجة من البحث.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وهذا التسلسل تعليمي يجعل الطالب الحوزوي في مكنة ومقدرة على استيعاب المطالب العلمية.

ولم يقتصر العلامة الفضلي في تطوير هذه الاتجاهات الحوزوية فقط، بل هناك كتب مهمة أيضاً تصلح للدرس الحوزوي وتساعد طالب العلم في فهم المطالب وربط العلوم ببعضها، فالعلامة يمتاز في مختلف كتبه ببيان الرابط والعلاقة بين العلوم المختلفة، وأهم هذه الكتب:

□ (٦) تطوير كتب الرجال والحديث

(أصول الحديث) وهو كتاب في دراية الحديث ويتناول فيه أهم الجوانب التي يحتاج دارس الدراية بدراسة تحليلية تنبأ عن إلمام واطلاع واسع في هذا الجانب، وهو كتاب صالح للدرس الحوزوي قلّ مثيله.

ومما افتقدته الكتب الشيعية الكتب التي تعنى بعلم الحديث والدراية، نعم ربما يتناول القدماء بعض مصطلحات علوم الحديث في شروحاتهم للحديث وتعليقاتهم، ولكن تناول مصطلحات الحديث وبيان تعاريفها وتحليل ودراسة العوامل المؤثرة في بعض الأمور كالأحاديث الموضوعية - مثلاً، وهي - هذه المصطلحات الحديثية - وإن تناولها بعض من سبقه في كتبه كالمامقاني في (مقباس الهداية) وغيره إلا أن جعل ذلك في كتاب حوزوي تعليمي لم يسبقه فيه أحد، فلكي يؤسس منهجية متكاملة للحوزوي لا بد من أن يضع له كتب دراسية تعليمية في كل تخصصاته فكان هذا الكتاب الحاوي للمصطلحات الحديثية وبعض المصطلحات الرجالية.

وله كتاب في (أصول علم الرجال) يبرز فيه أهم المسائل الرجالية التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها خلافاً لما يكون في الحوزوات حيث ينتهي الطالب من دروس السطوح ولا يدرك ولا يعرف شيئاً من المسائل الرجالية مع أهميتها، وقد ذكر

بعض الفضلاء أنه انتهى من السطوح وبدأ في البحث الخارج ولا يعرف أهم متطلبات علم الرجال الذي يحتاجه الفقيه في استنباطه بل لا يمكن الاستنباط بدونه، وهنا تكمن الثمرة فيما أحدثه العلامة الفضلي حيث ألف هذا الكتاب ليكون مدخلاً لهذا العلم الذي قلّ من تبحر فيه وألف.

كتاب أصول البحث:

(أصول البحث) وهذا من أهم الكتب التي تساعد طالب العلم في البحث والتحقيق ببيان المنهجية التي ينبغي على الباحث اتباعها في ذلك، فما هو المنهج والمناهج المتعددة والمراجع المستخدمة في العلوم المختلفة وأنواع البحث ومجالاته وأسلوب البحث وشروطه وكيفية البحث وطريقة أداء البحث وإعداده مما يمكن الباحث من السير في الطريقة الصحيحة للبحث وهذا في حد ذاته يحتاجه كل طالب علم.

وفي هذا الكتاب يتناول أهم المناهج العلمية التي ينبغي أن يتبعها الباحث والمحقق والفقيه والطريقة العلمية الصحيحة التي ينبغي أن تتبع بشكل مرتب في الوصول إلى نتيجة البحث.

وبعد أن يستعرض بعض المناهج العامة - النقلي والعقلي والتجريبي والوجداني وغيرها - يستعرض في هذا الكتاب المناهج الخاصة بالفقه وأصوله باعتبار حاجة الطالب الحوزوي إلى معرفة كيفية البحث، وكيفية الوصول إلى النتيجة بطريقة علمية ممنهجة.

وستتناول هنا وبشكل موجز ما بينه في منهجية علم الأصول:

«الهيكل العام لعلم أصول الفقه:

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

والهيكل العام لعلم أصول الفقه المستخلص من واقع التجارب العلمية فيما يكتب فيه، هو كالتالي:

١- الهدف من البحث في أصول الفقه:

هو استخلاص القواعد الأصولية من مصادرها النقلية أو العقلية بغية الاستفادة منها في مجال الاجتهاد الفقهي.

٢- مادة البحث الأصولي:

وتتمثل في مصادر التشريع الإسلامي (أو أدلة الأحكام الفقهية).

٣- خطوات البحث الأصولي:

وتتلخص في التالي:

- أ. تعيين المصدر (الدليل).
- ب. تعريف المصدر (الدليل).
- ج. إقامة البرهان على حجية المصدر (الدليل) لإثبات شرعيته.
- د. تحديد مدى حجية المصدر (الدليل).
- هـ. استخلاص القاعدة الأصولية من المصدر (الدليل).
- و. بيان دلالة القاعدة.
- ز. بيان كيفية تطبيق القاعدة لاستفادة الحكم الفقهي.

٤- المنهج العام للبحث الأصولي:

سنتبين من خلال التطبيق الآتي أن البحث الأصولي يسير وفق المناهج العامة التالية:

- أ. المنهج النقلي في جملة من مسائله.
- ب. المنهج العقلي في جملة أخرى من مسائله.
- ج. المنهج التكاملي (من النقلي والعقلي) في جملة ثالثة من مسائله.

وسأحاول -هنا- توضيح العناصر المذكورة من خلال التطبيق على بعض القواعد الأصولية.

ولتكن القواعد التالية:

- قاعدة الظهور.
- قاعدة تعارض الخبرين.
- قاعدة الاستصحاب.

ثم بدأ في توضيح هذه الهيكلية في القواعد الثلاثة المذكورة وختم هذه المنهجية ببيان مصادر علم الأصول التي ينبغي على الطالب الحوزوي معرفتها والرجوع لها في استعراض الآراء الأصولية والتي تشكل مصادر للأقوال المختلفة الأصولية للطائفة من الشيخ المفيد وإلى يومنا هذا. وقد رتبهم بشكل تاريخي يسهل على الباحث تناول الأقوال مرتبة أيضًا.

منهج علم الفقه:

في المنهج الفقهي من هذا الكتاب يستعرض العلامة الفضلي (أعلى الله مقامه) المنهجية في ذلك ثم يمثل لنا بأمثلة يطبق فيها هذه المنهجية والتي تدل على إلمام بالفكرة وشمولية في الطرح ومنها موضوع (الكر) ويمكن بيان ذلك كالتالي:

١. بدأ بتعريف الكر في اللغة حيث يستعرض آراء اللغويين في ذلك.
٢. ثم استعرض تقدير الكر بأي وحدة وقد أبرز الرأي اللغوي حسب المعاجم ثم

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

استعرض آراء الفقهاء تبعاً للنصوص الشرعية، وهذا التقدير عند الفقهاء، إما أن يكون بالوزن أو بالحجم.

٣. يستعرض الآراء في كل قول ويذكر الأدلة التي استند الفقهاء عليها ويناقش الأدلة من حيث السند والدلالة.

٤. ثم يستخلص لنا النتائج المترتبة على كلا القولين ويبرز الرأي الصحيح كما يراه.

٥. والأبرز في هذه المحاولة هو تصوير الأحجام بالأشكال الهندسية العلمية التي يمكن للباحث الحوزوي تصوير الأحجام المتصورة والتي يمكن أن تحوي الكرم. وقل أن تجد حوزوياً يمازج بين العلوم بحيث لا تعيش مصطلحات نظرية جامدة لا تستطيع تطبيقها على الواقع الخارجي.

وقبل أن يبرز لنا خطوات المنهج الفقهي يبين لنا نماذج للتطبيقات اللغوية في النصوص الشرعية والأصولية والفقهية والرجالية كما ويستعرض القرائن التاريخية والتفسيرية ليكون الحوزوي يتماشى والخطوات المنهجية الصحيحة في معرفة الحكم والنتائج ويختتم ببيان مصادر الفقه ليطلع الحوزوي والباحث على أهم المراجع لمعرفة الآراء الفقهية المختلفة.

كتاب القراءات القرآنية:

تتجلى أهمية الكتاب في أنه كتاب إسلامي شمولي لاختصاصه بالمصدر الإسلامي الأول، وهو المتفق عليه بين المسلمين قاطبة.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يناقش ويستعرض مسألة قرآنية ذات بُعد عملي في التطبيق الخارجي وهي القراءات والتي لها انعكاسات متعددة في القراءة من جهة ونواح لغوية وتفسيرية من جهة أخرى فكان هذا المبحث في هذا الكتاب.

ويتميز هذا الكتاب بعدة أمور:

١. استعراض آراء المدرستين مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء.
٢. إبراز الآراء والحركة التطويرية لموضوع البحث تاريخياً بدقة بحيث يتابع القارئ هذه الحركة التطويرية.
٣. التعريف بالقراءات القرآنية وكيفية نشوئها وتطورها وتناقلها ومصادرها وأسباب اختلافها وفوق ذلك كله إن من يقرأ الكتاب ولا يعرف العلامة الفضلي لا يعرف أنه شيعي مع أنه نقل آراء شيعة وناقشهم كالسيد الخوئي، لأنه لم يناقش الموضوع من جهة طائفية بل من جهة إسلامية لذا قلنا عنه بالشمولية.

تاريخ التشريع الإسلامي:

من أهم الكتب التاريخية التي تتحدث عن تطور ونشأة الفقه الإسلامي والإمامي بشكل خاص، ولعل العلامة الفضلي هو أول من ألف بهذه الفكرة في كتاب مستقل في المدرسة الإمامية وتميزت منهجية الكتاب بعدة أمور:

١. الرجوع للوثائق التاريخية المينة لحالة التطور التشريعي للفقه.
٢. الرجوع إلى التراث الفقهي المتمثل بالمصادر الفقهية لقدماء الأصحاب.
٣. الرجوع إلى كتب الفكر الأصولي وتاريخ علم الأصول.
٤. إبراز ودراسة الحالة التاريخية من نصوص المدرستين ومناقشة الأفكار المختلفة.
٥. استعراض تطور التشريع الإسلامي من زمن النبي ﷺ إلى المدارس العلمية اليوم.
٦. استعراض أبرز المفكرين والفقهاء والمتكلمين الذين عاصروا الأئمة ودورهم التاريخي في هذا التطور.
٧. احتواء الكتاب على إحصائيات ورسوم بيانية توضيحية ومخططات شجرية تعليمية.

وفوق كل ذلك الإحاطة والشمولية والدقة والعمق والتبع.

هذا ما قدمه شيخنا الراحل ومقتدانا الكبير الذي استفدنا من مؤلفاته الكثيرة برغم عدم استفادتنا المباشرة منه، وهذا في الجانب الحوزوي، وأما الجانب الأكاديمي فقد كتب في ذلك وأبدع وطور بما لا يقل عن الجانب الحوزوي، وقد تناول ذلك أكثر من دكتور لذا اكتفيت بالجانب الحوزوي ليدرك الحوزوي قبل غيره كيف كان دوره في تطوير الجانب الحوزوي بما لا مثيل له في ذلك، وإذا لاحظت فقد طور وأبدع في مختلف الجوانب العلمية اللغوية والمنطقية والكلامية والفلسفية والأصولية والفقهية والقرآنية والحديثية والرجالية ولذا فهو موسوعة في العلم والتطوير وهو بحق الرائد الأول في تطوير العلوم الحوزوية.

□ مميزات وخصائص مؤلفات العلامة الفضلي

فيما مضى تحدثنا عن دور الراحل الكبير في تطوير المناهج الحوزوية بالخصوص وأثر ذلك على الطالب الحوزوي فهماً وإدراكاً، وأما الحديث هنا فعن الخصائص العامة لتراث الشيخ، وقبل البدء بتعدادها نشير إلى نقطة مهمة يجب ألا نغفل عنها، وهي:

إن الحوزات العلمية الشيعية أنتجت علماء ومفكرين ومبدعين على مرّ التاريخ ولعل باب الاجتهاد وحرية الرأي والرأي الآخر - في الجملة وفي بعض الأحيان - كان له الأثر في إنتاج وإبداع علماء الطائفة الأفذاذ والمبدعين الكبار، ولكن ليس كل من هو مبدع كان له نتاج علمي ملموس، نعم هناك من كانت له نظريات جديدة وتطوير في اتجاه من الاتجاهات وإن لم تكن له تلك الكتب المتعددة كما هو الميرزا النائيني ونظرية الترتب، وهناك من له مؤلفات متعددة وله من الإبداع ما لا ينكر مثل الشيخ الأنصاري ونظرية الحكومة، والشهيد الصدر ونظرية حساب الاحتمالات، وفي الجانب الفلسفي هناك مبدعون أيضاً كالملا صدرا والإمام الخميني والسيد الطباطبائي، ويطول بنا الكلام لو أردنا أن نعدد المبدعين في مختلف العلوم.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

وعلى أي حال فإن العلامة الفضلي قد حجز مقعده منذ صغر سنه كما شهد بذلك آقا بزرك الطهراني فهو من بين المبدعين فكراً ومنهجاً وتطويراً، ولذا كان له من المؤلفات ما يظهر هذا الإبداع والتطوير والتجديد، ومن هنا نحاول إبراز أهم مميزات مؤلفاته ولو بشكل إجمالي ليتضح بعض إبداعاته بما يتناسب والمقام:

الأول: التتبع التاريخي للآراء المختلفة للموضوعات المبحوث ولأصل المسألة منذ عصر النبي وإلى زمن المعاصرين وهذا ما يرتبط بالأبحاث الأصولية والفقهية والقرآنية - كما في القراءات القرآنية - والتاريخية.

الثاني: الإيضاحات والتطبيقات والمشجرات التوضيحية التي استخدمها في جميع الكتب.

الثالث: النظرة الشمولية اللغوية - للمصطلح المبحوث - من جهة تفسيره وتوضيح معناه عن أهل هذا العرف الخاص.

الرابع: استقراء وتتبّع للآراء المختلفة في المسألة الواحدة وأدلتها ومناقشة تلك الآراء المختلفة.

الخامس: اعتماد الفهم القرآني في الكثير من القضايا العلمية المتعددة، حيث جعل القرآن مرجعاً ومنطلقاً لفهم النصوص.

السادس: في البحوث الفقهية والأصولية ركز على الفهم العرفي واللغوي بدلاً من الفهم الفلسفي الذي أدخله بعض الأصوليين في بحث المسائل الأصولية والذي شتت بعض المسائل الأصولية ووسعها وأبعدها عن محورها الأساس كما في الأبحاث التحليلية للمشتق الأصولي - مثلاً - حيث لم يبحثه الشيخ إلا من الجهة العلمية اللغوية والعرفية وليس الجهة التحليلية الفلسفية.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

السابع: استعراض آراء المدرستين، مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء في الكثير من الأبحاث ذات الصلة بالموضوع مما يدل على سعة الاطلاع وشمول الفكرة وعدم ضيق الأفق.

الثامن: ما أكدنا عليه مرارًا وهو الذهنية العلمية والأكاديمية المعاصرة التي استطاع من خلالها بلورة المناهج التعليمية الحوزوية المتعددة مما يساعد الحوزوي على فهم الطالب بصورة سهلة وواضحة.

هذا ما يمكن إبرازه من مميزات وخصائص في منهج العلامة الفضلي ولخوف الإطالة تجاوزنا الكثير من الأمثلة.

وأختتم كلامي بهذه القصة:

في عام ١٤٢٤هـ وفي مدينة الرسول الأعظم ﷺ التقيت بآية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني ولم يكن قد طرح مرجعيته آنذاك والشيخ السبحاني كما هو معروف موسوعة في التأليف في مختلف العلوم أيضًا وقد جلست معه في الحرم النبوي الشريف ثلاث مرات، توجت بأن أعطاني كتابه الموسوم (المحصول في علم الفقه) وطلب مني تسليمه للشيخ الفضلي وقال لي: بلغه سلامي وقل له ليتلطف عليّ ويقول رأيه في الكتاب هل هو صالح للتدريس أو لا .. هكذا هي مكان العالم بين العلماء. وليس هو فقط - الشيخ السبحاني - بل الكثير هنا كان ممن يرغب ويتمنى أن يقدم له الدكتور الفضلي مقدمة لكتابه، ومما يؤسفني أنني لم أتمكن من ذلك مع أنها كانت أميئتي.

فالسalam عليك يا فضلي يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيًّا .. أذكرني عند ربك.

الشيخ الفضلي وزبدة الحقب - مجلة الوعي

الأستاذ بدر شبيب الشبيب

في بانيته الشهيرة في فتح عمورية يقول أبو تمام:

حَتَّى إِذَا مَحَّضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَحَّضَ الْبَحِيلَةَ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ

لو قال أبو تمام هذا البيت في زماننا الراهن لشنَّ عليه البعض من أصحاب التفكير الضحل حملة ضارية في مختلف وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي متهمين إياه بالعلمانية والليبرالية لصورة التشبيه الموجودة في البيت. ولكنه قاله ومضى قبل أن يُدرك زمن التكفير ومصادرة التفكير باسم الدين من قِبَل من لا يفقه من الدين شيئاً.

حضرني هذا البيت بقوة فور سماعي نبأ رحيل الشيخ الفقيه الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله للعلاقة الوثيقة في ذهني بين الراحل الكبير وبين «زبدة الحقب». فقد كان الشيخ بحق زبدة الحقب بما عُرف عنه من علم موسوعي غزير وعمل منهجي دقيق في الكتابة والتأليف وأخلاق سامية في تواضع جم. وكان زبدة الحقب حين جمع بين الحوزة والجامعة، فأخرج من تراوجها مؤلفاته الرصينة ذات الجينات المتميزة.

ولأنه كان زبدة الحقب، فقد ركز في تأليفه على استخراج الزبدة من كل

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

موضوع كتب فيه. وفي العناوين التالية شاهد من أهلها: مختصر النحو، مختصر الصرف، تلخيص العروض، خلاصة علم الكلام، خلاصة المنطق، خلاصة الحكمة الإلهية، الموجز في علم التجويد.

وحتى الكتب الأخرى التي لم تكن صريحة العنوان في زُبدِيتها، كانت بكل تأكيد زُبدية المضمون. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: أصول البحث، تاريخ التشريع الإسلامي، الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، أصول الحديث، أصول علم الرجال، مبادئ علم الفقه،...

الراسخون في الكتابة وشؤونها يدركون صعوبة، بل ربما استحالة الجمع بين التبسيط والاختصار والعمق، إذ غالبًا ما يكون أحدها على حساب أخيه أو أخويه. أما عند الشيخ الفضي فالأمر في غاية الإمكان، بل هو فنه الذي يتقنه إتقانًا فريدًا؛ فكتبه جميعها تمثل النموذج الرفيع للكتابة السهلة الممتعة، والتي تذهب في العمق بعيدًا، وتتعد في ذات الوقت عن الإغلاق والتعقيد. يقول في مقدمة كتابه «خلاصة الحكمة الإلهية»: «فبين يديّ القارئ الكريم الحلقة الرابعة والأخيرة من مجموعة المعارف العقلية التي تضم الحلقات التالية:

- التربية الدينية
- علم المنطق
- علم الكلام
- الحكمة الإلهية

وقد حاولت قدر الطاقة أن تأتي موضوعاتها بيّنة التعبير واضحة المعنى، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت لذلك. وهي - أخيرًا - لا تعدو كونها محالة متواضعة آملًا أن تحقق القصد، إنه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية».

هذه المقدمة على قصرها تبين اهتمامه بالعبارة والمعنى الواضحين، كما تكشف

عن تواضعه الكبير الذي لا يرى فيما يقدم من أعمال جليلة سوى محاولات متواضعة حسب تعبيره. فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الإشارة إلى أنه «محاولة متواضعة»، يطلب من أهل الاختصاص فيها التصويب والتصحيح. ويقول في مقدمة كتابه «الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية»: «ليس هذا الكتاب إلا محاولة متواضعة أضيفها إلى المحاولتين السابقتين، «يقصد كتاب مبادئ أصول الفقه وكتاب دروس في أصول فقه الإمامية» راجياً أن أجد من المعنيين بأمثال هذه الدراسات ما يصحح من أخطاء الكتاب».

أمر آخر يهتم به مقدمات كتبه يركز فيه على غايته الشريفة من تأليفاته، فالله تعالى «ولي التوفيق وهو الغاية» كما يهتم دائماً. ومما لا شك فيه أن إخلاصه لهذه الغاية هو سر توفيقه للإنتاج الغزير المتنوع الذي غطى حقولاً شتى من المعارف يجمعها ناظم واحد يتمثل في الرغبة الصادقة في تجديد المناهج الحوزوية وتقريبها لتكون «في متناول يد المثقف العام أيضاً».

إن الشيخ الفضلي مدرسة رائدة في مجال الكتابة العلمية الحوزوية التخصصية، ينبغي العمل على إبراز معالمها وكشف أساليبها وفتوحاتها، لتكون نموذجاً يحتذى ومنهجاً يُستَرشد بهديه.

آية الله العلامة الفضلي.. لغة الفقه والقانون

الأستاذ باقر الرستم، الطرف - الأحساء

بسم الله الرحمن الرحيم.. والحمد لله على قضائه.. ونسأله الصبر والعوض.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. يوم على آل الرسول عظيم..

عالمٌ شغل موقعاً لم يزاخه أحدٌ فيه أو عليه، ولا نرى في الأمد القريب وريثاً بحجمه وبحجم طموحه ومثابرته الدؤوبة يأتي من بعده ليملاً مكانه..

عالمٌ ثلم - بحقٍ - في الإسلام ثلماً، لا يسدها شيء.

فصبراً على بلائك يا باري النسمات.. ولا راد لقضائك.. جليل المصاب أورث اللسان بعد ذلك العنفوان صمتاً.. حيث أخرسه الدهول.. فانشغلتُ بذهولي أمد النظر بلا قصدٍ هنا وهناك.. قد جثمت على صدري تداعيات الذكرى.. فألمني المشهد فوق آلام الرحيل.

أقف الآن وما كان يخطر ببالي أن أقف مؤبناً أو بالكِ لأستاذٍ ومعلمٍ ومربٍ لا يفارق مخيالي مجلسه ومجالسته وأنسه ومؤانسته.. ولكننا أمام سنة الله في خلقه.. فغداً

سيقف أيضًا صالح جيرتي فيؤبني.. فالأمر لله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هنا أفق بين يدي أستاذي.. ومعلمي.. ورائد جيلي وملهمه على مستوى الكتابة والبناء التربوي في بلدي ومنطقة الخليج في العقود الثلاثة الأخيرة.. وعندما أقول أستاذي فهو بحق أستاذي.. وهو بحق معلمي.. والمربي الذي استلهمت منه معنى الاستماع للآخر واحترامه.. معنى تقدير منجز الآخرين، وتقليل ما أنجزه تدينًا، ولثلا يغلبني هواي، فيجعلني أشعر ألا منجز لغيري.. قد لا أكون جديرًا بأن أنسب نفسي له، ولكنه ما كان يتضجر من ذلك.. فحق لي أن أفخر بذلك.. تلك ثمرة عشرين عامًا من العلاقة والمودة.. ليكون كتابي الذي كان ابن محاضرة في (منتدى السهلة الأدبي ببلدة الطرف - الأحساء) قبل عدة سنوات محل ثنائه وشكره.

كنا نتلقف المعرفة من مصادر شتى.. فنقف بين يديه لنقترف إثم الاعتداد بالنفس ونحن ما زلنا فرائخًا.. فيحذب علينا، ليشعرنا أننا أخوته.. شركاؤه في الفكر والبناء.. بعضنا لا يستسلم لتلك الأبوة الحانية.. فيذهب ليلملي معرفة.. فيكتشف أن ذلك الاعتداد كان حجابًا منعه ليفهم تلك الأبوة ومنهجها في احتضان الطامحين.. بناء مستقبلهم.. أبوة تدفعك دفعًا أن تكون صديقًا.. وأستاذية تدفعك دفعًا أن تكون مشاركًا.. عندها لا تشعر أنك أمام عملاق بينكما مراحل وقابلية وهمة وطموح واستشراف للمستقبل.. لو خطرت ببالك لحظتئذ لشغلتك أن تطمح إلى مقامه أو أن تكون مثله.

فكيف بالأم الغربة والفراق والعزلة سنين طوال؟!..

قبل عدة سنين أتمروا في سيهات حيث مثواه الآن وأسموه تكريًا.. فبكيئت؛ لأنه تحول إلى محفل للذكريات.. يسردها المشاركون، هم أبطائها!!.. أو قل هو الثناء على الذات وتزكية النفس!! رأيت بالأمس في محفل التشيع حشودًا هائلة غص بها المكان.. وسمعت عبارات وازنة عن أمة في رجل.. لأتساءل.. أين هذه الأمة عن

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

هذا الرجل؟!!

أم أننا اعتدنا أن نمدح العاملين عندما يسكتهم الموت؟!!

لا نتحملهم أحياء؛ لأنهم يقولون لنا: «هذا عذبُ فراتٍ سائغٌ شرابه، وهذا ملح أجاج».. نريد منهم أن يأخذوا الحُرز ويقرعوا القرعة لنا.. ليكون الدين فقط في تلك الحدود.. ونكون نحن مصداق «الناس عبيد الدنيا، والدين لعقُّ على ألسنتهم...».

ولو كان ذلك الجزع في حدود أولئك الناس أمثالي فقط لقلتُ: أنى لنا أن نغير ونحن دوننا يريد.. ولكن عشرات الحوزويين الذين قصدهم وقصد النهوض بهم من خلال العشرات من كتبه.. ولو اجتمعوا إلى قصده لصنعوا بمعيته ما ينشدون.. ولكنهم لا يتحملون الغربة والهمز واللمز والنبز مثله.. فركنوا إلى الذين ظلموه.. لا لرفه العيش، ولا في رضئ عن الحال.

أبكيك أبا عماد.. لأنني عشتُ منشودك وهو منشودي أيضًا.. وجرحك.. وحتى أنينك منهم.. فوا أسفاه أن يكون مؤبنوه هم هاجروه.. وأن يكون المعني بشفقتة وعناثه سنوات طويلة من الجهاد العلمي هو من هوّن قيمته وقيمة عطائه.. فأنى لهم العلياء، وقد أخلدوا إلى الأرض، وإلى رضئ ما تشتهي أنفسهم.

ولأنني أعرفك.. وأشعر بك.. سأطوي عن ذلك كشحًا.. وسأعتبر الموت صاعقًا يعيدني إليك بتلك الذكريات الجميلة.. والأمانى الطموحة.. من خلال أسفارك لأقرأك منجزًا ومبدعًا..

ولكن أين ذلك الإنجاز وما مداه ليكون إبداعًا فريدًا؟!..!

هو هنا ما أريد قراءته.. شيخنا الأستاذ العلامة الفضلي ابن الحوزة.. وعاش ألم

المناهج المثقلة بمشاكل التعقيد واستلذاذ البعض بالسنين الطوال في ردهات الدراسة.. قرأ سلبية هذه الظاهرة وتوصل إلى أصل المشكلة بمعية أساتذة عظام كالمظفر والصدر وتقي الحكيم ليقوموا بإسهامة نوعية في صوغ المناهج التي تنسجم ومشروع الإنجاز والإبداع.. إلا أن العلامة الفضلي تجاوز هذا الهاجس في عطاءاته ليشغله هاجس خطاب الحوزة في حراكين مزدوجين:

الأول: مكافحة المنطق القائل: نظم الحوزة في عدم نظمها بالعمل الجاد على نظمها، فكانت كلية متتدى النشر.. وكان المنطق والأصول للمظفر والحلقات للشهيد الصدر والأصول المقارن للسيد محمد تقي الحكيم.. أما العلامة الفضلي فكان عليه مراجعة المنجز، وإنجاز ما تبقى، ولذلك لم يواصل ذلك المشروع سواه.

كان الهدف هو اختزال ذلك الترهل في الدراسة والتعليم، ليبقى في حدود الإمكان والقابلية السهلة.. فالجراح يتم وضع مثل الإمام الخميني بين يديه ليشق لحمه بمشرطه ثم يستأصل الخطر ثم يخيظه من جديد ليعيد الإمام الخميني بروح جديدة وبصحة أفضل.. فهل هناك أكبر من هذا الخطر؟!..

فهل يطوي ذلك الجراح ثلاثين عامًا من عمره لعمل تلك الجراحة الخطيرة جدًا للإمام وما يهدد مستقبل الأمة؟!.. عندما نرى طبيب الإمام شابًا فقطعًا سنقول بأنه لم يقطع هذا الطبيب ثلاثين عامًا فقط دراسة.. فيما المجتهد المتعارف عليه في الحوزة لا يتجاوز دراسة مناهج درجوا عليها لعشرات السنين وهي لا تتجاوز فقه الأحوال الشخصية.. فهل هي بحق تحتاج إلى ثلاثين عامًا من الدراسة ليصبح طالبها مجتهدًا.. طبعًا ما أقوله ليس دقيقًا بشأن الثلاثين عامًا وإنما أقصد الكناية عن السنوات الطوال التي يقضيها الطالب ليصبح مجتهدًا..

مراجعات العلامة المظفر والصدر والفضلي وتقي الحكيم ومغنية أوصلتهم أن السبب وراء ذلك هو التعقيد المزدوج في المفردة والجملية وتركيبهما، ليوغزه الفضلي

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ذلك إلى أن تطور علم الأصول كان على يد الفلاسفة والمتكلمين.

والظاهرة الأخرى قوة الاتجاه الساعي إلى محاربة أي خطوة إصلاحية تعمل لرفع ذلك التعقيد.

كانت مساعي الفضلي والصدر والمظفر وتقي الحكيم ومغنية كبيرة جدًا على رغم العقبات الكأداء في هذا السبيل.. إلا أن فاعليتها في العقل الحوزوي لم تكن بمستوى تلك الإنجازات الجبارة والإبداعات النوعية.

جهد الشيخ كما قلنا تميز بأنه جعل مخاوف المظفر والصدر وتقي الحكيم ومغنية التي قللت من قيمتها نوعًا ما وراء ظهره.. بالرغم من تمتع مغنية بجرأة صاعقة.. قد تفوق جرأة شيخنا الفضلي..

إلا أن للإنجاز داخل النجف طعم خاص.. بالرغم من أن فقه الصادق وعلم الأصول يدخل في ذلك الاتجاه.. قراءة شيخنا الفضلي تتجاوز أولئك المبدعين.. وذلك أن مشروعهم هو المنهجية المقننة وذات الأمد المقروء.. فيما هو يرى أن تلك الخطوات تمهيدية أو خاصة لتلك المرحلة..

الحاجة أن يكون السعي في كل الاتجاهات لعصرنة المنهج واللغة والخطاب، مع الحفاظ على أصالة المشروع وعمق المادة وشمولية الحراك.

ولذلك فهو - على ما يبدو - لم يكن متعجلًا في تبنيها والتزامها كمشروع وخطابٍ وكمنهج.. وإنما يقدمها، بافتراض أن هوية الطالب الحوزوي الجديد لم يعد كالسابق، نظرًا إلى أن شروط القبول أصبحت أكثر تقدمًا، كما أن البقاء فيها أصبحت أكثر تقدمًا..

الثاني: في ظل الهوية الضائعة للمدارس الإسلامية في تقديم فقهٍ للعالم غير

القسم الثاني: كتابات الوفاء

الإسلامي، وعمل الإعلام الغربي في ضرب تلك الهوية بالإشارة إلى الغوغائيين والجهلة، وفقه الصبية الذي يتحدث عن رضاع الكبير وجهاد المناكحة، وغرق الكثيرين وبغوغائية مدمرة فيما يسمى بـ «الحيل الشرعية».

تقدم العلامة الفضلي ليقدم الفقه والأصول بمنطق القانون والتشريع المعاصر، ليقراءه الآخر بلغته الخاصة به، والتي تعتمد القراءة القانونية الصرفة.. بتلك الخطوة الجبارة تمكن من أن يقدم الفقه وأصوله بما يقرأه هو كفقيهٍ وكمثقفٍ وكإنسانٍ على أنه فقه الإنسان لنظم حياة كريمة ومستقرة ومنجزة بدلاً من أن يكون فقه الموت والغوغاء والديكتاتورية والعزلة.

حيث أنهمك الفقه حالات الشذوذ هذه في تقديمه للناس في الداخل والخارج.. فمن هنا تقرأ فقه الموت وجواز قتل تسعة ملايين من الناس لإسعاد ثمانية عشر مليون إنساناً..!

وهناك تقرأ فقه الاستبداد والديكتاتورية والخنوع طاعة للإمام.. وثالثٌ أهلك الحرث والنسل بفقه المصالح المرسلة.. ورابعٌ أدخل الناس في عزلة بفقه سد الذرائع ودرء المفاسد بالمصالح.

والسلام عليكم ورحمة الله..

كلمات عن الفضلي

الشيخ حسين البيات

إن العمر المبارك لسماحة آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي كانت مليئة بالمفاخر العلمية والتربوية من العطاء الفكري الجزيل وتربية النشوء على الارتباط بالله ديناً وعقيدة وخلقاً. وكان هو الرمز الأكبر لتلك الصورة الناصعة فعندما سادت الساحة الارتباطات الحقيقية بالدين بعد فترة جزر طويلة وكانت عملية التربية الهادفة تواجه شتى المصاعب فكان سماحته الأقوى على توطيد معنى الجهاد الفكري والتربوي لأجل صنع ثقافة علمية عملية قوية.

كنا في ريعان الشباب نواجه مصاعب جمّة لتفهم حقيقة الدين الإسلامي والصراع مع الشيوعية والرأسمالية وكيف سيقوم بإدارة المجتمع وكيف يمكن لطالب العلم أن يكون فاعلاً ونشطاً في بناء النفسية والذهنية الشبابية، ولاشك أن خبرة الشيخ وكفائته وعلمه وارتباط ثلثة مثقفة به، جعلت منه سباقاً إلى إدارة تلك النفسيات وفتح آفاقها وعقولها وأبعادها عن الصراعات المختلفة.

إن انفتاحه الفكري وثقافته الثرية وكفائته العلمية وخلقته العالي جعل منه شخصية محبوبة وقريبة من النخب، والتشجيع على العمل المخلص، والاقتراب من الساحة الاجتماعية المختلفة لما امتاز به من بساطة في النفس والاهتمام بالتخصص

القسم الثاني: كتابات الوفاء

والكفاءة. لم يكن يصعب عليه استنارة أصحاب الخبرة والرأي في مجلسه، لتوضيح الفكرة للحاضرين من زواره ولم يكن يرى في التخصص والعلم إلا طريقاً عملياً لمعرفة حقيقة الأمر.

بل كنا نستلهم منه المعرفة ومن آرائه وتحليلاته حقائق الأمور، وفي كثير من المشاكل الاجتماعية والقضايا الصعبة، كان الأقدر على التحليل والتعليم والتوجيه سنوات مלאها العطاء الفكري والتربوي، نستمع إليك ونستضيء بفيء علمك ونرى الحقائق من خلال تحليلك وتوجيهك فكنت الأعلى رأياً والأقدر تواضعاً فبنيت فينا حب الإسلام وسلامة النفس وروح العطاء. سنوات مرت في مرضه وانقطاعه عن الساحة العلمية والاجتماعية إلا أنه بقي حياً بنقائه وعطائه. نعم تشرق الدنيا برائحتك العطرة ولها فيك روح العطاء والسمو. فرحم الله شيخنا الفضلي وألهم ذويه وأسرتهم وجميع محبيه الصبر والسلوان وعندك نحتسبه يا رب العالمين.

الشيخ الفضلي.. معين لا يغور

الأستاذ علي الأصيل - القطيف

نَزَرُ هو عدد اللقاءات التي جمعتني بساحة العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي (رض)، فقبل ما يقرب من عقدين من الزمن، كان لي أول لقاء معه في منزله بدارة الغريين بالدمام، إذ كانت بداية معرفتي بساحته من خلال اطلاعي على بعض مؤلفاته اللغوية، ومن بعدها كتابه (تحقيق التراث)، حيث راق لي فكرة تعلّم تحقيق المخطوطات بإشراف مباشر منه نظريّةً وتطبيقاً.

ولمّا لم يكن لي سابق معرفة شخصية بساحته، عمدت إلى تسطير رسالة قصيرة أعرّف فيها بنفسي، ثم بيان رغبتني في تعلّم مبادئ تحقيق المخطوطات، أوصلها مشكوراً لساحته، نجله الأستاذ/ معاد. وهكذا تمّ أول لقاء لي مع ساحته، حيث استقبلني مرحّباً ومشجّعاً ومباركاً إقدامي على السير في هذا المضمار، مؤكّداً ضرورة توفّر الرغبة والتزام تحقيق المخطوط، فبدونها يُفضي عمل المحقّق إلى تحقيق هامشيٍّ غير دقيق؛ فههدف التحقيق لا يكمن في نشر المخطوط، أو لنيل درجة علميّة فحسب، وإنّما يهدف إلى إحياء التراث ونشره للإفادة منه، وتعريف الأجيال الجديدة بها وصل إليه أسلافهم من مستوى علميٍّ تنحني له الرؤوس تقديراً وإجلالاً.

وبعد أن أتحفني بشيءٍ من ذكرياته الجميلة يوم كان يدرّس مادة تحقيق

المخطوطات في مرحلة الماجستير، وبعدها يوم كان يُدرّسها في قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، إضافة إلى تجربته في تحقيق عددٍ من كتب التراث، ذكرياتٍ أراد من خلالها إرشادي وتوجيهي إلى الصفات التي يجب أن يتحلّى بها من يسلك هذا الطريق فيكون متقناً لعمله، كتحصيل قدرٍ معيّن من العلوم المساعدة في التحقيق، وكذلك ضرورة الاطلاع على أعمال المحققين السابقين للإفادة من تجاربهم وتلافي أغلطهم، مستشهداً- سماحته- ببعض ما أسعفته ذاكرته من مواقف مرّ بها مع أستاذه وتلامذته، كانت لي دروساً عملية أفدت منها في عملي الوحيد، وفي تدوين ما عنّ لي- بعد ذلك- من ملحوظات في أثناء مطالعتي للكتب المحقّقة.

ولما عُرِفَ عن سماحته من همّة ونشاط، لم يشأ تأجيل الشروع في تقديم الدّرس النظريّ إلى جلسة قادمة، فتناول قصاصات ورقية صغيرة كانت تتوق إلى تزيين فضائها بمداد قلمه الذي ظلّ معانقاً أنامل يده المعطاء مدّة نصف قرنٍ من الزمان أو تنوف قليلاً، فكتب فيها بخطّه الجميل المميّز بقلم الرّصاص، الخطوات الأوليّة التي يحسُنُ بالمحقّق اتّباعها، بدءاً بتفريغ المخطوط كلّه في ملفّ خاصّ، مع مراعاة اعتماد الرسم الإملائي الحديث لمفرداته، مروراً بعمل قائمة مستقلة بالمفردات اللغوية والمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى توضيح، وقائمة أخرى بالنصوص المقتبسة وإسنادها لقائلها، وثالثة بمظانّ تعليقات المحقّق الخاصّة. ثم انتهى بكتابة المقدّمة التي يجب أن يذكر فيها المحقّق دواعي اختياره للمخطوط وبيان منهجية العمل فيه، وكذا الخاتمة التي تتضمّن سرد النتائج والفوائد التي تمخّضت عن عمله.

بعد ذلك، أبدت رغبتني في أن يزودني بمخطوط أنفذ فيه الخطوات المرسومة، فأرشدني إلى مخاطبة بعض الإخوة الذين يُتوسّم فيهم حيازة بعض المخطوطات، وكان ذلك كذلك، إذ زودني أحد الأصدقاء الأعزاء بنسخة مصوّرة لمخطوط يحوي تفسير أحد أجزاء القرآن الكريم، لأحد المفسّرين. احتضنتُ الجزء المذكور وأسرعت به إلى سماحة الشيخ، طالباً إعطائي الصّوء الأخضر للبدء في العمل، إلا أنه اقترح عليّ التخلّي أو تأجيل البدء في هذا المخطوط؛ نظراً لكبر حجمه أولاً، ثمّ لأنّه من

الكتب التي حُققت من قبل آخرين، غير مرّة.

عاودت البحث مرّة أخرى عن مخطوطٍ آخر أصغر حجماً؛ مستهلكاً زمنًا غير قصير باتصالات متعدّدة من هنا وثمّ، دون جدوى، فكذتُ أصرفُ النّظر ولمّا أبدأ بعدُ، فتذكّرتُ توجيه سماحته بأهميّة التحلّي بالصّبر من خلال سرده للذّكريات، فقد اضطرّ - هو - للسّفر إلى غير بلد، مرّاتٍ ومرّاتٍ؛ بغرض الحصول على نسخة من مخطوط، إلى أن يسّر الله لي أمر الحصول على نسخة من رسالة صغيرة لأحد العلماء الأفاضل.

وكان اللقاء الثالث الذي جمعني بسماحته. سلّمته المخطوط الصغير، فتناوله مستبشراً وحامداً الله سبحانه وتعالى أن خطّه واضح، وبذلك وقرّ عليّ متاعب القراءة الصحيحة. ثم راح يُرشدني إلى الخطوتين الأولى والثانية. حاولت - قدر طاقتي - تنفيذهما بأفضل صورة ممكنة، وعرضت نتيجة عملي على سماحته، فاستحسنه، مُصوّباً ما ابتعد عن النّجعة، ومرشداً إلى معاودة البحث والتأكد من سلامة بعض المفردات واختيار ما يكون منسجماً مع السّياق الذي وردت فيه، فأغلاط التّساخ غير قليلة، وما يبدو للمحقّق أنه غلط لأوّل وهلة قد يكون الصّواب عينه.

فالمفردات التي كان يوظّفها العلماء الأوائل في نسج سطور أسفارهم، كانت أقرب إلى ما يُطلق عليه بعض المعاصرين باللّغة المعجميّة الصّرف، وهم بذلك يعيبون على من يوظّفها في الكتابات الحديثة؛ بل لا يتردّد بعضهم الآخر في صياغة ونشر عبارات لتكون موضع تندّر وتفكّه. لذلك وكّد سماحته أهميّة التّأني وعدم الإسراع في الحكم بصواب أو خطأ مفردةٍ ما إلا بعد تقليبها على عدّة أوجه، وكان ذلك درساً مفيداً أضاف لي الكثير.

إنّ استعمال الكاتب لمفردات يدور كروورها في نصوص تراثنا الدّيني بأنماطه،

وفيهما تضحج به متون تراثنا الأدبي والتاريخي الجَمِّ بتنوعه، لا غضاضة فيه، وإنما يُعدّ سِمَةً إيجابية تَشِي بارتباط الكاتب واعتزازه بلغة تراثه المدوّن الفخيم، وكذا بسعة اطلاعه على مخزونه الثرّ، ولا يعني ذلك أني أدعو إلى الكتابة بلغةٍ مقعّرة يصعب فهمها، أو أني أنكرُ تكاثر واستعمال مفردات جديدة تُثري معجم لغتنا العربية الشريفة؛ نتيجة التطوّر الطبيعي للمجتمعات البشرية وتفاعلها مع الحضارات الأخرى، لا هذا ولا ذاك، فذلك أمر خارج حريم النزاع.

كان مني ذلكم الاستطراد لما يلحظه المتأمل في مصنّفات سماحته لأسلوب كتابته السهل الممتنع، بشهادة جمع من أخدانه ومجايليه، فهو يجمع بين مفردات حديثة في أغلب سياق الحديث، مفرداتٍ تتوزّع بين ما هو كثير الدوران في السنة وصحائف الكتاب، وبين ما هو صحيح الاستعمال ونادره، وكأنه بهذا الأسلوب يحثّ القارئ على أن يُضيف لمعجمه اللغوي مادةً جديدة أصيلة النّجار، لا تُدسّسها رطانة العجمة وركاكة الأسلوب.

ولا يكتفي - سماحته - بما أشرتُ إليه، بل يفجؤنا - بما عرّف عنه من نهمٍ قرائي - بمفردات أو عبارات، تتمظهر في تناصّ مع ذيل آية قرآنية كريمة، أو تضمين مقولة دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، أو تصيّد المستعذب من ضروب الإنشاء: نثرًا وقريضًا وأمثالًا وحكمًا، فيطعم بها حديثه بأسلوب لا يشعر القارئ الفطن بأنها مقحمةٌ عنوةً، فتُحدثُ برنينها هزةً تأخذ بلبّ قارئها، فتغلّف كيانه نشوة عارمة، باعثها ذلكم السحر الحلال الذي استودعه الله سبحانه وتعالى في هيولى لغةٍ إذا وقعت على الأسماع كانت لنا بردًا على الأكباد.

أختم سطوري هذه بالعودة إلى ما كنت أودّ تسجيله هنا، وفاءً وعرافًا لما قدّمه سماحته ﷺ لي من علم ومعرفة نظريين، وكذلك تذليل كافة الصعوبات التي اعترضت طريقي، فلم يَضُنَّ عليّ بكلمات التّشجيع والتعزيز في مواطن الاستحسان، والإرشاد والتوجيه بروح أبويّة عطوف، إلى مواطن الخلل والضعف، وما كان ذلك

خاصًا بي وحدي، لكنه ديدنه مع أفراد كل شريحة اجتماعية تعامل معها، وسيبقى المنصفُ منهم يُثني على صنيعه الجميل ثناء الزَّهرِ على القَطْرِ، نظيرَ ما رَشَحَ من فِكْرِهِ المتوقِّدِ وقلمه السَّيَّالِ وعزيمته الماضية، في كلِّ ما يمكن أن يساهم في خدمة الدِّين والمذهب والأُمَّة، ناشرين أكفَّ الصُّراعة والتذللِّ بأن يرحمه الله برحمته الواسعة ويسكنه الفسيح من جنانه، أمين ربِّ العالمين.

الشيخ عبد الهادي الفضلي من المهد إلى اللحد

الأستاذ مازن مهدي الشماسي

ليس من السهل أن نرسم حياة شخص بمقام الدكتور الفضلي، هذا العمق الذي تعددت جوانبه، ليس من السهل اختزاله في بضع سطور أو كلمات، فهو السهل الممتنع.

الشيخ الفضلي بما يملك من امتداد تاريخي فهو يعتبر نتاج حضارتين مختلفتين حضارة الجزيرة العربية التي هاجر إليها متنقلاً من محطة إلى أخرى، عاش في جدة القريبة من مكة والمدينة، وعاش حياة وعمراً ليس بالقليل عاصره فيها الكثيرون ولكم نتمنى أن نجد أقلامهم تسعفنا عن تلك السيرة العطرة للدكتور الفضلي وهو في أوج عطائه العلمي والأكاديمي.

نعم الشيخ الفضلي الظاهرة الفريدة في هذا الوجود والتي تنتمي للعراق والأصالة أصالة النجف والفترة الذهبية للحوزة العلمية فيها ولد في البصرة من أم عراقية ووالد هاجر لطلب العلم حتى نال الدرجة العليا الاجتهاد اعتنى الوالد بابنه لما وجد فيه من نباهة واستعداد ذاتي.

تدرج الشيخ الفضلي في تلك الفترة الذهبية من حيث وفرة العلماء الذين ذاع سيطهم كالسيدين الخوئي والحكيم وغيرهم من كبار علماء الشيعة في العراق، في

تلك الفترة عاصر الشيخ هذا الجو المفعم بالعلم والتقوى والزهد والأخلاق والبعيد نوعاً ما عن مظاهر الحياة المتقدمة حيث كانت النجف مقفلة بشكل تام في وجه الحضارات المختلفة ولما تزل، تحصّل للشيخ من المعارف الدينية فقهاً وأصولاً وكلاماً وفلسفة، ولكن الشيخ بما يملك من حس معرفي وثقافي هو وجملة من الفقهاء المتنورين الذين كانوا ينظرون للحوزة على أنها كيان مغلق مختص بالدروس الحوزوية التقليدية البحتة، لم يكن هذا الوضع ليشبع الفضول العلمي للعلامة والفقهاء الفضلي نعم لقد تحصل للشيخ المستوى الفقهي ولكن ماذا بعد.

هل المستوى الفقهي كاف لمواكبة الحضارات الأخرى التي تنمو وتتطور وتزدهر بينما الحوزة النجفية غارقة في دهاليز الماضي دون أن يكون لها أي دور وفاعلية في أي من أحداث العراق والعالم وهذا ما لم يكن ليستسيغه هذا الشاب وجملة قرنائه، فكان لزاماً أن يطلعوا على الثقافات الأخرى ولكن في مدينة مغلقة جداً كالنجف كان هذا أمر من المستحيل أن تصله أيديهم، فكانوا يسترقون بعض المجلات القادمة من مصر الكنانة والتي كانت متقدمة على العراق في هذا المجال مما ساهم في توسيع دائرة الثقافة الغير حوزوية عند الشيخ الفضلي رحمته الله.

كانت المواجهة صعبة وتكاد تكون مستحيلة في تحويل النجف إلى ساحة فكر وثقافة عالمية هذا الطموح والذي كان شبيه بالحلم يكاد يتحقق على أيدي ثلة من الشباب المتحمس، وعلى رأسهم الشيخ الفضلي، ومن يعرف الشيخ عن قرب يستطيع أن يتصور العزيمة الهائلة التي يمتلكها الشيخ والصبر والتفاني في صنع مما من شأنه تطوير هذه الأمة، كان الشيخ يدرك تماماً أن الحوزة مجردة غير قادرة على مواكبة العصور اللاحقة بما لها من آليات ضعيفة سواء كان في المنهج العلمي أو الفكري، وهذا الحديث يطول جداً.

نعم تمكنت هذه الثلة المؤمنة والواعية والمثقفة والتي تحصنت بمبادئ الإسلام وبلغت الغاية منه اجتهاداً وتحصيلاً لمعارفه، تمكنت من اختراق ذلك الجدار الصلب

فكان أن أسست كلية الفقه والتي يعود لها الفضل الكبير في تغيير الفهم الديني وخلق صحوة رائدة ليس على مستوى العراق بل على مستوى العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حيث أن خريجي هذه الكلية انتشروا في كل أرجاء العالم وهم كوادر متعلمة وتحمل بصيرة في الدين والدنيا.

نعم ساهم الشيخ الفضلي وبكل قوة في تأسيس وتطوير هذا الصرح العلمي والذي لو قدر له أن يخلد فإنه سيخلد بذكر رموزه وعلى رأسهم الشيخ عبد الهادي الفضلي، وهنا فنحن لا نعلم مدى الألم والمصاعب التي قاساها الشيخ وعصبته في سبيل الحفاظ وتطوير هذا الصرح العلمي.

نعم تنقل الشيخ الفضلي بين بغداد والنجف حتى كانت الهجرة لجددة، وبعدها لمصر، ولنا أن نتصور مدى الألم الذي كابده الشيخ الصابر وهو يرحل عن كل ما بناه وساهم في إنشائه، انهار كل شيء وسقط العراق بيد القساة الذين لم يرحموه.

ولي هنا كلمة خاصة أرجو من أسرة الشيخ أن يبيحوني ذكرها، وهي: حينما قدم الدكتور الفضلي إلى لندن وكنت ملازمًا له لفترة وفي خلوته لمحتته وهو يبكي دمعاً غزيرًا على العراق حيث الظلم الكبير على الشعب العراقي، كانت عيونه تغرق بالدموع الطيبة والحنونة وهو الصبور على البلوى وهو الكاتم لأسرار العراق والمحافظ على أرواح الكثيرين كان قلبه الكبير يضج بالحسرى، نعم هو الدكتور الفضلي من رواد النهضة الحديثة في العراق كنتم العلامة العراق في قلبه جرحًا كشف الجزء اليسير منه حينما شعر أنه لو تكلم لن يضر أحدًا بكلامه.

كان الشيخ محبًا للشباب يتألم لآلامهم ويهتم لاهتمامهم، كان منزله في الدمام منارة للجميع كل من صاحبه كان له منزلة بقلبه لم يكن لينكر على سائل سؤالًا قط، كان يأخذك بمنطقه الدافئ والحنون، لم يكن فجًا ولا غليظًا كان الحلم سنته والعطف منواله، ولو قدر للشيخ أن يعطي أكثر لأعطى.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

رحمك الله من فقيد فقدناه وعزيز خسرناه، حقيقة لقد كنا نسمع أن فقد العالم ثلثة لا يسدها شيء، أدركنا ذلك بفقدك، رحمك الله بصبرك الكبير، وحبك لقيمة الإنسان لم نسمع منه غير المعروف، كان الشيخ عالماً حتى بلغ به علمه درجة أنه زهد في الحياة الدنيا.

فهو الكبير، ولكنه كان يتعايش مع الصغار حتى لنحسبه واحداً منا، وهو الفقيه حتى ليتواضع عند محضره الفقهاء، وهو المفكر والمتقف وإن مضيت تجده بحرًا غزيرًا وهامة كبيرة لا يضرها التجاهل ولا يخمسها الجرح، وبالرغم من كل التواضع والابتعاد عن الشهرة إلا أن مقام الشيخ الفعلي والحقيقي لا يدركه إلا المحبون والمخلصون له والعارفون بحقه.

رحمك الله شيخني الحبيب وجعل الجنة مثواك وحشرك مع محمد وآل محمد..

التراث الأحسائي في فكر العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي

الشيخ محمد علي الحرز

للدكتور والمفكر الإسلامي الكبير الشيخ عبد الهادي الفضلي آفاق فكرية متعددة، تجمع بين الماضي والحاضر، وتتطلع نحو المستقبل بعين الناقد البصير، وتتماه مع متغيرات العصر الدينية والفكرية والاجتماعية، مما جعل له حضورًا بارزًا لدى مختلف هذه التيارات، فهو واحد من الجميع، بل الجميع في واحد، ولعل من أكبر الأخطاء التي وقع فيها البعض هو محاولة تأطير الشيخ في شرنقته، وتحجيره في بوتقة ضيقة.

فهو الفقيه النجفي القح، وابن الحوزة البار بجميع همومها وقضاياها، فقد رحل عنها جسده، وبقي فكره وروحه محلقة تغرد هناك دائمًا، ترصد وتستشعر جميع ما يحدث.

وهو الفقيه المثقف الذي يواكب حركة الفكر بمدى وجزرها، حتى أغنى المكتبة الإسلامية بتراث ثر في مختلف الحقول الإسلامية والفكرية برؤاه المختلفة، وإن اتفق أو اختلف معه البعض، فهو في الفكر والرأي لا يجامل ولا يتوارى خلف أحد، وإن جلب ذلك عليه سخط ونقمة البعض.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وهو اللغوي المخضرم فجاب أعماقها، ودخل بحورها حتى عد من أعلامها وأبناء بجدتها، لكثرة ما صنف في أبعادها النحوية والصرفية والعروضية والتاريخية، فهو أبو النحو ورائده في هذه البلاد بلا منافس.

لهذا الحديث عن الدكتور العلامة الفضلي، هو الحديث عن مؤسسة ثقافية تركت بصمتها الواضحة في البحور الثقافية التي خاضتها، وهذا ليس بالغريب على رجل استطاع أن يتخطى بفكره من هم حوله، ويتجاوزهم رغم صمته وانكفائه على نفسه.

ومن بين تلك الحقول المعرفية التي كان للدكتور ريادة وتميز فيها، هو الجانب التراثي بشكل عام، و«التراث الأحسائي» بشكل خاص، البلد التي تعود إليها جذوره التاريخية، ومنها تفرع، الحاضر الغائب في حياته، فهي معشعشة في أعماقه، وإليها يستدير قلبه، حتى أصبح رغم نأيه المكاني عنها، أحد رموز التراث فيها من خلال عمله المنهجي لإحياء تراثها ومجدها العلمي، وإن كان بطريقة هادئة وسلسلة قد لا يلحظها البعض، وهنا سنحاول أن نبين البعد الأحسائي في حياة وفكر العلامة الدكتور الفضلي من خلال النقاط التالية:

□ تعريف الأحساء كحاضرة علمية

الأحساء من الحواضر العلمية الكبرى التي أنجبت عشرات العلماء والفقهاء، فهي تمتلك تراثاً علمياً غزيراً ينافس كبرى المراكز العلمية الشهيرة، فكان منها المحدث والمتكلم الشهير الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي (ت ٩٠٦هـ)، والعالم البارز والمتكلم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت ١٢٤١هـ)، والفقير الرجالي الشيخ عبد المحسن اللويحي (ت ١٢٤٥هـ)، والشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين (ت ١٢١٩هـ)، والسيد هاشم بن أحمد السلطان (ت ١٣٠٩هـ)، والشيخ محمد بن عبد الله العيثان (ت ١٣٣١هـ)، والسلسلة طويلة، إلا أن التهميش، وضعف الرصد لتراثها، وأعلامها في الفترات المتقدمة، جعلها عصبية على التأريخ، وما كتبه صاحب الأنوار، لا يفيها حقها.

ولكون الشيخ الفضلي من رموز الأحساء البارزين، ورواد الفكر فيها، كان خير من يوفيهما حقها إذا شحت المصادر أن تشيع الباحث النهم عن مكانتها، وموقعها بين الحواضر العلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، بأسلوب علمي يتناول أبعادها المختلفة.

لهذا لجأ إليه الدكتور السيد حسن الأمين لتناول مفردة (الأحساء) في موسوعته (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية).

فكان هذا البحث رغم قصره، وإيجازه مرجعاً أساسياً لكل من أراد أن يتناول الأحساء في كتابته.

فقد جمع فيه بين صدق المعلومة ودقتها، واختزال العبارة بعيداً عن الحشو والإطالة، كما أعطى لمحة تاريخية وجغرافية واقتصادية عن الأحساء جعل الجاهل بها يأخذ صورة شبه متكاملة، عن أهمية هذه البقعة، ومكانتها بين الأقطار العلمية عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وحول هذا البحث نجده يقول فيه بعد سنوات ليست بالقليلة في مقدمته لأعلام هجر: «وركزت فيه على أعلامها في الفقه والحطابة والشعر، والتزمت الاختصار على المهم والاختصار بذكر العدد الأقل، وبلغت عدة من ذكرتهم سبعة وخمسين علماً».

وخرجت بعد كتابة البحث وإعداده بالنتائج التالية:

١. إن الأحساء في قطاعها الديني الشيعي تمثل مركزاً من مراكز الدراسات الإسلامية (الحوزات العلمية).
٢. وهي بقطاعها السكاني الشيعي تمثل موطناً من مواطن التشيع في العالم الإسلامي.

٣. قلة وندرة البحوث والدراسات عن الأحساء بعامة، وعن الشيعة والتشيع فيها خاصة.

٤. صعوبة الوصول إلى المراجع العامة التي يمكن استقاء مادة البحث منها، وصعوبة جمع الشتات المبعثر فيها.

٥. عدم تفرقة الباحثين فيما كتبوا وفيما نسبوا، بين أهل مدينة هجر، وأهل مدينة الأحساء، ولعل ذلك لأنهم سحبوا اسم هجر على الأحساء التي قامت على أنقاضها، حتى أصبح هذا عرفاً أو ما يشبه العرف، أو لاعتبارهم أهل الأحساء امتداداً لأهل هجر^(١).

وهنا يتجلى الهاجس الذي يحمله العلامة الفضلي، للتراث الأحسائي، في الوقت الذي تحتل فيه مكانة عظيمة في صفوف المراكز الشيعية العلمية منها والسكانية، ثم جاء بعين الخبير والعارف ليتحدث عن تاريخها المغيّب، والصعوبات التي تواجه الباحث عند الخوض وسبر تاريخها المجيد.

□ نقده للطائفية في كتابة التاريخ

التاريخ أمانة، وهو سجل الشعوب وجذورهم، ومن يخوض فيه عليه أن يتحلى بالأمانة العلمية قد المستطاع وعدم التحيز لطرف على حساب طرف آخر، فالحقيقة وإن خفية لحقبة زمنية، فإنه لا بد أن يأتي الوقت الذي تكشف فيه الحقائق ويصحص الحق، لهذا على كل كاتب أن يراعي مسؤولية القلم.

نعم قد يؤرخ الكاتب لطائفته وابتاء مذهبه، وهذا أمر مشروع ويقره العقل، ولكن لا يعني هذا على حساب استنقاص من شأن الآخرين، وتهميشهم، ونبذهم بالنعوت التي تحجم من شأنهم، وتضعف من أمرهم، لأن هذا في نهاية الأمر سيعود عليه، ويكشف زيفه، ولو بعد حين.

(١) أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، السيد هاشم محمد الشخص، الطبعة الثالثة: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، مؤسسة الكوثر: قم المقدسة: ١/ ١٣ - ١٤.

ومن هؤلاء الكتاب الذين طغى في كتابتهم الحس الطائفي الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر في كتابه (تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد)، والكتاب في الجملة قيم ويحمل مادة علمية جيدة، ولكن إذا جاء ذكر الشيعة وما يرتبط بهم فإنه يتخلى عن نهجه العلمي، ويبدأ بالغمز واللمز.

هنا العلامة الدكتور الفضلي، ممن حز في نفسه كلام العبد القادر فقال معاتباً وناقداً، في مقدمته لـ (مطلع البدرين): «.. غير شيء رأيت في كتاب من الكتب المذكورة هو كتاب (تحفة المستفيد) قدرت أن أذكره هنا خدمة للتاريخ والوطن، وهو أن مؤلفه الكريم الشيخ محمد آل عبد القادر عد شيعة الأحساء جميعهم من طبقة واحدة وهي طبقة الفلاحين، مع علمه لأنه يعيش مع الشيعة على هذه الأرض الطيبة ويعايشهم ويراهم ويسمع منهم وعنهم، ويقرأ لهم وعنهم، وفيهم العلماء والأدباء والخطباء وفيهم من هو بالمستوى العالي علماً أو أدباً أو خطابة، أقول: مع علمه هذا بأنهم ليسوا من طبقة واحدة وهي طبقة الفلاحين يقول ما قاله.

هذا هو الغريب والجديد لأن المنهج العلمي لا يغفر للباحث العالم استخدام مثل هذا الأسلوب غير العلمي وارتكاب مثل هذا الخطأ المقصود أسأله تعالى أن يغفر عنه ويغفر له»^(١).

ففي نقده تحلى الشيخ الفضلي بعدة أمور لعل من أبرزها، المحافظة على الأخلاق الإسلامية ومنهج أهل البيت عليهم السلام فلم يقابل الإساءة بمثلها، وإنما دعا له بالمغفرة، التأكيد على ضرورة أن يتحلى الباحث بالمنهج العلمي في كتابته، وألا يجعل لعواطفه تأثير في كتابته ومنهجه العلمي.

(١) مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، الحاج جواد بن حسين آل الشيخ علي آل رمضان الأحسائي، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ١ / ١٤ .

□ رصد المؤلفات الأحسائية

لعل من أول البحوث التي برزت على الساحة الأحسائية والتي تعنى برصد النتاج الأحسائي وحصر تراثه الماضي والمعاصر على مدى التاريخ الإسلامي، بمختلف اتجاهاتها الثقافية، هو البحث الذي نشره الدكتور الفضلي تحت عنوان: «فهرست مؤلفات الأحسائية» في مجلة (الموسم) الفصلية في عددها الخاص عن المنطقة (٩-١٠)، فكان لهذا العمل جمع شتات النتاج الفكري والأدبي والديني، والكشف عن الأقسام المعاصرة في المنطقة، ومن ثم خرجت الكتابات لتناول الموضوع بشكل أكمل وأشمل.

فهذا العمل وإن كان في ظاهره رصد مجرد، إلا أنه يكشف عن هم سابق استمر عشرات السنين، وتتبع في الكتب عن كل شاردة وواردة عن الكتاب والمخطوطات الأحسائية يرد ذكرها بين الكتب، كما يعرفنا عن مدى الحضور الأحسائي في فكر العلامة الفضلي.

□ تشجيع الكتاب وتحفيزهم

كتابة المقدمات من الدكتور الفضلي ظاهرة جديرة بالدراسة والتأمل، وهي حالة عامة لأبناء الأحساء وغيرها، إلا أن الأحساء وكتّابها كان لهم حظوة كبيرة بين هذه المقدمات، وهنا نلاحظ عليها ما يلي: أنها تشمل جميع المستويات الفكرية والأدبية، فإن من يأتون إليه من أجل التقديم فيهم الكاتب المتمرس، وصاحب الفكر، وفيهم المبتدئ الضعيف والذي في كتابته الكثير من الركاكة والضعف، ومع ذلك لم يكن الشيخ يرد أحداً أبداً.. نعم قد يعطيه بعض الملاحظات التي تصلح من شأنه الكتابي دون أن تجرح كبريائه ومشاعره، كما نجد أنها تتراوح بين الطويلة والمختصرة القصيرة، فهو يقدرها بحسب حجم ومكانة الجهد المقدم له، والملفت أنه قد يقدم للشخص أكثر من بحث وعمل دون ملل أو كلل، رغم انشغالاته وهمومه، ولكن يشعر أنه ينظر إلى مسألة التقديم قضية ورسالة جديرة بالاهتمام والعناية.

نعم كان ينظر إليها طريق هداية إلى عالم الكتابة والبحث، وأن الكاتب المقدم له يعتبرها شهادة ووسام، ومصدر فخر واعتزاز يدفعه إلى عمل وكتابة المزيد، وهو الهدف الذي رامه وراء خطوته تلك.

فالدكتور الفضلي قامة شاهقة تنظر إلى الأمور من علو، وببصيرة بعيدة المدى، تتلمس المستقبل البعيد، العارفة بالفكر والعلم وما يصنعه بأهله، والكتابة وبناء الأقلام، والأخذ بيد الصغار، ومساندة الكبار، هي رسالة، وليس مجرد أسطر يخطها قلمه.

□ تحقيق التراث

التحقيق .. من الأبعاد البحثية التي حازت نصيباً من اهتمام العلامة الفضلي في كتاباته، لما للكتابة القديمة من العمق حيناً، والتميز حيناً آخر، وقد يكون في تحقيقها هو حفظ للتراث من الضياع والاندثار، كما يتضمن العرفان بالجميل والشكر للأعلام السابقين لجهدهم المبذول لنا، فالفكر البشري يتطور من خلال مراحل تاريخية متعددة، وكل كتاب تراثي هو حلقة من تلك السلسلة.

وقد كان عمل الدكتور في هذا الجانب على بعدين:

- وضع الأسس لعلم التحقيق.
- تحقيق نماذج من التراث.

وفي البعد الأول سطر كتابه الرائع (أصول تحقيق التراث)، المطبوع سنة ١٤١٦هـ، وهو يعد من قمم الكتب التي كتبت في هذا الفن، ومرجع أساسي لكل من أراد أن يقتحم هذا العلم.

وفي البعد الآخر أحصى صاحب (أعلام هجر)، عشرة كتب تشكل عينات في التحقيق وقواعده، في الفقه والأصول واللغة والقرآنيات.

وهنا يتجلى أن العلامة الفضلي كان يحمل هم إحياء التراث الإسلامي بشكل عام، إلا أنه من بين هذا وذاك كان للأحساء نصيباً بين تحقیقاته التراثية، لإيمانه

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الراسخ بكفاءة أعلامها، وجدارتهم أن يصطفون مع رموز الفكر الإسلامي وكباره،
فقام بتحقيق الرسالة الصغيرة في حجمها الكبيرة في معناها (بداية الهداية في
التجويد) للفقهاء الشيخ عبد المحسن اللويهي الأحسائي (ت ١٢٤٥هـ).

□ إبراز مكانتها العلمية

كعادته العلامة الفضلي في البعد الأحسائي من حياته يحاول ألا يكون نسخة
مكررة لغيره خصوصاً في جانبها التراثي، والعلمي منه على وجه الخصوص، وإنما
الدخول في الطرق الضيقة منها، وواحدًا من هذه الجوانب تحديد موقعها من الحركة
العلمية الشيعية في مراكزها المتعددة.

فيقول في بحثه القيم والرائع الذي قدم به كتاب «أعلام هجر» لساحة السيد
هاشم الشخص، الجديرة بالتأمل، وهو يحاول أن يبين مكانة الأحساء بين المراكز
العلمية لدى العالم الشيعي ما نصه: «وقد رأيت أن أستعرض في تقديمي هذا التأريخ
الثقافي لمدرسة أهل البيت التي ينتمي إليها أعلام الكتاب (أعلام هجر)، إذ قد كفاني
باحثون سابقون الكتابة في تأريخها هجر أو الأحساء العام وجغرافيتها وما إليها،
ولأنه الحلقة في سلسلة تأريخ هذا البلد التي لم توف حقها من البحث.

كما رأيت أن أمهد لهذا بيان العوامل المساعدة في أن كانت منطقة الأحساء
موطناً حضارياً ومركزاً دراسياً.

وبعد أنتقل إلى الحديث عن مدرسة أهل البيت في نشأتها، ثم في انتشار مراكزها
الثقافية حتى وصولها إلى هذه البلاد.

ومن الطبيعي أن يكون العرض بعد هذا لأهم الظواهر الثقافية لهذا المركز
الثقافي الأحسائي»^(١).

(١) أعلام هجر، مصدر سابق ١ / ١٥.

وهي جوانب تشكل أهمية كبرى في تاريخ الأحساء، تعطيها موقعها العلمي بين المراكز العلمية الشهيرة، وقد تناولها شيخنا الفضلي بشيء من الإيجاز فاتحاً وممهداً الطريق، لمن يريد التوغل أكثر، بعد أن وضع يده على الطريق.

ومن وجهة نظر الدكتور الفضلي إن عوامل التجذر الثقافي في المنطقة بشكل عام يعود لعاملين^(١):

١. قدم السلالة البشرية الحضارية في هذه المنطقة.
٢. بكون دخول الدعوة الإسلامية إلى هذه المنطقة.

□ معالجة بعض قضايا التراث (الوقف أنموذجاً)

مع أن الوقف مسألة فقهية، متجددة جيلاً بعد جيل، إلا أن تبعاتها متعلقة بدرجة كبيرة بالتراث، إذ معظم الأوقاف هي أوقاف تعود إلى مئات وعشرات السنين مضت، وما تلاه من أوقاف في العصور المتأخرة لا يشكل إلا النزر اليسير منها، فكان للبعد الزمني بين زمن الوقف، وزمن إدارته ساهم لحدوث الكثير من التلاعب بها، وإبعادها عن مسارها، كما أنها تعد من همام المهتمين بالتراث، لما في الوقف من أبعاد تراثية كثيرة، ليس هنا مجال عرضها.

ولعل من أوضح الجهود التي تناولت الوقف الأحسائي وحاولت أن ترفع من شأنه على المستوى التحليلي أو التنظيري ما قام به العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي في الورقة المقدمة للندوة الرابعة من سلسلة الحوار بين المسلمين والتي بعنوان (مشكلات الوقف الإسلامي وسبل تنميته - الأحساء أنموذجاً)^(٢) مبيئاً خلالها أنواع الوقف الأحسائي، ولخص أهم المشكلات التي تعترض الوقف في المنطقة وهي:

(١) أعلام هجر، مصدر سابق ١ / ١٥.

(٢) مجلة الكلمة العدد ١٣، السنة الثالثة خريف ١٩٩٦م / ١٤١٧هـ، ص ٢٧.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

أولاً: اختلاس الأولياء الذين يعينون من قبل الفقيه المرجع.

ثانياً: إهمال الوقف من قبل أوليائه لأن محصولها لا يعطي ما يصرف عليها.

كما قام بعمل تصنيف لأنواع الوقف الأحسائي وعدد كل نوع منها وهي دراسة جديرة بالنظر.

وتكمن أهمية هذه الدراسة التي قام بها شيخنا الفضلي، أنها أول دراسة علمية تحاول معالجة مشكلة الوقف في الأحساء، وإعلان بوجود مشكلة حقيقية جديرة بالبحث ولفت النظر إليها، بعد أن ذكر إحصائية بعدد الأوقاف في الأحساء، وبعض اتجاهاتها.

كما في هذه الدراسة والمشاركة بها في مؤتمر إسلامي، هو إبراز للوقف الأحسائي، وأنه جدير بالدراسة ولفت النظر إليها من لدن الباحثين في المناطق المختلفة، هذا ناهيك عن بروز الحس الوطني لدى الدكتور وطنه الأحساء، وأهمية السعي لحل مشاكلها.

آية الله الفضلي: منارة أحسائية ثالثة في مجال الكتب والمؤلفين

د. محمد بن جواد الخرس

□ مقدمة

قد تنغمر الأحساء عن الحضور العالمي في مجال البحث والتأليف، لكن كما هو قدرها هذا، فقدرها أيضاً أن تنجب من فلذات كبدها علماء أجلاء تذكر العالم، بأنها على الرغم من رحمة العلمي الكبير درسًا وتدريسًا، إلا أن فيها من العلماء البحاثة من تضيق بهم دائرتها العلمية الرحبة، ولا يتسع لها غير العالم بشرقه وغربه، وقدرها أيضًا أن تكون هذه الفلذات، تباعد بها السنون لتكون على مدار كل قرنين إلى ثلاثة قرون تقريبًا، فقد كان في سالف أيامها الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي المولود في عام (٨٣٨ هـ - ١٤٣٣ م) والمتوفي ما بعد عام (٩٠٦ هـ - ١٥٠١ م)، ومن بعده الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المولود في عام (١١٦٦ هـ - ١٧٥٢ م) المتوفي عام (١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ م)، وهذا هو الشيخ الفضلي يودع الدنيا إلى مثواه الأخير في عام (١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م)، وقد كانت ولادته عام (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م) وبين هؤلاء الثلاثة قواسم مشتركة، ميزها العديد من العرب والعجم، بل وصدى أعمالهم أدركها العديد من الغرب بعد ذلك، فكل منهم ضاقت دائرة بلاده عن استيعاب طموحه وأفكاره وإبداعاته لتحضنها الفضاءات العالمية، مسجلة صوتًا أحسائيًا

جديرًا بالتقدير والاحترام، بل وتلح عليه في الطلب بطرح المزيد من المؤلفات والبحوث، وذلك ليس في ندرة من أمثالهم من الباحثين في أنحاء العالم، ولكن للموسوعية التي أدركتها عقولهم، واتسعت لها صدورهم، حتى بات العالم بأسره هما من همومهم، وللترايبية، والنزاهة، والتقوائية، والخلق الرفيع الذي يزواج بين العلم، والإنسانية والخلق الرفيع كفرد يرفض أن يعامل بأكثر مما يستحقه كإنسان.

لم تتح لي الفرصة أن أعيش تجربة الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي ولا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ولا أزعم أنني عشت تجربة الشيخ الفضي، ولكن من المؤكد أنني عشت بعضًا منها، ما جعلني أتحدث عنه بكل اطمئنان فيما سأدونه من مشاهدات عشتها، أو حديث أسرني به في بعض اللقاءات التي تكررت على مدار ثمانية عشر سنة تقريبًا، أو أحداث دارت من حوله، فرأيت كيف يتعاطاها ويتفاعل معها، أو مواقف صرحها لي من خالطوه واستفادوا من علمه وتجربته.

ترى من هم أولئك الثلاثة؟ ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي.

وبحكم اقترابي المحدود من تجربة الشيخ الفضي أرى من الملائم أن أطرح عدة تساؤلات سأجيب عليها، ومن المؤكد أن من المعاصرين أمثالي لديهم من المعلومات الجديرة بالتدوين والنشر، ودوري هنا هو تدوين مشاهداتي، على أمل أن تضاف إلى ما تم تدوينه بالفعل من خلال الكتب التي صدرت حول تجربته، وما سيدون لاحقًا، ما تشكل في مجموعها، صورة معبرة قريبة من واقعه نحفظها لجيلنا المعاصر، والقادم بإذن الله، وتساؤلاتي التي سأطرحها تدور هي: ما أبرز سماته التي جعلته يحظى بهذا القبول العالمي بين معاصريه؟ ولكونه حقق هذا الحضور أليس من المناسب استنساخ امتياز تجربته الكتابية في بعدها الفني كمهارات وآليات اعتمدها فوصل إلى ما وصل إليه؟ ولكن هل من الممكن تحقيق ذلك؟ وترى هل اقتصررت تجربة الشيخ الفضي في مجال الكتابة على العناية بنفسه؟ أم أن عشقه لعالم الكتاب والكتابة عزله عن الاهتمام بإنجازات الآخرين في مجال التأليف؟ أم على العكس من

ذلك؟ جعل المؤلفين جزءاً من دائرة اهتمامه ومنحهم من التقدير والتفرغ كما لو كانت كتبهم التي أنجزوها قد أفرغتها قريحته، فاحتفى بها ومنحها من الاهتمام الشيء الكثير، ولو كان ذلك على حساب وقته وصحته؟

وأخيراً بعد قراءة هؤلاء الأعلام الثلاثة، ترى ما هي المحاور التي جمعتهم فيما كتبوا، حتى صاروا أرقاماً عالمية، ومثلوا رحم الأحساء العلمي خارج وطنهم؟

هذه الأسئلة وغيرها سيتم الإجابة عليها في سطور هذا البحث، التي سأتعاطى مفرداتها بلغة مباشرة، لا أستطيع أن أغيب فيها مشاعري وأنا في أيام عزاء آية الله الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله رحمة الأبرار، كفاقد خسر الشيء الكثير برحيل هذه المفخرة النجفية الشيعية، لكن ماذا نقول؟ وريب المنون ذو غير، ولم يعودنا غير انثلام أوعية العلم عبر الزمان، أما إجابات تلك التساؤلات التي طرحتها ستكون عبر المباحث التالية:

- المبحث الأول: التعريف بالأعلام الثلاثة: ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي.
- المبحث الثاني: اهتمام الشيخ الفضلي بالتأليف، والمؤلفين.
- المبحث الثالث: مدى إمكانية استنساخ تجربة الشيخ الفضلي في البحث والتأليف
- المبحث الرابع: القواسم المشتركة التي جمعت ابن أبي جمهور وابن زين الدين والفضلي.

□ المبحث الأول: التعريف بالأعلام الثلاثة: ابن أبي جمهور، وابن زين الدين، والفضلي

١- آية الله الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي:

ابن أبي جمهور ليس غريباً على صفحات كتب الأحسائيين، فقد تمت ترجمته من

قبل العديد منهم، من أسبقها نشرًا ما سطره الشيخ الدكتور عبدالمهدي الفضلي في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: للسيد حسن الأمين، تحت مادة «أحساء»، وللشيخ موسى عبد الهادي بوخمسين كتاب بعنوان: «الشيخ ابن أبي جمهور: قدوة العلم والعمل»، وهو من بواكير الأعمال الأحسائية التي صدرت على هيئة كتب موسعة عن شخصيات علمائها، كما ترجمت له في كتابي «فقهاء الأحساء»، المنشور عام ١٤١٥هـ كفقيه أحسائي، وفي طور الإعداد ترجمة مفصلة من قبل السيد هاشم الشخص في مجلده الجديد لكتابه المعروف بـ «أعلام هجر»، كما أن الأمل الكبير في التعريف العملي بإنجازات الشيخ العلمية معقود على ناصية جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث، بحكم أنها مؤسسة متخصصة في مجال إحياء تراث أعلام الأحساء بشكل عام، وهي في مرحلتها الراهنة متفرغة لأعمال الشيخ ابن أبي جمهور بشكل خاص، لطباعة كتبه والتعريف بكل ما يتصل به من كتب دونها، وما كُتِب عنه من دراسات بشتى لغاتها.

ولكن في مقام التعريف بهذه الشخصية الهامة في المرحلة الراهنة، لم أجد ترجمة أخصر ولا أجمل منها على قصرها، كترجمة مكتوبة باللغة العربية، مترجمة عن اللغة الفارسية، قدمتها لي جمعية الشيخ ابن أبي جمهور المذكورة كبيانات لترجمة الشيخ، صدرت للباحث أحمد رضا رحيمي ريسه في مقالة بعنوان: «مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور» كتبها في طهران بتاريخ ٢٢ نوفمبر عام ٢٠٠٧م، وقد ذكر في مطلعها أنه لا داعي لتكرار الحديث عن حياته نظرًا لأن هذا الجانب تم إنجازه على يد البروفيسور «زايينه شميتكه» في كتاب صدر عام ١٣٧٩م، ونظرًا لجمال التفاعل مع هذه الشخصية الأحسائية التي جلبت إليها اهتمام علماء وكتاب من الغرب والشرق غير أحسائيين، ولم يجمعهم به غير الأُنس بجمال الإنجاز، والوفاء لابن أبي جمهور كعالم، عليه سأورد نصها بقلم رحيمي:

«ولد ابن أبي جمهور الأحسائي حوالي سنة (٨٣٨هـ - ١٤٣٣م) في منطقة الأحساء، في أسرة علمية، وأنهى دراسته التمهيديّة في مسقط رأسه، وتلمذ على يد

والده، توجه بعدها إلى النجف لإكمال الدراسة، فانتهل من فيض أساتذتها، ولا سيما أستاذه شرف الدين حسن بن عبد الكريم الفتال، وبعد فترة من اغترافه العلم من علماء النجف توجه إلى مكة وزيارة مدينة الرسول والبقيع، زار قبلها الشيخ علي بن هلال الجزائري، في منطقة كرك نوح، بغية الاستفادة منه، ومكث هناك شهرًا، توجه بعدها سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م للحج، عاد بعدها إلى مسقط رأسه لزيارة الأهل والأقارب، واتجه بعدها صوب العراق ثم إلى مشهد لزيارة مرقد الإمام علي بن موسى الرضا، وخلال توجهه إلى مشهد ألف رسالة (زاد المسافرين في أصول الدين)، ولقد جعل ابن أبي جمهور من مشهد منطلقًا لتدريسه وتأليفه، وكان يأنس بآراء تلميذه السيد محسن بن محمد الرضوي القمي (توفي ٩٣١هـ - ١٥٢٤م)، وغالبًا ما كان قاطنًا في منزله، وكانت له مناظرات مع علماء أهل السنة.

انتهم ابن أبي جمهور كل فرصة سانحة لزيارة المدن الأخرى، وكان يشير إلى محل التأليف في مؤلفاته، ويمكن التعرف على سيرته على وجه الإجمال من سنة ٨٩٠هـ - ١٤٨٥م، وما بعد، في شهر شعبان من سنة ٨٩٣هـ الموافق لحزيران سنة ١٤٨٨م.. وأثناء وجوده في الأحساء، ألف ابن أبي جمهور رسالة (النور المنجي من الظلام)، وهي حاشية على كتاب (مسالك الأفهام)، وفي شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨هـ (آذار ١٤٩٣م) قطن الأحسائي قلفان أو قلقان (من ضواحي استراباد) وفي ذي الحجة من تلك السنة صدر عنه إجازتان، وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٩٠٤هـ (الموافق للرابع من حزيران من سنة ١٤٩٩م) أنهى آخر مؤلفاته وهو (شرح للباب الحادي عشر للعلامة الحلي) في المدينة المنورة، وآخر آثار ابن أبي جمهور الأحسائي: إجازة للشيخ علي بن قاسم العذاقة، بتاريخ الجمعة التاسع من رجب سنة ٩٠٦هـ (الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٥٠١م) كتبت في الحلة، واستنادًا إلى هذا فإن تاريخ وفاة الأحسائي يكون ما بعد سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م، ولابن أبي جمهور أكثر من خمسين مؤلفًا في: الكلام، والمنطق، والفلسفة، والعرفان، وأصول الفقه، والفقه، وعلوم الحديث، و١٢ إجازة، وآثاره المطبوعة وغير المطبوعة مدرجة في فهرس كامل

نسبياً ولا داعي لتكرارها.

أهم المقالات والمؤلفات التي نشرت عن ابن أبي جمهور وفق التسلسل السنوي ما يلي:

- في عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٧٧ م، صدرت مقالة لـ (ولفرد مادلونك) بعنوان: امتزاج علوم الكلام والفلسفة والتصوف عند ابن أبي جمهور.
- في عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م، صدر كتاب بعنوان: «مدخل ابن أبي جمهور» تأليف (ولفرد مادلونك).
- في عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، صدرت مقالة لـ آية الله شهاب الدين المرعشي النجفي، بعنوان: (الردود والنقود، في عوالي اللآلي) في الجزء الأول من الكتاب المذكور.
- في عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، صدرت مقالة بعنوان: مدخل ابن أبي جمهور، في دائرة المعارف (بزرگ إسلامي) في الجزء الثاني، ص ٦٣٤-٦٣٧.
- في عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، صدر كتاب بعنوان: الشيخ ابن أبي جمهور: قدوة العلم والعمل، للشيخ موسى الهادي بوخسين، بيروت.
- في عام ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، صدرت مقالة بعنوان: مدخل ابن أبي جمهور، تأليف Todd Lawson في دائرة المعارف إيرانيكا، المجلد ٧، ص ٦٦٢-٦٦٣.
- في عام ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، صدرت مقالة للبروفيسور زاينيه شميتكه حول تأثير شمس الدين الشهرزوري على أفكار ابن أبي جمهور.
- في عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، صدرت رسالة مفصلة عن حياة ابن أبي جمهور، وأفكاره، ومؤلفاته باللغة الألمانية للبروفيسور زاينيه شميتكه تحت عنوان: (الكلام والفلسفة والعرفان عند الشيعة الإثنا عشرية في المئة الهجرية التاسعة القرن الخامس عشر الميلادية: أفكار ابن أبي جمهور الأحسائي، ليدن، بريل ٢٠٠٠ م) وقد كتبت هذه الرسالة المعروفة بـ Habilitation للحصول على

شهادة البروفسورية، وتشتمل على فصول وملحقين»^(١).

هذا وقد وافاني السيد علي باقر الموسى عضو جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث بأحدث الدراسات التي تمت عن ابن أبي جمهور الأحسائي وهي كما يلي:

- في بداية الألفية الثانية ميلادية، صدر كتاب بعنوان: (الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر ابن أبي جمهور الأحسائي، للكاتب رضا يحيى بور فارمد من إيران)^(٢).
- في عام ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، صدرت مقالة بعنوان: (مقدمة تعريفية على ثلاث رسائل لابن أبي جمهور)، للكاتب أحمد رضا رحيمي ريسه من إيران^(٣).
- في عام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، صدرت مقالة بعنوان: الصلة بين التصوف والتشيع، للدكتور كامل مصطفى الشبيبي^(٤).
- في ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، صدرت مقالة لحجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين صالح العايش البراك، من الأحساء في المملكة العربية السعودية^(٥)، أحد أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية بالأحساء مقالة بعنوان: (الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي)، أفصح فيها عن علم الشيخ وإبداعاته

-
- (١) أحمد رضا رحيمي ريسه، مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
 - (٢) رضا يحيى بور فارمد، الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر ابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
 - (٣) أحمد رضا رحيمي ريسه، مقدمة تعريفية على ثلاث رسائل لابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
 - (٤) الدكتور كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
 - (٥) الشيخ حسين بن صالح العايش البراك، الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.

بقوله: «فهمه الدقيق للأصول ودقته في الفقه صيراه كالشمس في رابعة النهار، لقد أبدع رحمه الله في هذين العلمين، بما جعل أدق الأبحاث في الأصول والفقه ترتبط بنظرياته التي استلها من الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الهداه عليهم السلام»، هذا وقد أصل الشيخ العايش في مقاله تلك إسهامات ابن أبي جمهور في مجال الفقه والأصول، حيث أوضح أن الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي قدم قاعدة أسماها - (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح) - وأن هذه القاعدة أسهمت إسهامًا كبيرًا في علم الأصول، وفتحت آفاق رحبة بما ترتب عليها من أبحاث علمية ومناقشات، بلورت نظريات كنظرية الحكومة، والورود، وفهم قواعد الجمع العرفي، والضوابط بينه وبين الجمع التبرعي لفهم استنباط الحكم الفقهي من الروايات، وقد أشار إلى أن ما وصل إليه الفقه الأصولي على يد الشيخ الأعظم الأنصاري ترتب على نظرية ابن أبي جمهور المذكورة، وأصل هذا التوجه، وما يدور حول نظرية ابن أبي جمهور من كتاب (فرائد الأصول) للشيخ الأعظم الأنصاري، وما ورد في كتاب (زبدة الأصول) للسيد الروحاني، و(منتهى الدراية) للسيد محمد جعفر الشوشترى، هذا من جانب، ومن جانب آخر تابع أثر الشيخ على الصعيد الفقهي من حيث تحول عدد من الروايات التي أوردها في كتابه (غوالي اللئالي) إلى قواعد فقهية في البحوث الاستدلالية لدى الفقهاء من بعد صدور هذا الكتاب وتلك القواعد ما يلي:

١. قاعدة «الناس مسلطون على أمواتهم»، وقد علق سماحة الشيخ العايش على الرواية، بأن العلامة المجلسي رواها في المجلد الثاني من البحار عن غوالي اللئالي، وهي وإن كانت مرسلة لكنها مجبورة بعمل الأصحاب قديمًا وحديثًا، واستنادهم إليها في مختلف أبواب الفقه، هذا فضلاً عن أن الرواية هي في الأساس مسندة غير أن كثيرًا من الفقهاء والأصوليين تصوروا أنها مرسلة؛ لأن ابن أبي جمهور حذف الأسانيد وجمعها في مشيخة، بمعنى أنه لم يذكر السند لكل رواية رواية، وإنما اكتفى بذكر أسانيد بنحو عام، كما هو مذكور في الغوالي،

- ويعلق الشيخ العايش أيضًا أن الفقهاء لم يستشكل أحد منهم في العمل بالرواية، وأرسلوها إرسال المسلمات، إما لما تقدم من العمل بها، وإما لأنها مسندة عن النبي ﷺ، بالإضافة إلى كونها منسجمة مع الفطرة ومتفقة مع العقل.
٢. قاعدة «الميسور لا يسقط بالمعسور»، وهي أيضًا من القواعد الفقهية التي يكاد ينحصر دليلها بابن أبي جمهور، وقد نقلها المحقق الأشتياي في تعليقاته في كتابه القواعد الفقهية، عن غوالي اللثالي.
٣. قاعدة «إقرار العقلاء على أنفسهم»، وقد ذكر الشيخ العايش بأنه ينحصر مدرك هذه القاعدة بالرواية المشهورة المستفيضة، أو المتواترة عن النبي ﷺ، والتي يرويها ابن أبي جمهور فقط، وقد تلقاها العلماء بالقبول؛ لكونها من المسلمات في المعنى، ذلك أن العاقل لا يقر على نفسه بضرر إلا لكونه يتصف بالصدق، ويخاف الحق تعالى، ويحذر الآخرة، نعم قد يقر العاقل على نفسه من أجل الخديعة للغير أو يحصل على شيء أعظم وأكبر أي لمآرب أخرى، غير أن ذلك قليل أو نادر لا يلتفت إليه العقلاء؛ ليؤثر على حجية القاعدة الثابتة برواية ابن أبي جمهور، وقد نقل ما أفاد به السيد البجنوردي في كتابه (القواعد الفقهية) حول هذه القاعدة من حيث أن القاعدة لا إشكال في جريانها.
٤. حديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقد أورد الشيخ العايش إحدى عشر موردًا مما استدل بها الشيخ الجواهري في كتابه (جواهر الكلام)، كما أورد ما استدل به المجدد الشيرازي في تقريراته، وكذلك آقا رضا الهمداني في كتابه (مصباح الفقيه)، وكذلك المحقق اليزدي صاحب العروة الوثقى في (حاشيته على المكاسب) للشيخ الأعظم الأنصاري.

هذا وقد سبق لي أن دعوت في إحدى اللقاءات العلمية، وكانت متعلقة بأصول البحث العلمي في جمع من الباحثين والمهتمين بالعلوم الشرعية، وذلك في تاريخ ١-٧-١٤٣١هـ عن ضرورة إعداد دراسة حول كتاب (غوالي اللثالي) ودوره في تحديث مواد الاستدلال الفقهي بعد صدوره، على أن يتم اختبار ثلاث فرضيات يتم من

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

خلالها التأكد من صحة ذلك من عدمه، ويتم خلال هذا البحث المقترح الوقوف على موارد الاستدلال في الدورات الفقهية التي صدرت على أيدي علماء الإمامية، ووجهات النظر حيالها، وعن مدى إمكانية جريان تلك القواعد، وفيما لا يصح جريانها، وغيرها من البحوث المتعلقة بخصوصها، على أن تكون الفرضيات المقترحة كما يلي:

الفرضية الأولى: إن البحوث الاستدلالية الفقهية قبل صدور كتاب غوالي اللثالي، لم يرد فيها استدلال بالقواعد الثلاث: «الناس مسلطون على أموالهم»، «الميسور لا يسقط بالمعسور»، «إقرار العقلاء على أنفسهم»، وحديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

الفرضية الثانية: إن البحوث الاستدلالية الفقهية بعد صدور كتاب غوالي اللثالي، استدلت بروايات رواها الشيخ ابن أبي جمهور، وتحولت بعد ذلك إلى قواعد فقهية وتلك القواعد هي: «الناس مسلطون على أموالهم»، «الميسور لا يسقط بالمعسور»، «قاعدة إقرار العقلاء على أنفسهم».

الفرضية الثالثة: إن حديث «صلوا كما رأيتموني أصلي»، لم يتم توظيفه في البحوث الاستدلالية الفقهية، إلا بعد صدور كتاب غوالي اللثالي.

٢- آية الله الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي له سيرة عطرة، طويلة المسار إذا عدت بسير المؤسسات والمراكز البحثية المتخصصة، قصيرة وضيقة إذا عدت بإنجاز الأفراد.

ولد عام (١١٦٦هـ - ١٧٥٢م) وتوفي عام (١٢٤١هـ - ١٨٢٥م) في قرية هدية بالقرب من المدينة المنورة، ودفن في البقيع الغرقد، خلف قبور الأئمة الأربعة عليهم السلام

عند الجدار، كتب ما يربو على ١٧٣ كتاباً ورسالة بحسب إحصاء السيد هاشم الشخص لها في كتابه «أعلام هجر»، وأساتذته ثمانية هم: الشيخ محمد بن الشيخ محسن الأحسائي القريني، والشيخ عبد الله بن حسن بن علي الدندن الأحسائي، والسيد قطب الدين محمد الحسيني التبريزي الشيرازي، والآغا محمد باقر الوحيد البهبهاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد ميرزا مهدي الشهرستاني، والشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، والسيد مهدي محمد بحر العلوم، وأجازه في الرواية تسعة علماء هم: السيد محمد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم) والسيد علي الطباطبائي صاحب كتاب (الرياض)، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد ميرزا مهدي الشهرستاني، والشيخ أحمد الدمستاني، والشيخ حسين آل عصفور، والشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ أحمد آل عصفور، والشيخ محمد العبد الجبار القطيفي، والشيخ الأحسائي بدوره أجاز ما يقارب من ٢٣ عالماً من أبرزهم الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر المتوفى عام ١٢٦٦هـ، والسيد عبد الله شبر الحسيني تلميذ الشيخ الأحسائي، والشيخ محمد إبراهيم بن محمد حسن الكرباسي صاحب (الإشارات) المتوفى عام ١٢٦٢هـ والسيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الكاظمي تلميذ الأحسائي أيضاً، والشيخ أسد الله بن إسماعيل التستري الكاظمي الأنصاري صاحب (المقاييس) المتوفى عام ١٢٣٤هـ، وذلك بحسب مصادر السيد هاشم الشخص^(١)، وزادها السيد معين الحيدري إلى ٣٧ عالماً استجازوا الشيخ^(٢)، وكما أن الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي كان موضعاً لاهتمام الكتاب الأحسائيين أنفسهم، كذلك الشيخ أحمد الأحسائي، ولعل باكورة التراجم في شأنه لابنه الشيخ عبد الله، وإن لم تصدر كتابات أو مؤلفات في شأنه في ذلك التاريخ غير الترجمة المذكورة لابنه، إلا أن ذكره لم ينقطع عن الألسن،

(١) السيد هاشم الشخص، أعلام هجر، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ) مصدر سابق، ص ١٥٧-١٦٠.

(٢) السيد معين الحيدري، جوهرة الأحساء وفوارة النور، (بيروت: دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، ١٤٣٣هـ)، ص ٨٨-١١٦.

ولم تخل منه مجالس العلم في الأحساء، لاسيما إذا كان الكلام في العقائد والحكمة الإلهية، حيث كتبه وكتب تلامذته موضع درس واهتمام، بل وأفكاره تسرت إلى المجالس الحسينية كما هو ملاحظ في كتاب الشيخ محمد بن حسين بوخمسين (ت ١٣١٦هـ)، مفرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب^(١)، الذي كتبه على هيئة مجالس حسينية ليقرأ في الحسينيات آنذاك على الحضور في تلك المجالس التي يؤمها الكبير والصغير من كافة فئات المجتمع المتعلم والأمي، والشيخ محمد يعتبر من أبرز علماء الأحساء الذين أخذوا منهج الشيخ أحمد في الحكمة الإلهية، وقد اصطبغ كتابه المذكور بالعديد من مفاهيمها، وقد اطلعت على الكتاب ومفاهيمه خلال تحقيقي لكتابه عندما كنت بصدد البحث عن تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية^(٢)، وهكذا ظل الشيخ أحمد بن زين الدين موضع اهتمامهم جيلاً بعد جيل، كيف لا وهو مفخرة الأحساء إذا فاخرت البلدان بفلذات أكبادها، ومن عرّف به من الأحسائيين المعاصرين كلا من: الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية): للسيد حسن الأمين، تحت مادة «أحساء»، وترجم له الشيخ جواد الرضمان في كتابه (مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين)^(٣)، وأما السيد هاشم الشخص فقد كتب عنه ترجمة موسعة في كتابه (أعلام هجر)^(٤)، وقد كتبت عنه ترجمة في كتابي: (فقهاء الأحساء)، كما كتب فيه الشيخ عبد المنعم العمران كتاباً بعنوان: (بصائر في حكمة الشيخ أحمد الأحسائي)، كما كتب فيه الشيخ عبد الجليل

(١) الشيخ محمد بن حسين بوخمسين، مفرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب، مخطوط.

(٢) محمد بن جواد الخرس (أبو علي)، (المنبر الحسيني) تاريخ تطور الأغراض الخطابية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية، (بيروت: دار الأسفار للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ)، ص ١٢٠ - ١٢٥.

(٣) الشيخ جواد بن حسين الرضمان، مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، (مكان الطبع: بدون، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ص ١٣١.

(٤) السيد هاشم محمد الشخص، أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، (قم: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٦هـ)، الطبعة الثانية، ص ١٤٤ - ٢٩٧.

الأمير كتابًا بعنوان: (فكر ومنهج: دراسة تحليلية حول فكر ومنهج مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي)، وللأستاذ حسن بن محمد الشيخ دراسة موضوعية بعنوان: (آخر الفلاسفة)^(١)، وثناها بدراسة موضوعية أخرى قارن فيها بين ابن رشد القرطبي وابن زين الدين الأحسائي في كتاب بعنوان: (فيلسوفان ثائران)^(٢)، ونظم فيه السيد محمد رضا السلطان أرجوزة شعرية بعنوان: (إشراق الشمس)، وأعد فيه الأستاذ أحمد بن عبد الهادي محمد المحمد صالح، كتابًا بعنوان (أعلام مدرسة الشيخ الأوحى في القرن الثالث عشر الهجري)^(٣)، وثنى كتابه بمقالة تحت عنوان: (مصادر ترجمة الشيخ أحمد)، وقد أحصى فيها مائة وعشرين مصدرًا في شتى أصناف المدونات وذلك في مجلة الواحة في العدد ٦٠ لعام ٢٠١٠م، شملت الكتب المتخصصة في التراجم، في العديد من اللغات العربية، والفارسية، والإنجليزية، والفرنسية، والأردو، كما شملت دوائر المعارف، والمعاجم، والرسائل العلمية، ولعل من أبرز الجهات الأكاديمية التي اهتمت بفكر الشيخ أحمد كتاب بعنوان: (نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي) للفيلسوف الفرنسي هنري كوربان، أستاذ الإسلاميات في مدرسة الدراسات العليا بجامعة السوربون^(٤).

هذا هو الشيخ في عيون الأحسائيين، وهو حتمًا قليل في حقه، ولكنه إسهام في

(١) الأستاذ حسن بن محمد الشيخ، آخر الفلاسفة: رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد

الأحسائي، (مكان الطبع: بدون، تاريخ الطبع: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)

(٢) الأستاذ حسن بن محمد الشيخ، فيلسوفان ثائران، (بيروت: دار الرأي العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

(٣) الأستاذ أحمد بن عبد الهادي محمد صالح، أعلام مدرسة الشيخ الأوحى في القرن الثالث عشر الهجري، (لبنان: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

(٤) الدكتور هنري كوربان، نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي، ترجمة: الاستاذ خليل زامل، إعداد وتعليق: الشيخ راضي ناصر السلطان، (لبنان، توزيع مؤسسة فكر الأوحى للتحقيق والطباعة والنشر في سوريا، ودار هجر للنشر والتوزيع في الأحساء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الثانية.

الاعتراف بجميل إنجازات الشيخ وفضلها، وما كتب عنه من خارج الأحساء أكثر، سواء من بعض دول الخليج العربي كالكويت، وإيران، والعراق، ولبنان، وكتاب غربيين من أمريكا، وفرنسا، وهو دليل على حضوره العالمي في الوقت الراهن، وسأورد لاحقاً بعض المقتطفات بقلم السيد محمد حسن الطالقاني في رسالة ماجستير قدمها في الجامعة اليسوعية بلبنان، حيث تمت مناقشتها بعنوان: (الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها)، وتقع الرسالة في ٤٠٩ صفحة، في الجامعة اليسوعية في لبنان عام ١٩٧٤م^(١).

ومما كتب عن الشيخ في خارج بيئة الأحساء ما يلي:

١. تمت مناقشة رسالة ماجستير في جامعة المصطفى بعنوان: (نظرية إبداع الوجود عند الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي)، قدمها الشيخ سامي بوخسين وهو من الأحساء أيضاً، لكن المشرف الأكاديمي عليه من جامعة دمشق في سوريا الدكتور توفيق داود، والشيخ معين دقيق، أستاذ في جامعة المصطفى فرع دمشق، ومناقشة الرسالة في كلية الإلهيات في الجهة المذكورة، وتقع الرسالة في ١٢٣ صفحة^(٢).

٢. نشر الدكتور جوان ر. ي. كول أستاذ التاريخ في جامعة ميشيغان، في الولايات المتحدة الأمريكية رسالة بعنوان: (رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي)^(٣).

(١) الأستاذ أحمد بن عبد الهادي المحمد صالح، مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الواحة، عدد ٦٠، ٢٠١٠م.

(٢) الشيخ سامي بوخسين، إبداع الوجود عند الشيخ أحمد الأحسائي، رسالة ماجستير، (دمشق: فرع جامعة المصطفى في دمشق، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م).

انظر:

http://www.altahera.net/article.php?act=printable_version&id=17042

(٣) جوان كول، رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الساحل، العدد الثالث، السنة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٩٨ - ١١٢.

٣. نشر الدكتور محمد علي أمير معزي، أستاذ الدراسات الإسلامية في قسم العلوم الدينية في معهد الدراسات العليا في باريس، دراسة بعنوان: (غياب يلمؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة)^(١).
٤. نشر الأستاذ ياسر عبد الله آل خميس، مقالة بعنوان: (ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والحراسانية)^(٢).
٥. العديد مما أحصاه الأستاذ أحمد المحمد صالح في مقالته (مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي) السابق ذكرها، تمت أغلبها بأقلام من خارج الأحساء.

ونظرًا لكثرة ما كتب عن الشيخ أحمد الأحسائي ما يغني عن تكراره في هذه الصفحات، عليه سأورد مصدرًا جديدًا حديث الطباعة تحت عنوان: (جوهره الأحساء وفوارة النور: الشيخ العارف الأوحد وخاتمة الفقهاء والمجتهد المطلق، أحمد بن زين الدين الأحسائي)، للسيد معين الحيدري، وقد استوقفني الكتاب لكثرة استقصائه ومتابعته، بدءًا من مجيزي الشيخ ومستجيزيه، ومرورًا بعدة مواضع سلط خلالها المؤلف الضوء على عدد من المفاهيم المتعلقة بسيرة الشيخ وآرائه والإشكالات الموجهة إلى منهجيته وناقشها، ومدى قبول الوسط العلمي لآرائه سلبًا وإيجابًا، وذلك تحت ٤٤ عنوانًا، ويقع الكتاب في ٣٥٥ صفحة.

أما ما أفاد به السيد محمد حسن الطالقاني في رسالة الماجستير التي تقدم بها إلى الجامعة (اليسوعية) في لبنان، حيث أوضح فيها مقدار القبول الاجتماعي للشيخ خارج حدود مدينته الأحساء، ولن أستطيع أن أورد جميع ما وصفه من حالات لكن سأقتطف منها ما يمنح القارئ نظم صورة عن القبول الذي حظي به الشيخ، علمًا

(١) الدكتور محمد علي أمير معزي، غياب يلمؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة، مجلة الساحل، العدد الخامس، السنة الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٩٥.

(٢) الأستاذ ياسر عبد الله آل خميس، ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والحراسانية، مجلة البصائر، العدد ٤٦، عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

بأني قد وقفت على مصادر أولية تحكي مضامين هذه السطور التي سأوردها بقلم السيد الطالقاني في رسالته حيث يقول فيها: «قضى - الشيخ أحمد - شهر رمضان في أصفهان وأحصى مرة عدد المصلين خلفه فبلغوا ستة عشر ألفاً... وقد أجاز الأحسائي عدد من كبار علماء الشيعة في عصره إجازات مفصلة، ... وتصدر الأحسائي للتدريس في المعقول والمنقول سنين طويلة وكانت له حوزات عامرة في كل من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها في المدن العراقية وفي قزوین ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه، وغيرها من المدن الإيرانية وفي الأحساء والبحرين وغيرها من دول الخليج، وقد تخرج عليه المئات من العلماء وأهل الفضل، وبلغت به الحال حدًا إذا هبط مدينة علمية تعطلت فيها الدروس والأبحاث، وهرع حضارها إلى مجلس درسه ليستفيدوا منه ... وقد روى بالإجازة عن الأحسائي عدد من كبار علماء عصره ومشاهيره، ... ومؤلفات الأحسائي كثيرة، والحديث عنها طويل، فقد عاش سبعًا وسبعين سنة قضى معظمها في عزلة عن الناس، معتكفًا في مكتبته يؤلف الرسائل ويحجب على مئات المسائل، ويرد على مختلف الاعتراضات، ويصحح بعض الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة - في رأيه - في كتب من عاصره ومن سبقه من علماء المعقول والمنقول، وقد بارك الله في إنتاجه فخلف ثروة فكرية ضخمة، شغلت عشرات العلماء الفحول في حياته وبعد وفاته إلى يومنا هذا، وستبقى كذلك إلى ما شاء الله، ... والحقيقة أنه لو لم يكن في مؤلفاته فائدة غير ما كتب في نقده والدفاع عنه من كتب قيمة وأسفار مهمة لكفاه فخراً وذكراً، فقد أغنت المكتبة الإسلامية بثروة هائلة وأمدتها بمصادر عديدة أوضحت كثيرًا من الجوانب الفكرية في الإسلام، ولاسيما لدى الشيعة الإمامية، لقد ألف الأحسائي في كثير من العلوم المتداولة في عصره ومحيطه، فقد كتب في الأدب بفروعه: من نحو، و صرف، وبلاغة، ولغة، ومنطق، وعروض، وغيرها، وفي الرياضيات: من حساب، وهندسة، وهياة، وفلك، وفي الفقه وأصوله، والحديث، والأخلاق، والتاريخ، والحكمة الإلهية، والفلسفة وعلم الكلام، والعقائد، والموسيقى، والطب، والعلوم الغريبة، كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، ... تألقت نجم الأحسائي فتلقته الأوساط العلمية بقبول حسن،

وعرف بغزارة العلم، وسمو الفكر، وعلو الثقافة، وأشير إليه بالأنامل وأجمع الكل على ورعه، وتقواه، وترسله، وزهده في الزعامة الدينية، ومتع الحياة كافة، وأخذ ينتقل بين النجف، وكربلاء والكاظمية، فيقضي فيها مددًا طويلة وكانت فيها يومذاك حوزات دراسية ضخمة، وعلماء أفاض، وكانوا يتسابقون إلى زيارته، وبيالغون في احترامه، ولذلك كثر الإقبال عليه، وعظم في نفوس العامة على اختلاف طبقاتهم، وأخذت رياسته بالتوسع رغم إعراضه عنها، وأوشكت شهرته أن تغطي العلماء المعاصرين له.

في أصفهان ... أذيع أن الحوزات العلمية والحلقات الدراسية كافة قد تعطلت، وأن طلابها عامة سيحضرون درس الشيخ الأحسائي فحضره ملاهادي السبزواري مع من حضر، ورأى كبار العلماء ومشاهير المدرسين، كالشيخ محمد إبراهيم الكرباسي صاحب (الإشارات) وغيره تحت منبره، وكان يدرس الفلسفة والحكمة الإلهية وقد أجمع العلماء قاطبة على زهد الشيخ وتقواه، ... وهكذا كانت الحال بالنسبة له في كل مدينة دخلها في إيران، .. تعظيم لم يشاركه فيه أحد من علماء إيران، وفيهم الفطاحل وذوو البيوت الرفيعة العريقة في الزعامة الدينية، وقد كانوا جميعًا يسارعون إلى استقبله قبل غيرهم، وقبل أن يتدبوا، ويأتمون به في الصلاة ويقدمونه على أنفسهم في المناسبات إذا حضر»^(١).

لعل هذا حال الشيخ في أيام حياته، من حيث الحفاوة والتقدير، لكنه تعرض في الوقت ذاته إلى موجة من العداوة الكبيرة في أيام حياته؛ بسبب العديد من أطروحاته، وأياً كانت تلك الممارسة على الرغم من بشاعتها، لكن العبرة بالنتيجة، ألا

(١) السيد محمد حسن الطالقاني، الشيخية، رسالة ماجستير، (لبنان: الجامعة اليسوعية، ١٩٧٤م).
- ملاحظة: هذا نقلاً عن كتاب جوهرة الأحساء وفوارة النور للسيد معين الحديري ص ٣٠-٣٢،
وقد نقلها المذكور عن السيد الطالقاني من صفحات متفرقة من رسالته من صفحة ٧١ وحتى ١٠٩.

وهي أن الشيخ بفضل تماسك نظريته وانسجامها مع المفاهيم الإسلامية، استطاعت بعض أطروحاته أن تتسرى إلى الساحة العلمية، ولكن من دون ذكر مصدرها وهو الشيخ الأحسائي، أو على أقل تقدير أنه كان الباعث والمحرك لها في الساحة العلمية، وهذه المعلومات أوردتها هنا على نحو وجهات نظر نقلتها عن بعض أهل الفضل، وعليه تظل في حالة قبولها الأولي على نحو الإدعاءات ليس إلا، ولكي تتحول إلى حقائق، ينبغي الانتقال بها إلى منضدة البحث العلمي، والتعامل معها على نحو الفرضيات لئتم إثبات صحتها من عدمها، وعليه أقترح أن تناقش هذه المدعيات على هيئة أطروحات علمية، وتلك المدعيات كما يلي:

١. «إن تناول المسائل الولائية، والتحقيق في مقامات أهل البيت عليهم السلام، والاجتهاد فيها لم تعرفها الساحة العلمية وبالتحديد في إيران، إلا بعد أن طرحها الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي»، ويستدل المدعي على ما طرحه آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني من رؤى في محاضرات تم تدوينها من قبل بعض طلاب العلم في كتاب بعنوان: (مقتطفات ولائية) وترجمها الشيخ عباس بن نخي، وبإشراف السيد هاشم الهاشمي الكويتي، وتم نشر الكتاب في مؤسسة الامام للنشر والتوزيع، عام ٢٠١٠م في طبعته الثالثة، وعليه فمن الملائم أن يتم تتبع نشأة مثل هذه الرؤى تاريخياً.

٢. «إن أول من طرح مسألة حكم التقدم على قبر المعصوم، هو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي»، وهي مسألة يناقشها الفقهاء ولديهم فتاوى حياها، ومن جملة من طرحها للبحث سماحة آية الله الشيخ محمد بن سلمان الهاجري^(١)، والمدعي هو أن أول من طرح هذه المسألة الشرعية وناقشها هو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وهي الأخرى مسألة تستدعي متابعة تاريخ نشأتها في الرسائل العملية، والبحوث الاستدلالية المكتوبة.

(١) الشيخ محمد بن سلمان الهاجري، رسالة في حكم التقدم على قبر المعصوم، مجلة الفقاهة، العدد ١٠، عام ٢٠١٠م.

٣- آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي

آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي، ثالث المنائر الأحسائية التي تطل من خلالها الأحساء على الساحة العالمية، ولد عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، وتوفي عام ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، عرف الكتاب والقلم منذ نعومة أظفاره، كطالب في المدارس النظامية، ودارس حوزوي لدى والده الفقيه الميرزا محسن الفضلي حيث أنهى على يديه مرحلة المقدمات في مدينة البصرة بصبغة العرب، وفي عام ١٩٤٩هـ يمّم وجهه نحو النجف الأشرف، وله من العمر أربعة عشر عامًا، أمضى فيها ما يقارب من ٢٠ سنة تمخضت عن حراك لم يعرف الكلل والملل، ما يكاد ينتهي من محطة حتى ينتقل للأخرى، وربما زواج بين محطتين في آن واحد، ولا أعلم كيف كان يوفق بينهما؟ لكنه التفكير الاستراتيجي وما ينطوي عليه من تفكير جاد نحو بيئته الخارجية تارة؛ ليرى ما فيها من مساحات لم تشغل بإنتاج إبداعي يستحق التضحية من أجله، وتارة أخرى ليصير مكونات بيئته الداخلية وما تشتمل عليه من قابليات، وإمكانات يمكن توظيفها في إنجاز رؤيته التي رسدها في بيئته الخارجية، وبين هذا وذاك راح يسعى بكل طمأنينة وثبات نحوها، ألا وهي تحديث الكتب الدينية الحوزوية وما يتصل بها من علوم أخرى في العلوم اللغوية والعقلية لتكون ملائمة للوسطين الحوزوي والجامعي في آن واحد.

وقد صرح بها ذات مرة، خلال المقابلة التي أجراها له الأستاذ حسين منصور الشيخ، وقد دون حواراه معه في كتابه: (الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق)، حيث سأله: «ما هو أهم مشاريعكم التي كنتم تودون إنجازها، وما الذي تحقق منها؟ فأجابه الشيخ: مشروع الأهم كان وضع المقررات الدراسية للحوزات العلمية وتطوير موادها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، وأحمد الله سبحانه الذي وفقني في إنجاز هذا المشروع»^(١)، وفي سبيل هذا الرؤية الطموحة استغرق ما

(١) الأستاذ حسين منصور الشيخ، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، (البحرين: مداد

يقارب من خمسين عامًا من عام (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) حتى عام (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) سعى خلالها وفق مراحل مدروسة مركزًا على ضرورة إنجازها، مرتبًا لأولوياتها، في نظام لا يخترم من أي فرد كائن من كان، فجنى ثمارًا يانعة سميتها الإتيقان، والإيجابية، تلتقتها جماهيره من طلاب حوزويين وجامعيين، ومراكز بحثية، في بلاد العرب والعجم، بل وحتى بلاد الغرب في آخر مطاف تنامت فيه نتاج تجربته، فقد اعتمدت إحدى الجامعات في الغرب، وهي: (Islamic College) في بريطانيا، أحد كتب الشيخ كمقرر لطلابها بعد أن ترجمته إلى اللغة الإنجليزية، وهو كتاب (مدخل إلى علم الحديث) مع كتاب (دراية الحديث) للشهيد الثاني وهو من الكتب المعتمدة في الحوزات العلمية منذ أمد بعيد، وأما تاريخ الترجمة وإدخال كتاب الشيخ الفضلي إلى هذه الجامعة فكان الإصدار الأول في عام ٢٠٠٢م، والإصدار الثاني في عام ٢٠١١م، ولا زال التنسيق يجري في اقتناء مقررات أخرى^(١).
وقد بلغ عدد كتبه التي ألفها بما فيها المقررات الدراسية الحوزوية/الجامعية، ٧٥ كتابًا، وحوالي ١٥ حوارًا علميًا منشورًا في الدوريات المختلفة، وحوالي ١٥٥ مقالة ودراسة منشورة في الدوريات المختلفة، مضافا عليها ١٣٠ تقريرًا لمؤلفات آخرين^(٢).

للثقافة والإعلام، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ١٧٠.

(١) إفادة من الأستاذ فؤاد بن الشيخ عبد الهادي الفضلي في تاريخ ٢٤ - ٤ - ٢٠١٣م، عبر رسالة الكترونية، بأنه زار الجامعة في بريطانيا عام ٢٠١١م، وكان في استقباله مدير لجنة المقررات بالجامعة، ووجد الكتاب مترجمًا، وطلبوا مجموعة أخرى من كتب الشيخ الدراسية لترجمتها وطباعتها وإدراجها ضمن مقرراتهم، وقد أفادوا بأن الكتاب قد طلب من مؤسسات علمية كالجامعات والمعاهد ومن أساتذة أفراد في عدة مناطق في العالم وأكثرها من أمريكا وأستراليا، واسم الجامعة وبيانات نشر الكتاب بعد الترجمة هو:

Including Dirayat al-Hadith by al-، Abd al-hadi al-Fadli.Introduction to Hadith
2 st ، 2002، 1st edition، Translated by Nazmina Virjee، Shahid al-Thani
UK، Islamic College، ISAS Press، 2011، edition

(٢) الأستاذ فؤاد الفضلي، مصدر سابق، رسالة الكترونية، في ٢٤ - ٤ - ٢٠١٣م.

قصة نجاح آية الله الفضلي بدأت أول ما بدأت في حراك علمي بين دارس ومدرس في الوسطين الحوزوي والتعليم النظامي - في المدارس، ومن ثم إلى الجامعات - حيث في الحوزة كدارس في مرحلة السطوح تلتها مرحلة البحث الخارج، ومدرسًا فيها في الوقت ذاته، كثقافة درجت عليها الحوزة، بل وتحرص عليها كأسلوب من أساليب تنمية كفاءاتها العلمية عبر الجهد الذاتي، وفي الجامعة كطالب في مرحلة البكالوريوس في كلية الفقه بالنجف في عام ١٩٥٩م، ومن ثم طالب في مرحلة الماجستير منذ عام ١٩٦٨م وحتى ١٩٧١م في جامعة بغداد، وكأستاذ في كلية الفقه بعد تخرجه فيها بدرجة البكالوريوس^(١).

وفي العام ذاته أي عام ١٩٧١م التحق بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ليبدأ منها مشواره نحو درجة الدكتوراه حيث ابتعث إلى جامعة القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٧٥م، وفي العام ذاته أيضًا رجع إلى جامعته في جده ليبدأ مرحلة التدريس بعد التخرج، وهناك أسس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة، وكان أول رئيس له، كما كان له دور كبير في تأسيس قسم المخطوطات في مكتبة الجامعة المركزية فيها، ولما أن بلغ عام ١٩٨٩م، تقاعد من الجامعة بعدما أتم ١٨ عامًا فيها، وفي العام ذاته التحق بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن كمدرس لمادة المنطق، وتاريخ التشريع الإسلامي، وأصول الحديث، وأصول علم الرجال، وعلم الكلام، وفي عام ١٩٩١م بدأ الشيخ يمارس ظهوره كمحاضر في المواسم الثقافية، حتى شكل بثقله العلمي، وما يكتنزه من خبرة علمية وعملية في ميدان العلم والمعرفة ونشر الثقافة، رافدًا جديدًا مؤثرًا لجيلها الصاعد، ومن جملة ما اعتنى به عنايته بالمؤلفين والكتاب، واحتضان طاقاتهم، ورعايتهم.

حينما أنعرض لسيرته، ليس فقط من باب الوفاء لحقه كعالم أحسائي استفدت

(١) حسين منصور الشيخ، الدكتور الفضلي: تاريخ ووثائق، (البحرين: مداد للثقافة والإعلام، ١٤٣٠-٢٠٠٩م)، ص ١٠٤.

من تجربته الشيء الكثير كما استفاد منه أبناء جيلي الذين عاشوا جمال علمه وخلقه، وإنما للضرورة الملحة ليقراء طلاب العلم المعاصرين والقادمين في المستقبل بإذن الله، وعندما نقرأه سنقرأه كناجح قادر على أن يورث صنعة النجاح في المتطلعين إليها ولو من خلال قراءة بعض السطور عن تجربته، فتجارب الحياة علمتنا أن لكل واحد فينا لديه من المؤهلات والملكات ما يمكنه أن يكون كأمثال الشيخ الفضلي في إخلاصه لدينه، وإنسانيته، لكن ربما يحتاج إلى نموذج، يستطيع من خلاله محاكاة نجاحه، يستنسخ منه امتيازات شخصيته في إطارها العام، وأما بصمته الفكرية فهي حتمًا ستخرج بشكل تلقائي، من وحي ذاته، ولن يستطيع استنساخ تجربة الشيخ الفضلي، كفضلي آخر مهما حاول؛ لأن البصمة الفكرية لها من الخصوصية الغير قابلة للاستنساخ، كما هو الحال لا يستطيع أحد منا أن يستنسخ بصمة إبهام الآخرين، وسأعرض لمسألة استنساخ امتياز تجربته ومدى إمكانية في المبحث الثالث من هذه البحث.

لهذا الغرض سأجول ما استطعت، وأسعفتني الذاكرة في عرض مشاهداتي ومسموعاتي عن هذا العالم الفذ، وسأعصرها مكتفيًا بالإشارات دون التفصيل لأن المقام يطول، فنحن سنظل بحاجة إليه حتى بعد رحيله في العديد من جوانب تجربته العريضة، وهنا سأقف فقط على ساحل تجربته ككاتب، ولن أعرض إليه كخطيب بارع، ومرب فاضل، وأستاذ عرفته أروقة الجامعات كما عرفته أروقة الحوزات، ولا كمناقش للرسائل العلمية في درجاتها العليا في مرحلة الماجستير والدكتوراه، أو منظر للأنشطة الاجتماعية، وقارئ فذ لما تحبته الأيام من مفاجآت، أو كأديب متذوق، وناقد للأعمال الإبداعية: قصة، ورواية، وشعرًا، ومؤرخ، وفيلسوف، ومتكلم، نحن هنا على ساحله كمؤلف عشق القلم، والدفاتر، والكتب، والمراجع على شتى مشاربها الفكرية.

فقد كان الفقيه المتبحر في العلوم الإسلامية على شتى أصنافها، وقد تم تأيينه من أعلام عصر الفقهاء منهم واللغويين، وعبارات التأيين من ذوي الاختصاص

اللغوي والأدبي، لا تقل أسفًا على فقد هذا الطود العلمي الرفيع من علماء الحوزات العلمية في المجال الشرعي.

□ المبحث الثاني: اهتمام الفضلي بالتأليف والمؤلفين

سأعالج في هذا المبحث موضوعات يجمعها التأليف والمؤلفون، وسأجيب من خلالها على أسئلة هامة، لعل أبرزها هو ماذا قدم الشيخ في تجربته الكتابية كعالم؟ وهل اقتصرت تجربة الشيخ الفضلي في مجال الكتابة على العناية بنفسه؟ أم أن عشقه لعالم الكتاب والكتابة عزله عن الاهتمام بإنجازات الآخرين في مجال التأليف؟ أم على العكس من ذلك؟ جعل المؤلفين جزء من دائرة اهتمامه، ومنحهم من التقدير والتفرغ كما لو كانت كتبهم التي أنجزوها قد أفرغتها قريحته، فاحتفى بها ومنحهم من الإهتمام الشيء الكثير، ولو كان ذاك على حساب وقته وصحته؟ أسئلة سبق أن طرحتها في مقدمة البحث، وإعادتها هنا تنم عن أهميتها، وستتم الإجابة عليها في المطالب التالية:

- المطلب الأول: موسوعية الشيخ الفضلي، وأثرها على مد جسور التواصل بين الاختصاصات العلمية في تأليفاته الحوزوية.
- المطلب الثاني: حفاوة الشيخ بالمؤلفين.
- المطلب الثالث: قناعة الشيخ بأهمية التأليف كرسالة للمبلغين والدعاة.
- المطلب الرابع: عناية الشيخ بتقريب المؤلفات.

المطلب الأول: موسوعية الشيخ الفضلي، وأثرها على مد جسور التواصل بين الاختصاصات العلمية في تأليفاته الحوزوية:

كما يتضح من عنوان المطلب أنه سينصب على إبراز سمة في شخصية الشيخ العلمية، ألا وهي الموسوعية، وهذا يلزمنا أن يكون الحديث عن مصادر تلك الموسوعية، ومجالات توظيفها في مشاريعه التأليفية للمقررات، وما أفضت به نتائج

مطالعاته، ومراقبته للساحة العلمية، وملاحظاته على طبيعة المقررات الدراسية، وضرورة إعادة صياغة وتطوير بعضها، وفق معطيات طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم.

فقد أسهم الشيخ بشكل جوهري في تحقيق إضافة علمية للمكتبة الاسلامية، وذلك كنتيجة لعمر مديد قضاه بين دارس ومدرس في الوسطين الحوزوي والجامعي، وقد بلغ في هذين الوسطين درجة علمية متقدمة، وكمؤلف للمقررات فيما بعد، وقد ترتب على هذه الملكات المتنوعة في دروسها، وأساليبيها، وتنوع مداركها، أن مكنته من الخروج بوجهات نظر تصحيحية في بعض منها، وتطويرية في البعض الآخر، ذات أهمية، وذلك وفقاً لمعطيات الواقع، وتحديات المرحلة، وقد انعكست موسوعيته تلك، بشكل واضح على بعض مقرراته الدراسية مما حقق إضافة علمية تحسب له، ولقد أسهم في تمكنه من إنجاز رؤيته تلك، أنه لا يجب تسليط الأضواء ولا الشهرة، وفي ظل هذه البيئة الداخلية المستقرة التي ملأت جوانبه، جعلته يرصد الفرص المتاحة له في بيئته الخارجية بكل ثقة لكي يحقق إبداعه وبصمته الخاصة به.

ولعل من أبرزها منهجه الخاص في كتابة الدروس والمقررات بلغة تحتفظ بالجانب العلمي فيها، ولكنها في أسلوب مبسط، خال من التعقيد، حيث له ملاحظة على من يعمد إلى التعقيد في العبارات، ففي إحدى اللقاءات به، عبر عن هدفه تلك بقوله: إن الكتب الدراسية تشتمل على صعوبتين يواجهها الدارس، طبيعة المفاهيم المطروحة فيها، وهي في حد ذاتها تحتاج إلى ذهنية جيدة لاستيعابها، وبالتالي إضافة تعقيد للعبارات هي من نوع المبالغة الغير مبررة، وعليه لا بد من تفرغها من تلك العقد اللفظية، وإبرازها على طبق لغوي، واضح وسهل، يجعل الطالب على ثقة تامة بأنه قد فهم ما يريد أن يقوله مؤلف الكتاب، لا يجعله في دائرة من التخمين والاحتمال، كما يقع فيه بعض الطلاب.

كما للشيخ ملاحظة أخرى ألا وهي ضرورة الاستفادة من الاختصاصات العلمية التي من شأنها أن تسهم في منح الفقيه ممارسة دوره كفقيه لا يكتفي بفهم بنيوية النصوص، وإنما لا بد له من التعرف على البيئة الخارجية وما فيها من عناصر تسهم في عملية الاستنباط، وقد انعكس فهمه هذا على العديد من المقررات الدراسية التي أعدها لطلاب العلوم الشرعية.

إن الموضوعات التي كتب فيه الشيخ الفضلي كما ذكرت كثيرة، ومؤلفاته بلغت السبعين^(١) كتاب، وفي مراحل متعاقبة لنموه الفكري، ولعل من أواخر تجاربه الفكرية هو إسهامه في كتابة مقررين أساسيين صنفهما الشيخ لتكون مجال استفادة طلاب العلم الشرعي منها في مرحلة السطوح وهما: (دروس في أصول فقه الإمامية)، و(دروس في فقه الإمامية)، وقد انطبع هذين الكتابين بموسوعيته، وأثر انفتاحه على الاختصاصات العلمية الأخرى، ووظف العديد من تلك الاختصاصات فيها وذكر دواعي ضرورة الانفتاح الذي قام به، وقيل أن تناول المؤلفين بتحليل أثر موسوعية الشيخ عليهما وأسبابها أعرض تمثيلاً بيانياً للمجالات التي كتب الشيخ الفضلي وعدد المؤلفات في كل فرع من فروع المعرفة:

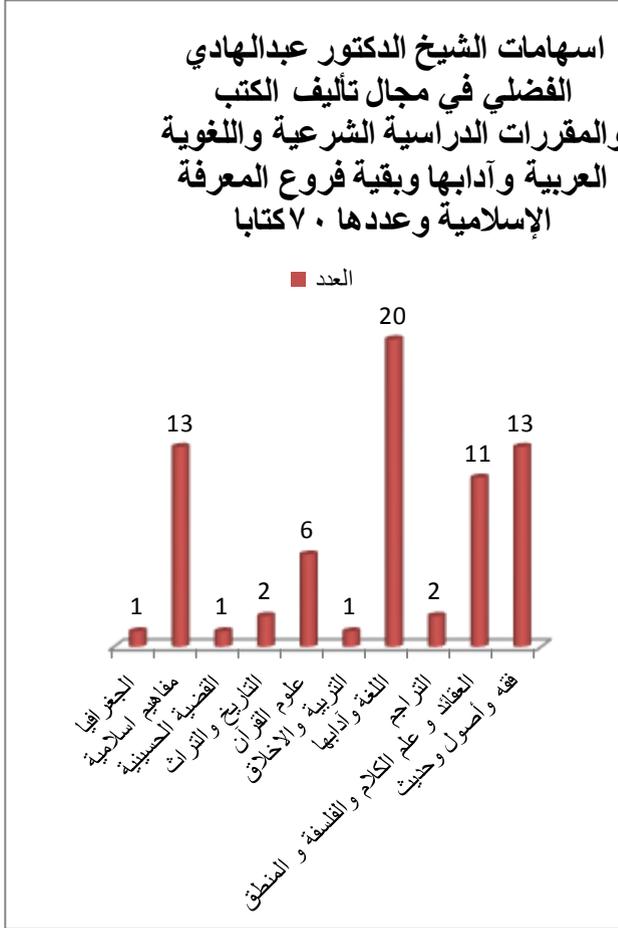
| العدد | الموضوعات | العدد | الموضوعات |
|-------|------------------|-------|--------------------------------------|
| ١ | التربية والأخلاق | ١٣ | فقه وأصول وحديث |
| ٦ | علوم القرآن | ١١ | العقائد وعلم الكلام والفلسفة والمنطق |
| ٢ | التاريخ والتراث | ٢ | التراجم |
| ١ | القضية الحسينية | ٢٠ | اللغة وآدابها |

(١) الأستاذ حسين منصور الشيخ، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تاريخ ووثائق، مصدر سابق، ص ١٣٢-١٣٣، وص ١٥٧-١٥٨، وص ١٦٩-١٧٠.

ملاحظة: قد أفاد الأستاذ فؤاد بن الشيخ الفضلي، أن عدد مؤلفاته ٧٥، وربما أن بعض كتبه لم تطبع بعد.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

| | | | |
|---|-----------|----|------------------|
| ١ | الجغرافيا | ١٣ | مفاهيم إسلامية |
| | ٧٠ | | إجمالي عدد الكتب |



أما عن كتابيه (دروس في أصول فقه الإمامية)، و(دروس في فقه الإمامية) وأثر موسوعيته على تأليفهما، من حيث مده لجسور من تواصل الإختصاصيين في الموضوع المطروح في الكتب الحوزوية، وسد الفجوات المعلوماتية في البحوث التي يطرحها، هما كما يلي:

أولاً: آثار موسوعيته على كتابه (دروس في أصول فقه الإمامية):

من الملاحظ أن الشيخ قبل أن يخط بقلمه في كتابه الموسوم بـ (دروس في علم الأصول)، قام بمسح واسع وشامل لعلم الأصول عند الإمامية: منهجاً، وتاريخاً، ودراية بمراحل تطوره الفكري كعلم، وإحاطة بمصطلحاته، ومعرفة بأعلامه والمدارس العلمية التي نشأت خلال تاريخه، وإحاطة بفهرس نتاجات علماء الإمامية فيه منذ نشأة هذا العلم، فسجل أول ما سجل من ملاحظات على علم الأصول لدى الإمامية، الإغراق في توظيف علم الكلام وعلم الفلسفة في فهم هذا العلم، وبيّن أسباب ذلك من خلال دراسة تاريخية لنشأة علم أصول الفقه لدى الإمامية، والتي تمخضت عن وجود ثلاث مدارس هي:

المدرسة الأولى: وهي مدرسة نقلية، تأسست بريادة الصدوقين، الشيخ ابن بابويه القمي المتوفى عام (٣٢٣هـ) وابنه الشيخ الصدوق، المتوفى عام (٣٨١هـ)، وسمتها الاعتماد المطلق على الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وقد ابتعد أقطاب هذه المدرسة عن الرجوع إلى العقل حتى في المعتقدات، وكانت هذه المدرسة تستمد أصولها الفقهية من الأحاديث.

المدرسة الثانية: وهي مدرسة عقلية، تأسست بريادة القديمين، وهما ابن أبي عقيل الخذاء العماني، وابن الجنيد الإسكافي المتوفى عام (٣٨١هـ)، وسمتها الاعتماد على العقل، بل وميل الأخير إلى اجتهاد الرأي وإعطاء اعتبار للقياس الشرعي المعروفين لدى علماء السنة.

وقد كان بين هاتين المدرستين خلاف كبير ما أدى إلى قيام مدرسة جديدة ثالثة للشيخ المفيد.

المدرسة الثالثة: وهي مدرسة تكاملية، تأسست بريادة الشيخ المفيد المتوفى عام

(١٣٤١هـ)، وسمتها الجمع بين المدرستين، وسلوك خط الوسط بينهما، ولم يأخذ الشيخ في مدرسته الوسطية بالقول بالعقل كما فعلت مدرسة القديمين، وإنما جعل الدليل العقلي طريقاً موصلاً إلى معرفة حجية القرآن والأحاديث الشريفة، وليس العمل بالرأي والقياس.

وظلت المدرسة الثالثة التي تمثل الاتجاه الأصولي لدى الامامية، إلى تاريخنا المعاصر، في قبال الاتجاه الإخباري والمتمثل في المدرسة الأولى النقلية، ولكن لما مُنيت به هذه المدرسة من ضعف بسبب التصدي الكبير الذي أبداه الشيخ الوحيد البهبهاني لها المتوفي عام (١٢٠٨هـ) قبال رائدها في زمانه الشيخ يوسف البحراني المتوفي عام (١١٨٦هـ)، والذي اتخذ من كربلاء مركزاً، وقد كان قبل هذا الصراع، وغياها عن مسرح الأحداث العلمية، ما حدث من إيغال للمدرسة التكاملية في توظيف علم الأصول بعلم الكلام والفلسفة كعلوم عقلية، على يد ثلاثة علماء في إيران هم الفاضل التوني المتوفي عام (١٠٧١هـ)، والشيخ الميرزا محمد الشيرواني المتوفي عام (١٠٩٨هـ) والمحقق الخونساري المتوفي عام (١٠٩٨هـ)، وفي مرحلة لاحقة بعد ضعف الاتجاه الإخباري ممثلاً في دور الشيخ الأنصاري، صاحب الرسائل المتوفي عام (١٢٧١هـ).

ومن بعده الأخوند الخراساني صاحب الكفاية المتوفي عام (١٣٢٩هـ)، وعقبه تلميذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفي عام (١٣٦١هـ) كما برز معاصر لصاحب الكفاية الشيخ النائيني المتوفي عام (١٣٥٥هـ)، وكان متأثراً بالاتجاه الفلسفي والكلامي، وانعكس هذا بوضوح على محاضراته الأصولية التي قررها السيد الخوئي والشيخ الكاظمي، وأيضاً الشيخ آقا ضياء الدين العراقي كان معاصراً للشيخين الأصفهاني والنائيني، وجميع هؤلاء عمقوا توظيف علم الكلام والفلسفة في علم الأصول، لكن بدت في النجف الأشرف ردة فعل تجاه هذا الإغراق الكلامي والفلسفي تمثل في محاولات لتطوير المناهج تمثلت في دور كل من:

١. الشيخ المظفر في كتابه أصول الفقه.
٢. السيد محمد تقي الحكيم في كتابه الأصول العامة للفقه المقارن.
٣. السيد محمد باقر الصدر في كتابه دروس في علم الأصول.
٤. السيد السبزواري في كتابه تهذيب الأصول^(١).

والشيخ الفضلي كمعاصر ومراقب لكل هذا الحراك نحو التخلص مما ثقل بعلم أصول الفقه من علم الكلام والفلسفة، وضرورة العودة إلى المنهج التكاملي وفق صياغة الشيخ المفيد عليه السلام، فقد أسهم في تقديم أبحاث سابقة في هذا المجال تحت عنوان: (منهج دراسة النص عند الأصوليين، ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره)، وبحث آخر بعنوان: «علاقة علم الأصول بالعلوم الأخرى ودور السيد الصدر في تطويرها».

وقد جعل من كتابه دروس في علم الأصول محطة علمية لإجراء عمليات تطبيقية لتخليص موضوعات علم الأصول من علم الكلام والفلسفة، وقد اتضح له بعد هذه الإسهامات أن الفقيه لكي يمارس دوره كفقيه يوظف علم الأصول في استنباط الأحكام الشرعية عليه أن يفتح على علوم لم تكن معهودة لدى طلاب العلوم الشرعية ومن أبرزها علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي، لكون الذي يقرر طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم شيئان، هما:

١. «طبيعة مادة العلم.

٢. الهدف من وضع المادة.

والهدف من وضع علم أصول الفقه ودراسته هو الوصول إلى معرفة قواعد استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المتمثلة بالكتاب والسنة^(٢).

(١) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، مصدر سابق، ص ٥-٨٧.

(٢) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٠هـ)، الجزء الأول، ص ٨٦.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وهذا الهدف يتطلب أن تنطوي مادة علم أصول الفقه على موضوعات محددة، ولكل واحد منها دليل مناسب لها وقد قسم الشيخ تلك وحدد لها الدليل المناسب وهي موضحة في الجدول التالي:

| الموضوع | الدليل المناسب |
|--|---|
| إثبات حجية خبر الثقة | سيرة العقلاء، أو قل ارتفاع درجة التعامل مع خبر |
| إثبات حجية ظهور الألفاظ | الثقة وظواهر الألفاظ من قبل الناس إلى مستوى الظاهرة الاجتماعية العامة. |
| تشخيص مراد المتكلم | قواعد اللغة، لأن تشخيص وتعيين مراد المتكلم من كلامه يتوقف على تحليل نص كلامه وهذا لا يتأتى إلا عن طريق قواعد اللغة المتكفلة بذلك. |
| تعيين لوازم امثال الحكم المطلوب | العقل الفطري، لأنها من الأمور البديهية. |
| تحديد وظيفة المكلف عند فقدان النص الشرعي، أو إجماله أو سقوطه بسبب التعارض المستحکم | ظواهر اجتماعية عامة. |

المصدر: الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول الفقه الإمامي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ١١٩-١٢٠. (بتصرف)

وبعد هذا التحديد لموضوعات علم الأصول والدليل المناسب لها خرج الشيخ بنتيجة هي أن الدرس الأصولي أمام ظواهر اجتماعية عامة، تنوع إلى:

- ظواهر لغوية - اجتماعية.
- وظواهر اجتماعية - اجتماعية.

وعليه وجد أن هذا يتطلب في مجال دراساتها الالتزام بما يلي:

- المنهج اللغوي - الاجتماعي.
- والمنهج الاجتماعي - الاجتماعي.

وكلا المنهجين يقومان على اعتماد طريقة الاستقراء، ويفيد الشيخ الفضلي بنتيجة نهائية مفادها: «ونحن بهذا نعود إلى المنهج الذي وضعه الشيخ المفيد، والذي أقصي عن ميدان البحث الأصولي عن غير قصد، وإنما بتأثير هيمنة علم الكلام على منطلقات البحث الأصولي»^(١).

ونظرًا لوضوح أهمية علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي - لدى الشيخ الفضلي - كمصدر من مصادر علم الأصول بالإضافة إلى العلوم الأخرى المعروفة كعلوم اللغة العربية، وعلم الدلالة، وعلم الأسلوب، وعلم المنطق، وعلم الرجال، وعلم الحديث، وعلم الكلام، والفلسفة القديمة، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، تجده قد وظف العديد من مفاهيمها في بناء المقرر الدراسي المذكور بعد أن سجل ملاحظاته على خلو الكتب الأصولية من ذكر مصادر علم أصول الفقه، حيث يقول:

«لم يذكر الأصوليين هذا العنوان في كتبهم الأصولية، ولم يتناولوه، وكان من الطبيعي - منهجًا - أن يبحث بشكل مستقل، ويوضع في موضعه الطبيعي من تصنيف موضوعات هذا العلم، فتنشأ به المقدمة العلمية لهذا العلم»^(٢).

ومن موارد توظيفه علم الاجتماع على سبيل المثال، ما سطره في المبحث

(١) الشيخ عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول الفقه الإمامي، مصدر سابق، الجزء الأول، ص

(٢) م. ن، ج ١، ص ١١٢.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

التمهيدي لعلم أصول الفقه حيث بعد أن أبرز دور العقل كمصدر لأصول الفقه، أو ما يسمى بـ «السيرة العقلائية»، والتي تسمى عند المتأخرين بـ «بناء العقلاء» أفاد ما نصه:

«ولأن سيرة العقلاء - أو بناء العقلاء - هي ظاهرة اجتماعية عامة، يأتي من المفيد أن نمهد للحديث عنه بتعريف الظاهرة الاجتماعية^(١).

ومن بعد هذا التمهيد عرّف الظاهرة الاجتماعية، وسمّاها من: تلقائية، وشمولية، وإلزام، وعرج بعد ذلك إلى ما يشترط أن يكون في السيرة العقلائية حتى تكون ممضاة من الشارع المقدس، وتكتسب الصفة الشرعية، أضاف لها شرطين آخرين هما: العقلانية، والشرعية.

وبالتالي خرج بشروط للسيرة العقلائية كالتالي:

١. التلقائية.
٢. الشمولية.
٣. الإلزام.
٤. العقلانية.
٥. الشرعية^(٢).

وهكذا استطاع الشيخ الفضلي أن يوظف علم الاجتماع في أحد مباحث دروس علم الأصول لدى الإمامية في مقرره الدراسي: «دروس في أصول فقه الإمامية»، وله العديد من التوجيهات النابعة من علم الاجتماع في دروسه.

(١) م. ن، ج ١، ص ١١٥.

(٢) م. ن، ج ١، ص ١٢٠.

ثانيًا: آثار موسوعيته على كتابه «دروس في فقه الإمامية»:

أعطى الشيخ الفضلي فقه المعاملات المالية اهتمامًا واسعًا مقارنة بفقهِ العبادات حيث استوعب في المجلد الأول مسائل باب الطهارة استدلالياً، وفي المجلد الثاني منه ركز على العديد من النظريات التي هي بمثابة التربة التي تنمو فيها المعاملات المالية، والتي من جملتها نظرية العرف، ونظرية الملك، ونظرية الحق^(١)، وغيرها من النظريات الهامة، وأما في مجلده الثالث، فقد تناول فيه جل وأهم المعاملات المالية القديمة والمستحدثة^(٢)، وأما المجلد الرابع فقد عنوانه بـ «معاملات البنوك التجارية» وقد أدرج فيه المسائل المستحدثة كما هو مصطلح عليه في الفقه الإمامي، وقد عرض الشيخ مسائل هذه الكتاب عرضاً استدلالياً.

وما يهمني في هذا البحث، هو تناوله لفقهِ المعاملات، حيث هذا القسم من الفقه يتسم بأنه فقهاً متحرراً، إذا ما قيس بالأقسام الأخرى من الفقه كالعبادات، والمعاملات في تقسيمها لدى علمائنا المتقدمين زماناً، كما ذكر، أو كما قسمها الجيل الثاني منهم بكونها: عبادات، ومعاملات، وأحكام^(٣)، وعلي أي حال من حيث التقسيم، فإن من الملاحظ أن الشيخ مارس دور الفقيه الميداني، حيث يرى بأن الفقيه تارة يمارس دوره كفقيه من واقع التزامه بالمنهج الفقهي الفلسفي وذلك باعتداده دراسة بنيوية النص فقط، وهو في هذه الحالة يصدق عليه وصف الفقيه الصناعي، وتارة يجمع بين المنهج الفلسفي والبحث العلمي قدر الطاقة، ويكون عندها الفقيه تحول إلى فقيه ميداني يتجاوز حدود النص ويبحث في البيئة الخارجية ليوظف العرف في فهم الموضوع ومن ثم يصدر الحكم الشرعي وفي هذه الحالة يصدق عليه الفقيه

(١) الشيخ الفضلي، دروس في فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ)، ج ٢، ص ٤-٥.

(٢) م. ن، ج ٣، ص ٩.

(٣) م. ن، ج ٢، ص ٩.

الدوقي العرفي وقد رجح الشيخ منهج البحث العلمي على الفلسفي قدر الإمكان عند بحثه لفقته المعاملات وبالتحديد في أحكام البنوك التجارية، وبالتالي فإن تجربته في البحث الاستدلالي في كتابه معاملات البنوك التجارية جاءت من وقع أمرين هامين أجملت لهما فيما سبق، وسأذكر منهجيته بقلمه بشكل أوضح بعد التأليف بين أقواله في عدة كتب وهذين الأمرين هما:

الأمر الأول: ضرورة اتباع منهج البحث العلمي والابتعاد عن المنهج الفلسفي قدر الطاقة

يرى الشيخ الفضي عند البحث في مسائل فقه المعاملات، ولاسيما منها المعاملات البنكية، ضرورة توظيف المنهج العلمي مبتعداً قدر الطاقة عن المنهج الفلسفي، كما عبر بذلك بشكل صريح حيث يقول: «ولأن هناك منهجين تناول الفقهاء والباحثون قضايا الفقه ومسائله في ضوءها، وعلى هدي تعليماتها، وهما المنهج الفلسفي والمنهج العلمي، سلكت في دراستي هذه المنهج العلمي، مبتعداً قدر الطاقة عن المنهج الفلسفي».

وذلك لما استشعره من فرق واضح بين موضوع البحث الفلسفي وموضوع البحث الفقهي، حيث يتحرك الأول في العالم التكويني، ويتحرك الثاني في عالم الفكر التشريعي، والفرق بين التكوين والتشريع هو الفرق بين التجسيد والتجريد، فما يصدق من قوانين في عالم التكوين، لا ينطبق - غالباً - على عالم التشريع للفرق المذكور.

ومن هنا إذا حاولنا أن نعين موقع المعاملات المالية - وهي من التشريع - سوف نصنفها في عالم الاعتباريات، لأنها غير ذات طبيعة مادية متجسدة في خارج الذهن، وإنما هي ظواهر اجتماعية تدخل ضمن فعاليات وآليات سلوك الإنسان، ووفق نظام خاص بها اعتمد في وضعه اعتبار المعترف.

وكذلك لما أدركته بيّنا من الفرق بين الطريقة الاستنتاجية في البحث، والطريقة الاستقرائية، حيث يعتمد الاستنتاج على التفكير المجرد ويقوم الاستقراء على ملاحظة الواقع.

وما هذا إلا لأن المعاملات المالية - كما قلت - ظواهر اجتماعية تعيش في واقع حياة الناس والطريق لمعرفة الواقع هو الاستقراء.

ويتجلى هذا أكثر عندما نعرف أن المصدر الأساسي للفكر الفقهي في مباحث المعاملات المالية هو سيرة العقلاء المعتمدة من قبل المشرع الإسلامي، والسيرة - كما هو معلوم - أنماط سلوكية تتحرك وتتفاعل في الواقع الاجتماعي.

والطريق لمعرفة الواقع - لأنه من الحسيات - ليس الاستنتاج وإنما هو الاستقراء، وعن طريق الملاحظة.

وأيضًا: إن آية ذلك ما نقرؤه كثيرًا من تعليقات فقهية على الإجماعات المدعاة في مباحث المعاملات بأنها من نوع التسالم والتواضع والمستقى من سيرة العقلاء، وليس هو من نوع المصطلح الأصولي الكاشف عن رأي المعصوم.

وقد حاولت خلال البحث التطعيم بالمقارنة - حيث يتأتى هذا - بين الفقه الشرعي والفقه القانوني^(١).

إذن كما هو ملاحظ أن الشيخ نهج منهج البحث العلمي، ورجحه على المنهج الفلسفي مبتعدًا عنه قدر الطاقة، وهذا من شأنه أن جعل منه فقيهاً ميدانيًا قريبًا من الواقع الفعلي، وهو ما ينسجم مع كون فقه المعاملات فقهًا متحررًا، وبطبيعة الحال في فقه كهذا أن يكون الفقيه متحررًا تجاهه أينما اتجه؛ ليحدد الوظيفة الشرعية

(١) م. ن، ج ٢، ص ٣-٤.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

للمكلفين بشكل يحقق لهم براءة الذمة، ولأجل هذا الغرض تجده، يبذل قصارى جهده لتحديد الموضوع تحديداً دقيقاً، تمهيداً لإصدار الحكم تجاهه، وفي سبيل ذلك يبذل أيضاً قصارى جهده للرجوع إلى المصادر التالية:

١. «الرجوع إلى أنظمة البنوك التجارية المدونة، تلك البنوك التي يتعامل معها المسلمون، سواء كانت قائمة في البلاد الإسلامية أو في خارجها.
٢. الرجوع إلى نماذج من أوراق المعاملات المعقودة بين البنوك والعملاء.
٣. الرجوع إلى القرارات البنكية الصادرة عن إدارة البنوك ومجالسها بشأن المعاملات المصرفية.
٤. الرجوع إلى الكتب والرسائل المؤلفة في الموضوع، وكذلك البحوث والمحاضرات التي تعنى بهذا الشأن»^(١).

وقد أشار الشيخ إلى أن عدم الاتجاه إلى منهج البحث العلمي القائم على الاستقراء، سيؤدي بالفقيه في موضوعات فقه المعاملات إلى اتباع المنهج الفلسفي، كما لاحظته من خلال اطلاعاته، وقد بيّن ذلك بقوله:

«وأؤكد على أن هذا لأن اتباع المنهج الفلسفي - كما هو معروف مما صدر من الكثير منهم - عند عدم القدرة على تشخيص الموضوع أو عدم وضوحه، أو لأجل الاحتياط بغية أن يتقن الباحث من دخول واحد من المحتملات، يأخذون بالمنهج المذكور، فيعفون أنفسهم من عناء محاولة التجديد، مكتفين بطرح كل المحتملات، ومحاولة معرفة حكم كل واحد من هذه المحتملات التي ترداد الموضوع بينها حسب اعتقاد الباحث.

إذ الملاحظ - هنا - وبخاصة في موضوعنا:

(١) الشيخ الفضلي، معاملات البنوك التجارية، (بيروت: مركز الفقهة للبحوث والدراسات الفقهية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٤٣.

١. أن الموضوع المبحوث عنه وفيه قد لا يأتي واحد من الاحتمالات التي ذكرها الباحث، وفي هذه الحال يصبح البحث عقيباً لا يوصل إلى النتيجة المطلوبة.
٢. أن مثل هذا البحث الذي يقوم على الاحتمالات فيه شيء من الإطالة غير المرغوب فيها.
٣. أن البنوك حقيقة مادية (جزئيات) قائمة في واقعنا، وماثلة للعيان، يمكن معرفتها بشكل مباشر ويسر، وذلك من خلال الدراسة الميدانية».

وبعد كل هذه المحاذير التي يراها في اتجاه الفقيه نحو الاستدلال عبر المنهج الفلسفي في مثل هذه الموارد، يخرج الشيخ الفضلي بنتيجة هامة يقول فيها:

«ومن هنا أرى لا بد من انتهاج طريقة الاستقراء أو الملاحظة، لمعرفة حقيقة البنك كموضوع يترتب عليه الحكم الشرعي، ويتم هذا عن طريق الدراسة الميدانية أو باتباع الخطوات المذكورة»^(١).

الأمر الثاني: ترجيحه للمنهج الفقهي العرفي على المنهج الفقهي الصناعي:

حيث المنهج الفقهي الصناعي، قائم على تحليل بنيوية النص وتركيبه كلمة وكلاماً، كما يوظف هذا المنهج نظريات الفلسفة القديمة والإسلامية، ومبادئ علم الكلام، وضوابط علم المنطق اليوناني، وما إليها من عقليات، أي أن النص الشرعي يدرس في ضوء هذه القواعد العلمية، وعن طريقها يتوصل الفقيه والباحث الفقهي إلى دلالة ومدلول النص الشرعي، ومن ثم يستخلص الحكم منه، ويقابل هذا المنهج الفقهي الصناعي، المنهج الفقهي العرفي، ويعني الشيخ الفضلي بالفقيه العرفي، هو ذلك الفقيه الذي إذا درس النص الذي سيعتمد عليه في الفتوى، تكون دراسته له مع لحاظ كيف يتعامل العرف (وهم أبناء المجتمع) معه، وبمعنى آخر فهم النص من

(١) م. ن، ص ٤٤-٤٥.

القرائن الاجتماعية المحيطة به وبالملازمات الأخرى التي لها ارتباط به، لأن الفقيه الذي يعتمد على الدراستين: الداخلية للنص من حيث بنيتها، والخارجية من خلال ملاحظة كيف يتعامل العرف معه، سيكون الأقرب إلى طبيعة وواقع فهم النصوص الشرعية، وعلى أساس من هذا، يفضل الشيخ الفقيه العرفي على الفقيه الصناعي^(١).

ويؤكد الشيخ الفضي رجحان منهج الفقيه الذوقي العرفي على الفقيه الصناعي بما يلي:

أولاً- إن الموقف الفقهي من السلوك إلى معرفة معنى النص الشرعي يتمثل في التالي:

١. الاعتماد على الدراسة الداخلية للنص بتطبيق القواعد العلمية عليه، والاعتصار على ذلك، أي أن الفقيه يعتمد على الصناعة العلمية فقط، ومن هنا نعتوه في عصرنا هذا بالفقيه الصناعي.

٢. الاعتماد على الدراستين معاً الداخلية والخارجية، وفي حالة حصول تناف بين الدالتين البنيوية والدلالة البيئية، أو اختلاف بين الفهم العلمي والعرفي، تقدم نتيجة الفهم العرفي على نتيجة الفهم العلمي، وذلك للسببين التاليين:

أ. أنه قد تثبت من الاستقراء لاستعمالات المشرع الإسلامي في خطابه وحواراته أن يسلك طريقة الناس (العرف).

ب. أن استعمال العرف هو بمثابة القرينة، والقرينة في حالة تعارضها تقدم عليه لأنها مفسرة، والمفسر يقدم على المفسر، وهذا من القضايا الواضحة.

والذي يتحكم في الفهم العرفي هو ما يمتلكه الفقيه من ذوق أدبي يوقفه على

(١) الشيخ الفضي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مجلة الكلمة، العدد ٥٥.

نكات التعبير، ودقائق التركيب اللفظي، كما أن الذي يحكم فيه هو ما يحمله الفقيه من حس اجتماعي يدرك به عرفيات النص التي يضيفها الاستعمال الاجتماعي على مغزاه ومؤداه التي هي فوق القواعد والتي هي من نتائج الطريقة الاجتماعية (العرفية) في التعامل مع الصياغات الكلامية ودلالاتها، ومن هنا نعت هذا الفقيه بالفقيه الذوقي، وأيضاً وعلى أساس منه ندرك أهمية وضرورة إطلاع الفقيه على حضارة عصور التشريع الإسلامي، وبخاصة ما يرتبط منها بفهم دلالات النصوص الشرعية، كما لا بد من دراسة دلالة النص الشرعي من أجل أن نتحرك داخل إطار المبدأ العام للتشريع الإسلامي الذي راعى فيه المشرع الإسلامي أن يلتقي دائماً وأبداً مع طبيعة الانسان في تكوينه الجسدي والروحي والنفسي والعقلي، تلك الطبيعة التي عبر عنها تعالى وتقدس بالفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم ٣٠]، وداخل دائرة علاقاته الاجتماعية فرداً وأسرة ومجتمعاً ودولة، وبها يحافظ على مقاصد الشريعة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال»^(١).

ولأجل هذين المنطلقين، تجد أن الشيخ يمارس دور الفقيه الذوقي العرفي بشكل جاد، وعليه إذا أراد أن يطرح موضوعاً لبحثه، تجده قبل أن ينتقل إلى البحث الميداني ليلاحظ أبناء المجتمع، وليجمع القرائن الاجتماعية المحيطة به، وبالملايسات الأخرى التي لها ارتباط بالموضوع، يبحث الموضوع في إطاره العلمي مشخصاً إياه لغة واصطلاحاً وبشكل موسع من كل الاختصاصات، الفقهية، والقانونية، والاقتصادية، وبالمصطلحات اللغوية على اختلافها إذا كانت لها أهمية في تشخيص الموضوع، ومن ثم يتجه إلى دراسة النصوص الشرعية.

(١) الشيخ الفضلي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مصدر سابق.

وهذا لا شك فيه دور بحثي جاد من شأنه أن يفتح ذوي الاختصاصات المختلفة على الموضوع المطروح على مائدة البحث، بشكل يزيل اللبس ويسد الفجوات المعلوماتية، مما يسهل أخذ الحكم الشرعي في ضوء الضوابط الفقهية المعروفة، بكل وضوح ويسر، وهذا التنوع في الاستفادة من ذوي الاختصاصات المختلفة يعكس جانباً من موسوعية الشيخ، وسعة اطلاعه.

ولعل في ظل هذا الترجيح الذي يراه الشيخ الفضلي من ضرورة للتحويل إلى منهج البحث العلمي قدر الطاقة، وأن يكون الفقيه ذوقياً عرفياً ما يعزز من ضرورة قيام مؤسسة تعنى بدور تزويد مكاتب الفقهاء ببيانات عن المنتجات البنكية، وتكييفها شرعياً في مرحلة أولية من الناحية الفقهية ثم تقدمها بعد ذلك للفقهاء من أجل النظر فيه، وتقديم الفتاوى المناسبة حيالها، وفق معطيات الميدان، ويكون في ذلك براءة لذمة المكلفين.

ثانياً: البعد التطبيقي لمد الجسور بين الاختصاصيين لفهم موضوعات فقه المعاملات.

في ظل الإطار التنظيري الذي طرحه الشيخ الفضلي لدور الفقيه الذوقي العرفي، الذي يوظف منهج البحث العلمي الاستقرائي في موضوعات فقه المعاملات قدر الإمكان، مما لا شك فيه بأن طرحه لهذا الموضوع في حد ذاته يعتبر إنجازاً هاماً على مسار تطور دور الفقيه، الذي يرجع له المكلفون في ممارساتهم، سواء كانت العبادية أو المعاملاتية.

ومن أجل المطابقة بين ما تم تنظيره، وما تم تدوينه في كتابه الموسوم بـ «معاملات البنوك التجارية»، أقترح بأن لا يتم ذلك في عمالة من الأمر، وإنما تعطى فرصة أوسع من حيث الوقت والأدوات، لا سيما وأن هذه المنهجية مستخدمة وبكثرة في الدراسات الأكاديمية في أطروحات الماجستير والدكتوراه، والبحوث

المنشورة في المجلات المحكمة، بل وبعض المؤسسات المتخصصة في الدراسات
الفقهية المالية، لدى المذاهب الإسلامية الأخرى^(١)، وفي سياق هذا المقترح أرى بأن
تعقد لها أطروحتين علميتين وذلك كما يلي:

الأطروحة الأولى: يتم فيها المقارنة العلمية بين ما نظره الشيخ في منهجيته
القائمة على ضرورة ممارسة دور الفقيه الذوقي العرفي الذي يوظف منهج البحث
العلمي الإستقرائي في موضوعات فقه المعاملات وبين ما أنجزه الشيخ في كتابه
الموسوم بـ «معاملات البنوك التجارية». يتم من خلاله اختبار عدة فرضيات للتأكد
من صحتها، وتبدو أهمية هذا البحث في حالة تمامه - وذلك من خلال الربط
التطبيقي ما تم تنظيره وما تم إنجازه في الكتاب المذكور - سيكون زادًا علميًا لطلاب
العلوم الشرعية، كما سيعمل على تزويدهم بمهارة الممارسة العملية لمنهج الفقيه

(١) انظر على سبيل المثال:

- الدكتور أحمد بن حسن الحسني، الوداع المصرفية، (مكة المكرمة: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠-١٩٩٩م).
- الدكتور عبد الرحمن بن صالح الأطرم، الوساطة التجارية في المعاملات المالية، (الرياض: دار اشيليا للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).
- الدكتور يوسف عبد الله الشبيلي، الخدمات الاستشارية في المصارف وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).
- الدكتور أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).
- الدكتور عمر مصطفى جبر إسماعيل، ضمانات الاستثمار في الفقه الاسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٠-٢٠١٠م).
- الدكتور صهيب عبد الله بشير الشخانة، الضمانات العينية: الرهن ومدى مشروعية استشاره في المصارف الاسلامية، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- فتحي زناكي، شركات المساهمة في القانون الوضعي والفقه الاسلامي، (دار النفائس للنشر والتوزيع)، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

الدوقي العرفي في فقه المعاملات فيما بعد.

الأطروحة الثانية: وهي دراسة تتجاوز حدود القبول الأولي لهذه المنهجية بحيث تدرس مدى كفاية الأدوات التي طرحها الشيخ لتمكين الفقيه من قيامه بدور الفقيه الدوقي العرفي؟ وما هي مجالات التطوير المتاحة في هذا المنهج؟ وما أثرها على واقع الدراسات العليا الشرعية؟ وما هي أوجه الدعم المطلوبة من المؤسسات الاختصاصية لدعم طلاب العلوم الشرعية فيها؟ لا سيما إذا علمنا بأن هذه المنهجية تستلزم من الفقيه الدوقي أن يخرج إلى الواقع الاجتماعي، والحال أن بيئة مثل هذه البحوث تكتنفها العديد من المعوقات، الأمر الذي يستلزم تقديم الدعم والمساندة له، من جهات بحثية متخصصة في إجراء البحوث الميدانية لتوفير المعلومات الأولية من مجتمع الدراسة التي سيتولى دراستها تمهيداً لإصدار الحكم الشرعي حولها كمرحلة نهائية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما مدى أثر دراسة هذه المنهجية على الملكات البحثية لطلاب العلوم الشرعية الذين سيدرسون هذا الكتاب لا سيما وأن الشيخ الفضلي طرح هذا الكتاب ليكون كتاباً دراسياً في مرحلة السطوح؟

المطلب الثاني: حفاوة الشيخ بالمؤلفين:

لقد عاش الشيخ الفضلي الكتابة فعشقها، وأحب كل من يأخذها طريقاً في بناء الإنسان ومعارفه، حتى صار قبلة لمن أراد الاسترشاد والاستئناس بوجهات نظره، ليس من أجل التصويب والتصحيح فقط، بل ومن أجل التوسع والإفاضة في الموضوعات التي سيكتب فيها، إذا كانت في مجال الدراسات القرآنية، والقراءات، والحديث وعلم الرجال، والفقه، والأصول، واللغة: نحواً، وصرفاً، وبلاغة، وأدباً، والمنطق، والفلسفة، وعلم الكلام، والتاريخ الإسلامي، وكل علم من العلوم الإسلامية، لأنه سيجد فيه عالماً لا ساحل له، وسيدرك عن قرب مصداقية مقولة آية

الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمته الله فيه حينما خرج الشيخ الفضلي من الحوزة وتوجه إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٧١م، حيث قال له: «إن مما يجز في نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد في الإقامة فيها أمثالكم، ممن يرفع الرأس عاليًا، ويشكل رقمًا من الأرقام الحية على عظمة هذه الحوزة، التي تتيح رغم كل تبعثرها، أن ينمو الطالب في داخلها بجهد الخالص إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدبًا وثقافة، وعلى أي حال سواء ابتعدت عن الحوزة مكانًا، أو قربت، فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها، وأرجو أن لا يكون انقطاعك عنها إلا شيئًا عرضيًا».

لهذه الملكات لم يتردد العديد من طلاب العلم والأكاديميين في أن يعرضوا تجاربهم الكتابية عليه.

المطلب الثالث: قناعة الشيخ بأهمية التأليف كرسالة للمبلغين والدعاة:

إن الفضلي لشدة اهتمامه وقناعته بأهمية التأليف والكتابة لتجده عندما يكون في مقام تقييم تجارب العلماء وطلاب العلم، يرى بأن من لا يكتب، أو يغادر هذه الدنيا دون أن يترك مؤلفًا ينتفع به الناس فقد انثلم جانب كبير من وعاء رسالته كداعية، ومبلغ لشرع الله بين العالمين.

فهو يرى بأن العالم إذا كتب يكون بذلك ترك بصمته الفكرية على طول خط الزمان الذي عاشه، والذي لم يعيشه أيضًا: الماضي، والحاضر، والمستقبل، فبصمته على من سبقه تنكشف من خلال مناقشاته لآراء الماضين، أو عند اقتباسه لنصوصهم وقبوله لها، أو تقويمها، وبصمته في حاضره تتمثل في تناولاته الفكرية وإفاداته الإبداعية، واستشرافاته المستقبلية، وبصمته في مستقبله تتمثل في كون أفكاره ستحتويها دفات الكتب لتسجل صوتًا سيظل يدوي عبر الأجيال في مسامع الزمن، بل وسيجني ثمار جهده أكثر وأكثر إذا جاء من بعده من يكمل لوحته الفكرية

لتذوق جمالها الأجيال، ويكون بذلك ساهم هذا الأخير في إحدى خطوطها وألوانها.

ومن مؤشرات قناعته تلك، وجدته لما أتتته عند كتابتي لكتاب «ملامح الحياة الفكرية والأدبية في الأحساء»، ونويت خلالها التوسع في كتابة سيرة بعض الشخصيات العلمية الأحسائية لمختلف الطيف المذهبي فيها من إمامية وأحناف، وشافعية، ومالكية، وحنبلية، ونظرًا لكمها الكبير ذكرت له أي استرشدت برأي الشيخ عبد الرحمن الملا مؤلف كتاب تاريخ هجر، في خصوص من أكتب عنه من علماء أحسائيين من غير علماء الإمامية الأحسائيين، وقد فاجأني الشيخ عبد الرحمن حينها بأن أكتب فقط عمن كتب، لأنه وإن فقدت أشخاصهم لدى جيل الحاضر والمستقبل، فهو باق بينهم بعلمه وفضله الذي كتبه، ولا يزال يستفيد الناس من إنتاجه، عندها أردف الشيخ الفضلي بقوله: نعم وهو الرأي الصواب، وزاد عليها ما ذكرته من مريياته حول ضرورة التأليف، وكيف حال العالم إذا كتب يكون عاش بخط زمني طويل يمتد أوله في الماضين وينتهي في القادمين.

ولأجل هذا العشق الذي عاشه للبحاثة والمؤلفين تجده يمنح الأوراق التي تدخل مكتبته العناية الفائقة للمراجعة، سواء كانت بغرض الاطلاع أو التصويب، أو التصحيح إن استلزم الأمر، حتى ليحسب المؤلف أن الشيخ الفضلي ليس له من عمل غير تصحيح الكتب ومراجعتها، وتصويبها إن استلزم الأمر لفرط سرعته، واهتمامه بما يقدم إليه، وكلمة: (إن استلزم الأمر) أكررها، وأعني بها من خلال هذا التكرار الشيء الكثير والهام الذي يميز الشيخ عند مراجعته لكتابات الآخرين، حيث تجد فيه الأدب الجم، والذوق الرفيع، بحيث لا يقتحم عالم الكاتب وأفكاره إلا بوجه حق.

وهذا ما لاحظته الدكتور أحمد فتح الله التاروقي مؤلف كتاب «معجم ألفاظ الفقه الجعفري»، وهو ممن عركته الأيام والبحوث باللغتين العربية والإنجليزية،

وكان لاحتياظه العلمي فيما كتبه في كتابه المذكور أراد أن يستأنس برأي مختص في مجال الفقه، فقد ذكر لي شطراً من تجربته عند تأليف هذا المعجم النافع لطلاب المعرفة في مجال الفقه، وخلاصتها أنه لما أنهى دراسته في أمريكا ومن أرقاها مستوى في مجال البحث العلمي، حيث لا يتاح لطلاب الدكتوراه أن يسجل عنوان أطروحته ليتم تحديد مشرف عليها إلا بعد أن ينشر بحثين محكمين في مجلة علمية معترف بها، وفعلاً قد اجتاز كل تلك الصعاب، وقد كان مجال دراسته في اللغات، وبالتحديد في مجال اللغة العربية، ومن جامعة أمريكية، وذلك بعدما أنهى درجة البكالوريوس من جامعة الرياض والمسماة حالياً جامعة الملك سعود.

وفي ظل هذه المعطيات عن شخصية الدكتور أحمد، ندرك بأنه قامه علمية كبيرة، ليس بحاجة إلى مراجعة كتابه معجم ألفاظ الفقه الجعفري إلا احتياطاً منه، ونزاهة واحتراماً للاختصاص الفقهي، وهو شعور وممارسة ليست بالغريبة على فاضل ومختص مثله، ولو أنه لم يدون كتابه المعجم المذكور لن يمس ذلك من رسالته كأستاذ جامعي شهدت له مجالات البحوث اللغوية المحكمة، والجامعات التي تخرج فيها بملكاته العلمية، وبتحولاته العلمية المتقدمة.

يقول: عنّي أن أكتب معجماً لألفاظ الفقه الجعفري، فاعتزلت في شقة في الأحساء لمدة سنتين، حيث جامعتي التي أدرس فيها آنذاك جامعة الملك فيصل بالأحساء، وعائلتي تسكن في مدينة تاروت في محافظة القطيف، وكتابتي لمعجم فقهي لم يكن من واقع الاختصاص كفقيه، وإنما من واقعي كلغوي أمتلك مهارة إعداد المعاجم في أي مجال من المجالات، فاخترت ألفاظ الفقه الجعفري؛ رغبة مني في خدمة العلم الشرعي، ولما فرغت من المعجم قدمته إلى الشيخ الفضلي، فما كان منه إلا وفي وقت وجيز جداً، قد أرجع الكتاب، وبه بعض الملاحظات العلمية والفنية، وقد ذيلها بملاحظات بالقلم الرصاص، مفادها: بأن لي القرار بالأخذ بتلك الملاحظات أو عدمها، وزادني دهشة منه أن أجده ذات يوم بعد وفاة والدتي يقف على باب البيت معزياً، ومعتذراً عن تأخره في تقديم واجب العزاء له في حينه، لعلمه

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

بوفاة والدتي متأخرًا، على الرغم بأنه لم تجمعني به صحبة طويلة، ولما أبدت حرجي من تجشمه عناء الوصول إلى البيت بعد انتهاء أيام العزاء، حيث فيه مشقة على الشيخ وهو في ذلك العمر، فأجابني بأنه لم يقم بغير الواجب.

لعل هذه الحادثة تكشف عن عمق احترامه وتقديره للعلماء الكتاب، وحفاوته بما يكتبون.

هذا شأنه مع النخبة العلمية التي التقت معه في محور التأليف، وتراه بنفس هذه الروح الطيبة يفتح على الذين يبدأون تجاربهم الكتابية، بل ويبارك لهم أعمالهم إذا طبعت، كما لو كان يبارك لأحدهم بولادة ولد له، وقد عايشت إحدى تلك التجارب مع أحد المؤلفين، ولم يكتف بأن يستقبل من يفد إليه بعنوان الدعم في مجال التأليف والكتابة، بل تراه يبحث عنهم وعن إنجازاتهم ويبرزها للعالم، ولا أدل على ذلك كتابه الذي جمع فيه عناوين مؤلفات الأحسائيين، بشتى اختصاصاتهم، الدينية وغير الدينية.

وكم كان تفاعله بالغًا لما طلب منه «مهرجان الغدير» في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء في عام ١٤١٢هـ - وكان تحت رعاية سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي الهاشم العلي، وإدارة الشيخ عادل بن علي الأمير - بأن يكرر تجربة مسابقة البحوث التي أشرف عليها في لندن، وقد جاءته هناك بحوث بالعديد من اللغات، ومن عدة جنسيات: العربية، والإنجليزية، وغيرها من اللغات، وكما بلغني منه أن أحد اليابانيين في لندن تقدم ببحث عن الإمام علي عليه السلام حيث دفع ما هو بلغات أجنبية لمختصين في تلك اللغات.

أما التجربة الأحسائية في مسابقة مهرجان الغدير المذكورة، فقد بارك الدعوة وواصل المشوار: تحديدًا للعناوين، ومراجعة للبحوث، وتصحيحًا لأخطائها، وتقييمًا لها تمهيدًا لتحديد مراكز المتسابقين، وتسليمًا لجوائزها، وقد أسهم في تحكيم

البحوث معه سماحة الشيخ الدكتور محمود المظفر، حيث كان يقوم بالتدريس آنذاك في جامعة الملك عبد العزيز بجدة بقسم النظم بكلية الاقتصاد والإدارة، وكررت التجربة مع إضافة مسابقة الترجمة فيها، وكان هذا في عام ١٤١٣هـ، وقد صدرت العديد من الدراسات وتم طبعها.

المطلب الرابع: عنايته بتقريظ المؤلفات:

وأما تقريظ المؤلفات فله شأن آخر، حيث ينفق من وقته الثمين للتقريظ والتركية، احتراماً وتقديراً للجهد المبذول فيها، ولعلمه بما ستركه في أعماق الكاتب حينما يرفه إلى العالم كاتباً واعدداً، أو ربما كاتباً جديراً لكنه بحاجة إلى كسر حاجز وهمي في نفسه و فقط، وبالتالي كتابة تقريظ له يعمل في نفسه الشيء الكثير، وكأنها يرف شاباً إلى عروسه.

ومن الملاحظ أن الشيخ الفضلي كان يكتب تلك التقارير، بعد قراءة كامل الكتاب وتصحيح ما به من أخطاء إن وجدت، سواء كانت نحوية، أو إملائية، أو تاريخية أو شرعية، بعدها يكتب تقريظه، وهذا ما وجدته من خلال مطالعتي لما قام به من تقريظ لبعض الكتب التي قرّظها، كل هذا وهو في حالة من أصعب أيام حياته ضيقاً وحرَجاً. حيث أنه يشعر بأن صحته في تدهور مستمر، وأن أيام سنين حياته في عدد، ولم يغادر جامعة الملك عبد العزيز بتقاعد مبكر، إلا من أجل أن يتفرغ فيما بقي من عمره الشريف لإنجاز مشاريعه التأليفية وبالخصوص في مجال كتابة المقررات الدراسية، وتطوير موادها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، وإذا بالكتّاب تأمل منه أن يكتب لهم تقارير لكتبهم، ومع ذلك تراه قد أثر الجميع بوقته الثمين الذي كان ظنين به إلا عن المؤلفين والباحثين.

ولكن يحسب له من إنجازاته في مجال التأليف ودعم المؤلفين، أنه قرظ ١٣٠ كتاباً، و ٩٥٪ من تلك التقارير قدمها للمؤلفين بعد تقاعده من جامعة الملك عبد

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

العزير بجدة، وعليه يمكن الخروج بنتيجة مفادها أنه بدوره هذا قد أسهم بشكل جوهري في دفع حركة التأليف في المنطقة.

ومع هذا وذاك وفي غمرة هذه الظروف بين اعتلال الصحة، وطلب المؤلفين أن يراجع لهم كتاباتهم، تجده لم يتخل عن القلم والدفاتر والمراجع، حتى في نقاهته بعد وعكته الأولى والتي طلب منه الأطباء فيها أن يستريح من عناء جدولته اليومي الشاق، وإذا به يكتب ثلاثة كتب ما بين عام (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) وعام (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) وهي: «خلاصة الحكمة الإلهية»، و«الموجز في علم التجويد»، و«من مصادر الفكر الإمامي في العقيدة والتشريع»، بعدها أصيب بمرضه الأخير الذي لازمه حتى آخر أيام حياته، فصح أن يقال عنه: أن الفضلي كتب ثلاثة كتب بين وعكته.

□ الببحث الثالث: مدى إمكانية استنساخ تجربة الفضلي في الببحث والتأليف

ما أحوجنا إلى استنساخ امتياز تجربته في عالم التأليف والكتابة، بغض النظر عما سطره في بعض منها من وجهات نظر، قد تجعله في مقام النظر والتأمل من قبل البعض، والقبول والتأييد من البعض الآخر.

فتجربته مع القلم والكتابة يميزها أنها ستظل خالدة ما بقي الدهر، وهي سنة الله في خلقه، وهذا هو ديدن العلم المكتوب، قد تكون أعيان المؤلفين فيه مفقودة، لكن آثارهم بين أيدي طلاب المعرفة موجودة، فقد انتقل إلى رحمة الله، وفارقنا ولم نرتو بعد من منهل تجربته، ولكن مما يحسب له أنه دون شطراً من علمه على صفحات الكتب، لتظل رسالته خالدة ما خلدت الأيام والسنون، واستفادت منها الإنسانية حيثما وصلت إليها.

وعندما أطل على القراء بمسألة استنساخ امتياز تجربة الفضلي في الكتابة

والتأليف، ربما أقولها من باب ما ينبغي أن يكون في حياته وليس بعد رحيله، لأن استنساخ امتياز التجربة لأي مبدع، هي في واقع الأمر علم قائم تتكفل به بعض التقنيات في مجال التنمية البشرية، ولو تمكنا من ضبطها وتقييدها آنذاك لكان لها الشأن الكبير في تسرية نجاحه إلى متطلع للنجاح في مجال الكتابة، وفعلاً أشعر بالخسارة أني لم أقف عليها بشكل تفصيلي لكن تلمست بعضها من خلال حديثه في جلسات متفرقة، وهي جديرة بالذكر على الرغم من تفرقتها، لذا سأذكر بعض ما لدي منها، وهي كالآتي:

١. الاطلاع المكثف على الموضوع المراد الكتابة فيه، بشكل مسبق حتى إذا ما جاء دور الكتابة يكون لدى الباحث رؤية واضحة، ولا يمنع من تدوين المقتطفات والملاحظات على ما يقرأ، وفي حالة عدم الأخذ بهذه الخطوة سيجد الباحث أنه في مراحل متقدمة من البحث، قد يتعرض للترقيع، لاسيما إذا ما واصل مطالعته في المراجع والمصادر، حيث من المحتمل أن تبدو له فكرة إضافة استشهاد هام أو فصل، أو مبحث، أو مطلب دون الإعداد والتهيئة له في الخطوة البحثية، وإذا ما أراد أن يقحم تلك الإضافة الهامة في نظره والتي تولدت بفعل المطالعة، سيجد أن من الصعوبة بمكان إدخالها، وإن حاول سيكون بعد جهد جهيد، وإن لم تنفع المحاولة حتماً سيصاب بحته بالترقيع كما ذكرت، وسيكتشفها من له خبرة بالبحوث والدراسات، بل وحتى القارئ النبيه.

٢. إذا ما تم كتابة النص، على الكاتب أن يترك ما كتبه وينشغل بأي أمر آخر سواء بقراءة موضوع ما، أو إنجاز عمل مكتبي آخر، أو ربما السعي لشأن عائلي، ثم يعود للنص مرة أخرى، عندها سيكتشف ثغراته البحثية، وربما أخطائه الاستدلالية، أو أخطائه اللغوية، والإملائية، وإن سلم البحث من كل هذه المشاكل والعيوب، ربما سيجد بصيصاً من النور في آفاق بحثه يلزمه متابعتة، عندها سيجد مجالاً للتطوير والإضافة.

٣. تنظيم الوقت، وما أدراك ما تنظيم الوقت في حياة الشيخ الفضلي، هي مسألة

جادة غير قابلة للمزاحمة، إلا ما استقطعه أو خصصه في برنامجه اليومي، وقد دونت تجربته تلك بشكل تفصيلي في كتابي: الناجحون: تجارب وعادات، قلت فيها:

«لقد أتاحت لي العلاقة مع الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، مجالاً للاطلاع على برنامجه اليومي بعد أن تقاعد من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وكان برنامجه مثلاً للاحتذاء فقد أثمر عن شخصية ناجحة، بل تحول بفضل الالتزام بتنظيم الوقت إلى مدرسة للنجاح في عدة ميادين علمية وميدانية، فهو الآن أحد أعلام العربية على الصعيد العالمي، وعالم ديني بارز، ومفكر، وكاتب، وأديب بارع، عاش الدراسة الدينية في أرقى منازلها العلمية، ومارس الحياة الأكاديمية وكان في الطليعة المميزة بين أعضاء هيئة التدريس فيها.

برنامجه اليومي يبدأ والعالم من حوله يغط في سبات عميق، عدا أمثاله من الناجحين، فهو يستيقظ باكراً، قبل الفجر بساعة، أو ساعتين ويشرع في برنامج عبادي، وبحثي حتى تشرق الشمس، بعدها يتناول الإفطار، ثم يطلع على الصحافة المحلية، بعدها يواصل مشوار بحثه حتى الظهر، وبعد صلاة الظهر والعصر، وأخذ قسط من الراحة وتناول الغداء، يفرغ لأبنائه وأحفاده وأسباطه، عصرًا وحتى الغروب، وبعد صلاة المغرب والعشاء يستقبل زواره بشكل منتظم حتى الساعة التاسعة ليلاً، ثم يخلد للنوم استعداداً ليوم آخر حافل بالنجاح والإنجاز، وبفضل هذا البرنامج أُلّف من الكتب والمراجع العلمية، ما يربو على ستين كتابًا، ولعل برنامجه يشتمل على نظام يشترك فيه العديد من الناجحين، وذلك القاسم المشترك هو إيداع أكبر إنجازاته في وعاء يومه قبل كل شيء ثم يتفرغ للأمور الاعتيادية المطلوبة منه كأب مع أبنائه، أو كعالم بين رواده من الباحثين، والمثقفين.

الملفت في تجربة الشيخ الدكتور، أنه استطاع أن يطبع أفراد عائلته ببرنامجه، واستوعبها جيداً فرسالته في الحياة معلنة لدى الجميع، بل والكل يعلمها ويقدرها،

ولذا يسعون بتهيئة الظروف لإنجاحها، وقد حدث أن عشت واحدة من المواقف الكاشفة عن هذا الأمر.

ففي إحدى الليالي التي كنا نتردد عليه في منزله المسمى بـ «دائرة الغريين» بحي المباركية في مدينة الدمام عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، وكان كعادته عالماً، رائعاً في عرض معلوماته مهما تنوعت من حيث المشرب الفكري، طال بنشأتها الزمان أو قصر، حيث له من الذاكرة القوية، والرصد الدقيق للأحداث: قديمها وحديثها ما يلفت الانتباه ويثير الإعجاب، وقد ازدحم المجلس بالحضور في تلك الليلة، وزادت المشاركات والمداخلات من الضيوف، ما أدى بالجلسة أن تزحف على موعد ختام برنامج الاستقبال اليومي المقرر سلفاً، فما كان من ابنه الأستاذ فؤاد إلا أن اعتذر بطريقة لبقة بعبارة كعادته، موضحاً أن برنامج الشيخ قد انتهى ولا بد أن يستعد للنوم^(١).

هذا بعض ما وقفت عليه منه ﷺ، وربما تكشف الأيام عن باحث استطاع أن يرصد بشكل تفصيلي عن الخطوات التي يعتمدها الشيخ كتقنية دأب عليها، فتقنن ويستفاد منها، وهذا أمر موكول إلى الأخصائيين في مجال الهندسة النفسية بشكل حصري.

□ المبحث الرابع: القواسم المشتركة التي جمعت ابن أبي جمهور وابن زين الدين والفضلي

بعد أن تجولنا في حياة هؤلاء الأعلام الأحسائيين الثلاثة، لعل من الجدير بنا أن نستخلص الدروس من حياتهم، وسيرتهم العملية، لنرى كيف أصبحوا أرقاماً عالمية، تخدم الإسلام، وتشر راية المعرفة، كما أنها مثلت الأحساء عالمياً، في حراكه نحو العلم والمعرفة، وهذا أمرٌ منسجمٌ مع واقعها المعرفي والثقافي، فهي رحم علمي

(١) محمد بن جواد الخرس، الناجحون تجارب وعادات، (الأحساء: مصنع الجواد للطباعة والتغليف، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ص ٨٣-٨٥.

كبير كما يشهد بذلك مراقبي الساحة العلمية، أكدت على طول تاريخها القديم والمعاصر بأن أرضها لم تخل من المدارس العلمية، فقد أحصيت في كتابي فقهاء الأحساء الصادر بتاريخ ١٤١٥هـ من شهدت لهم العلماء بفقاهتهم بالمعنى الاصطلاحي الذي يعني القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ٤١ فقيهاً أحسائياً من المذهب الإمامي، وهو مرحلة مبكرة في الإحصاء، إذ من المتوقع أن يرتفع العديد في تاريخنا المعاصر إلى ٥٠ فقيهاً، وذلك بلحاظ كثرة الفضلاء الذين بلغوا درجة الفقاهاة من الجيل المعاصر لاسيما منهم من تفرغ للدراسة الدينية في معاقلها العلمية في كل من العراق وايران في العقود الخمسة الماضية وقد وقفت على الإجازات الفقهية للعديد منهم.

وإن مما يعزز بديهية هذه النتيجة هو أن الأحساء تحظى بطيف مذهبي يندر وجوده على مستوى العالم في مساحة جغرافية لا تزيد مساحتها عن ٥٣٠ ألف كم مربع، تشكل الصحراء منها ٤٠٪ من مساحتها، وفي الوقت ذاته تحتضن أكبر واحة على مستوى العالم وفق أدق المقاييس الدولية في تعريف الواحات، أغلبها أشجار النخيل، وكما احتضنت النخل بثماره البانعة، احتضنت بيوت العلماء، وما يتصل بهم من مراكز ذات صلة في بعد إشعاعهم الروحي: من مساجد، وحسينيات، وأربطة علمية، ومدارس، وحوزات، ومكتبات، لذا تجد فيها العالم الإمامي، والحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي^(١)، ليس على مستوى الأفراد بل عوائل علمية في المجال الشرعي لازمت الدرب طويلاً تتعهدده، بفلذات أكبادها لتؤكد على طيب القرائح وحب العلم والمعرفة، بل وهناك حراك علمي نحو ولادة أسر علمية جديدة في مجال العلوم الشرعية، فقد برز في الجيل الجديد من بعض العوائل من أنجبت شخصيات علمية قدمت خدماتها الدينية في مجال الإرشاد الديني والتدريس، وبعض منها بلغ درجة الفقاهاة، وأصبحت شخصيات علمية هامة في

(١) محمد بن جواد الخرس، مدينة الهفوف: مدخل حضاري لدراسة مظاهر الحياة في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء، (بيروت: مؤسسة الأسفار، ١٤٣١هـ)، ص ٣٥٠-٣٩٧.

تاريخ العلم الشرعي في الأحساء، ولعل هذا الموضوع يحتاج إلى بحث بتأن وروية حتى يتم استيفاءه من الناحية البحثية كمصاديق وليست عناوين فقط، ومن أراد التوسع في معرفة علماء الأحساء على شتى مذاهبهم وشخصياته السابقة والمعاصرة فيمكنه الرجوع إلى عدة مصادر مطبوعة أو على شبكة الانترنت^(١).

ومما لاشك بأن لهم حضورًا في التوعية الشفهية والكتابية، لكن يغلب عليهم التبليغ الشفهي بشكل أكثر من التحريري، وهي سمة لازمت الكثير منهم، وحتى

(١) انظر على سبيل المثال:

- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، للشيخ علي بن حسن البلادي.
- مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين، للشيخ جواد بن حسين الرمضان.
- منتظم الدرر تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، للشيخ علي بن حسن البلادي البحراني.
- أعلام هجر، للسيد هاشم الشخص.
- شخصيات رائدة من بلادي، للاستاذ معاذ بن عبد الله المبارك.
- الفهرس المفيد في تراجم أعلام الخليج، للأستاذ أبو بكر عبد الله الشمري.
- من أعلام مدينة المبرز، للأستاذ عبد الله بن عيسى المبرز.
- كتاب «مدينة الهفوف» السالف ذكره، ذكرت فيه الحوزات، والمدارس، والأربطة العلمية في مدينة الهفوف ومن تخرج فيها من أهل العلم، ومن أراد التوسع أكثر يمكنه الاطلاع في الكتاب نفسه، في الفصل الثاني منه على قائمة الدراسات والكتب والبحوث التي أعدتها عمن قام بالتأليف عن الأحساء فقط، حيث كشف الدراسة هناك عن مؤلفين عنها في مجال التاريخ، والجغرافيا، والاقتصاد، والزراعة، والتعليم، والاجتماع، والفكر والأدب، سواء كانت باللغة العربية أو بلغات أجنبية، وما أرغب في الإشارة إليه هنا بخصوص الحديث عن حالة التأليف وطباعة ما يؤلف وينشر، أن هذا الفصل أورد العديد من أسماء المؤلفين وأغلبهم من الأحساء، كما يشير إلى أن هناك توجهًا إيجابيًا لدى المؤلفين الأحسائيين نحو طباعة ونشر ما يتم تأليفه.
- العديد من المواقع الانترنت نشرت العديد من بيانات النشر للمؤلفات الأحسائية كما هو الحال في موقع مشهد الأحساء، وموقع المطيرفي، وموقع شبكة هجر، وغيرها من المواقع المهتمة بهذا الشأن.

من كتب لم يعتن بطباعة ما يكتب^(١)، وإن طبع فإن أغلب كتبهم تجدها في دائرتهم الخاصة، ربما لا تفارق الدول المطلة على الخليج العربي، هذا حال المؤلفين ممن سبقوهم وأقرانهم بدءاً من قرون ما قبل عهد الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي المتوفي ما بعد عام (٩٠٦هـ - ١٥٠١م)، حتى أوائل القرن الخامس عشر الهجري، وبعد هذا التاريخ بدأت تطل علينا كتابات بأقلام أحسائية جديدة بالذكر، وهي تعكس حالة من الوعي نحو التأليف والنشر معاً، وعبر دور متخصصة، ولكن هؤلاء الأعلام الثلاثة، كان لهم ما يميزهم في تجربتهم العلمية لعل أبرزها ما يلي:

١. الموسوعية المعرفية، وهي لازمتهم جميعاً حيث لهم في أغلب مجالات المعرفة الاسلامية حضوراً معرفياً، وكتبوا فيها إما كتباً خاصة بكل علم، أو تعرضوا لمطالبها بشكل عرضي في بعض كتاباتهم، ما يعكس تضلعهم في تلك المعارف، بل وقد يزيد عليهم الشيخ الأوحى باسترساله في بعض العلوم كالرياضيات، والكيمياء والطب، والفلك، والهندسة والعديد من العلوم التطبيقية.
٢. التجديد والإبداع فيما يكتبون، وقد لا يكون التجديد في أصل الفكرة فقط، بل يمكن أن يكون التجديد في طريقة العرض أيضاً، بما يناسب أبناء الجيل الذين عاصروهم، استجابة لمتطلبات الساحة التي يعيشها، كالشيخ الفضلي في أسلوب عرضه للعديد من العلوم في العربية، والمنطق، وعلم الكلام، والفقه، والأصول، بل أغلب كتبه تتسم بطابع التجديد في أسلوب العرض، ما جعل طلاب العلم في بدايات تعلمهم يهفون إليها؛ لكي يعرفوا المراد من ألفاظها دون

(١) أدرجتُ في كتاب لي بعنوان «ملاحح الحياة العلمية والأدبية في الأحساء»، وكان زمان تأليفه في عام ١٤١٤هـ، وقد صدر منه الجزء المتعلق بفقهاء الأحساء في المذهب الإمامي في تاريخ ١٤١٥هـ، وقد اشتمل الكتاب على بعض الإحصائيات ومن جملتها عناوين الكتب الذين كتبها علماء وأدباء الأحساء، وقد أحصيتُ آنذاك عناوين كتب علماء الأحساء وطلاب العلوم الشرعية من الإمامية فقط ما بلغ ٥٨١ كتاباً، بما فيها أغلب كتب ابن أبي جمهور، وكتب الشيخ أحمد الأحسائي، وكتب الشيخ الفضلي المطبوعة آنذاك، ويلاحظ عليها أن أكثرها يصدق عليها حكم أن من كتب منهم لم يطبع، ومن طبع كان انتشار كتبه في دائرة محدودة.

- أي احتمال آخر في فهم النص، وهذا ما كان يهدف إليه.
٣. العناية بنشر ما يكتبون، عبر القنوات العالمية، وقد سهل هذا الشأن إطلاع أبناء الجيل الذي عاصرهم على ما يكتبون، ولكثرة رواجها وانتشارها، تعاقبت أجيال على قبول تلك المواد والحفاوة بها، حتى لقد بلغ من أحدهم وهو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، أنه كان يعتني بالخبر الذي تستنسخ به كتبه، من حيث جودتها، حيث له خبرة في المركبات الكيميائية، ووظف تلك في أحبار كتبه، أما الشيخ محمد بن أبي جمهور، فكان مدوناً لكل ما يراه نافعا من حراكه، ومن تلك مدوناته لمناظراته مع الفاضل الهروي في مشهد بياران، واستنسخت من بعده وتم انتشارها.
٤. اعتماد الجهات المختصة لتنتاجاتهم الفكرية، حيث لم تبق تلك الإبداعات رهينة الإقبال الفردي من قبل القراء، بل اعتمدها النخبة العلمية وكذلك الرسمية، إما كتباً دراسية، يتلمذ عليه الطلاب، أو مرجعاً يرجع إليه العلماء في أبحاثهم، كما هو الحال في كتاب عوالي اللئالي للشيخ ابن أبي جمهور، حيث تحول إلى مرجع في علم الحديث للعديد من مراجع التقليد في مباحثهم الفقهية واستدلالاتهم، بل تحولت بعض الروايات التي نقلها في كتابه إلى قواعد فقهية من بعده، كقاعدة الناس مسلطون على أموالهم، وغيرها من القواعد التي مر الحديث عنها في هذا البحث عند الحديث عن الشيخ، وكذلك الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تحولت بعض كتبه إلى مراجع هامة في باب الحكمة الإلهية واعتمدها العديد من الأساتذة في إيران، والعراق، ودول الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، بل وقد تسرت العديد من المفاهيم التي كانت مستنكرة في زمان الشيخ إلى عبارات المتكلمين، وفي كتاباتهم من دون الإشارة إلى مصدريتها من الشيخ أحمد كما صرح لي أحد الفضلاء بهذا الشأن، أما الفضلي فقد تحولت بعض كتبه إلى مراجع في الحوزات العلمية ككتب خلاصة المنطق، وتاريخ التشريع الإسلامي، وخلاصة علم الكلام، والعديد من الكتب، أما في الجامعات كجامعة الملك عبد العزيز في جدة فقد تخرجت الآلاف وليس المئات على كتبه

خلال تدريسه هناك وحتى من بعد رحيله عنها، وظلت كتبه تطبع من بعده، وقد ساق لي حادثة طريفة في هذا المقام، وقد كان الحديث في معرض أمانة بعض دور النشر تجاه المؤلفين، فقد كان ضمن إحدى زيارته إلى مدينة جدة، وقد مر على دار الشروق بجدة، وكان يسأل عن بعض الكتب والإصدارات الحديثة، وقد تعرفوا عليه صدفة، فإذا بهم يكبرون له التحية، وفي الوقت ذاته يعتبرون عليه قطيعته لهم طيلة هذه المدة، لأنهم قاموا بطباعة بعض الكتب دون إذنه؛ لكثرة الطلب عليها، ولم يتمكنوا بعدها أن يصلوا إليه لتسليمه مستحقاته كمؤلف، وقد كانوا يرحلون تلك المبالغ من ميزانية سنوية إلى أخرى، فما كان منهم إلا أن صاحبه إلى قسم المحاسبة ليدفعوا له مستحقاته، ومن الجدير بالذكر أن كتب الشيخ الفضلي تدرس حالياً في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، كما ترجمت بعضها إلى الإنجليزية من قبل إحدى الجامعات الأمريكية، وتدرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقم، والعديد من المراكز حول العالم.

٥. الحضور الفعال في المناخات العالمية، للتواصل مع النخبة العلمية، ومتابعة تطورات الساحة، ومتطلباتها، والإسهام الجاد فيها، وقد أهلهم لهذا الدور الحضور المعلوماتي في يكتبون فيه، بشكل يؤهلهم لمقابلة قراءهم، والرد على استفساراتهم، ورد إشكالاتهم، ولسان حالهم يقول:

علمي معي حيث ما كنت يتبعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت قام العلم يتبعني أو كنت في السوق كان العلم في السوق

□ الخاتمة :

وتشتمل على النتائج والتوصيات:

النتائج:

لعل أبرز النتائج التي خلص إليه البحث، ما يلي:

١. أن الحاضرة الأحسائية تشتمل على رحم علمي كبير: درسًا وتدريسًا، ومن مختلف الطيف المذهبي: الإمامي، والحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، وقد مثلها عالميًا في مجال العلم والمعرفة، من علماء المذهب الإمامي ثلاثة علماء امتازوا بالموسوعية المعرفية في العلوم الإسلامية، وهم الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي، والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.
٢. للأعلام الثلاثة تجربة كتابية موسوعية كبيرة، في شتى العلوم الإسلامية، والعلوم المساندة لها في مجال العلم الشرعي: كعلوم اللغة العربية، وعلم الدلالة، وعلم الأسلوب، وعلم المنطق، وعلم الرجال، وعلم الحديث، وعلم الكلام، والحكمة الإلهية، والفلسفة القديمة، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه.
٣. اتسعت دائرة انتشار النتاجات الفكرية للأعلام الثلاثة لتتجاوز الحدود المحلية في النشر والإهتمام، فاهتم بها علماء من الشرق والغرب، والمراكز البحثية، والجهات المعرفية، وهذا يعود إلى قواسم مشتركة جمعت بين الثلاثة الأعلام، وهي:
 - أ. الموسوعية المعرفية.
 - ب. التجديد والإبداع في مؤلفاتهم، وبحوثهم.
 - ج. العناية بنشر تأليفاتهم، وبحوثهم.
 - د. اعتماد الجهات المختصة لنتاجاتهم الفكرية، فضلاً عن اعتمادها من قبل الأفراد.
٤. أن نتاج الشيخ الفضلي الفكري المكتوب على هيئة مؤلفات وبحوث ومقالات،

وحوارات، وتقاريز للكتب بلغ: ٧٥ كتابًا، و١٥٥ مقالة، ١٥ حوارًا، ١٣٠ تقريرًا.

٥. أن الشيخ الفضلي، تجاوز حدود الذات في مسألة التأليف والكتابة، ليشكل بؤرة إشعاع فكري، جعلت منه مقصدًا للباحثين، والمؤلفين؛ لمراجعة المؤلفات، وتصحيحها، واقتراح عناوينها، ورعاية مهرجاناتها، وتوسيع مدارك الباحثين في بعض جوانب مؤلفاتهم، الأمر الذي يوعز إلى رعايته تلك، زيادة النشاط الفكري في مجال التأليف في المنطقة، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن نسبة التقاريز التي قرّظها بعد تقاعده من جامعة الملك عبد العزيز بجدة بلغت ٩٥٪ من إجمالي تقاريزه.

٦. أن الشيخ عبد الهادي الفضلي، بفضل تدرجه المعرفي في الوسطين الحوزوي والأكاديمي، استطاع أن يشخص فرصة هامة في بيئته الخارجية تتمثل في ضرورة تسرية مناهج البحث العلمي إلى الكتب الحوزوية، وكان من نتاجات تلك التسرية أن انفتح بها على العديد من العلوم الحديثة التي ينبغي أن تأخذها؛ لكون الذي يقرر طبيعة المنهج الخاص لأي علم من العلوم شيئان، هما:

أ. «طبيعة مادة العلم.

ب. الهدف من وضع المادة.

٧. من أبرز المؤلفات التي يمكن التعرف من خلالها على مجالات التجديد التي قام بها الشيخ الفضلي للحوزات العلمية كتابا: «دروس في أصول الفقه الامامي»، و«دروس في فقه الامامية»، وكان أبرز مواضع التجديد أنه طبق فيها العديد من الأطر البحثية التي كان يناادي بها وفق منهج البحث العلمي، وسطرها كمنهجية في بداية كل من أطروحتيه، وبالتالي لم يكتف بالتنظير الفكري لمناهج الحوزة، بل قدم تجربة عملية في هذا المجال.

٨. مما رجحه الشيخ في منهج «دروس في أصول الفقه الامامية»، هو التخلص من المنهج الفلسفي والكلامي الذي أثقل كاهل هذا العلم، ليكون مدار بحثه في

إطارين هما:

- المنهج اللغوي - الاجتماعي.
- المنهج الاجتماعي - الاجتماعي.

وذلك لكون الدرس الأصولي يعنى بمعالجة ظواهر اجتماعية عامة تتنوع إلى:

- ظواهر لغوية - اجتماعية.
- ظواهر اجتماعية - اجتماعية.

ومن شأن هذا المنهج في نظر الشيخ الفضلي أن يعود بأصول الفقه إلى ما كان في عهد الشيخ المفيد حيث يقول: «ونحن بهذا نعود إلى المنهج الذي وضعه الشيخ المفيد، والذي أقصي عن ميدان البحث الأصولي عن غير قصد، وإنما بتأثير هيمنة علم الكلام على منطلقات البحث الأصولي».

٩. مما رجعحه الشيخ في منهج «دروس في فقه الإمامية» هو ضرورة أن يمارس الفقيه دور الفقيه العرفي الذوقي، في قبال الفقيه الصناعي، بحيث لا يكتفي بدراسة بنوية النصوص، وإنما لا بد أن ينتقل إلى البيئة الخارجية ليعمل أدوات البحث العلمي، وفق منهج الاستقراء، أو الملاحظة قدر الطاقة، لا سيما منها في فقه المعاملات المالية لأنها غير ذات طبيعة مادية متجسدة في خارج الذهن، وإنما هي ظواهر اجتماعية تدخل ضمن فعاليات وآليات سلوك الإنسان، ووفق نظام خاص بها اعتمد في وضعه اعتبار المعبر.

المقترحات:

لعل أبرز المقترحات التي خرج بها البحث، ما يلي:

١. عند استعراض تجربة الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي اتضح أن حراكه

البحثي أثمر عن جهود علمية في مجال رواية الحديث، وذلك في كتابه عوالمى اللثالى، وأن هذا الكتاب استطاع أن يؤثر في مجال الاستدلال الفقهي، وقد طرح الشيخ حسين العايش البراك، في ورقة بحثية بعنوان: «الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي»، العديد من الأدلة على أثر الشيخ ابن أبي جمهور في المباني الفقهية للعديد من الفقهاء، بحيث أن بعض روايات الشيخ تحولت إلى قواعد فقهية، هذا وقد خرج البحث بإقتراح أن تتبنى في هذا الصدد جهة علمية للقيام بأطروحة علمية يُختبر من خلالها ثلاث فرضيات للتأكد من صحتها، وهي تدور حول أثر كتاب عوالمى اللثالى في المباني الفقهية بعد صدور الكتاب المذكور هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تلك الروايات المشار إليها لم تدخل دائرة الاستدلال الفقهي لدى الإمامية.

٢. عند استعراض تجربة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، اتضح أن هناك دعوى من بعض الفضلاء، مفادها أن الشيخ وإن تعرضت أفكاره إلى رفض من قبل البعض في زمانه، ومن بعد وفاته أيضًا إلا أنها استطاعت بفضل تماسك أطروحته العلمية في مجال العقائد أن تتسرى مع مرور الزمن إلى الساحة العلمية المعاصرة، بل وتلقاها الكثير بالقبول في الوقت الراهن، ولكن لا تسند تلك المفاهيم إلى الشيخ أحمد الأحسائي، وهنا أيضًا تم التقدم بمقترح تقديم أطروحات بحثية تتجاوز القبول الأولي لهذا الإفادة إلى ما هو أهم، ألا وهو بلورة مصاديق عملية تثبت صحة فرضية هذا المدعى من عدمه.

٣. عند استعراض تجربة الشيخ عبد الهادي الفضلي، اتضح أن فضيلته انطوت على جنبتين: حوزوية وأكاديمية، وقد أفضى هذا التلاقح الفكري عن تجربته في كتابه: «دروس في أصول الفقه الامامي»، و«دروس في فقه الإمامية»، إلى تطبيقات عملية لمنهج البحث العلمي القائم على الاستقراء والملاحظة، وقد تم التقدم في هذا المجال بمقترح أن تقدم أطروحات بحثية حول منهج الشيخ وأثره في الساحة العلمية، وملكات طلاب العلوم الشرعية الذين سيتتلمذون على كتبه في مرحلة السطوح، وأوجه تطوير هذه التجربة الفكرية التي أخذت بمعطيات

العصر، وتحديات المرحلة.

٤. نظرًا لما يَحتمل أن يواجهه الفقيه الذوقي العرفي في بحثه في مسائل المعاملات المالية، يقترح بأن تتشكل جهات بحثية داعمة له فيما يتعلق بالجانب الميداني، تكون مسؤوليتها مواكبة أطروحات الميدان من بنوك، ومؤسسات مالية، وغيرها من الجهات الاختصاصية ذات الصلة؛ لجمع إصداراتها، وتحليلها، وتكييفها شرعيًا، ومن ثم تزويد الفقهاء بها، ليستعينوا بها عند إصدار فتاواهم الشرعية^(١).

□ المراجع

الكتب:

١. الأطرم: الدكتور عبد الرحمن بن صالح، الوساطة التجارية في المعاملات المالية، (الرياض: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
٢. إسماعيل: الدكتور عمر مصطفى جبر، ضمانات الاستثمار في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٠ - ٢٠١٠م).
٣. البلادي: الشيخ علي بن حسن أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين.
٤. بوخسين: الشيخ محمد بن حسين، مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب، مخطوط.
٥. بوخسين: الشيخ سامي، إبداع الوجود عند الشيخ أحمد الأحسائي، رسالة ماجستير، (قم: جامعة المصطفى العالمية، ١٤٣١هـ - ٢٠١١م).
٦. البحراني: الشيخ علي بن حسن البلادي منتظم الدرر تراجم علماء القطيف

(١) انتهى بحمده وفضله ليلة ٢١ / ٦ / ١٤٣٤هـ، الموافق ١ / ٥ / ٢٠١٣م.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

- والأحساء والبحرين. الشبيلي: الدكتور يوسف عبد الله، الخدمات الاستثمارية في المصارف وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).
٧. الشيخ: الأستاذ حسن بن محمد، آخر الفلاسفة: رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد الأحسائي، (مكان الطبع: بدون، تاريخ الطبع: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)
٨. الشيخ: الأستاذ حسن بن محمد، فيلسوفان ثائران، (بيروت: دار الرأي العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
٩. الشيخ: الأستاذ حسين منصور، الدكتور عبد الهادي الفضلي: تأريخ ووثائق، (البحرين: مداد للثقافة والإعلام، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
١٠. الشخص: السيد هاشم، أعلام هجر، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ).
١١. الشخانية: الدكتور صهيب عبد الله بشير، الضمانات العينية: الرهن ومدى مشروعية استثماره في المصارف الاسلامية، (الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
١٢. الشمري: الأستاذ أبو بكر عبد الله الفهرس المفيد في تراجم أعلام الخليج.
١٣. الحسيني: الدكتور أحمد بن حسن، الوداع المصرفية، (مكة المكرمة: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠-١٩٩٩م).
١٤. الحيدري: السيد معين، جوهرة الأحساء وفواراة النور، (بيروت: دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، ١٤٣٣هـ).
١٥. الخرس: محمد بن جواد، (المنبر الحسيني) تاريخ تطور الأغراض الخطائية في المنبر الحسيني: الأحساء في المملكة العربية السعودية حالة دراسية، (بيروت: دار الأسفار للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ).
١٦. الخرس: محمد بن جواد، ملامح الحياة العلمية والأدبية في الأحساء.
١٧. الخرس: محمد بن جواد، مدينة الهفوف: مدخل حضاري لدراسة مظاهر الحياة

- في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء، (بيروت: مؤسسة الأسفار، ١٤٣١هـ)، ص ٣٥٠-٣٩٧.
١٨. الخرس: محمد بن جواد، الناجحون تجارب وعادات، (الأحساء: مصنع الجواد للطباعة والتغليف، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ص ٨٣-٨٥.
١٩. الخليل: الدكتور أحمد بن محمد، الأسهم والسندات وأحكامها في الفقه الاسلامي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ).
٢٠. الطالقاني: السيد محمد حسن، الشيخية، رسالة ماجستير، (لبنان: الجامعة اليسوعية، ١٩٧٤م).
٢١. الرمضان: الشيخ جواد بن حسين، مطلع البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين.
٢٢. الرمضان: الشيخ جواد بن حسين، مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، (مكان الطبع: بدون، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
٢٣. زناكي: فتحي، شركات المساهمة في القانون الوضعي والفقه الاسلامي، (دار النفائس للنشر والتوزيع)، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
٢٤. المحمد صالح: الأستاذ أحمد بن عبد الهادي، أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي في القرن الثالث عشر الهجري، (لبنان: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٢٥. الفضلي: الأستاذ فؤاد بن الشيخ عبد الهادي، رسالة إلكترونية، في تاريخ ٢٤ - ٤ - ٢٠١٣م.
٢٦. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية.
٢٧. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٠هـ).
٢٨. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في الفقه الإمامي، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ).
٢٩. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في الفقه الإمامي، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

٣٠. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، دروس في فقه الإمامية، (بيروت: مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ).
٣١. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، معاملات البنوك التجارية، (بيروت: مركز الفقهة للبحوث والدراسات الفقهية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٣٢. كوربان: الدكتور هنري، نظرة فيلسوف: في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي، ترجمة: الاستاذ خليل زامل، إعداد وتعليق: الشيخ راضي ناصر السلطان، (لبنان، توزيع مؤسسة فكر الأوحده للتحقيق والطباعة والنشر في سوريا، ودار هجر للنشر والتوزيع في الأحساء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، الطبعة الثانية.
٣٣. المبارك: الاستاذ معاذ بن عبد الله، شخصيات رائدة من بلادنا.

□ المجالات:

١. البراك: الشيخ حسين بن صالح العايش، الإبداع الفقهي والأصولي لابن أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
٢. آل خميس: الأستاذ ياسر عبد الله، ميزان المعرفة لدى المدرستين الأحسائية والخراسانية، مجلة البصائر، العدد ٤٦، عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣. الشيبني: الدكتور كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
٤. ريسه: أحمد رضا رحيمي، مقدمة تعريفية على مجموعتين من رسائل ابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
٥. ريسه: أحمد رضا رحيمي، مقدمة تعريفية على ثلاث رسائل لابن أبي جمهور (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
٦. فارماد: رضا يحيى بور، الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر ابن

القسم الثاني: كتابات الوفاء

- أبي جمهور الأحسائي، (الأحساء: جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث)، نسخة بالكمبيوتر.
٧. الفضلي: الشيخ عبد الهادي، النص الشرعي: مفهومه وفهمه، مجلة الكلمة، العدد ٥٥.
٨. كول: جوان، رفض الذات: التصوف عند الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الساحل، العدد الثالث، السنة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٩٨ - ١١٢.
٩. المحمد صالح: الأستاذ أحمد بن عبد الهادي، مصادر ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، مجلة الواحة، عدد ٦٠، ٢٠١٠م.
١٠. معزي: الدكتور محمد علي أمير، غياب يلمؤه الحضور: تفسيرات الشيخية للغيبة، مجلة الساحل، العدد الخامس، السنة الثانية، ٢٠٠٨م.
١١. الهاجري: الشيخ محمد بن سلمان، رسالة في حكم التقدم على قبر المعصوم، مجلة الفقهة، العدد ١٠، عام ٢٠١٠م.

الفضلي .. أمة في رجل

الأستاذة منى الصالح

لم يكن فقيها فقط..

ولا مفكرا مثقفا فحسب..

بل رجل الإنسانية الذي نثر بذور الوعي في سني الجذب.

الفقيد آية الله العلامة الدكتور .. سمه بما شئت من ألقاب فلن تعجزك في ذلك
المسميات فقد كان أمة في رجل.. تتغنى الألقاب بثناء في اتساع فسيح من العلم
والوعي والإصلاح والفكر والفقه والثقافة واللغة.

□ الرجل الموسوعة

كنت دوماً حين أقرأ عن رجل الموسوعة في بطون تاريخنا الذي يعبق علماً
وحضارة تستوقفني اللفظة كيف لإنسان واحد أن يحمل في عقله كل هذه العلوم
مجتمعة فالكثير من علماء تاريخنا كانوا يجمعون بين الطب والفقه والحديث واللغة
وغيرها من العلوم، وإذا بي اليوم أقف أمام رجل ترك لنا من خلال تراثه الفكري ما
يحمل سمات هذه الموسوعية الفذة يجمع معها إنسانيته بأسرارها النفسية الكامنة وراء
هذه العظمة لتتكامل كلها عازفة ملامح أمة تحتزل كل مقومات تحضرها وحياتها

وسموها وارتقائها برجل نذر نفسه لحمل أعباءها بأكملها... فكان من الدعاة إلى الإصلاح على جميع الأصعدة والمستويات.. ومن الرعيل الأول لقادة الحركة الإسلامية المعاصرة.

فمنذ منتصف القرن العشرين نهض بوعي هذه الأمة مجموعة من الشباب المعمم منهم وغير المعمم في مواجهة المد اليساري المثقف، فكان الشيخ المظفر أستاذه المؤسس للحوزة ببعدها الأكاديمي ومن ثم الحراك الفكري والتجديدي لمدرسة الشهيد الصدر وإذا بنا نستفيق على كتابات ومحاضرات الشهيد محمد باقر الصدر والسيد فضل الله والشيخ الفضلي وهم يتصدرون الساحة الدينية العربية ليحركوا الواقع بما يتناسب مع تحديات العصر وهكذا استطاعوا أن يكونوا عمالقة الفكر بتعدد أدوارهم، فكان الشهيد الأول المؤسس لهذه الحركة ليكملا طريقه، السيد فضل الله بتحريك الواقع السياسي والحياتي بما يجعل منه رجل الإنسانية يخاطب الإنسان من خلال مواقع المختلفة في الحياة فكان المجتهد الذي يتلمس حاجات الشباب وتطلعاتهم في مختلف الميادين، قريب من المسيحي كما هو من المسلم تتوحد عنده المذاهب..

وفي الخط المكمل له نجد الفضلي يتجه للداخل فينقيه ويقدمه بأبسط وأيسر صورة محاولاً رفع وعي الجماهير على اختلاف طبقاتهم مؤسساً لمنهجية هامة في مواجهة تقديس الموروث وعدم المساس به، فإذا به المحقق المتبحر الذي يتابع القضايا بدقة علمية وعلى أسس موضوعية فكتب المناهج الميسرة في اللغة والنحو والمنطق والأصول والحكمة والفلسفة مزيجاً بذلك الستار أمام كل طلاب العلم والحقيقة بأحقية القراءة الجديدة للنصوص مع اعتماده أصالة المنهج وعمق المعرفة فلا ضير من مخالفة عظماء الفقه والأصول إذا كان عن اجتهاد وبحث وقائم على أسس، وما تحمله الشيخ من تهميش وإقصاء في سبيل هذه المنهجية والتي استقرأ ببصيرته النافذة مستقبل المذهب في الانفتاح والمحافظة على جوهرية معنى الاجتهاد.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وقد يكون الشيخ يريد إيصال رسالة عبر هذه المختصرات بأن طالب اليوم غير طالب أمس لا حاجة لكل هذا الإغراق بالتفاصيل وإن المختصر المبسط يفيد بالغرض فاسحًا المجال لعلوم أكثر حاجة لها من خلال نظرة مستقبلية لعصر ثورة المعلومات.

□ الفقيه المثقف

ولم يكن هذا الفقيه المجدد منحصرًا بقضايا المناهج الحوزوية بعيدًا عن قضايا أمته وهموم عصره السياسية والاجتماعية فالمتتبع لمحاضراته وندواته وصالونه الثقافي الذي كان مفتوحًا لكل الزائرين من مختلف الفئات، يجد نفسه أمام مفكر وفقهيه مثقف يستقطب الشباب والمثقفين كما يستقطب الطلبة والحوزويين يواكب المتغيرات وي طرح كل الإشكاليات الثقافية الحديثة وبرؤية إسلامية منفتحة، فتناولت ندواته ومحاضراته قضايا الإمامة والأمة وناقش قضية الإمام المهدي عليه السلام والانتظار والمنبر الحسيني كما تناولت كتابة التاريخ والتجديد والوحدة الإسلامية وأهمية الوقت والعمل الجماعي، يحتضن كل جديد يستقرأ فيه المستقبل بشكل فريد كما ظهر في موضوع الانفتاح الإعلامي حيث طرح فكرة فتح قنوات رسالية في وقت كان الجميع يحرمها.

الثنائية التي امتاز بها الشيخ الدكتور قد تكون وراء هذا الحضور الفريد ففي العادة تجد الفقيه يكتظ مجلسه بطلبة العلوم الدينية والزائر لمجلس الشيخ يجد فيه مزيجًا من طلبة العلوم الدينية وطلبة العلوم الأكاديمية، فقد جمع الشيخ بين العلم الجامعي والجوامعي، كما يصفه الدكتور الجعفري، وعلى أعلى المستويات ففي الوقت الذي كان فقيهاً مجتهداً كان أستاذًا جامعيًا، وهذا كان له انعكاساته على معارفه الإسلامية من حيث العمق والموضوعية والأسس العلمية.

وفي مقابل هذه الثنائية، كانت تبرز ثنائية من نوع آخر قلما نستطيع تلمسها بهذا

الوضوح عند الآخرين وهو المطابقة بين النظرية والتطبيق فقد نجد الكثير على مستوى التنظير هم ممن يدعون لحرية المرأة وحقوقها وعند التطبيق قد يكونون أبعدهم عن ذلك، وينظرون للاهتمام بالأسرة وتأخذهم مشاغلهم بعيداً عنهم، ويؤكدون على أهمية الوقت وتنظيمه ويفتقرون لأبسط مهارته، وينادون باحترام الديانات والمذاهب وحرية الرأي واحترام المخالف وهم يمارسون الإرهاب الفكري لكل من يخالفهم الرأي، وفي مقابل ذلك تشهد حياة الشيخ الدكتور مصداقية هذه المفاهيم بممارساته اليومية من اهتمامه بالمرأة وتشجيعها على ممارسة حقوقها وكثيراً ما تشيد بنات المرحوم بمواقفه الداعمة وتشجيعهن الدائم لإكمال مسيرتهن العلمية وعدم فرض رأيه أو اتجاهاته عليهن أبداً وكان دوماً الداعم للأم والزوجة والبنات والعاملة في المجتمع لتأخذ مكانتها التي تستحقها، كما يشهد كل من جالسه وسأله رأياً في موقف أو قضية إنه كان يدلي رأيه بكل موضوعية بعيداً عن كل تعصب محترماً رأي الآخر مؤكداً على ذلك ولم يقبل في يوم الرد على من يخالفه الرأي بل يؤكد على تشجيع النقد وعدم الانقياد لأحادية الرأي.

□ العالم والإنسان

كما كان الدكتور موسوعة بالفكر والعلوم والثقافة، كان موسوعة بأبعاده النفسية حيث السر الكامن وراء هذه العظمة، فوراء الكثير من الخلافات المذهبية والعصبيات الطائفية والقبلية وحتى الدينية أبعاد نفسية من الصعب الوقوف عليها بسهولة وهذا ما كان يشير الإمام الخميني عليه السلام إنه كلما زاد علم الإنسان كلما زادت جسامة المسؤولية وكانت الآفات النفسية أشد وأكثر فتكاً حيث يقول في نصائحه لطلبة العلوم الدينية «وآمل منكم عند مغادرتكم الحوزات العلمية أن تكونوا قد هذبتم أنفسكم وبنيتموها بنحو تتمكنون من بناء الإنسان وتربيته وفقاً لأحكام الإسلام وتعاليمه وقيمه الأخلاقية.. ولكن إذا ما عجزتم - لا سمح الله - عن إصلاح أنفسكم خلال مراحل الدراسة، ولم تكتسبوا الكمالات المعنوية والأخلاقية، فإنكم أينما ذهبتم ستضلون الناس - والعياذ بالله - وتسيئون إلى الإسلام وإلى علماء

الدين.. تقع على عاتقكم مسؤولية ثقيلة وجسيمة».

وشيخنا الدكتور كانت نفسه باتساع السماء حباً وطهارة وبعداً عن مظاهر الشهرة والوجاهة وهو العلم الذي يشار له بالبنان وقد تكون لرحلاته وتنقلاته والصعوبات التي كانت محطات أضافت له قوة وعزيمة فإذا به يخاطب الإنسان أيّاً كان باذلاً في سبيل رفع مستوى أمتة على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، وطلبته في أنحاء العالم تشهد على ذلك فقد تخرج على يديه الشيعي والسني والعراقي والسعودي كما تخرج الخليجي والعربي ولم يفرق أبداً في عطاءه بينهم، لم يجد عطاءه مكان ولا زمان، معطاء في العراق بين أروقة النجف وبغداد والبصرة، وفي جدة والقاهرة، وحتى حين تقاعد وتفرغ للبحث والتأليف لم يشترط السكن بين مواليه وشيعته ولم يفرق عنده أن يكن جيرانه كلهم من المذاهب الأخرى كما هو في كتبه ومحاضراته داعياً للوحدة ممارساً لها.

كما تظهر هذه النفس المتسعة في التعامل مع مخالفيه والمتهمين له فلم يرد على أي شخص كان يكيل له التهم ولم يقبل ذلك لتلامذته وكان يرى في ذلك انجرار للفتنة، رافضاً حتى الإشارة إلى من أخطأ بحقه في طباعة كتبه كما يذكر تلميذه الأستاذ حسين منصور الشيخ حين قدم لإحدى كتبه بأن دار النشر للطبعة السابقة قد حذفت أجزاء «وإذا به يطلب مني إعادة كتابة التقديم وعدم الإساءة إلى دار النشر السابقة، بل على العكس من ذلك، إذ قال لي: هذه الدار قامت مشكورة بتبني الكتاب بتبرّع منها».

الدكتور كان مثلاً وقدوة لكل ما درسناه من أهمية تحديد الهدف بطريقة واضحة ومحسوسة ومقاسة بحيث توصلنا لأهدافنا مباشرة، فقد كان هدفه محددًا فهو المفكر والباحث والمحقق الذي كان يسابق الزمن ليثري المكتبة الإسلامية والإنسانية، فقد عرف عن الشيخ حتى بعد تقاعده رفض الدعوات الاجتماعية مخططاً لبرنامج اليومى بدقة بما يخدم هدفه فوقت الدراسة والبحث معين لا يتغير فلا

يستقبل في هذا الوقت الزائرين ولا يجيب دعوة الداعين، ولم يكن بعيداً عن جماهيره ولا أسرته، فوقت الظهرية وما بعده من حق الأسرة، وله في كل ليلة مجلس ثقافي كان قبلة المثقفين وطلاب العلم والمعرفة فكان حقاً الربان الذي يقود سفينته بهمة وجد إلى حيث يريد لم تعجزه كثرة المشاغل ولا هموم الأمة عن الكتاب والقلم وحتى المرض كان عصياً عليه.

ومن وراء كل هذه السمات والخصال الإلهية تشع في جنبات روحه هذه الروح المحمدية والمحبة الأبوية التي كان يغدق بها على كل من يجالسه سائلاً كان أو مناقشاً، فقد كان مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله»، أي الذي يخضع أسلوبه للروحانية الرسولية التي تتحرك من أجل أن تدخل الرسالة في كل قلب والتركيز على هذا الجانب في شخصية الدعاة العاملين لأن المحبة الأبوية التي يعيشها الدعاة في اتجاه الآخرين تحقق للعمل الديني عدة أمور، منها: أن الآخرون يتفاعلون من خلال العلاقة الروحية.

فالإنسان إذا أحب شخصاً أحب كل ما يتعلق به ويتمي إليه، كما أن طاقة المحبة تكسب الآخر طاقة الصبر على المصاعب التي تعترض طريقه فالإنسان يصبر على من يحب وعلى ما يحب أكثر من صبره على ما لا يشعر بوجود رابطته ذاتية معه، كما أن الروح الأبوية تجعله يفتح على الظروف الموضوعية المحيطة بالآخرين والتي يواجهونها بها فيعطي العذر للآخرين ويبدأ بحركة جديدة للتغيير وكلنا نعرف أن نظرة الاستعلاء المعرفي وعدم الانفتاح والمحبة قد تنفر الآخرين من الدين، وشيخنا مثلاً للتواضع مع سعة علمه يرفض كل مظاهر الشهرة وأبسطها صلاة الجماعة، بل يترك المجال لتلامذته بأن يجيبوا عنه مشيداً بعلميتهم كلا في تخصصه فهو الوالد الحنون الذي يحتضن النحوي والناقد والشاعر كما هو والد الفقيه والفيلسوف والمفكر المثقف فقد كان موسوعة بروحه ونفسه كما كان موسوعة بعلمه وثقافته.

فكان حقاً أمة في رجل، وأن لنا أن نقف اليوم بعد رحليه وقفة وفاء نفيه ولو

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الجزء اليسير من حقه بعد أن عانى الكثير من عقوقنا، فلسنا بصدد أن نغرق في عزف أنغام الفراق بل وفاءه يتمثل بكم الدراسات التي سوف تطرح كتبه ومؤلفاته للبحث والنقاش والمؤتمرات والندوات التي تعرف مدرسته للجماهير، فرحمك الله شيخنا قدوة لنا ومدرسة للأجيال.

النجف الأشرف: حضور في دلالات أربع عند العلامة الفضلي

الأديب السيد حسن كاظم الخليفة

تعدُّ مدرسة النجف الأشرف من أقدم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، ومن أكثرها سعة وعمقاً، وهو ما تنماز به تلك الحاضرة التراثية العريقة، وما إلى ذلك من انفرادات لا تُلتمس إلا في أروقتها العتيقة، وهي تعانق العصر في حراكها الدائب الصبور مع الطلبة والعلماء، دراسةً وتدریساً، ومع الأصالة والإبداع، بحثاً وكتابةً وتحقيقاً.

لتمرَّ ألف سنة من عمر العراق والعطاء على جامعة النجف الأشرف، مؤرخة بداياتها النوعية - كما هو الشائع - بما تعرَّض له الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) من هجوم السلاجقة على بغداد^(١).

ومن التضييق عليه، بإحراق كرسي درسه، ومكتبته النفيسة لسنة ٤٤٧هـ^(٢)،

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، هكذا قرأهم، ج ١، بيروت، دار المرتضى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ص ٣٦.

(٢) الفضلي: د. عبد الهادي الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٨٤.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ومن بعدُ، هجرته من بغداد الحضارة، ومن مدرستها المزدهرة بالتاريخ واللغة والأدب، والحديث والفقه والأصول، والمنطق والفلسفة والكلام، إلى حيث باب مدينة العلم.

إلى النجف الأشرف، حيث يترعرع ذلك كله، كان وصول الشيخ الطوسي سنة ٤٤٩هـ حاملاً معه عقب المدرسة البغدادية في إرث أستاذه:

- الأول: تلميذ الرماني (ت ٣٨٤هـ) من أعلام اللغة والنحو في تلك المدرسة، وهو الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ).

- الثاني: تلميذ ابن جني (ت ٣٩٢هـ) من كبار أعلام المدرسة البغدادية في اللغة والنحو، وهو الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)^(١).

وإذ يسجل العلامة الفضلي لدى اشتغالاته اللغوية على النحو العربي، مؤرخاً، ومجتهداً، ومفهرساً، وأديباً، حضور مدرسة النجف الأشرف، فإن في كل اشتغال دلالة ..

إن وظيفة الرصد - هنا - لتلك الدلالات الأربع - تتجاوز التوصيف الخارجي لها، إلى اكتشاف انتظامها الداخلي، ذلك الانتظام الذي يُجَلِّي لنا النجف مدرسة في فكر العلامة الفضلي، والفضلي عالماً في مدرسة النجف.

□ أولاً: دلالة اشتغال المؤرخ

في المرصدين الزماني والمكاني، يؤرخ العلامة الفضلي لـ «مراكز الدراسات النحوية»^(٢) عبر العصور والحواضر العلمية، لنرى في اشتغاله التاريخي - تجلياً آخر

(١) انظر: الفضلي: د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف، بيروت، مركز الغدير، ط ٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ٤٨.

(٢) الفضلي: د. عبد الهادي، مراكز الدراسات النحوية، الأردن - الرزقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

من تجلّيات علم النحو العربي في مدرسة النجف الأشرف للقرن الخامس من الهجرة النبوية الشريفة.

القيمة التاريخية لذلك التماسّ النوعي بين النجف مدرسةً، والنحو مدرسياً - في عودة المشروع إلى حاضرة المؤسس الأول لهذا العلم الجليل.

فالصحيفة التي أملاها بمدينة البصرة على أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت ٤٠هـ) ليست وثلاثين خلت من الهجرة النبوية الشريفة^(١) - عادت إلى النجف الأشرف يحملها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) نضيجه مدرسيتين:

- البصرية في شموخها العقلي^(٢).
- والكوفية في زخمتها النقلية^(٣).

وإذا ب ﴿جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٤)، إذ بهما - أعني المدرستين - وعبر علمين من أعلامها الكبار، وهما:

- أبو العباس المبرّد البصري (ت ٢٨٥هـ).
- وأبو العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ).

- تأسست المدرسة البغدادية، ليتعاهدها علماء أصائل في أجيال خصيبة، حتى

(١) الخليفة: حسن، شيء في النحو: تاريخه وتطوّره، تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي، الأردن - إربد، ١٩٩٢م، ص ١١.

(٢) انظر: السيد: د. عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، العراق، توزيع دار المعارف، ١٩٦٨م.

(٣) انظر: المخزومي: د. مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٣، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

حضر على أبي الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وعلى أبي الفتح بن جنبي (ت ٣٩٢هـ) الشريف المرتضى (ت ٤٥٦هـ)، وعليها ببغداد كان حضور الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)^(١) الذي عاد مشبعًا بالمدرسي من البحث اللغوي/ النحوي هناك، إلى كنف باب مدينة العلم، ليظهر تجلّيه الجديد في مدرسة النجف الأشرف.

إنّ لذلك الرصد التاريخي - فيما يخطُّه أستاذنا الشيخ الفضلي عن تاريخ النحو العربي كمفصل أساس من مفاصل الدرس اللغوي في النجف الأشرف - دلالة ذات قيمة، وقيمة تلك الدلالة التاريخية في تجاوز تاريخيتها من رصد ووصف - فيما يقدمه شيخنا العلامة الفضلي - إلى ما يرمي إليه بذلك التجاوز؟

المدرسة النجفية في النحو/ رصد الحراك الاجتهادي:

الدرس اللغوي/ النحو في درس أساس في النجف الأشرف؛ لكونه من مقدمات الدرس الشرعي، الأمر الذي جعله منهجًا من مناهج الدراسة فيها، والهاء في (فيها) تعود إلى: (مدرسة النجف)؛ ما يعني أن طرائق التفكير في تلك المدرسة الشاخنة - بمقتضى ثقافة الاستصحاب^(٢) - ستشغل على المادة النحوية اشتغالها على المادة الفقهية، وذلك بتجاوز التقليد إلى الاجتهاد.

الأمر الذي يؤشر - ضرورةً - إلى أن الأصالة والإبداع سيصيران إلى اللغة والنحو بما صارا إلى الفقه وأصوله، في هذه الحاضرة العلمية العامرة بالمتبحرين من أساطين العلم.

وهذا ما يسجله شيخنا العلامة الفضلي - مشيرًا إلى ناحٍ من نُحاتها الذين سلكوا في دراسة النحو مسلك الاجتهاد، إذ يقول:

(١) انظر: الفضلي: د. عبد الهادي، الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ٤٨.

(٢) من مفهومات علم (أصول الفقه) التي تجلّت - هنا - في بُعدها الثقافي.

«والمع نحاتها ظهورًا وأوسعهم شهرة وأبعدهم صيتًا الرضي الاسترآبادي (ت ٦٨٨هـ) المعروف بـ (المحقق الرضي) والملقب بـ (نجم الأئمة) مؤلف شرح كتاب كافية ابن الحاجب المعروف بـ (شرح الرضي) وشرح شافية ابن الحاجب.

وقد غطت شهرته على ما سواه من نحاة هذا المركز العلمي، وكفى به عملاق فكرٍ امتاز بالأصالة والعمق.

وتمثل منهجه في كتاب (شرح الكافية) بانتهاج طريقة الاجتهاد التي عرفت بها النجف ولا تزال قائمة، وتتلخص في الخطوات التالية:

١. ذكر المسألة.
٢. استقصاء الأقوال في المسألة، وتتبع أدلتها التي ذكرها العلماء السابقون للباحث، والمعاصرون له.
٣. الموازنة بين الأقوال، والمقارنة بين الأدلة.
٤. محاكمة الأدلة، ومناقشتها.
٥. اختبار الدليل الناهض بالإثبات، أو إضافة الدليل القائم بالحجة.
٦. النتيجة بتأكيد الرأي المختار، أو بتدعيم الرأي الجديد.
٧. بيان الإضافات الجديدة^(١).

نتيجة هذا المنهج الاستدلالي الحر الذي اتبعه المحقق الرضي (ت ٦٨٨هـ) في شرح كافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) منسجماً مع تقاليد مدرسة النجف الاجتهادية - ستؤدي به إلى الخروج بآراء انفراد بها بين النحاة، وهو ما التفت إليه قراء الشرح متقدمين ومتأخرين.

عن تلك الانفرادات وما اجتلبته من شهادات ذوي الاختصاص، يقدم شيخنا

(١) مراكز الدراسات النحوية، م. س، ص ٦٨ - ٦٩.

الفضلي في درسه اللغوي بالنجف عرضاً مسهباً، في أسلوب تحليلي، شيق، دا. وهو إذ يضع الرضي في محيط المدرسة النجفية التي يصدر عنها، وبما يناسب موضوع القراءة، وهو الاجتهادات - راح يقرأ شيخنا الفضلي، باشرطات النقد في مقتضياته، ناظرًا إلى القول نقضًا وإبرامًا، كنظر صاحبه إليه، راح يقرأ تلك الاجتهادات اللغوية النحوية عند المحقق الرضي (ت ٦٨٨هـ)^(١).

ومن دون أن يغفل - في تلك القراءة - عمًا للمحقق الرضي من مكانة علمية عليا في مدرسة النجف الأشرف تتجاوز ما اشتهر فيه، صرح مؤكداً على «أن شهرته في علمي النحو والصرف غطت على جوانب بارزة في حياته كاجتهاده الفقهي، ومرجعيته في التقليد، وتضلعه في علمي المنطق والكلام»^(٢).

إن ما تستبطنه المقبوسة الأخيرة - على قصرها - من العلامة الفضلي عن المحقق الرضي، هو التدليل على ما للفقاهة بمستواها المرجعي، العالي، العميق، من فتوح علمية في الدرس اللغوي، وهي ما كانت لتكون لولا تلك المدرسة التي لا تنفك فيها اللغة عن الفقه، والفقه عن اللغة، في التعبير عن نجفيتها بما يحمل ذلك التعبير الإبداعي الأصيل من مسؤولية المحافظة عليه، وتنميته عبر الوعي المنهجي الذي يقف وراءه.

والتركيز على الوعي المنهجي ما برح الشغل الشاغل لشيخنا العلامة الفضلي في كل ما أنتجه من عطاء في هذا السياق طيلة نصف قرن من الزمان؛ إذ تجده دائماً السباق في الحضور حيث يكون المنهج^(٣)، كحضوره في درسه اللغوي ذلك.

(١) انظر: الدرس اللغوي في النجف، م. س، ص ٨٣ - ٩٩، ناقدًا شذوذ رأيه في قضية القراءة، ص ٩٨ - ٩٩، ومجيباً في تلك القضية إلى كتابه: (القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف).

(٢) انظر: الدرس اللغوي في النجف، م. س، ص ١٠٤.

(٣) من الدراسات التي تناولت (الوعي المنهجي) بالرصد والتحليل عند العلامة الفضلي في نموذج الكلامي: «تحرير العقل من نفسه: قراءة في موقف العلامة الفضلي من جدل الأنطاط، مجلة الكلمة، ملف خاص عن العلامة الفضلي، العدد ٥٥».

حضور قد تحسبه يؤرخ لـ «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» عبر سرد أسماء الدارسين النجفيين لحقول اللغة عبر العصور، بينما هو كان عبر السرد ذلك كله، همه الأساس في البحث عما تحقق به مدرسة النجف الأشرف مدرسيّتها، تلك المدرسيّة التي بها تنماز عن غيرها من المدارس السابقة واللاحقة، عمودياً وأفقيّاً، وهو المنهج الاجتهادي في أنماطه النجفية الخاصة.

هكذا إذن، وبهذا النحو من الاشتغال التاريخي على اللغة/ النحو، عند شيخنا العلامة الفضلي، يتجلّى لنا علم النحو العربي «مدرسةً نجفيةً» ذات أصالة وإبداع لا يفارقان مستوى الاجتهاد.

□ ثانياً: دلالة اشتغال المجتهد

من دلالة اشتغال المؤرخ في «الدرس اللغوي» و«مراكز الدراسات النحوية»، إلى دلالة اشتغال المجتهد في «دراسات في الفعل»^(١)، سنرصد كيف تسجل الدراسات الأصولية اللغوية، واللغوية الأصولية - من جديد - في حضورها النجفي من المحقق الرضي إلى العلامة الفضلي، معيّتها الاجتهادية، وبموضوعية وتجرد كبيرين، لا رائد لهما غير العلم، بما يجعلنا نقف أمام النجف الأشرف بخشوع، وأمام مدرستها بتواضع.. نتأمل سموها متعلّمين.

- نحو دراسات مقارنة بين أصول الفقه والدراسات اللغوية:

في سياق المعالجة الاجتهادية للدرس اللغوي/ النحوي، على شروط مدرسة

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، دراسات في الفعل، بيروت، دار القلم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، وله مما يمثّل الاجتهاد اللغوي: «أسماء الأفعال والأصوات» - رسالة ماجستير -، و«قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية» - أطروحة الدكتوراه -، و«دراسات في الإعراب»، و«اللامات: دراسة نحوية في ضوء القراءات القرآنية»، وبعض الدراسات والمقالات المتفرقة هنا وهناك.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

النجف الأشرف - يشيد شيخنا العلامة الفضلي بتجارب علماء أصول الفقه اللغوية، داعياً إلى دراستها دراسة مقارنة؛ كونها مما تقتضيه الضرورة لتطوير الدرس اللغوي، مقررًا ذلك بقوله: «مارس علماء أصول الفقه في أبحاثهم ودراساتهم الأصولية عددًا من مفاهيم ومسائل اللغة، وذلك لوقوع الكثير منها في طريق استنطاق نصوص الكتاب والسنة.

وكان الكثير من تجاربهم العلمية المشار إليها متّسماً بالعمق والأصالة، ومنتهيًا إلى نتائج ذات أهمية، مما يفرض على المعنيين بالدراسات اللغوية والنحوية أخذها بعين الاعتبار ضمن دراسات مقارنة ليستفاد منها في تطوير المادة اللغوية، نحويّة كانت أو غيرها»^(١).

- (فعل الأمر) ليس فعلاً..!:

تطبيقاً للمقارنة التي دعا إليها العلامة الفضلي، يقدم مناقشة نقدية لطرائق الاستدلال عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب، والتي هي موضع تسالم أغلب النحاة، بما يخص التقسيم الثلاثي للفعل: (ماضٍ، مضارع، أمر) حاذفًا الأخير من حزمة الأفعال؛ إذ لا (فعل أمر) في الجملة العربية..!

وهو ما التفت إليه الدرس الأصولي في النجف الأشرف، ذلك الدرس الذي يرى في تعليل النحاة لعدّهم (الأمر) من الأفعال؛ كونه شريكها في الدلالة الزمانية.. - ضربًا من الخلط والاشتباه الذي اشتهر على ألسنتهم.

وبالتحديد، إنه القول الذي يذكره في (كفاية الأصول) الفقيه الأصولي النجفي الشيخ كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)، كما يشير شيخنا الفضلي ويعلق عليه بقوله: «وفحوى القول المذكور هو أن استقراء أمثلة الفعل تنهي - وببدهاة - إلى أن (الأمر)

(١) دراسات في الفعل، م. س، ص ٤٦.

لا دلالة فيه على الزمان، وأن دلالته مقتصرة على طلب إيقاع الفعل فقط»^(١).

وعليه، يخلص العلامة الفضلي إلى تأكيد ما عليه أغلب علماء أصول الفقه في النجف الأشرف؛ كون مدرستها تظهر - بعبء أولئك المجتهدين من علمائها - «المنهج الذي يلتقي وطبيعة اللغة كمادة نقلية، وهو منهج الاستقراء، وذلك بتتبع وملاحظة أمثلة الأمر.

ومنه نخلص إلى أن الأمر ليس فعلاً، كما يقول الأصوليون، وإنما هو أسلوب إنشائي، شأنه في ذلك شأن الأساليب الإنشائية الأخرى، من نهي واستفهام وشرط ونداء وغيرها»^(٢).

وهو - بوضوح شديد - رأي اجتهادي صريح، يخرق ما تسالم عليه أغلب النحاة منذ كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) حتى اليوم من كون «الأمر» - وهو أسلوب إنشائي لا غير - قسيماً فعلياً للفعلين الماضي والمضارع.

- بناء الفعل المضارع ومخالفة الإجماع:

ينقل العلامة الفضلي من (شرح الكافية) للمحقق الرضي عبارته في استكراه الخروج على إجماع يستحسن اجتهاده الصّرف، وتفكيره المتفرد الخروج عليه..!، إذ يقول ما نصه: «لولا كراهية الخروج من إجماع النحاة لحسن ادّعاء كون المضارع المسمى مجزوماً مبنياً على السكون»^(٣).

وهو - أعني العلامة الفضلي - إذ يُجَلُّ في المحقق الرضي اجتهاده الذي يحفظ له

(١) م. س، ص ٥٠.

(٢) م. س، ص ٥٤.

(٣) م. س، ص ٦٩، نقلاً عن شرح الكافية للمحقق الرضي ٢/ ٢٢٣.

تفرّده في الوصول إلى رأي لا يخفيه، من أمثال النتيجة هذه التي لا تأتي إلا بما ينسجم مع طرائق الاستدلال والاستنباط في المدرسة النجفية - يأخذ عليه استسلامه لما لا يوافق رأيه في المسألة هذه تحديداً؛ كون ذلك الاستسلام مخالفةً صريحةً لمبناه الأصولي في قضية تحريك دليل الإجماع في مثل هذا الموضوع..!

وباستغراب وتعجب، من اعتبار المحقق الرضي حجية الإجماع غير المنقول - كان تساؤل شيخنا العلامة الفضلي، إذ يقول: «ولا أدري كيف يعتبر الشيخ الرضي مثل هذا الإجماع حجةً، وهو غير قائم على النقل عن العرب»^(١).

وبعد تفنيده مستند (الإجماع) في أدلة المعريين للفعل المضارع لدى النحاة - لا يستسلم الشيخ الفضلي لهذا النوع من الإجماع المدركي الذي استطاع أن يفكك مرجعياته، ويفنّدها بالآلة الاجتهاد، تلك الآلة التي ينبغي أن تعمل هي بالإجماع، لا أن يعمل هو بها؛ كونها مما لا ينبغي تعطيله بحال.

كيف لا، وهو يصرح في (دروسه الأصولية): «إن مثل الإجماع المعلوم المدرك، والمعروف المستند، لا اعتبار له عندنا - معاصر الإمامية - في مجال الاستدلال، وإنما الاعتبار للمدرك أو المستند، ويعامل في الاستدلال به معاملة أمثاله من المدارك والمستندات»^(٢).

وإذا كان هذا في «دروس في أصول فقه الإمامية» والأصول منطق الفقه، ومنهجه في الاشتغال على إنتاج الأحكام الشرعية، فكيف لا يكون في منطق النحو، ومنهجه، في تلك «الأصول اللغوية» التي يعمل على تحريكها الشيخ الفضلي في «دراسات في الإعراب» لإنتاج حكم من الأحكام النحوية؟!!

(١) م.س، ص ٦٩.

(٢) الفضلي: د. عبد الهادي، دروس في أصول فقه الإمامية، ج ١، بيروت، مركز الغدير، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢١٩.

إذ إن الاستدلال في نتاج شيخنا العلامة الفضلي - يستجيب للمبنى الأصولي دونما فرق بين مواد البحث، ففهيّة كانت أم لغويّة.

وغير خافٍ «ألا احتياط مع الدليل»، هو من مباني شيخنا الفضلي. وإذا كان ترك الدليل مخالفة، فإن تحكيم الاحتياط فيه تحكّم لا أصل له، وليس له من منشأ غير الميل النفسي، ومتى كانت الميول مصادر للاستنباط، فضلاً عن تحكيمها في المصادر المعتمدة التي لا تفتقر للإثبات!؟

لذلك كان لشيخنا العلامة الفضلي ما أراه من تفعيل العملية الاجتهادية، والتزام شروطها العلمية المتعارفة في مدرسة النجف الأشرف بحرية وتجرد يضمنان له الأصالة في الرأي، لينهي البحث - وإن خالف الإجماع، بالنتيجة التي أدى إليها اجتهاده، وبثبات علمي لا يشوبه التردد، يقول: «ونخلص من كل هذا إلى النتيجة التالية، وهي: أن جميع الأفعال مبنية، وأن الإعراب يختص بالأسماء»^(١).

إن ما رأيناه من صنيع شيخنا العلامة الفضلي هو عين ما كان يصنعه المحقق الرضي، فكلاهما يصدر عن النجف الأشرف ومدرستها الأصولية في تناول بعض قضايا اللغة والنحو بما لا ينفك عن الاجتهاد.

وهو أيضاً ما كان يصنعه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه (الخصائص) الذي سار فيه على «منهج الفقهاء، والأصوليين، والمتكلمين، وعلماء رجال الحديث ومصطلحه، وسار على نسقهم في القول»^(٢).

بيد أن آثار ابن جني على الشريف المرتضى التي تركت أثرها على الشيخ

(١) دراسات في الفعل، م. س، ص ٦٩.

(٢) الأسعد: د. عبد الكريم محمد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٨٩.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الطوسي - اشتغل عليها الاجتهاد النجفي لقرون عدة تسير بها في صيرورة تستجيب لمتطلبات الحقب حتى اللحظة الراهنة، بما لم تعد تعكس في جوهرها غير معالم المدرسة النجفية للدرس اللغوي الذي يرصده، عبر أعلامه، وفهارس مؤلفاتهم، شيخنا العلامة الفضلي في هذا الكتاب.

وذلك بعد أن يقدم لنا تجربة رائدة وجادة في الفهرسة لكتب النحو في كتابه الموسوم بـ «فهرست الكتب النحوية المطبوعة»^(١)، ولذلك دلالة وأيما دلالة!

□ ثالثاً: دلالة اشتغال المفهرس

إذا كان الشيخ الطوسي ترك لنا كتابه «الفهرست» في معرفة رواة الحديث، بعد كتابه الموسوم بـ «رجال الشيخ الطوسي» صوتاً لعلم الحديث عبر معرفة رجاله، فإن الشيخ الفضلي في كتاب «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» ترك أشكالاً من التعريف العام بالنحاة، واشتغالات اللغة والنحو رجالاً وطبقات، مدارس واختصاصات، مصادر ومصنفات، بادئاً - فيما يختص بمدرسة النجف الأشرف - بالشيخ الطوسي نفسه، فالمحقق الرضي، حتى آخر اسم يرد تحت رقم (٢٠٨) في هذا (الفهرست) من (رجال الشيخ الفضلي) في الدرس النجفي للغة والنحو - كما يحلو لي أن أسميه هنا، وإلا فهو يسير مع رجالات النحو العربي منذ نشأته بالبصرة حتى دخوله إلى حاضرة النجف الأشرف.

أليس في هذا النحو من الاشتغال بالفهرسة، ورجال العلم، من الشيخ الطوسي إلى الشيخ الفضلي في مدرسة النجف الأشرف من دلالة على ما لتلك المدرسة العريقة الشاخمة من أصول وتقاليد لا تنفك عنها مهما كان نوع المادة المدروسة؟

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، فهرست الكتب النحوية المطبوعة، الأردن - الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

وأى سر هو في هذه المدرسة التي مازالت - فقهاً كان ما تدرس، أم لغةً ونحوًا - لا تقتنع بأدنى من مستوى الاجتهاد!؟

إنه الإبداع الذي سيجد تجلّيه الأصيل في حضور مدرسة النجف الأشرف عبر اجترّاح دربٍ بكرٍ من الجهد المختص، تصنيفًا، وتوصيفًا، وتحليلًا، في «فهرست الكتب النحوية المطبوعة»^(١)، لشيخنا العلامة الفضلي.

- فهرست الكتب النحوية المطبوعة:

وصل عدد ما أحصاه شيخنا العلامة الفضلي من الكتب النحوية المطبوعة في هذا الفهرست إلى (١٢٦٥) عنوانًا عبر مسح ببليوجرافي لما استطاع الوصول إليه من المطبوع النحوي في العالم كله من بدء الطباعة حتى عام ١٩٨٤م^(٢).

وهو جهد مضمّن لا يعيه إلا من حاول الاقتراب من هذا الشكل من التصنيف الببليوجرافي؛ وذلك لأن «موضوع الفهرسة - كما يعرف من كابده وعانى فيه ومنه - وعر الطريق شائك المسلك مخيف المسرى.

وعرّ..؛ لأنه لم يمهد حتى الآن بإصدار ما يعرّف كل ما ينشر من نتاج فكري نحوي.

وشائكٌ؛ لأن ما نشر من قوائم مفهرسة - على قلتها - لم يدقق فيها، ولم يتحقق من صحة ما ينشر فيها، ومن هنا - كان الاعتماد عليه لا يخلو من مزالتق.

ومخيفٌ؛ لقلة السالكين فيه، وقد يعود ذلك إلى قلة الوعي لأهمية أمثال هذه الأعمال»^(٣).

(١) م. ن.

(٢) م. س، ص ٤.

(٣) م. س، ص ١٧.

بيد أن الوعي المنهجي الذي يتمتع به شيخنا الفضلي - كان رائده في خوض مثل هذه اللجج متخطياً الصعوبات كلها، بمثابة المجتهدين، وصبرهم؛ من أجل القيام بمثل هذا العمل الإبداعي الذي يسد حاجات البحث الضرورية متوخياً تحقيق أهدافه في: »

١. الاطلاع على ما نشر من التراث النحوي العربي، فيعاد نشر ما لم يستكمل شروط التحقيق العلمي وعناصره، ويكتفي بما استوفى ذلك فلا يكرر تحقيقه.
٢. الاطلاع على ما نشر من بحوث ودراسات نحوية فيها المفيد من الجديد في العرض، أو الرأي، أو النقد، أو الموازنة؛ ليستفاد منه في البحث والتأليف، والتربية والتعليم.
٣. وضع قائمة بالمصادر والمراجع النحوية المطبوعة أمام الدارس والباحث، من أساتذة النحو وطلابه وشذاته، أو من غيرهم، من أمثال المتخصصين في علم المكتبات، والمعلومات، فيفيدون منها في معرفة التطور التاريخي لطبع الكتاب النحوي»^(١).

تلك القائمة من المصادر والمراجع التي تجد شكلها الخاص فيما أثبتته شيخنا العلامة الفضلي في هذا الكتاب من مؤلفات مدرسة النجف الأشرف في اللغة والنحو عبر العصور.

والتي تجد شكلها العام فيما طبع في العالم من المؤلفات النحوية لكل من كتب في هذا العلم بلا تخصيص، غير أن مدرسة النجف الأشرف كانت حاضرة أيضاً فيما طبع من تلك المؤلفات المثبتة في كتاب «فهرست الكتب النحوية المطبوعة» لشيخنا العلامة الفضلي، وكانت مدرسة النجف الأشرف أشد حضوراً في تمثّل روح الاجتهاد فيها عند شيخنا العلامة الفضلي نفسه؛ فما هو - في نتاجه هذا، وفي مثله - إلا

(١) م. س، ص ٣-٤.

نموذج حي لتلك الذهنية الوقَّادة التي تتحرك بها عجلة الاجتهاد شمولية وعمقاً في مدرسة النجف الأشرف.

إنَّ القراءة التي قدمها أستاذنا الشيخ الفضلي للجهود النحوية ما بين عصر سيبويه (ت ١٨٠هـ) وهذا العصر عبر «الفهرست» في الكتاب المطبوع متجلياً بأشكال ومضامين شتى، عبر وصف لا يخفي ما خلفه من تفكيك وتحليل، وما أمامه من تركيب وبناء، وما فيه من تدبُّر واجتهاد لا يبرحان اشتغالاته - لتدعوننا، مثل تلك القراءة، إلى تأمل الملكة التي يُعملها العلامة الفضلي في النتاج النحوي عبر هذا الرصد.

- رصد النتاج النحوي شكلاً ومضموناً:

على أساسٍ من المعيار الذي ارتآه أستاذنا العلامة الفضلي في تحليل ما أخرجته الطباعة إلى سوق الكتاب العالمية في النحو من مؤلفات لا يوحِّدها غير النحو علماً - كان التفكيك وإعادة التركيب لعنوانات تلك المؤلفات في تصنيف ينظر إليه من زاويتين إلى الكتاب النحوي المطبوع ليتجلى للدارسين في هذا الفهرست على صعيد الشكل، وعلى صعيد المضمون.

أ - الكتاب النحوي على صعيد الشكل: »

١. الكتاب العلمي الاستدلالي، وذلك مثل: (الكتاب) لسيبويه (ت ١٨٠هـ).
٢. المتون النحوية، وذلك مثل: (الكافية) لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ). ومن المنظوم مثل: (الألفية) لابن مالك (ت ٦٧٢هـ).
٣. شروح المتون، وذلك مثل: (شرح الكافية) للمحقق الرضي (ت ٦٨٦هـ)، ومن شروح المتون المنظومة مثل: (شرح ألفية ابن مالك) لابن الناظم (ت ٦٨٦هـ).
٤. حواشي الشروح، وذلك مثل: (حاشية الصبان) لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت ٩٢٩هـ) لألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ).

٥. حواشي الحواشي، وذلك مثل حاشية (ياسين العلمي) لياسين الحمصي العلمي (ت ١٠٦١هـ) على (حاشية الأزهرى) على (أوضح المسالك) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).
٦. التقريرات على الحواشي، وذلك مثل: (تقريرات الأنباي) لشمس الدين الأنباي (ت ١٣١٣هـ) على (حاشية السجاعي) للسجاعي (ت ١١٩٧هـ) على (شرح قطر الندى) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).
٧. التقييدات، وذلك مثل: (مقيد قواعد الإعراب) لعدة من العلماء.
٨. الخلاصة، وذلك مثل: (الخلاصة) المعروفة بألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، وهي تلخيص لمنظومته الكبرى الموسومة بـ (الكافية الشافية).
٩. المختصر، وذلك مثل: (مختصر مفيد في أصول الصرف والنحو) لسليم حسون الموصلى (ت ١٣٦٦هـ).
١٠. التعليق، وذلك مثل: (تعليقة على البهجة المرضية) للأصفهاني (ت ١٢٣٨هـ).
١١. الأمالي أو المجالس، وذلك مثل: (مجالس ثعلب) لأبي العباس ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ)، و(أمالي الزجاجي) لأبي القاسم الزجاجي البغدادي (ت ٣٣٧هـ).
١٢. الرسائل، وذلك مثل: (رسائل السيوطي) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
١٣. المسائل، وذلك مثل: (فوح الشذا في مسألة كذا) لابن هشام (ت ٧٦١هـ).
١٤. المجموعة، وذلك مثل: (جامع المقدمات)، ويحوي مجموعة متون لعدة مؤلفين.
١٥. الدراسات والبحوث، وذلك مثل: (بحث في الأفعال الملازمة للمجهول بين النحويين واللغويين) لمصطفى النحاس.
١٦. المذكرات، وذلك مثل: (مذكرات في قواعد اللغة العربية) لسعيد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ).
١٧. المختارات، وذلك مثل: (مختارات في النحو والصرف) لمنى إلياس.
١٨. السؤال والجواب، وذلك مثل: (المسائل البغداديات) لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ).

ب - الكتاب النحوي على صعيد المضمون:

١. القواعد، وذلك مثل: (القواعد الثلاثون في علم العربية) لشهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ).
 ٢. الشواهد، وذلك مثل: (شرح أبيات سيبويه) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ). و(الشواهد) لأبي المعالي الحسيني (ت ١٣٤٢هـ).
 ٣. الخلاف، وذلك مثل: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ).
 ٤. المقارن، وذلك مثل: (المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية) للمستشرق الألماني كارل بروكلمان Carl Brockelmann (ت ١٩٥٦م).
 ٥. الأصول، وذلك مثل: (الأصول: دراسة إستولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو، فقه اللغة، البلاغة) لتنام حسان.
 ٦. الإعراب، وذلك مثل: (إعراب لامية الشنفرى) لأبي لبقاء العكبري (ت ٦١٦هـ).
 ٧. التطبيق، وذلك مثل: (تطبيقات نحوية وبلاغية) لعبد العال سالم مكرم.
 ٨. علاقة النحو بالعلوم الأخرى، وذلك مثل: (البحث النحوي عند الأصوليين) لمصطفى جمال الدين (ت ١٤١٧هـ).
 ٩. الرد والنقد، وذلك مثل: (الرد على النحاة) لابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ).
 ١٠. الموضوعات المنفردة، وذلك مثل: (اللامات) لأبي القاسم الزجاجي البغدادي (ت ٣٣٧هـ).
 ١١. حروف المعاني، وذلك مثل: (الجنى الداني في حروف المعاني) لابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ).
 ١٢. التاريخ، وذلك مثل: (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
- إلى غيرها مما ألمح إليه:

من أشكال:

- كالمعجم، وذلك مثل: (المعجم الوافي في أدوات النحو العربي) لعلي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي.
- والفهرست، وذلك مثل: (فهارس كتاب سيبويه ودراسة له) لمحمد عبد الخالق عزيمة.
- وغيرهما.

ومن مضامين:

- كالأحاجي والألغاز، وذلك مثل: (الألغاز النحوية) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). و(الأحاجي النحوية) لجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

وغيرها، يراها الباحث في المؤلفات النحوية، وهي تؤلف مادة علمية خصبة للكتابة في (التأليف النحوي)»^(١).

- بين اللغة والشريعة:

إذا كانت اللغة العربية وعاء الشريعة المقدسة كتاباً وسنةً، وكناً في النجف الأشرف حاضرة الإمام علي عليه السلام سيد البلغاء والمتكلمين بعد رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه الموحى، فإن ما بين اللغة والشريعة من صلة لا يمكن تصور عدمها؛ ما يعني أن البلاغة والبلاغ في تمامه شديد، لا يدرج السالكون إليهما غير نهج واحد.

من تلك الوحدة كان النهج فيما حفظ الرواة لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج بلاغته الذي ما زالت أصدائه في الأجواء من جامع الكوفة إلى جامعة النجف، وما زال

(١) م. س، ص ٥-١٦ باختصار وتصرف.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

الحافون بعلي عليه السلام، الداخلون إلى الشريعة من بابه، يتحسسون أسوارها بلغته، يدور معها ما دار مع القرآن، ومعها السنّة في قول النبي محمد ﷺ، وبوحدة لا تتعدد بين اللغة/ النص، والنص/ اللغة.

ذلك ما يفسر احتفاء مدرسة النجف الأشرف باللغة العربية وعلومها، احتفاءها بالشريعة وعلومها، وتخريجها كبار الأدباء والشعراء، كما تخرج كبار العلماء والفقهاء.

ولذلك أيضًا، كانت الإشارة إلى الاقتران بين اللغة ونحوها، والشريعة وفقهها، حتى على مستوى الشكل وطرائق التأليف، إشارة (ضرورية) بهذا التنبية الذي ختم به شيخنا العلامة الفضلي حديثه عن المؤلفات النحوية، إذ يقول: «ومن الضروري أن أنبه - هنا - إلى أن مثل هذا التأليف النحوي كان شائعًا في مؤلفات العلوم الشرعية أيضًا، وبخاصة علم الفقه، وقد يفترق المؤلف النحوي عنها في مثل الإعراب والشواهد»^(١).

إشارة هي أيضًا إلى ما تنماز به مدرسة النجف الأشرف في تجاوز إشكالية الشكل والمضمون حين يتماهى اللغوي بالشرعي، والشرعي باللغوي، ويبلغ الذرى حين تنعدم الحدود بين الأديب في أدبيته، والفقيه في فقهيته، فيشرقان في واحدتيهما بواحد أيما إشراق.

ومن هنا، كان اشتغال الأديب في النجف الأشرف ومدرستها ليس بغريب، وأن يتمثل شيخنا الفضلي ذلك الاشتغال، هو من صدق الوصال، ولذلك دلالة، وأبها دلالة.

(١) م. س، ص ١٦.

□ رابعاً: دلالة اشتغال الأديب

يكمن الانتظام الداخلي في الدلالات الثلاث المارة تورخه، واجتهاداً، وفهرسةً - في كون التورخة استعراضاً للتجارب الاجتهادية، والسائرة في دربها، عمودياً وأفقياً؛ لوعي تطورها وعياً يضع العلماء في اتجاه تحاشي الأخطاء، وفي آفاق التواصل مع الصوابات لاكتشاف الأساسات التي يمكن أن تبنى عليها التجارب الاجتهادية الجديدة، بما يستجيب لشروط الإبداع.

ولا يخفى ما لاشتغال الفهرسة من صلة مسيسة بتلك الشروط؛ كون المبدع لا يُقبل على بحث عمل مكرور، ولا على الكتابة فيه، ولا يقبل أن يكون رقمًا في تراكم، إنه يطمح أن يكون له عطاؤه الذي يضيف لعطاءات سابقة إضافة نوعية، وذلك مما توفره جهود الفهرسة للباحث الأصيل.

اشتغالاتٌ ثلاثٌ تتكامل فيما بينها عند شيخنا العلامة الفضلي لتدل على ما تتوفر عليه مدرسة النجف الأشرف، ولا تدل على ما تنماز به تلك المدرسة التراثية العريقة من دون انضمام البعد الرابع لتلك الاشتغالات، وهو اشتغال الأديب.

إن الانتظام الداخلي للاشتغال الأخير مع الاشتغالات السابقة فيما يتمثله العلامة الفضلي من مدرسة النجف الأشرف - هو في كونه استجابة لشرط من شروط الإبداع فيها، وهو إدراك ما بين البلاغة والبلاغ من تماهٍ لا يدرك إلا بتمثل روافع الأدب بما يكون الملكة الأدبية التي يستعان بها على تنضيج ملكة الاجتهاد، مما يعيه كل من اشتغل علمياً ضمن شروط مدرسة النجف الأشرف الاجتهادية مثل شيخنا العلامة الفضلي، الذي رأيناه يسير في اشتغالاته اللغوية من التاريخ في «مراكز الدراسات النحوية»، إلى الاجتهاد في «دراسات في الفعل»، إلى الفهرسة في «فهرست الكتب النحوية المطبوعة» وإلى الأدب كما سنراه في «أعراف النحو في الشعر العربي»^(١)، وإلى الكثير من ذلك في هذا الكتاب.

(١) الفضلي: د. عبد الهادي، أعراف النحو في الشعر العربي، جدّة، دار الوفاء، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- أعراف النحو في الشعر العربي:

للنحو أن يذهب إلى الشواهد مستولداً منها القواعد في لغة اصطلاحية يعرفها المشتغلون بهذه الصناعة.

وتبقى لغة المصطلح النحوي، وما يتصل بعالمه، مما تعارف عليه النحاة من أعراف نحوية، تبقى حبيسة أسفار أصحاب تلك الصناعة، حتى يطلقها المشتغلون بالأدب ممن خبروا تلك الصناعة إلى عوالم أخرى لمقاصد وغايات وأهداف «بهذا اللون من ألوان الشعر العربي، وما فيه من استملاح واستمتاع، ورياضة عقلية ذات عطاء»^(١).

عقل المشتغل باللغة والشريعة يحتاج إلى تلك الرياضة، كما تحتاج نفسه إلى ما في تلك الرياضة العقلية من (استملاح واستمتاع).

من واقع إشباع تلك الحاجيات كان ذلك العطاء في مدرسة النجف الأشرف التي تدرك ما للكبت، والتزمت، وتصنّع (الوقار) المتصيد في غير مواضعه - من آثار سلبية تعمل على تعقيد العملية الاجتهادية، والإيقاع بشروط انفرادتها بحرمانها مما لا تصل إليه إلا بسلك هذا النهج الذي تنهاز به مدرسة النجف الأشرف، والذي هو - بحق - من عوامل إبداعاتها التي ينبغي لدارسي تجربة النجف الاجتهادية الالتفات إليه، ودراسة ما يضمن من دلالات.

وإذ يُثبت شعر لفيف من الشعراء العرب، شيخنا العلامة الفضلي في «أعراف النحو» التي ترصدها في تلك النصوص الشعرية ملفتاً إلى ما تضمه من دلالات يتلمسها كل من يتأمل فيها من مرجعيات الاختيار - والاختيار بحد ذاته نقد ضممني - في قوله: «وتربو عدة ما احتواه هذا الكتيب من أبيات شعرية على ثلاثمئة، تنتمي

(١) م. س، ص ١٠.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

لأكثر من تسعين شاعراً^(١) - فإنه، وفي الدلالة الأخص، نتلمّس حضور النجف الأشرف في شعرائها، ومنهم كان:

- المرجع السيد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)^(٢).
- الفقيه السيد محمد جواد العاملي، صاحب (مفتاح الكرامة) (ت ١٢٢٦هـ)^(٣).
- الحكيم الشيخ محمد جواد الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)^(٤).
- الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبي (ت ١٣٨٥هـ)^(٥).

وإذا كان الشيخ الشبيبي - وهو من كبار شعراء النجف الأشرف - عالماً لغوياً مرموقاً له كتابات دالة على ما لمدرسة النجف الأشرف من أصالة وإبداع، وهي:

١. أصول ألفاظ اللهجة العراقية.
٢. لهجات الجنوب.
٣. المأنوس من لغة القاموس^(٦).

فإن الشيخ الجزائري - وهو من أعلام الفلسفة الإلهية في النجف الأشرف - كان عالماً نحوياً، له من الكتب في النحو العربي دراسةً ونقداً:

١. حاشية على شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك.
٢. نقد الاقتراحات المصرية في تيسير العلوم العربية.

(١) م. س، ص ١٠.

(٢) م. س، ص ٥٧.

(٣) م. ن، ص ٥٧.

(٤) م. ن، ص ٤٢.

(٥) م. ن، ص ٢٣، ٤١.

(٦) انظر: الدرس اللغوي في النجف الأشرف، م. س، ص ١٩٢.

الكتاب الذي علق عليه، وعلى صاحبه - شيخنا الفضلي بقوله: «والشيخ الجزائري في هذا الكتاب الذي هو مناقشة للمقترحات التي تقدم بها ثلة كريمة من علماء وأدباء العربية في مصر، وعلى رأسهم الدكتور طه حسين لتيسير المادة النحوية في المقررات الدراسية والتعليمية في المدارس والمعاهد - يوقفنا على حضور النجف في كل قضايا اللغة العربية، ومتابعتها للتطور العلمي في الأوساط العلمية العربية»^(١).

وإذا كان الشيبيني والجزائري من شعراء الأعراف النحوية، فإنهما علمان من أعلام اللغة والنحو في النجف الأشرف، وشاعران، لكل منهما ديوان مطبوع.

فإن الفقيه السيد بحر العلوم - وهو من كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف - له منظومات، مثل:

- الدرّة النجفية (أرجوزة في الفقه).

- الدرّة البهية (نظم رؤوس المسائل الأصولية)^(٢).

وما تلك المنظومات إلا لشديد الصلة ما بين الشرعي والشعري في مدرسة النجف الأشرف، وإذا كانت تلك (منظومات)، فإن للمرجع السيد مهدي بحر العلوم (ديوان شعر)، وهو - بلا ريب - مما يثري فقاھته، وينضج صلته بالنص، الأمر الذي يحرص عليه فقهاؤنا الأوائل، وليس أشهر من علم الهدى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) الذي ترك لنا تراثاً ضخماً من الاشتغال الشرعي والشعري.

وإذا كان لكل من الشيخ الشيبيني (ت ١٣٨٥هـ)، والشيخ الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)، والسيد بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) ديوان شعر، فإن تلميذ الأخير، السيد العاملي (ت ١٢٢٦هـ) - وهو من كبار فقهاء النجف الأشرف - لم يعرف له ديوان

(١) انظر: م. ن، ص ١٨٣.

(٢) هكذا قرأتهم، ج ١، م. س، ص ٦٩.

شعر، إلا أن ذائقته الرفيعة تتجلى في كتابه الفقهي الشهير (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة)، وهو- أعني الذوق الرفيع - مما تنأز به مدرسة النجف الأشرف فقهياً وأصولياً ولغوياً، على أنه إذا لم يترك السيد العاملي ديوان شعر لا يعني أنه ليس بشاعر، ولذلك كان له موقعه في شعراء الأعراف عند شيخنا العلامة الفضلي، في هذه الحكاية بين التلميذ وأستاذه التي تعكس من خلال الاشتغال الأدبي/ الشعري على المصطلح النحوي - ثقافة النجف الأشرف، ومنظومة قيمها، اللتين توفران للدارسين مادة من دونها لا يمكن فهم مدرسة النجف الأشرف فهما متكاملًا:

- بين السيدين بحر العلوم والعاملي:

«يحكى أن السيد محمد مهدي بحر العلوم المرجع الديني دفع ذات يوم إلى تلميذه السيد محمد جواد العاملي صاحب (مفتاح الكرامة) شاميين [من النقود العثمانية] ليدفعها إلى بعض المشايخ المحتاجين من طلبة العلم. وبعد أن دفعها إليه، عاد ليخبر السيد بذلك فلم يجده، فكتب رقعة لإعلامه، ووضعها في المكتبة، وصورة ما كتبه في الرقعة: (الشاميين دفعتهما) ثم أمضاها بمهره.

فاتفق أن المهر كان معكوسًا، فلما رآها السيد كتب تحتها البيت التالي:

المهرُ في الكتاب جاء منعكسٌ والمبتدا المرفوع جاء منتكسٌ

ولما وقف السيد محمد جواد على ذلك كتب تحته البيتين التاليين:

قد عكس المهرُ اختلال وهمي إذ لم يكن لي فيهما من سهم
والمبتدا المرفوع لما عُرِضا على الشريف العلوي انخفضا^(١)

(١) أعراف النحو في الشعر العربي، م. س، ص ٥٧.

- شعريّة المصطلحات العلمية في مدرسة النجف الأشرف:

تكمّن الشعريّة - هنا - في الدعابة، والطرافة، وروح النكتة، وتلك في الصميم من الثقافة النجفية، وقيمتها فيما تبدع من تقنيات التناول التي تجد في مادة الدرس من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، وتفسير، ورجال، وحديث، وفقه، وأصول، ومنطق، وفلسفة، وحكمة، وعرفان، وما تزخر بها تلك المواد العلمية، من مصطلحات تظهر عفويّاً، ومن دون تكلف، في لغة الشعر، بيد أنها تقول أشياء، غير ما تقولها اللغة المباشرة.

إنها تعكس ثقافة النجف الأشرف، وقيمها، وبها يغيّر المؤلف، يدخل المصطلح العلمي، كما شاهدنا - هنا - كيف يدخل المصطلح النحوي (المبتدأ، الرفع، الخفض) في جُماع النص؛ لتدشين دلالات جديدة عن طريق طاقة الانزياح..!

فالمهر، وهو الختم الشخصي الذي يوقّع به علماء النجف الأشرف رسائلهم، وإجازاتهم العلمية ما يعني قيمته التوثيقية، ومصادقته الاجتماعية العالية اللتين تقتضيان أن يظل سويّاً مرفوعاً، لا متكسّاً معكوساً، إلا أنه انعكس وانتكس لانتكاس المبتدأ الذي من حقه الرفع؛ كونه عمدة، وذا شرف عالٍ، بحسب النحو المعقّد، واعتباراته التي تصدر عن بنية فكرية/ ثقافية تكامل بناؤها المدرسي، من البصرة إلى الكوفة إلى بغداد إلى النجف الأشرف.

ما يلمح إليه السيد بحر العلوم، في أفق اطلاعه على تلامذته، وتشفههم، وزهدهم في الدنيا إخلاصاً لطلب العلم في سبيل الله، على الرغم مما ينتابهم من حالات لا تطاق، قد تبدو على الحال، بما لا تحتاج إلى السؤال..!!

فهل افتضحت الحال تلميذه السيد العاملي فاختل مقام ما حقه الرفع إلى الخفض من مبتدأ رتبته التقديم، وانعكس خاتم السيد إنباءً بانتكاس الحال..!؟

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

رسائل مضمرة يلتقطها الحصفون في العلم والأدب في مدرسة النجف الأشرف بما تشكل من شعريات في تلك الرسائل وأمثالها تغني الأدب العربي لدى وعيها ودراسة تقنياتها.

ليأتي توصيف تلك الحال من السيد العاملي لأستاذه السيد بحر العلوم توصيفاً نفسياً: «قد عكس المهرُ اختلال وهمي»، وفي بوح خاطف يوصل معللاً - بدعابة وذكاء - لأستاذه: «إذ لم يكن لي فيهما من سهم»، والضمير في: «فيهما» يعود إلى النقود العثمانية «الشاميين»، وتلك قيمة أبوية بين المري ومريديه في النجف الأشرف؛ يتوَجَّها حسن التعليل في قوله الجميل: «والمبتدا المرفوع لما عُرِضا / على الشريف العلوي انخفصا»، إذ فيه ما فيه من الإجلال الكبير لمكانة المخاطب السيد بحر العلوم من تلميذه؛ كونه الأستاذ، وتلك قيمة؛ وكونه شريفاً سيداً علويّاً النسب، وتلك قيمة أخرى في مدينة الإمام علي عليه السلام.

رسائل أراد لنا أن نتعرف فيها شيخنا العلامة الفضلي بـ «أعراف النحو..» على وجه من وجوه مدرسة النجف الأشرف، وإذ تعرّفنا على ما أراد - تعرّفنا أيضاً على اشتغال الأديب في شيخنا الفضلي، وعلى دلالة ذلك الاشتغال فيما يتصل بما نحن فيه من دلالات المؤرخ والمجتهد والمفهرس، وعلى النجف الأشرف، ومدرستها العريقة، في تلك الدلالات الأربع عند شيخنا العلامة الفضلي.

- تجليات الانتظام للدلالات الأربع:

وهكذا رأينا كيف تجلّي الانتظام الداخلي لتلك الدلالات الأربع (تاريخياً واجتهاداً وفهرسةً وأدبياً) في:

١. النجف مدرسةً في فكر الفضلي.

٢. الفضلي عالماً في مدرسة النجف.

القسم الثاني: كتابات الوفاء

وأنَّ كتاباً يرصد «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» يستند إلى رصيد مؤلفه الكبير شيخنا العلامة الفضلي - حفظه الله -، وإلى ما يسكن في وعيه المنهجي الفريد، مما تزخر به النجف الأشرف، ومدرستها الشاخنة من رؤى، ومناهج، في اللغة والنحو، تنماز بها عن غيرها من المدارس في المجال - يجعلنا متأهين لقراءة مغايرة، ومغيرة، بما يستجيب، بتوق، ومتعة، وفائدة، إلى الأصالة والإبداع في جذبات الاجتهاد.

مشروع الوحدة وخلفيات التجزئة عند الدكتور الفضلي

الأستاذ حسين منصور الشيخ

□ مفتتح

بدأ رسول الله ﷺ بعرض دعوته الإسلامية على من حوله من قرابته وبعض ممن يأمنهم ويثق بهم في مرحلة ما عُرف تاريخياً بالدعوة السرية التي استمرت ثلاث سنوات. وبعد أن تكوّنت النواة المؤمنة للمجتمع المسلم، أمره الله تعالى بالجهار بالدعوة، فصدع بالإسلام مجاهراً به أمام قبيلته القرشية، فأمن به مجموعة قليلة من أهل مكة، فيما الغالبية منهم كانوا من محاربيه ومناوئيه هو والقلّة المؤمنة بدعوته، وهي الحال التي استدعته أن ينتقل إلى مرحلة جديدة من الدعوة الإسلامية، وهي بناء المجتمع وتأسيس نواة الدولة في المدينة المنورة بعد أن أمضى ١٣ سنة من الدعوة في مكة.

فهاجر رسول الله ﷺ - ممثلاً للأمر الإلهي - إلى المدينة المنورة (يثرب حينها) مع الثلة المكية المؤمنة، وكان المدنيون في انتظاره ﷺ انتظار الفاتحين، يهللون ويستبشرون بقدوم نبي الله إليهم. فنزل بدار بني مالك بن النجار. وكان أول ما قام به هو بناء المسجد، ليكون محلّة جماعتهم وأداء صلواتهم اليومية. وبدأ بتأسيس نواة

المجتمع المسلم ضمن الأسس والمبادئ الإسلامية، فكانت خطبته التوجيهية الأولى ترسيخاً لتلكم القيم والمبادئ التي يأتي في مقدمتها تعزيز الإيمان بالمبدأ تعالى وحضور الآخرة في قلوبهم وعقولهم، إذ كان مما قال فيها: «أيها الناس، قدموا لأنفسكم، تَعْلَمَنَّ والله لَيُصَعَّقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثم لَيَدَعَنَّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالاً وأفضلتُ عليك؟ فما قدمت لنفسك؟، فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لَيَنْظُرَنَّ قَدَّامَهُ فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار - ولو بشق من تمر - فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإنها بها تجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف»^(١).

يُذَكِّرُ النبي ﷺ في هذه الخطبة المسلمين بأهمية المحافظة على ذكر الله تعالى واستحضار يوم القيامة فيما يمثله من العقاب والثواب، وذلك لتركيز مبادئ العقيدة الإسلامية في نفوسهم، وتهيئتها لاستقبال تفاصيل الأحكام الشرعية، لتكون وسيلة للالتزام المسلم بتلكم الأحكام. وفي خطبته الثانية يركِّز ﷺ على مسألة تمسك المسلمين بالكتاب الذي أنزل عليهم، وأن يستشعروا آياته في قلوبهم وجميع أعمالهم، يقول ﷺ: «إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. إنَّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه. أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملؤا كلام الله وذكره، ولا تقسُّ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى. قد سماه الله خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام. فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته، واصدقوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ط ١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ج ٢ / ٥٠٠.

الله صالح ما تقولون بأفواهكم. وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم ورحمة الله»^(١).

في لقائه العام الأول يؤكد النبي ﷺ على أمور عدة في بناء المجتمع المسلم، كان أولها حضور اليوم الآخر وتأكيد مسألة الجنة والنار في أذهان المسلمين، وبعدها يشير إلى أهمية تمسك المسلمين بكتابهم المقدس الذي يعدّ عنوان عملهم في جميع حركاتهم وسكناتهم والموجه الأول لهم، والوصية الثالثة هي مسألة تبادل المحبة المبنية على الإيمان بالله بينهم، إذ يوصيهم ﷺ بقوله: «وتحابوا بروح الله بينكم»، تركيزاً لطبيعة علاقة المسلم بأخيه في هذا المجتمع الوليد، لتكون علاقة الأخوة الإيمانية - التي ستعززها لاحقاً آيات القرآن الكريم - من أبرز سمات المجتمع المسلم.

ولذلك فإن النبي ﷺ، بعد أن أتمّ بناء المسجد، ووضع أسس العلاقة بين المسلمين ومن يقاسمهم المدينة من اليهود، من خلال الكتاب الذي وادع فيه اليهود وعاهدتهم، فأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم، بعد هذا العهد^(٢)، باشر الرسول بوضع أسس العلاقة بين المسلمين فيما بينهم، فأخى بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل أنصاري أخاً من المهاجرين، وذلك في نموذج اجتماعي فريد لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، إذ لم يكتفِ ﷺ بما أشار إليه من إرشاد نبوي في خطبته الثانية، وإنما باشر بتجسيد ذلكم الإرشاد إلى واقع عملي يعيشه المسلم في تفاصيل حياته اليومية. ولم تكن تلكم الخطوة نحواً من تأليف القلوب وتمتين العلاقة فحسب، بل كانت - بالإضافة إلى ذلك - تغييراً جذرياً في طبيعة علاقة العربي بمثيله العربي، بدلاً من أخوة القبيلة والولاء العشائري، تتبدّل إلى أخوة الدين والعقيدة والولاء للمبدأ الحقّ تعالى.

(١) المصدر السابق، ج ٢ / ٥٠١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج ٢ / ٥٠١ - ٥٠٤.

ورسول الله ﷺ - بهذا العمل - يوجّه الأجيال إلى أن بناء المجتمع والدولة المسلمة له أسس وقواعد، من أبرزها - بعد الولاء لله تعالى - بناء العلاقة الصحيحة بين أبناء المجتمع المسلم، ولتكون الوحدة الاجتماعية أساساً وأصلاً من أصول ذلك المجتمع.

وما يعزّز هذا المبدأ تعدد حضوره في الآيات القرآنية، حيث تناوّلها في أكثر من موضع، إذ تشكّل بمجموعها رؤية قرآنية متكاملة حول مفهوم الوحدة في القرآن، وهي النقطة التي سلّط الضوء عليها الدكتور عبد الهادي الفضلي في مجموعة من محاضراته التي جمعنا أربعاً منها بين دفتي هذا الكتاب، تمثّل فصوله القادمة، وذلك في عناوين عدّة، نحاول في هذا التمهيد تناول أبرزها بالعرض والتحليل:

□ أولاً: موقعية الوحدة في المنظور القرآني

أ) الوحدة عنوان إسلامي أصيل

يشير الدكتور الفضلي أثناء حديثه عن الإنسان في التشريع الإسلامي إلى أن له موقعية متميزة في الإسلام، وذلك أن الشخصية الإنسانية تخرج بين دورين رئيسين - فيما يرتبط بالدور الإنساني على هذه الأرض -، أولاهما: أنه يتحمّل مسؤولية أداء الأمانة التي عرضها الله ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْتَأْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^(١)، وذلك من خلال أدائه الأمين للأحكام الشرعية. ولكن هذا الامتثال للأحكام لا يجب أن يتعارض مع الصفة الثانية للإنسان، وهي الكرامة، انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢). إذ يشرح هذه العلاقة بقوله: «هذه الآية الكريمة يمكن عدّها حاكمة على التشريعات الإسلامية من حيث عدم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

وجود تشريعات في الفقه الإسلامي تؤدي إلى هدر كرامة الإنسان أو تحطّ من مكانته. فكرامة الإنسان محفوظة في جميع أحكام التشريع الإسلامي بموجب هذه الآية الكريمة. ولذلك يمكننا - ملخّصًا - أن نقول بأن الإنسان - في موقعيته في هذه الحياة - هو: مسؤول كريم^(١).

وكما يرى الشيخ الفضلي حاكمية وأصالة الكرامة في مسألة التشريع الإسلامي، فهو يرى أصالة مفهوم الوحدة في هذا التشريع أيضًا، إذ يعدها أساسًا من الأسس الإسلامية الأصيلة، فيقول في ذلك: «إن الوحدة الإسلامية في الوقت الذي تعدها الآيات القرآنية مظهرًا لخير الإنسان فردًا ومجموعات، تقدمها - من ناحية أخرى - على أنها مظهر لارتباط المسلم ببعقيدته الإسلامية، وكذلك منسجمة ومبادئ الخير والعدل الذي يبشّر به الإسلام ويمثّل إحدى ركائز العقيدة الإسلامية في بناء أي مجتمع. فهي عنوان إسلامي أصيل ويمثّل أحد أبرز التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية اليوم، وذلك في مواجهتها مع المشاريع الخارجية التي تحول دون تحقيق هذا النوع من الاندماج الإنساني المبني على الولاء للمبدأ الأول تعالى شأنه»^(٢).

ب) الوحدة سبيل إلى تحقيق المصالح الفردية والجماعية

يشكّل المسلمون وحدة اجتماعية يجمعهم فيها الولاء للمبدأ، وهذه الوحدة - في تحققها - تشكّل تضافرًا في الجهود وتبادلًا للمصالح وحفاظًا على المنهج الإسلامي العام، وهو ما يعني تعميم المصالح للفرد والجماعة. وهو ما يشير إليه الدكتور فيما يعرضه من معالم هذه الوحدة، ولكنه يشترط أن تظلّ هذه الوحدة محافظة على هويتها في الولاء للمبدأ الحقّ دون سواه، إذ يرى: «أن طلب المعونة الإلهية بالحفظ والعناية

(١) الوحدة الإسلامية: أسس البناء ومفاعيل الهدم في المجتمع المسلم، الدكتور عبد الهادي الفضلي، تحرير ودراسة: حسين منصور الشيخ، مخطوط، ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٠.

للجميع يعزّز هذه الوحدة ويبقيها مترابطة وذات هدف واضح، إذ الجميع متجه إلى الله تعالى المبدأ الواحد الجامع للكلمة، ولا يلتفت إلى بقية الخلافات التي قد تحدث أو حدثت في الماضي بين مكونات المجتمع المختلفة. ومن جهة أخرى، إن الوفاء للمبدأ الواحد يحافظ على تقاسم المصالح بصورة مستديمة أكثر، بخلاف الولاء للمصالح، حيث تتعجّل مجموعة أو مجموعات معينة داخل المجتمع الوصول إلى مصالحها الخاصة، ليكون على حساب بقية المجموعات الأخرى، ويمهد إلى تفرّق المجتمع وتفكّكه وتنازعه وعدم استدامة المصالح فيه»^(١).

وما يعزّز تبادل المصالح بين أفراد المجتمع المسلم بحالٍ من التكافل الاجتماعي الرحيم هو ما تفرضه الشريعة الإسلامية على المسلم من واجب المسؤولية الاجتماعية تجاه أفراد مجتمعه، «فلو أن مسلماً كان يجاوره فقير يحتاج للمساعدة المالية؛ لأنه لا يملك قوت يومه، وهو يعلم بحال جاره هذه، ولم يقدّم له أي مساعدة لينتشله من فقره وعوزه، إلى أن أدركه الموت بسبب حاله الاقتصادية السيئة تلك، فإن هذا الإنسان مسؤول شرعاً وعمّا وصلت إليه حال جاره ومحاسب على تقصيره تجاهه وتجاه أهله. وهذا معنى المسؤولية الاجتماعية في الإسلام، حيث المسلم مسؤول عن نفسه، وفي الوقت نفسه عن مسؤول ومحاسب أمام الله تعالى يوم القيامة فيما لو حصل منه أي تقصير في تحمّل هذا النوع من المسؤولية تجاه أفراد مجتمعه»^(٢).

ج) الوحدة الإسلامية خيار تقدمي

لا تمنع كثير من القوى الخارجية من ممارسة المسلمين لشعائهم وطقوسهم العبادية، من الصلاة والصوم والحج والأدعية والزيارات، ما دامت ستبقى في إطار الطقوس والشعائر. ولكن ما يثير حفيظة تلكم القوى أن تتحوّل الرابطة الدينية إلى

(١) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.

وحدة اجتماعية تطالب بتحويل هذه الرابطة إلى كيان إسلامي يقوم على أسس العقيدة الإسلامية. إنها في تلکم الحال تتحوّل - فيما طرحه وسائل إعلام تلکم القوى - إلى دعاوى رجعية وأصولية دينية متشدّدة.

وهو تصوير مشوّه للحالة الإسلامية، يستعرضها الدكتور الفضي في أحد عناوين الكتاب، إذ يشير هناك إلى أن إصاق أوصاف الرجعية والتشدد والأصولية لم يكن أمرًا عشوائيًا أو سوء فهم، وإنما كان بغرض إبعاد المسلمين عن الدعوة إلى تسلّم المكانة التي أعطاها الله تعالى للأمة الإسلامية، و«أن هذه الدعوات تقابلها النظرة القرآنية التي تصوّر الأمة الإسلامية - بما تحمله من فكر وقيم وتشريع وأخلاقية وانسجام مع الفطرة - دعوة خير للإنسانية، بما تشتمل عليه هذه الخيرية من مفاهيم تقدّمية للحياة الاجتماعية، يعيش فيها الإنسان أحمًا للإنسان ونصيرًا له، وعامرًا لهذه الأرض ومستثمرًا لمقدراتها بما يحفظ المصالح العامّة للجميع، ويحقّق أكبر مساحة من العدالة الاجتماعية بينهم، دون فارق طبقي أو اجتماعي أو ديني أو عرقي أو مناطقي أو فتوي. وهي جميعها مبادئ وأساسيات للخطاب التقدّمي الإنساني العام»^(١).

وما يجعل خيار الوحدة الإسلامية خيارًا تقدّمياً أنها تعتمد صيغةً هي أقرب إلى ما تدعو إليه اليوم منظومة حقوق الإنسان. ذلك أن أساس الوحدة - في المنظور القرآني - الإيمان بالمبدأ، إذ يصنّف الناس - وفق هذه النظرة - إلى مؤمنين بالمبدأ وغير مؤمنين به. وهو بخلاف التصنيف الطبقي الذي تتبناه النظرية الماركسية في تصنيفها المجتمع الإنساني إلى طبقة العمّال والطبقة الرأسمالية. كما أنه بخلاف التقسيم الذي تتبناه الحضارة الغربية اليوم في تصنيف المجتمعات إلى: متحضّرة وأخرى متأخّرة (دول العالم الثالث).

(١) المصدر السابق، ص ٨٣.

إننا حيننا نمعن النظر في الأساس الذي تتبناه النظرة الإسلامية القائم على الولاء وعدم الولاء له، نجده «مراعى فيه جانب العدالة وإنصاف الإنسان لنفسه وللآخرين. وهي نقطة من المهم مراعاتها في تصنيف المجتمعات، إذ إن التصنيف واقع لا محالة، وما دام الأمر كذلك، فعلينا أن نتخذ تصنيفاً ذا دلالة منصفة وعادلة وواقعية. ذلك أن مثل هذا النوع من التصنيفات لا بد وأن يحتوي على قدر من الدلالة ذات العلاقة بالنظرة الشاملة للإنسان والكون والحياة والمجتمع، وبمعنى آخر: لا بد وأن ينسجم والنظرة الشاملة لهذا المبدأ في فلسفته الخاصة في النظرة إلى الحياة. وعند الموازنة مع الأسس غير الإسلامية، نجد أن الأساس الإسلامي في التقسيم يحمل درجة أعلى من الإنصاف وتحقيق العدالة للمجتمع الإنساني، وهو الأساس الذي يلتقي ومنظومة حقوق الإنسان التي هي من أبرز شعارات المرحلة المعاصرة اليوم»^(١).

ويضاف إلى هذه النقطة أن المسيرة الإنسانية اليوم آخذة في التطور والتقدم، ومن أبرز مظاهر ذلك التطور ما ظهر من دعوات التحول الاجتماعي إلى ما يعرف باتجاه العولمة، وهو ما يعني تحول المجتمع الإنساني إلى مجتمع متقارب في صورته الثقافية والاقتصادية والمعرفية. وهو الاتجاه الذي يعزز النظرة الإسلامية في علاقة الإنسان مع أخيه فيما يتخطى الحواجز الجغرافية والإقليمية والثقافية واللغوية.

وهو أمرٌ كانت قد دعت إليه المنظومة الاشتراكية فيما عُرِف حينها ب (وحدة القوى الثورية في العالم)، التجمّع الدولي الذي كان يضم اتحادات وفعاليات القوى اليسارية في العالم. وقد سبقت هذه الدعوة الرؤية الإسلامية في رسم العلاقة الإنسانية القائمة على المبدأ، بحيث يتوحد الإنسان مع نظيره من بني نوعه دون فارق مناطقي أو لغوي أو عرقي. وهو أمرٌ يركّز عليه الدكتور الفضلي في أكثر من موضع، يقول في أحدها: «يرفض الإسلام تمييز الناس أو تصنيفهم إلا على أساس الانتماء

(١) المصدر السابق، ص ١١٢.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

المبدئي والعقائدي، فمهما تنوع الإقليم أو اللغة أو التاريخ أو الحضارة، فالإنسان أخو الإنسان، لا فارق ولا مايز بينه وبين أخيه سوى ما يؤمن به من مبدأ ويعتقده من عقيدة. فالجميع لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات بمستوى واحد دون أي فارق أو تميّز أو تغاير، ويشكلون الوحدة الإسلامية الواحدة المتضامنة والمتكافلة. وهي الرؤية التي تمهد للدولة العالمية التي يندمج فيها جميع البشر تحت لواء الإسلام ونظامه العام.

وهي رؤية بدأت تبشّر بها الحضارة الغربية، حيث يذهب الغربيون إلى الدعوة إلى ما هو أبعد من الوحدة الاقتصادية التي بدأت بعض مظاهرها في التحقق، إنهم ينادون اليوم بنشر قيم الحضارة الغربية، وفي مقدّماتها قيم حقوق الإنسان والحريات والمساواة والنظام الديمقراطي في ممارسة السلطة. وهو ما يعرف اليوم باتجاه العولمة (Globalization)»^(١).

د) الوحدة الإسلامية وواقعية التطبيق

استطاعت بعض الفلسفات الحديثة - من خلال تسويقها المثالي - أن تجذب إليها الجماهير من مختلف الطبقات والانتماءات، وذلك من قبيل الفلسفة المادية الاشتراكية، التي بشّرت المؤمنين بها بمجتمع الشيوعية الذي يعيش فيه الفرد أشبه بحياة النعيم الأخروية، حيث يتقاسم الإنسان مع أخيه الخيرات التي ستصبح في تلك المرحلة مشاعاً عاماً للجميع، فلا يحتاج الإنسان - في تلك المرحلة - إلى نظام أو دولة أو قانون أو أحكام وأعراف.

كما أن بريق حياة العالم الرأسمالي الحرّ صوّر لمجتمعاته حياةً من الحريات الفردية التي يستطيع فيها الإنسان أن يمارس كامل حريته دون أي سلطة رقابية تحول دونه

(١) المصدر السابق، ص ١٠٧.

وتحقيق رغباته، وبخاصة منها الرغبات المادية، وذلك بنوعٍ من إشعاره بحرية التنافس الذي يصل الإنسان فيه بكلّ جهده إلى ما أراد من مراتب. ولكنها تبقى شعارات مثالية تخفي وراءها ما تمارسه الاقتصاديات الضخمة من وحشية جشعة تسيطر فيه على معظم الحركة الاقتصادية في تلك المجتمعات، فيما يعتاش المواطن على فتات ما تجود به أنفس أصحاب رؤوس هذه الأموال.

فكانت بشارة هذين النظامين (الاشتراكية والرأسمالية) مقارنةً بالبشارة الإلهية للمجتمع المسلم ضرباً من المثالية الحاملة التي لا تحقّق للإنسان ما يسعى إليه من سعادة وعدالة اجتماعية وحياة إنسانية كريمة. يقول دكتورنا الفضلي حول هذه الفكرة: «وبين تلكم الشيوعية المثالية والرأسمالية الاقتصادية المتوحّشة، يقدّم الإسلام رؤيته المتمثّلة في بناء المجتمع الإنساني وفق وحدة اندماجية بين أفراده تقوم على أساس الإيمان والعقيدة المشتركة تتقدم فيها المبادئ على المصالح، وأن ما يجمع الإنسان مع أخيه الإنسان لغة القيم والمبادئ المشتركة، وهي القيم التي تؤسّس إلى مجتمع متحابّ متعاون، تكون أبرز مظاهره التكافل الاجتماعي من أجل المصلحة العامة، والانطلاق المبني على الأسس الواضحة والمعروفة، وله أنظمتها وضوابطه المحافظة - في تفصيلاتها الشرعية - على مصلحة الإنسان وبكل ما يحيط به»^(١).

□ ثانياً: من معالم الوحدة الإسلامية

أ) الولاء للمبدأ أساس الوحدة الإسلامية

يجمع شتات المسلمين - حسب النظرة القرآنية - ويلمّ شملهم تكافلهم الاجتماعي الذي يقوم على أساس الإيمان والولاء للمبدأ الحقّ تعالى. وهو ما يشرحه الدكتور الفضلي، حيث يتناول قيمة انتماء الأمة إلى هذا المبدأ، فيقول: «الوحدة التي

(١) المصدر السابق، ص ٨٥.

يدعو إليها الإسلام تنبع من العقيدة الإسلامية، باعتبارها منطلق أي تحرك وعمل في المفهوم القرآني والديني بشكل عام. ذلك أن الله تعالى حينما أنزل التشريعات الإلهية للإنسان، إنما وضعها لتنظم مع ذلكم النظام الكوني المتقن، ولتكون ضمن سلسلة الترابط الكوني. وهو ما يدفع إلى اعتبار التشريع الإسلامي نظامًا عامًا للحياة، ولا تنحصر الأحكام الإسلامية في شؤونها العبادية البحتة، كما يصور البعض في فهمه وتعريفه للدين. بل إن مجموعة الحقوق والواجبات في الإسلام إنما تنطلق من الفلسفة والنظام الإلهي ذاته. ولهذا عندما يشير تعالى إلى أن المسلمين أمة واحدة، يربط هذه الوحدة به سبحانه، يقول في محكم آياته: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

كما أنه يشير إلى نقطة مهمّة، وهي مسألة اختيار القيادة الاجتماعية المؤهلة. فعندما تدعو أي قيادة للتوحد حول مشروعها الاجتماعي المعين، يمكن معرفة مدى إيمان هذه القيادة لما تدعو إليه أو أنها مجرد قيادة مصلحة من خلال تجربتها في ولائها للمبدأ الذي تحمله، ومن ثمّ الوثوق بها أو عدم الوثوق، حيث يعلّق على ذلك بقوله: «إن تضحية الإنسان بنفسه من أجل المبدأ له دلالة المهمّة في ترسيخه لدى المجتمعات الإنسانية، وذلك لأنه يحفظ هذه المجتمعات ضمن نظام يحقق العدالة والمساواة للجميع، إذ يمثل المبدأ لأي فكر وفلسفة المنارة التي تنير درب السائرين عليه، وفي حال تعرّض لما يشوهه أو يحرفه، فإن أثر هذا الانحراف والتشويه سيغال جميع الشرائح والطبقات من أتباع المبدأ. ولا يُعلم مقدار الفساد الذي من الممكن أن يحدث نتيجة الانحراف الذي قد يسببه السلطان الجائر، ولهذا كانت التضحية بالنفس من أجل المحافظة على المبدأ لها هذه الحيشة المهمّة في حياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)»^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٤.

ب) عودة بالإنسان إلى الوحدة الفطرية الواعية

أودع الله تعالى في الإنسان نوازع الخير في نفسه، كما أودع نوازع الشر. ومع نموّ المواهب والقابليات وبروز الإمكانيات المتفاوتة واتّساع آفاق النظر وتنوّع التطلّعات وتعقّد الحاجات، نشأ الاختلاف، وبدأ التناقض بين القوي والضعيف، وأصبحت الحياة الاجتماعية بحاجة إلى موازين تحدد الحق وتجنّد العدل، وتضمن استمرار وحدة الناس في إطارٍ سليم، وتصبّ كل تلك القابليات والإمكانيات التي نمّتها التجربة الاجتماعية في محور إيجابي يعود على الجميع بالخير والرخاء والاستقرار، بدلاً عن أن يكون مصدرًا للتناقض وأساسًا للصراع والاستغلال.

في هذه اللحظات برزت الحاجة إلى بعثة الأنبياء من أجل توحيد المجتمعات تحت راية الدين الواحد الذي يعيد إلى أفرادها قيم ومبادئ الفطرة الإنسانية السليمة. ولكنّ الفطرة التي تتحدّث عنها الرسالات الإلهية لا تمثّل تلكم الحالة السابقة الساذجة، وإنما هي حالة من الفطرية الإنسانية الواعية، وبخاصّة بعد تلكم التجارب الإنسانية التاريخية الطويلة. يقول الدكتور الفضلي حول هذه الفكرة: «في هذه الحال [بعد ظهور الرسالات الإلهية] لن ترجع المجتمعات الإنسانية إلى الفطريّة التي تعيش فيها حالاً من السذاجة والبساطة في فهم الأمور، وإنما ترجع إلى قيم الفطرة الإنسانية على بصيرة ووعي عميق لموقعية الإنسان في هذه الحياة، ذلك أن هذه الديانات والرسالات التي تعاقبت على مجتمعات عدّة وأزمنة متباعدة وصل معها الإنسان إلى مرحلة من النضج ووعي الذات بدرجة أعلى من تلكم الحال الأولى التي كانوا فيها للتوّ قد سلكوا الطريق على هذه البسيطة دونما تجربة سابقة كافية»^(١).

ج) الوحدة الإسلامية والموقف من الوحدات المغايرة

الوحدات تتنوّع إلى: قومية، واقتصادية وعسكرية ومبدئية وصور أخرى

(١) المصدر السابق، ص ٢٤.

مغايرة. وهذا التنوع ناتج عن الأساس الذي تعتمده كل وحدة. وبما أن الوحدة الإسلامية قائمة على الأساس المبدئي، فإنها تعدّ من تلکم الوحدات العالمية التي تتعدى الحدود الجغرافية واللغوية والعرقية وغيرها. ولكنّ هذا لا يعني جموداً في المشروع الإسلامي من أجل تحقيق الوحدة المنشودة. ففي حال كان هناك مشروع من أجل بناء الوحدة القومية، كما هي الحال مع مشروع الوحدة العربية الذي ظهر في أواسط القرن العشرين مع بزوغ الحركة القومية الناصرية، فإنه لا تعارض - في الواقع العملي - مع كلا المشروعين، وذلك في حال لم تتعارض دعوات تلکم الوحدة مع المشروع الإسلامي.

كما أنه لو تمّت الدعوة إلى إيجاد صيغة من أجل بناء اتحاد إسلامي اقتصادي أو عسكري أو ثقافي، فإن هذه المشاريع - جميعاً - تخدم المشروع العامّ في بناء الوحدة الإسلامية الشاملة. وهي نقطة أشار إليها الدكتور الفضلي في أكثر من موقع في طوايا الكتاب، ويرى أن هذه خطوات في الطريق الصحيح.

د) الأمة الإسلامية وتحمل المسؤولية تجاه الذات والآخر

بعث الله أنبياءه ليكونوا الواسطة بينه وبين عباده في تبليغ الرسالة. وكان قوام تلکم الرسالات الإلهية أن يقوم الناس فيما بينهم بالعدل. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١). والأمة الإسلامية - لانتهائها إلى تلکم الرسالات الإلهية - مدعوة إلى تحقيق هذا المبدأ في تكوينها الاجتماعي. بل يطالبها تعالى بأن تتحقّق هذه الناحية تجاه نفسها قبل الآخرين، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ؕ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

تَتَّبِعُوا أَلْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾. وهي مسؤولية جماعية يحملها الله تعالى للأمة، فما لم تصل إلى هذه المرحلة، لا تستحق ما أعطاه الله إياها من مكانة الشهادة على بقية الأمم. يقول الشيخ الفضلي شارحاً هذه النقطة: «جعل الله الأمة الإسلامية (أمةً وسطاً)، وما نفيده من معنى الوسط هنا هو كون الأمة تتعامل مع الأمور بوسطية، بمعنى أنها أمة عادلة في حكمها على الأمور. وهو المعنى الذي يحمّل الأمة مسؤولية كبيرة تجاه ذاتها قبل أن تكون مسؤولة تجاه الآخرين. فكما يَشْتَرِطُ الشرع الإسلامي في الشاهد في المسألة القضائية أن يكون عادلاً، بمعنى أن يكون ملتزماً بالضوابط الشرعية، فإن الأمة لكي تكون شاهدة على بقية الأمم، عليها أن تكون ملتزمة بمعيار العدالة والتحيّ بالضوابط والخصائص التي تؤهلها لأن تكون في موضع الشهادة على الأمم الأخرى، وهي مطالبة هنا بأن تكون منصفة تجاه ذاتها قبل أن تكون منصفة تجاه الآخرين، وإلا لن تكون أمةً وسطاً، ولن تكون مستحقةً لمنزلة الشهادة»^(٢).

وفي موضع آخر، يشير محاضرنا إلى أن الأمة الإسلامية - في تشريعاتها ونظامها الإلهي - «أمة ذات رسالة ووظيفة تؤديها في هذه الحياة، ويحمل أفرادها مسؤولية القيام بأداء هذا الدور المنوط بها. وهذه الرسالة والوظيفة تكمن في هداية البشرية ودعوتها إلى الإيمان بالله تعالى. يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣). هذه الخيرية التي وصف بها الله تعالى عباده المسلمين - تكريماً وتشريعاً لهم - من المفترض أن تدفعهم إلى العمل نحو كل خير للإنسان، وكذلك النهي عن كل شرٍّ من شأنه أن يفسد المجتمعات والأفراد»^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٤.

□ ثالثاً: على طريق الوحدة: المعوقات والحلول

أ) المفهوم الخطأ لمعنى التدين

التنوع الديني والمذهبي حالة طبيعية في أي مجتمع. ولا ينبغي أن يكون عقبة أمام التعاون والتواصل بين أبناء المجتمع الواحد. وليعذر كلٌّ منهم الآخر فيما اتُّخذ من سبيل ومنهج. ولا يوجد في الإسلام ما يدعو المسلمين أن يقاطع بعضهم بعضاً باسم المذهب أو الطريقة في تناول المسائل الدينية، بل إن ذلك يخالف مبدأ الوحدة الإسلامية الذي يجب أن يكون حاكماً على جميع التصرفات والسلوكيات العامة بين المسلمين. يقول الدكتور الفضلي في تعليقه على ذلك: «هذا النوع من التفرقة الاجتماعية - في حال كان بمسميات دينية - إنما بسبب الفهم الخطأ للدين والثقافة المحدودة عنه. مع أننا نعيش اليوم صحوة دينية متزايدة، وكثير من مجتمعاتنا هي مجتمعات محافظة ومتديّنة في الأساس، وهو أمر إيجابي ومرغوب. ولكن هذه المجتمعات لا تزال تحتاج إلى فهم أعمق للدين والتدين، ذلك أن ما نشهده اليوم من حالة تمزق بين أتباع التوجهات الدينية أمرٌ لا يتوافق وروح القرآن الذي تأمرنا آياته البيّنات بأن نكون أمةً ومجتمعاً واحداً، وأن نعتصم جميعاً بحبل الله تعالى، وأن تكون كلمتنا وروحنا واحدة»^(١).

وانطلاقاً من هذه الفكرة يشير محاضرنا الفضلي إلى أهمية الدور العلمائي في معالجة هذه المسألة ونزع أسباب الفرقة والفتن الاجتماعية الناشئة عن هذا الفهم المغلوط عن الدين، إذ يظهر: «في هذه النقطة الدور المتميز لطلبة العلوم الدينية خاصّة، وذلك لأهمية توعية وتثقيف المجتمع بدور الدين في جمع الكلمة وتحقيق الوحدة والاندماج العام تحت رايته. فما دامت مجتمعاتنا تحتفظ بصبغتها المتديّنة، فإن لعالم الدين كلمته المسموعة والمحترمة بين أفرادها، بالإضافة إلى أن القيام بهذه

(١) المصدر السابق، ص ١٢٠.

الوظيفة هو من صلب اهتمامات واختصاصات عالم الدين دون سواه»^(١).

كما أنه يحتمل المعاهد وكليات الشريعة والحوزات الدينية التي يتخرج فيها علماء الدين أن تقوم بدور تربوي مهم في هذا الاتجاه، فيدعو إلى تكثيف حضور مقررات ومناهج تهتم بما يعرف اليوم بالدراسات المقارنة، فيقول: «من المهم الإشارة إلى أهمية جمع التراث الإسلامي فيما يعرف اليوم بالدراسات المقارنة، وأن يكون هذا النوع من الدراسات جزءاً مهماً من المقررات الدراسية في كليات الشريعة في الجامعات الإسلامية، وذلك لتحقيق أمرين من شأنهما أن يذيبا الكثير من مواطن الخلاف والاختلاف بين الاتجاهات الفكرية الإسلامية. ذلك أن الدراسات المقارنة من شأنها أن تغني البحث العلمي من خلال جمع الآراء الفقهية حول المسألة الواحدة في مكان محدد، كما أن ذلك يساهم بدرجة كبيرة في إزالة الكثير من الغبش والغموض المتبادل بين أصحاب هذه التيارات والاتجاهات الفكرية وتجليه الصورة لدى كل طرف من قبل الآخر، وهي مسألة من شأنها لاحقاً أن تسهم في التقريب الذهني والنفسي بين القيادات ومن ثم بين الأتباع أيضاً»^(٢).

وتوكيداً على براءة الدين مما يحدث من صراعات داخلية، يؤكد الشيخ على أن معظمها ذات هويات مصلحة وشخصية أو فئوية. فيقول: «إن ما نراه اليوم من اختلاف وتشردم لا ينبع - عادةً - من الاختلافات في الفروع الفقهية، وإنما هو نابع من النزعات الذاتية والمصالح الفئوية الضيقة التي لا تضع أمام أعينها ما يمكن أن تحققه الوحدة بين أبناء الأمة من مصالح أكبر للجميع، وما تجلبه من قوة اقتدار لمجتمعاتنا من شأنها أن تنهض بواقعنا مما نحن فيه من تحلف وتأخر حضاري وفكري ومدني وثقافي وعلمي»^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق نفسه.

ب) الوحدة والمسؤولية المتبادلة بين النخبة والجمهور

يتحمّل المسلم - بغض النظر عن موقعيته الاجتماعية - المسؤولية تجاه تحقق القيم الإسلامية في الواقع الاجتماعي. ولكنّ هذا لا يعني اتحاد طبيعة الدور والممارسة لدى كل طبقة. فغالبًا ما يتحمّل عالم الدين مسؤولية إرشاد الجمهور إلى قيم وتعاليم الدين، حيث تأتي الوحدة من تلكم المفردات القيمة التي يمارس العلماء دورهم في تحقيقها، ويحاسبون في تقصيرهم تجاهها. وهو ما أشير إليه في النقطة السابقة. وبجانب القيادات الدينية، يتحمّل الجمهور دوره تجاه الوحدة أيضًا، إذ على الجمهور أن يختار القيادة التي يأخذون عنها تعاليم الدين بحيث لا يجدون في خطاها تعارضًا وقيم الدين العليا، وهو ما يصل إليه الجمهور من خلال رفع حالة الفهم الواعي للدين. وذلك من خلال عرض إرشادات عالم الدين على القرآن، فما خالف القرآن، فليضرب به عرض الحائط، كما يشير الحديث الشريف.

وحول هذه الفكرة يشير الدكتور الفضلي بقوله: «ما نراهن عليه في هذه المرحلة الصعبة والخرجة التي تمرّ بها الأمة الإسلامية هو ارتفاع نسبة الوعي لدى الشريحة الأوسع من الجماهير، بحيث تبقى البوصلة في اتجاه توحيد الجهود ونبذ الخلافات وتراض الصفوف والاشتراك في الآمال والآلام للعبور إلى مستقبل أكثر إشراقًا وتحقيق المزيد من الطموحات فيما يصبّ في مصلحة المجموع البشري العام»^(١).

وفي موضع آخر يقول: «على الجماهير أن تعي دورها الذي يُراهن عليه في عدم شيوع توجهات الفرقة والفتنة. وعلى المجتمع - أفرادًا ومجموعات - أن يكون يقظًا في تحديد الشخصية الدينية التي يأخذ عنها تعاليم ومبادئ وقيم الدين. وفي هذا المجال، على الجميع أن يتحرّك وفق ما يمليه عليه عقله أكثر من الانتهات المناطقية والعائلية

(١) المصدر السابق، ص ٩١.

والفتوية الضيقة بما يستتبع هذه الولاءات من العاطفة الجياشة»^(١).

وكما يحمّل الشيخ الفضلي النخب العلمائية والجمهور جزءاً من المسؤولية تجاه مسألة الوحدة، يحمّل - أيضاً - المؤسسات الرسمية في الدول الإسلامية المسؤولية الأكبر؛ وذلك «لأن عالمنا المعاصر اليوم تعدّ الدولة بمؤسساتها المتعدّدة، التعليمية والإعلامية والحكومية، المؤثر الفعلي لأي توجه اجتماعي يراد له أن يتحقّق على أرض الواقع. لذلك تبقى هذه المهمة منوطةً إلى حدّ كبير بالمؤسسات الرسمية في كل دولة. إذ مهما بلغت المناشدات الأهلية من قوة، فإن ذلك ما لم يدعّم بقرارات مؤسساتية تملكها الدولة، يبقى الأثر متواضعاً ودون المأمول دائماً، ويبقى من الصعب أن تغدو هذه التوجّهات واقعاً عملياً»^(٢).

وفي موضع آخر يشير إلى أن «المجتمعات الإسلامية اليوم لا تعيش ذلكم الانقسام الحادّ الذي يمنع من توحيدها، فالشعور بالانتماء العامّ للإسلام موجود ومتحقّق. وما يعزّز هذا الشعور الشعبي العامّ ويساهم في تطويره هو ما يُرجى من قرارات وتوجّهات رسمية تقوم بها الحكومات الإسلامية. وإلا فإن الوعي بأهمية الوحدة والاندماج الروحي موجود على المستوى الشعبي العام»^(٣).

ج) مشروع الوحدة والعامل الخارجي

اختارت العناية الإلهية للأمة الإسلامية دوراً حضارياً مهماً، وذلك في الحديث القرآني عن الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم. وذلك لما تملكه هذه الأمة من نظام يؤهلها - حضارياً - لتسلّم القيادة على بقية الأمم. ولكن هذه الموقعية هي في حال تنافس وصراع بين الحضارات الإنسانية - كما يشير إلى ذلك الدكتور الفضلي، بحيث

(١) المصدر السابق، ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٦.

تسعى كل حضارة أن تزيح غيرها من الوصول إلى هذه الموقعية. إن «الأمة الإسلامية خير أمة كُوتت وهيئت لتبارس دور القيادة على المستوى العالمي، وهو دورٌ كانت الآيات القرآنية ترشد المسلمين إلى التمسك به وعدم تمكين الآخرين منه، وهو ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾. ذلك أن المسلمين في حال تخلوا عن وظيفتهم التاريخية والحضارية، ستتسلم هذا الدور أُمم أخرى لا تدين بالإسلام، وتكون تلکم الحضارات والأُمم هي المسيطرة بدلاً من الأمة الإسلامية، كما هو مفهوم الآية.

وما يوصل إلى هذه النتيجة هو في حال أطاع المسلم الكافر وخضع له، ويكون ذلك بما يتسرّب إليه من شكّ في قدرة الإسلام على تنظيم الحياة وعلى قيادة الناس. وهو ما عملت الدوائر الاستعمارية الغربية والشرقية على ترسيخه بين المسلمين، وكرّست وسائلها الإعلامية والتربوية والثقافية من أجل الوصول إليه، رغبةً منها في كبت أي طموح تنشده المجتمعات الإسلامية من أجل تسلّم هذه القيادة من جديد. كما ساهمت حكومات دول العالم الإسلامي سلباً في ترسيخه لدى شعوبها^(١).

وسعيًا من تلکم القوى من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافها، تقوم بتسخير أدواتها من أجل الحيلولة دون حدوث أي نوع من أنواع الوحدة أو التقارب بين المسلمين، وهو ما قامت به تجاه الوحدة العربية، من خلال «العمل على تغيير مسار الجمهورية المصرية [التي كانت تتبنى شعارات الوحدة العربية]، وذلك بهدف التخفيف من آثار أصوات الوحدة الصاعدة. وقد تمثّل ذلك في توجهات خلفه (أي الرئيس جمال عبد الناصر) الرئيس أنور السادات. وقد تحقق لها ما أرادت.

ولكنّ هذه القوى تفاجأت - بعد كبت جماح الحركة القومية - بصعود التيار الإسلامي، وبخاصّة مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، إذ أشعلت هذه الثورة

(١) المصدر السابق، ص ٧٧.

الحركة الإسلامية في الشارعين العربي والإسلامي، وبخاصة أن من شعاراتها الوحدة الإسلامية، وهو ما يعني تحديًا أكبر مما كانت تمثله الوحدة العربية. ما دفع بهذه القوى إلى تحجيم دور الجمهورية الإيرانية وثورتها الإسلامية، من خلال إثارة العصبية القومية بين الفارسية والعربية تارة. ومن إثارة العصبية المذهبية بين السنة والشيعة تارة أخرى^(١).

د) المرحلة في مشروع الوحدة الإسلامية

بسبب عوامل كثيرة، منها تنوع الثقافات بين الغربية والشرقية، ومنها السياسات الدولية في اتجاه منع أي شكل من أشكال الوحدة بين الشعوب الإسلامية، ويضاف إليها تراكمات تاريخية إسلامية، لهذه العوامل وغيرها أصبح مفهوم الوحدة من المفاهيم التي تحتاج هذه المجتمعات إلى بعثه فيها من جديد.

ولذلك يشير الدكتور الفضلي إلى أهمية الدور الذي تقوم به مؤتمرات الوحدة والتقريب، ذلك أنه من «شأن هذه المؤتمرات أن تجمع شمل قيادات العالم الإسلامي المختلفة فكريًا ومذهبيًا وعقائديًا، وهو ما يساهم في تذويب الجمود وتحسير العلاقة بين هذه الأطياف المتباعدة. كما أن هذه المؤتمرات عادةً ما تخرج بتصورات معينة يقدمها المشاركون فيها، وهذه المشاركات غالبًا ما تنشر ويتم تداولها من قبل عامة الناس، وهو أمر يساعد بصورة جيدة في شيوع الفكرة أولاً، وتقبلها لاحقًا»^(٢).

كما أنه - وفي سياق هذه الفكرة - يشير إلى أن تحقيق الوحدة الشاملة أمر بعيد المنال، ولكن هذا لا يجب أن يثني العزائم في مسار الوحدة والتضامن، ف «لتحقيق رسالة ووظيفة الإسلام التي أنزل الله بها نبينا الكريم محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين علينا أن نكون دائمًا دعاة وحدة وتضامن بين أفراد هذه الشعوب الإسلامية، وصولاً إلى

(١) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٨.

الدولة العالمية الواحدة التي لا تحدّ شعوبها فواصل أو حدود أو حواجز. ولكن ما تشير إليه الروايات - وكذلك الواقع الحياتي والتاريخي - أن تحقق هذا النوع من الدولة الإسلامية العالمية مرهون بظهور الإمام المهدي عليه السلام، وأنه من الصعب تحقيق ذلك دون وجود القيادة المعصومة المتمثلة فيه عليه السلام. ولكن هذا لا يجب أن يسقط واجبنا تجاه شعوبنا ومجتمعاتنا، إذ يتوجب على دول العالم الإسلامي اليوم أن تقوم بما يحقق بينهم الوحدة والاندماج والتواصل الفعلي والاشتراك في الآمال والآلام والأهداف والأعمال المشتركة»^(١).

ولذلك يقترح في موضع آخر أن تكون هناك وحدات متنوعة وفي مجالات متعدّدة بين دول وشعوب العالم الإسلامي، إذ يقول حول هذه الفكرة: «لا بدّ من أن تكون هناك خطوات نحو وحدات نوعية، من قبيل الوحدات الاقتصادية أو الثقافية أو العسكرية، ذلك أن وجود هذا النوع يمهد إلى تحقيق وحدة متكاملة، وكذلك إلى وحدات أوسع، كما أنه يساهم في تطوير مستوى كل دولة في تلکم النواحي التي يتحدون فيها»^(٢).

هـ) دور المشاريع الاجتماعية في توحيد الجهود

الوحدة الإسلامية لا يجب أن تظلّ مجرد شعارات يردّها المسلمون بين الفينة والأخرى، ويجب أن تكون هناك خطوات عملية تحقق هذا المفهوم، وهو ما ترددت حوله كلمات الشيخ الفضلي، إذ أشار هناك إلى ضرورة اتحاد أفراد المجتمع في مشاريع من شأنها أن تكون مظهرًا لهذه الوحدة، وكذلك ليكون لها دورها في إنهاء المجتمع والرقبي به إلى مصافّ المجتمعات المتقدّمة. يقول حول هذه الفكرة: «إن مجتمعاتنا اليوم بحاجة إلى مزيد من مظاهر الوحدة والتآلف، وذلك لما تعانيه من مظاهر التأخّر

(١) المصدر السابق، ١١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٦.

الحضاري والعلمي والثقافي. ولتحقيق هذا النوع من النهوض، هي بحاجة إلى وجود مؤسسات تُعنى بالتنمية، وبخاصة تلكم المشروعات التكافلية الخدمية التي لا يمكن تحقيقها بصورة فاعلة إلا في حال توحدت الجهود والنفوس. إذ إن أبرز مجال لإظهار الوحدة بين أطراف المجتمع هو برامج التكافل الاجتماعي التي تنعكس على تنمية مجتمعاتنا وتطوير خدماته وتحسين مستويات أفرادها»^(١).

كما أنه - في سياق تناوله للدور الذي تقوم به مراكز الدراسات الغربية من دور في تعريف الإسلام لتلكم المجتمعات بصورة مغايرة عن النمطية السلبية السابقة - يؤكد أهمية الدور الذي من المفترض أن تقوم به المؤسسات الرسمية في دول العالم الإسلامي في تعريف الآخرين بالإسلام وبقيمه العالية، ويشدد على أهمية تضافر الجهود في سبيل القيام بهذه المهمة خير قيام. «فذلك من شأنه أن يخفف شيئاً من الضغوط على مجتمعاتنا، ويحول دون تحقق بعض مشاريع الهيمنة على مقدرات وخيرات المنطقة، وكذلك من شأنه أن يساهم في تحقيق ذلك التقارب المنشود، وبخاصة إذا تكاتفت وتكاملت الجهود، بحيث تتشارك أكثر من دولة في هذا النوع من التعريف بالدين والحضارة الإسلامية»^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق، ص ٩١ .

الفضلي منهج ورسالة في الاعتدال.. التبليغ نموذجاً

الأستاذة الفاضلة أم عباس النمر

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لقد جاءت هذه الآية، بعد ذكر قسمٍ مهمٍّ من العقائد والبرامج العملية والأخلاقية في الإسلام، وقد تضمنت وصايا وتوجيهات تضمن الاستقامة والسلامة والسعادة للمسلمين إن تقيّدوا بها، لقد جاءت الآية لتوصي المسلمين بأن يمارسوا العقيدة في خط الاستقامة، بعيداً عن السبل الأخرى التي تورثهم الفرقة والانحراف عن خط الإيمان بالله تعالى، وهي تؤصل لقاعدة مفادها: ارتباط الدين برؤية الإنسان الكونية، وارتباط أحكامه وأخلاقه ومعارفه بالواقع العيني، وهذه الاستقامة ذات شقين:

- الأول: منهج نظري وعلمي وفكري ومعرفي.
- الثاني: يتولد عن الأول وهو منهج عملي وسلوكي.

فكلما استقام الإنسان في فكره وأعمل عقله بشكل صحيح وسليم بحراسة الوحي اشتد دينه وقويت معتقداته، وكلما سقط في أحوال الوهم والخيال والظنون

وخضع للعادات والتقاليد والشهوات والذاتية وبروق المطامع وابتعد عن الوحي هلك وتفرقت به السبل وجانب الواقع، وقد جاء عن الأمير: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع، وكم عقل أسير تحت هوى أمير»، لا فرق في ذلك بين الأهواء المادية أو الفئوية أو حتى الأهواء الفكرية، وإذا قال الحكماء أن غاية الفلسفة صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني، فلأن للفكر والعقل والمنطق الحق ركنية أساسية في كمال الإنسان، وما قوله جل وعلا «لا إكراه في الدين» بعد الحديث عن التوحيد وآثاره والشرك وآثاره، إلا حكاية عن هذا الانسجام الكامل بين الدين والواقعية والفطرة ومقتضى التعقل، ومن صفى لبُّه وعقله صفى دينه، ومن اعتدل فكره وفهمه فقد اتَّحد مع السبيل الأقوم.

بعد هذه المقدمة سنتناول خاصية الاعتدال النظري والعملي عند الشيخ الفضلي:

□ ١. الاعتدال النظري

تحت عناوين التحديث والأصالة أو الأصالة والخلود، ظهر خطآن عند أهل الفكر والرأي:

- الأول: التفريط في التجديد ونزعة النقد للموروث التي تخرج من حد الاعتدال.
- الثاني: الجمود والتشبُّث بالموروث الفكري على أنه أصولٌ وثابتٌ مقدسة غير قابلةٍ للتغير حكماً ولا موضوعاً.

وكعادة الجدليات الفكرية التي غالباً ما تخضع لردود فعلٍ مضطربة يكون صوت الاعتدال هو الأكثر بروزاً وقرباً من الحق.

وفي محضر الراحل الشيخ المجدد عبد الهادي الفضلي يطالعانا نموذجٌ يجمع بين الأصالة والتحديث، ومنهج معتدل يتميز بخصائص:

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

- الخاصة الأولى: الابتعاد عن إفراط أو تفريط.
- الخاصة الثانية: القدرة على التفريع الجامع المانع.

مع الخاصة الأولى:

نستطيع الوقوف على محطات هامة حول منهجية الراحل في تحديث الثوابت بدون إفراط أو تفريط، ففي دراسة نُشرت في مجلة المنهاج - العدد ٢٢ - السنة السادسة - صيف ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، تحت عنوان: (التبليغ الإسلامي) ينقل الدكتور الفضلي رحمه الله بعض النماذج العصرية التي تصلح شاهداً حياً لاعتدال الرأي في انتخاب النموذج الصالح.

ففي حديثه عن الشيخ المشكيني تحت عنوان: (آية الله مشكيني وتقنين التبليغ) يعتبر الشيخ الفضلي الشيخ المشكيني رائداً موفقاً في إدخال وظيفة التبليغ ضمن وظيفة الدولة، وتعد هذه نظرةً تجديديةً، ولكنها تنسجم تماماً وأصل موقعية الحاكم الشرعي كوارث لدور النبي في تبليغ الأحكام، وهو القدر المتيقن الذي لا يختلف فيه أحد.

ومن خلال تسليط الضوء على هذا المثال يتضح بشكل جلي كيف أكد الشيخ الفضلي على أدوات عملية في الإسلام كالتبليغ باعتبارها وظيفة أصيلة في الفكر الإسلامي وبجعلها ضمن مؤسسات الدولة مستنداً على نظام العمل المؤسسي والفكر السياسي الحديث في الدولة.

مع الخاصة الثانية:

إن القدرة على التفريع عن الأصول وبسط المجمل من العلوم تحتاج للإحاطة بالمفاهيم الكلية وجزئياتها في عملية نظم منطقية رياضية وذهنية تفكيكية تحليلية.

يقول ﷺ في تفريع مفصّل لتوضيح مصطلح التبليغ: «ويُشترط في الإنسان ليكون مبلغًا أن يتوافر على الأوصاف المستفادة مما أملت التجارب الكثيرة التي قام بها المبلِّغون، وهي:

١- الإيمان بالمبدأ:

وأعني بهذا أن يكون الإنسان الذي يريد أن يقوم بالدعوة إلى مبدأ ما مؤمنًا بسلامة ذلك المبدأ وصحّته، وبفائدته ونفعه للناس، وعن اقتناع بذلك، استنادًا إلى الأدلة النَّاصعة والبراهين القاطعة.

والإيمان دافع نفسي قوي، وكلما ازداد كان المبلِّغ إلى أن ينكر ذاته من أجل مبدئه أقرب، وبمرحلة الفداء والتضحية في سبيله ألصق.

إنّ توافر الإيمان في المبلِّغ هو القوّة الفاعلة في تنشيطه وحفزه إلى القيام بوظيفة التبليغ.

٢- فهم المبدأ:

ويُراد به أن يكون المبلِّغ عالمًا بالفكرة أو المعلومة التي يريد أن يقوم بتبليغها.

وهو شيء بديهي، ذلك أنّ تبليغ الرّسالة، أيّة رسالة كانت، يُوجب على المبلِّغ أن يكون فاهمًا لها وعارفًا بها؛ لأنّ التبليغ إيصال الفكرة أو المعلومة إلى الآخر، فمتى لم يفهم المبلِّغ الرّسالة التي أُسند إليه القيام بتبليغها لا يستطيع - وبالبداهة - أداء ما أُسند إليه القيام به.

٣- معرفة طرق التبليغ:

لا يختلف التبليغ عن غيره من المهارات التي تتطلّب الدّربة والمران، والعلم

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

بطرق إيصال الفكرة أو المعلومة إلى الآخر من أساليب ووسائل، ليضمن المبلّغ بذلك نجاحه في مهمته وأداء رسالته.

وهو شيء جلي لا يفتقر إلى إيضاح بأكثر مما ذكرت.

٤- الإحاطة بأجواء أرضية التبليغ»، انتهى كلام الشيخ الفضلي.

إن هذين الامتيازين: الحفاظ على الثوابت، والقدرة على التفرّيع العلمي يورثان أصلاً ثالثاً وهو الشمولية واحتمال التنوع في الأدوار.

وعوداً للآية، فإن أهم أسباب التفرق عن السبيل (تفرق بكم عن سبيله) وعدم الوحدة هو:

١. التوهم بأن الحق مع الجديد وتقديسه، أو العكس.
٢. ضيق الأفق عن إدراك آثار الحق من فروع وأبعاد وتنوع الأدوار.
٣. الالتباس بين الأصيل وآليات التحديث وخلط المنطلقات بالثمار بما ينتج عنه من لبس مفاهيمي معرفي.

□ ٢. الاعتدال العملي

وهو الشق الثاني الذي سنتناوله في شخصية الشيخ الدكتور الفضلي، نبذّه بمقدمة:

يختلف الفقهاء في تعريف العدالة التي هي شرط في التصدي لبعض المواقع والمناصب العبادية والاجتماعية أو القضايا العامة وتتعدد آراؤهم في حقيقتها، فمن قائل بأن العدالة: هي نفس الأعمال الخارجية من فعل الواجبات وترك المحرمات من دون اعتبار اقترانها بالملكة أو صدورها عنها، فالعدالة هي الاستقامة عملاً في جادة الشرع وعدم الجور والانحراف عنها يميناً ولا شمالاً.

ويعلّون ذلك بأنه ليس للعدالة حقيقة شرعية وإنما استعملت في الكتب والأخبار بمعناها اللغوي (أي الاستقامة وعدم الاعوجاج والانحراف) وغاية الأمر أن موارد استعمالها مختلفة، فالعدالة وفق هذا الرأي ليست من الأوصاف النفسانية بل هي صفة عملية.

أما الرأي الآخر في فهم حقيقة العدالة فهو ما نسب إلى المشهور بين المتأخرين من أن العدالة: ملكة أو هيئة راسخة، أو حالة، أو كيفية باعثة نحو الإطاعة بالإتيان بالواجبات وترك المعاصي والمحرمات.

والصحيح أن الإسلام وحسن الظاهر مع عدم ظهور الفسق، معرّفان للعدالة لا أنهما العدالة نفسها، فلا مكان لأن يكون الفاسق في أعلى مراتب الفسق باطنًا ما تحفّظه على جاهه ومقامه لدى الناس، فهو مع أنه حسن الظاهر إلا أنه محكوم بالفسق في الواقع لارتكابه المعاصي، ولا مساع للحكم بعدالة مثله بوجه.

والخلاصة أن العدالة يمكن أن تكون وصفًا للعمل والسلوك واستقامة الفكر والعقيدة وسلامة الطوية وحسن الأخلاق ولا ريب أن لاستقامة الفكر واعتداله دور الأصيل وهو المبدأ والمنطلق والأرضية، والعمل إنما هو تابع له بمقتضى طبيعة الإنسان السليم.

وفي هذا المجال فإنه يشهد القاضي والداني لفقيدنا الراحل بتمكن هذه الملكة فيه، فإن التواضع الجَمّ الذي يراه كل من جالسه وعرفه، والأبوية ونكران الذات وتذويب الهموم الشخصية والحسابات الخاصة لحساب حمل هم الأمة هي مما لمسه الجميع، كما أن ديدنه كان التغاضي عن إهمال البعض وإقصائهم، فلم يكن ذلك ليأخذ من فقيدنا الراحل شيئًا من العناية، وفي المقابل فقد كان يولي الاهتمام الكبير والجَم بأي نشاط أو خدمة دينية أو اجتماعية، ولا يستنكف عن القراءة والتقديم والتدقيق ومتابعة أي رسالة أو كتيب أو نتاج فكري مهما كان بدائيًا

بالقياس لما عنده من سعة إطلاع.

وعلى سبيل المثال ومن خلال التجربة الشخصية وقبل ما يقارب العقدين من الزمن طلب الأخوات دعوة الدكتور لإلقاء محاضرة في الدمام حول موضوع المرأة فأرسلنا أحد الشباب الذي لم يكن حينها يتجاوز العشرين من العمر.. فقبل الشيخ الدعوة وبلا مقدمات ولا سابق معرفة، وجاء لي طرح بحثاً علمياً متيناً على ثلثه من البنات لا يتجاوز عددهن الثلاثين، وألقى بحثه وكأنه في جامعة عالمية تضم النخب وأهل العلم!.

إن هذا السلوك العملي سيقى شاهداً على طهارة ونقاء طوية الفقيه الراحل، وهو أفضل نموذج عملي لتبليغ الرسالة الإسلامية وخير صورة لتمثيل سيرة الأنبياء وإحياء مآثرهم التي حولتهم لجعل رسالات الله فيهم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾.

وإذا كان لا بد لمثل الدكتور الفقيه أن يترك بعد رحيله لنا رسالة ووصايا علمية وعملية.. فإن من أهمها هذا المنهج الفكري والروحي والأخلاقي والعملي.. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَعْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

العلامة الفضلي ﷺ .. معالم فكرية وروحية

السيد محمد حسين مبارك الزيلعي - المدينة المنورة

يموت بعض الناس ويموت معهم كل شيء يرتبط بهم جسدهم أرواحهم فكرهم وحتى آثارهم.. ويموت بعض من الناس أيضًا ويخيل إليك أنه ولد من جديد وانبعث سيرته وفكره وتراثه مرة أخرى.. إن علامتنا الفضلي ﷺ من النوع الثاني من الناس الذين يركون بموتهم كل من حولهم وتتوهج حياتهم ومنهجهم في اليوم ذاته الذي تنظف في أجسادهم، وكأننا يحدثونك بعد موتهم حديثاً أعمق وأقرب حميمة مما كانوا يحدثونك به في حياتهم!.

تحدث عنها الرمل بعد سكوتها حديثاً طويل الوصف رغم اقتضابه

العلامة الفضلي ﷺ قلم رصين.. وفكر نير.. ومنهج متجدد متقدم، وهو في الآن ذاته روح تفيض بالطهر والنقاء.. وخلق يسمو ويتعالى وضمير نقي طاهر. هو الإنسان الذي يمثل العالم الرباني والمفكر الحكيم والأبوة الحانية الرحيمة، وتراثه العلمي والفكري يشهد بالمعيتة وسمو فكره، وإن جلسه يكتشف سريعاً ويشعر بعمق بما ينطوي عليه من نفس عظيمة سامية وروح طاهرة كريمة وعقل متوقد متجدد.

والمطالع المتأمل في شخصيته - رضوان الله عليه - في بعديها العلمي والروحي

يلاحظ ما يلي:

□ ١. أصالة الفكر:

العلامة الفضلي رحمه الله هو ابن الحوزة العلمية وولدها البار، ولد ونشأ في أحضان مدرسة النجف الأشرف، وتلمذ على أساطينها ونهل من معينهم، وبهذا فهو يغترف من عمق المدرسة الإسلامية الإمامية ويصدر عنها، وهل الأصالة الفكرية إلا الانتفاء الحقيقي للإسلام والقرآن فيما يتبناه الإنسان من أفكار وعقيدة ورؤى؟!.. وهل هي إلا أن يكون المنطلق إسلامياً صرفاً غير هجين ولا مخترع؟!، ومن أدعية الصحيفة السجادية «وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة ورفض أهل البدع ومستعملي الرأي المخترع»، وهذا ما نلمحه جلياً في كتابات الشيخ الفضلي ومحاضراته ودروسه، وإن كتبه الفقهية والكلامية والأصولية ومحاضراته لخير شاهد على ما نقول، فقد دافع ونافح عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعمل على تأصيل منهجهم وفكرهم وترسيخ الرؤى الخاصة والملاحم المنتمية إلى خطهم الإسلامي الأصيل!.

□ ٢. النزعة التجديدية

وهي تمثل الصورة الابرز في شخصية العلامة الفضلي، إذ عرف في كل الأوساط العلمية بأنه الحريص قولاً وعملاً على تطوير المناهج العلمية في مقررات الحوزة العلمية وكتبها، وقد نهض رحمه الله بدور رائد في هذا المجال وخطى خطوات واسعة في تطبيق هذه النقلة في كتبنا الدراسية الحوزوية، وإن مطالعة يسيرة وسريعة في كتبه وتراثه العلمي تكشف لنا ذلك بجلاء، ففي الوقت الذي نجد فيه المنهج العلمي - في كتبنا الحوزوية القديمة - غائباً ومشوشاً نجد ذلك المنهج العلمي في كتب الشيخ الفضلي واضحاً جلياً متماسكاً وهو المنهج السائد في كتاباته ودراساته على مختلف الحقول المعرفية التي طرقها، ولعل جزءاً من الفضل في ذلك يعود إلى

تمرس الشيخ الفضلي واستيعابه لأسس المنهج العلمي الحديث بحكم مزاولته له شطراً كبيراً من حياته العلمية التي قضاهها في التدريس على المنهج الأكاديمي.

□ ٣. المنهج العلمي

والمراد به في كلامنا ما يشتمل على خصائص ثلاث:

الأولى: الموضوعية في البحث والدراسة والمناقشة لما يراد عرضه من أفكار وأطروحات

والموضوعية هنا مقابل الذاتية إذ إن هذه الأخيرة ينطلق فيها الباحث من مبانٍ مسبقة وآراء مسلمة في نظره، وعليها يبني البحث في محاولة منه لتطويع الفكرة وجراها ولي عنق الأدلة وعكفها لتصب في المسار الذي يؤمن به ويعتقده الكاتب أو الباحث، بينما ينطلق الباحث الموضوعي من صميم الدليل وحق البرهان متجنباً أي نزعة ذاتية أو هوى خاص في ترتيب المقدمات واستخلاص النتائج، وهذا المنهج بعينه هو ما نلمحه في كتابات الراحل الفضلي - قده - ومعالجاته العلمية على اختلاف حقولها الفقهية والأصولية والكلامية وغيرها، وليس هذا ببدع من قلم هذا العلم وبراء هذا الجهد فإنه خريج مدرستين مدرسة النجف الأشرف الشاخصة العريقة بعمقها وامتانتها والمدرسة الأكاديمية المعاصرة التي تميزت بأنها اختطت أسس المنهج العلمي بقواعده المنطقية في البحث والتحقيق والتوثيق.

الثانية: الروح العلمية:

وأخص خصائصها القدرة على استيعاب الآراء المخالفة وتفهمها ومعالجتها بلحاظ أنها تحتمل الصدق والكذب لذاتها دون الأخذ بالاعتبار مصدرها أو قائلها وانتماءه الفكري والعقدي، والتسامي على الإسفاف والتعنت وتبع العثرات.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ويقابل هذه الروح العلمية التعصب العلمي والميل للخروج عن روح البحث عن الحقيقة واكتناهاها إلى ضيق الصدر ومحاولة احتكار المعرفة.

وللعلامة الفضلي رحمه الله في آثاره العلمية بصمات مضيئة تجسد روح العالم النبيل الذي يتحلّى بالصبر وسعة الصدر والإنصاف والمحاولة الدؤوبة للوصول إلى الحقيقة وإجلالها ناصعة مهما كان القائل بها ومهما كان انتهاؤه.

الثالثة: الأسلوب العلمي:

وحقيقته أنه عبارة عن صب المفاهيم والمعارف في قالب علمي وألفاظ ناصعة جليلة لها مدلول محدد غير فضفاضة ولا مبهمة ولا ذات إثارة عاطفية ولا تحتل أكثر من معنى ولا تأخذ أكثر من دلالة.

ويقابل الأسلوب العلمي الأسلوبان الأدبي والخطابي، وهما أسلوبان يتكآن في الدرجة الأولى على محاولة الأخذ بالاعتبار الإثارة النفسية وتحفيز الشعور واستدراج المتلقي ليتفاعل مع مضمون الخطبة أو العمل الأدبي أو الفني ليقع في نهاية المطاف في فخ الانجذاب إليها وعشقها حتى لو لم تكن مبرهنة علمياً أو مبررة منطقيًا.

وشيخنا العلامة الفضلي رحمه الله لم يعرف عنه أنه كتب كتاباً أو خط رسالة بغير الأسلوب العلمي وعلى نهجه فأثاره العلمية ظاهرة في هذا المعنى فهي كتب علمية محضة تأخذ الأسلوب العلمي وطابعه في كل مناحيها واتجاهاتها الفكرية والمعرفية، ومن هنا كانت كتبه هي المرشح الأبرز للتدريس في المراكز العلمية حوزوية كانت أو أكاديمية، نعم له آثار أدبية كالشعر مثلاً وإن كان مقلداً فيه لكنه شيء آخر غير ما نتحدث عنه إذ أن الكتابة الأدبية - إن وجدت - فهي عمل مستقل لم يخلطه الشيخ بشيء من آثاره العلمية أبداً.

□ ٤. الوعي الرسالي

وهي سمة جليلة في شخصية العلامة الفضلي فهو الرجل الذي عاش عصره وعلم زمانه وانطلق في كل مواقفه وأعماله من فهم عميق لمرحلته ووعي شامل لخصائص وملامح عصره السياسية والدينية والاجتماعية، ويعد بذلك من العلماء الرساليين النشطين البارزين في مواجهة التحديات التي عاشتها أمتهم، وتحرك في هذا المجال بنخطة ثابتة وحكمة بالغة في التعاطي مع مجمل القضايا العصرية الراهنة، وكان يحمل هم مذهب أهل البيت ومدرستهم والقضايا المتعلقة بذلك ويعمل بجد وكد من أجل تحطيم العقبات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي كانت تحول دون قيام نهضة شاملة لهذه المدرسة الإسلامية الأصيلة والعريقة وإظهارها كما أراد أهل البيت عليهم السلام لها أن تظهر نقية من الشوائب والتشويهات المتعمدة وغير المتعمدة، فقد حمل هم الحوزة العلمية الشريفة وسعى من أجل رفع مستوى عطاءاتها العلمية والفكرية والسلوكية، وكان بأفقه الواسع ونظريته الثابتة يرى ما لا يراه غيره من ملامح الحاجة إلى تحويل هذه الجامعة المعطاءة إلى منارة علمية شامخة تشرق على العالم بأسره شرقاً وغرباً وتطوير مؤسسة المرجعية فيها ومد جسور التواصل بينها وبين بقية المراكز العلمية في العالم كله، ورأى ببصيرته النيرة أن هذا لا يتأتى إلا بالقيام بدور ريادي على مستوى المناهج العلمية الحوزوية وتطويرها لتصبح قادرة على أن تواكب عصر المتغيرات السريعة والحدثة بمنهجها العلمي وفكرها العميق الشامخ فقام بكتابة العلوم الإسلامية المتعلقة بهذه الحوزة بأسلوب علمي رصين ينسجم والمناهج العلمية الحديثة المتفق عليها في كل المراكز العلمية في العالم.

ومن دلالات وعيه وحسه الدقيق لمرحلته أنه كان يعمل جاداً على مد الجسور بين أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، فكان المجمع والملتقى والمحور لكل تلك الأطراف والأطراف.

□ ٥. زهد العلماء وتواضع العظماء

الزهد والتواضع قيمتان أخلاقيتان تطبع صاحبهما بلون خاص من الجاذبية والجمال والاستحواذ على القلوب، وكأن ثمة معادلة غيبية تتساوى فيها قوة جذب الإنسان للقلوب بمقدار رفضه لها وزهده فيها، وهذا ما لحظناه في شخصية هذا العالم الرباني الذي كان بعيداً عن الأضواء وقريباً إلى القلوب، وجدنا فيه بساطة متناهية ورحابة صدر نادرة ومحاولة مخلصنة للهروب عن الأضواء والشعارات البراقة والألقاب الرنانة، عاش عليه السلام إنسان المعرفة ورجل الفكر والعلم والتحصيل، لا تجد وأنت تجلس إلى جواره أنك أقل من أخ قريب أو صديق حميم أو جليس محب إلى نفسه الطاهرة، وإن أصعب الأشياء على العالم أن يتخلص من غرور الألقاب وبهجة المقامات الاعتبارية التي يخلعها عليه الناس بعلم وبغير علم وقد يجد نفسه غارقاً في وحل الوهم بحقيقة ما يخلع عليه من هذه المسميات من حيث يدري ولا يدري، لكن هذا العالم الرباني وهو من هو في الفضل والمقام العلميين لم يكن ليشغله شيء من ذلك أو يحدده بريقه الفاتن...!

رفع الله مقامه في أعلى عليين مع محمد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

رحيل رجل الفكر والعلم والأدب

الأستاذ صالح آل شهاب، القطيف - الجارودية

انحنى للعلم فانحنى له العلماء، انحنى على يده الفقهاء وقبّل رأسه الفضلاء، كتب الفكر فكتب له الخلود في الأفكار، وجاءت ثورته الثقافية هادرة لتأتي أمواج البشر في توديعه، رجل ما عرف غير الفضيلة، وما سلك غير مسالك الهداية.

عالم يعطيك فكراً، وآخر ينير عقلك في عملية التفكير، يعلمك كيف تفكّر، ولا ريب في أفضلية هذا،... وهو فقيدنا المفكر الفقيه الفضلي.

هناك من التصق به فالتقط معه صورة تذكارية، أو زاره مراراً في مجلسه، وهناك من تأثر به في وعيه وهديه وفكره النير ونبراسه الوقاد.

فقيدنا المفكر الفقيه اتّسم بصفات ندر من حازها فقد جمع بين النمطية الأكاديمية والنمطية الحوزوية، وأخذ على عاتقه تربية طلاب العلم على البحث والدراسة.

بينما نجد في زاوية من زوايا مجتمعاتنا يعيب على العالم انفتاحه على الجامعات المعاصرة، ويحبّط الباحث تحت ذريعة من أنت؟ أنت لا تفهم، ولا تدرك، ولم تصل، وكيف سمحت لنفسك أن تقرأ الكافي وأمثاله من مراجع العلم؟

يا سبحان الله! ما هذه الطريقة في التعاطي مع العلم، ما هذا التعالي والتهميش للباحث السائل؟ وكيف جاز له بل وجب عليه أن ينظر في أقدم كتاب جاء للبشرية وهو القرآن الكريم ولم يحل له قراءة غيره.

فقيدنا المفكر الفقيه علمنا على ثقافة التشجيع لطلاب العلم، وهي من خصائص المعلم الناجح، حتى أنه ليتابع مساراتهم العلمية، ماذا كتبوا وماذا درسوا وأي شيء ألفوا؟ فلا تجد كاتباً ولا عالماً ولا مفكراً ولا مثقفاً إلا وفقيدنا العلامة الفضي له اليد البيضاء في صناعته.

وكانت لي معه تجربة قبل ٩ سنوات، أي في العالم ١٤٢٥هـ، حيث درّست بحثاً كنت قد كتبتة نزولاً عند رغبة بعض الفضلاء الأعضاء في قاعدة سوق المسلمين، وبعد الفراغ من كتابته وتدرّسه لمع في خاطري عرضه على سماحته ﷺ ليرى رأيه فيه، فما كان منه إلا أن لاحظته وشرف البحث بمقدمة ولم أكن قد طلبتها منه، وجاءت درراً من فيض علمه، وإليك نصّها لتعم الفائدة بنشرها:

«تألف وسائل وآليات الاجتهاد الإسلامي للوصول إلى الحكم الشرعي من:

١. علوم مساعدة، تتدخل في عملية الاستنباط الشرعي تدخلاً غير مباشر، وتشمل كلّ العلوم والمعرف العامّة التي تساعد في فهم النصّ الشرعي باعتبارها (العلوم والمعارف العامّة) قرائن، كما أنّها تساعد في عملية تشخيص الموضوع بالاطلاع على الواقع الاجتماعي لعصور التشريع الإسلامي، أو ما يُعرف في لغة الفقهاء بعصور صدور النصوص الشرعية من المعصومين عليهم السلام.
٢. علوم مهيّدة، تهيئ للدخول في عملية الاستنباط بصورة شبه مباشرة، وهي (أعني العلوم المهيّدة) ما يُعرف في اصطلاح الحوزات العلمية الدينية بالمقدمات، وتلك أمثال: علوم اللغة العربية، كالصرف والنحو والبلاغة، والمعارف العقلية كالمنطق والفلسفة.

٣. علوم مباشرة، وتتمثل في القواعد التي تتخلل تدخلًا مباشرًا في عملية الاستنباط، وهي:

- القواعد الأصولية .
- القواعد الفقهية .
- قواعد علم الدراية .
- قواعد علم الرجال .
- منهج البحث الفقهي، وهو ما يُطلق عليه في العرف الفقهي بطرق الاستنباط.

من هذه اللوحة الخاطفة لبيان وسائل وآليات الاجتهاد الشرعي نتبين أهمية القواعد الفقهية في مجال الاستنباط، وذلك لأنها تأتي من حيث التطبيق بمستوى القواعد الأصولية.

وقد دعوتُ في غير موقع، وأكثر من مناسبة لإدخال مادة القواعد الفقهية مقررًا دراسيًا في برامج الدراسات الحوزوية، والحمد لله أن صدر في حقبتنا العلمية الراهنة أكثر من رسالة وأكثر من كتاب، دَرَسَتْ العديد من القواعد الفقهية، مما يعطينا الأمل في أننا نسير في الطريق المثل لتحقيق الغاية المنشودة.

ومن هذا الجديد في المجال المشار إليه الرسالة التي بين يدينا، وهي - كما هو واضح من عنوانها - تبحث في (قاعدة سوق المسلمين) التي سيتعرّف القارئ الكريم فحواها من الرسالة.

وقد دَلَّ مؤلّفها في تناوله لهذه القاعدة الفقهية على قدرة علمية في البحث موفقة ومثمرة.

أسأله تعالى أن يأخذ بيده لبحث أمثال هذه القاعدة، ممّا يمَسّ ويلامس سلوك

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

المسلم المكلف بصورة مباشرة، وأن يوفقه لتحقيق الغاية، ويشبهه على عمله هذا جزء العلماء العاملين إنه تعالى ولي التوفيق، وهو الغاية». انتهى نص كلامه علت في الجنان أقدامه.

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيم
إن كنت قد غيبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما تليت عليك من الدروس علوم

الدولة الإسلامية في فكر العلامة الفضلي رحمته الله

د. السيد عادل حسن الحسين - الرياض

في هذه الورقة سوف أتناول مفهوم الدولة الإسلامية في فكر آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي بمناسبة تأبينه في اليوم الأربعين من رحيله رحمته الله.

في النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم هناك عدة دراسات تناولت مفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الشيعي من عدة زوايا. وهذه بعض الدراسات التي كتبت في الموضوع ذاته وفقا للترتيب الزمني:

١. «الأسس الإسلامية» للشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله، ١٩٥٨ م.
٢. «في انتظار الإمام» للشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله، ١٩٦٤ م / ١٩٦٨ م.
٣. «الحكومة الإسلامية» للإمام السيد روح الله الخميني رحمته الله، ١٩٦٩ م.
٤. «الإسلام يقود الحياة» للشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله، ١٩٧٩ م.
٥. «الدولة الإسلامية» للشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله، ١٩٧٩ م.
٦. «الخميني والدولة الإسلامية» للشيخ محمد جواد مغنية رحمته الله، ١٩٧٩ م.
٧. «نظرية ولاية الأمة» للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمته الله، ١٩٨٩ م.

وتعتبر الدراسات الثلاث الأولى هي اللبنة الأساس في تأصيل وبلورة مفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الشيعي. وتأتي الدراسات الأخرى اللاحقة إما كمناقش

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

أو مفسر أو موسع لتلك الأصول والأسس التي بحثت من قبل كل من الشهيد الصدر والشيخ الفضلي والإمام الخميني رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

□ الأسس الإسلامية

الأسس الإسلامية عبارة عن دروس قد ألقاها الشهيد الصدر على طلابه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وذلك عام ١٩٥٨م. وكان الشيخ الفضلي من ضمن طلبة العلوم الدينية الذين حضروا تلك الدروس، وقد أشار الشيخ الفضلي إلى هذه المعلومة في حوار أجراه معه الباحث الأستاذ حسين منصور الشيخ، وتم نشر هذا الحوار في كتاب «الدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار»، ٢٠٠٩م.

وقد سرد الشيخ الفضلي تسعة من تلك الأسس في بحثه تحت عنوان: «الأسس الإسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول للدستور الإسلامي»، المنشور في مجلة المنهاج، العدد ١٧، ٢٠٠٠م، وهي: (١) الإسلام، (٢) المسلم، (٣) الوطن الإسلامي، (٤) الدولة الإسلامية، (٥) الدولة الإسلامية دولة فكرية، (٦) شكل الحكم في الإسلام، (٧) نظام الشورى، (٨) الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم، (٩) مهمتا بيان أحكام الشريعة وتعيين القضاة ليستا من مهام الحكم.

وأشار الشيخ الفضلي إلى أن الأسس التي درسها على يد الشهيد الصدر كان عددها أكثر من تسعة، قد يصل عددها إلى أكثر من ثلاثين أساسا إذا أضيفت هذه التسعة إلى المخطوط من الأسس. لكن لا يُعلم مصير هذا المخطوط.

وقد كانت هذه الأسس الإسلامية الأتمودج المحتذى لما جاء بعدها من مؤلفات سياسية. وهنا يعتبر الشهيد الصدر رضوان الله تعالى عليه مؤصلا ومنظرا لمفهوم الدولة الإسلامية.

وقد ذكر الشيخ الفضلي أن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية اقتبس الكثير

من أفكار ورؤى الشهيد الصدر وتجد ذلك جليا عند المقارنة بين ما جاء في بنود الدستور الإيراني وبين ما كتبه الشهيد الصدر تحت عنوان: «لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران»، فقد انتهى من كتابة هذه اللمحة الفقهية في ٤ / ٢ / ١٩٧٩ م، أي قبيل الانتصار الأخير للثورة الإسلامية.

□ في انتظار الإمام

يمثل كتاب «في انتظار الإمام» أحد أهم المصادر البحثية التي سلطت الضوء على فكرة إقامة الدولة الإسلامية في عصر الغيبة، ومن خلاله تستشف إلى أي مدى وصل إليه الشيخ الفضلي من وعي سياسي في سن مبكرة من عمره الشريف.

انتهى الشيخ الفضلي من تأليف كتابه (في انتظار الإمام) في عام ١٩٦٤ م وطبع في عام ١٩٦٨ م. وقد تناول الكتاب الموضوعات التالية: تمذهب فكرة المهدي المنتظر مع أنها فكرة إسلامية عامة، وشخصية الإمام، ووجود الإمام، ودولة الإمام، وانتظار الإمام، ورئيس الدولة، وتكوين الدولة، والدعوة إلى الدولة. وقد ألف الشيخ الفضلي هذا الكتاب ليبين للناس أن مفهوم الدولة الإسلامية موجود في الفكر الشيعي على مر العصور. ومن خلال تصفح أقسام هذا الكتاب يلاحظ القارئ وجود بصمات واضحة لفكر الشهيد الصدر في متن الكتاب.

وفيا يخص الدولة الإسلامية فقد أفرد الشيخ الفضلي عدة أقسام تناول فيها رئيس الدولة، وتكوين الدولة، والدعوة إلى الدولة.

رئيس الدولة:

هو نائب الإمام (الحاكم الأعلى زمن الغيبة)، وهو على ثلاث أقوال:

١. الحاكم الأعلى هو المعين من قبل المسلمين.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

٢. الحاكم الأعلى هو الفقيه العادل.

٣. الحاكم الأعلى هو الفقيه الأعلم.

وفي القول الثاني والثالث يتعين على حاكم الدولة الإسلامية أن يكون فقيهاً،
وتجد في هذين القولين تأصيلاً لمفهوم «ولاية الفقيه».

تكوين الدولة:

فيما يخص تكوين الدولة، تطرق الشيخ الفضلي لعدة موضوعات وهي:

١. تشكيلات الحكومة في التشريع.

٢. الخط العام للحكومة.

٣. السلطات الثلاث:

أ. السلطة التشريعية.

ب. السلطة التنفيذية.

ج. السلطة القضائية.

٤. شكل الحكومة: حكومة دستورية.

٥. مبدأ الحق الإلهي.

٦. دور الأمة في المراقبة.

٧. الدولة في مجالها الواسع: وقد خلص الشيخ الفضلي إلى أن الدولة في مجالها
الواسع هو:

أ. الأرض وتعني الوطن.

ب. الأمة وتعني المواطنين.

ج. الحكومة وتعني السلطة.

الدعوة إلى الدولة:

وهنا خلاص الشيخ الفضلي إلى وجوب الدعوة إلى بناء الدولة الإسلامية:

إما عن طريق الثورة عند توافر شروطها.

أو عن طريق التدرج باتباع الطرق السلمية من خلال توعية الأمة وتثقيف المجتمع، والتركيز على الناشئين في جميع مراحل التعليم. وهذا ما دأب عليه شيخنا الراحل الفضلي رحمته الله في مسيرته الرسالية وتجذ ذلك جليا في كثير من كتبه. أذكر على سبيل المثال: «التربية الدينية»، و«مشكلة الفقر»، و«ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها ووثائقها»، و«في انتظار الإمام»، و«حضارتنا في ميدان الصراع»، و«لماذا اليأس»، و«الإسلام مبدأ»، وغيرها.

وقد نهج شيخنا الفضلي في كثير من كتاباته الثقافية منهجا وسطا يجمع بين القديم الاستنتاجي والجديد الاستقرائي. وعرض كتاباته بأسلوب وسط أيضا يجمع بين البحث العلمي والمقالة الصحفية ليكون قريبا من القارئ فيكون معه في مختلف مستوياته الثقافية والذهنية.

وتلمس هذا الأسلوب جليا في كتابه «في انتظار الإمام» بحيث حاول أن يبسط الأفكار المعقدة والمتشابكة حول مفهوم الدولة الإسلامية وعرضها بأسلوب مقروء ومفهوم من قبل القراء والباحثين مما يمهد للبحث فيها بشكل أعمق وأوسع.

وامتاز كتابه «في انتظار الإمام» عن غيره من الكتب التي تناولت مفهوم الدولة الإسلامية في أن الشيخ الفضلي مزج بين فكرة «انتظار الإمام» وفكرة «إقامة الدولة» على أسس إسلامية، بحيث وظف فكرة إقامة الدولة الإسلامية إيجابيا لدعم فكرة انتظار الإمام. فيكون إقامة الدولة الإسلامية في زمن الغيبة هو مطلب شرعي في التمهيد لدولة الإمام المهدي عليه السلام. وبهذا تكون الدولة الإسلامية ترجمان إيجابي لهذا

الانتظار.

ويمتاز هذا الكتاب أيضا بأنه كتاب استدلالي، حيث استعرض الشيخ الفضلي نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة والآراء المختلفة التي تناولت عناصر الموضوع كلا على حدة. ومن ثم خلص إلى رأيه. وفي هذا الأسلوب فائدة تربوية يضعها الشيخ الفضلي بين يدي الباحثين للتعرف على كيفية الاستدلال.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الأولى التي تحدثت عن الدولة الإسلامية وولاية الفقيه وعن إمكانية تطبيقها في عصر الغيبة واعتبارها ممهدة لدولة الإمام المنتظر عليه السلام. إذ لم يعرف في الفكر الشيعي كتاب قبله تناول الدولة الإسلامية بالمفهوم الحديث.

□ الحكومة الإسلامية

يضم الكتاب آراء الإمام السيد الخميني رحمته الله الاجتهادية حول الحكومة الإسلامية، وحول عدم إمكانية الفصل بين الدين والسياسة، وحول «ولاية الفقيه» في زمن الغيبة، وقد عرضها الإمام السيد الخميني على شكل سلسلة من الدروس كان قد ألقاها على تلامذته في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وذلك في عام ١٩٦٩م. وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات باللغة العربية والفارسية قبل وبعد انتصار الثورة.

□ الإسلام يقود الحياة

وهو عبارة عن سلسلة من الدراسات كتبها الشهيد السيد الصدر رضوان الله تعالى عليه في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، أي في عام ١٩٧٩م. وكانت هذه الدراسات عبارة عن أجوبة لأسئلة واستفسارات وجهت إليه من قبل مجموعة من علماء الدين في لبنان حول قضايا أساسية تتعلق بالدولة الإسلامية، مثل:

الدستور الإسلامي وصلاحيه السلطة وغير ذلك من المواضيع التي تعد مسائل مستحدثة وحساسة في الواقع الإسلامي الجديد. وقد قدم فيها الشهيد السيد الصدر الرؤية الإسلامية بصورة متطورة تواكب الحياة الاجتماعية والسياسية.

□ الدولة الإسلامية

يعتبر هذا الكتاب «الدولة الإسلامية» إصدار جديد وإعادة نظر للشيخ الفضلي في محاولته السابقة لكتابه «في انتظار الإمام» لدراسة موضوع (الدولة الإسلامية) منهجا وفكرا. وقد حذف وأضاف ووسع في بعض الفصول. وقد طبع هذا الكتاب في عام ١٩٧٩م.

وقد صنف الكتاب إلى خمسة فصول كالتالي:

١. إقامة الدولة: وقد دلل فيه على لزوم قيام الدولة الإسلامية وبشكل خاص في المجتمع الإسلامي.
٢. أركان الدول: عرف فيه الدولة وعناصرها المكونة لها.
٣. رئاسة الدولة: استعرض فيه أقوال الفقهاء المسلمين في رئيس الدولة الإسلامية، وأدلة تلك الأقوال ومناقشتها، وأضاف إليه رأيه في المسألة، وقد أوضح أيضا مفهوم الولاية.
٤. تكوين الدولة: عرض فيه شكل الدولة الإسلامية وعرف الدستور الإسلامي، وسلط الضوء على السلطات داخل إطار تكوين الدولة الإسلامية.
٥. مراقبة الدولة: وبه ختم دراسته موضحا معنى المراقبة من قبل الأمة، عارضا بعض الأمثلة لذلك.

□ الإخميني والدولة الإسلامية

هذا الكتاب للشيخ محمد جواد مغنية رحمته الله، طبع في عام ١٩٧٩م بعد انتصار

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الثورة الإسلامية في إيران. والكتاب يستعرض الآراء والمتنبات الفقهاء للشيخ مغنية. ويسجل الشيخ مغنية في هذا الكتاب شدة تفاعله في الدفاع عن الثورة الإسلامية في إيران، ويبين بصراحة تامة موقفه الداعم والمؤيد للإمام الخميني وشدة إعجابه به.

□ نظرية ولاية الأمة

هذا الكتاب للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، طبع في عام ١٩٨٩ م. وفيه يستعرض الشيخ شمس الدين فكرة «ولاية الأمة على نفسها» وهي فكرة تختلف عن فكرة «ولاية الفقيه» لكنها فكرتان متكاملتان من حيث الأسس. حيث أن فكرة «ولاية الأمة على نفسها» لا تعني عدم اختيار الأمة فقيها لقيادتها، وفكرة «ولاية الفقيه» لا تعني أي فقيه، وإنما تحصر الأمر بالفقيه الذي تقبله الأمة كما ينص عليه الدستور الإيراني. ولكن الجديد في فكرة الشيخ شمس الدين أنها تعطي الأمة الحق في اختيار من تشاء لولاية أمورها وإن لم يكن فقيها.

□ الخلاصة

بعد استعراض جميع الدراسات التي ابتدأت هذه الورقة بها يتبين للقارئ أن الدراسات الثلاث الأولى: الأسس الإسلامية، وفي انتظار الإمام، والحكومة الإسلامية، وأضُم معها أيضا كتاب الدولة الإسلامية للشيخ الفضلي، بأنها تعتبر اللبنة الأساسية التي أصلت ونظرت لمفهوم الدولة الإسلامية في الفكر الإسلامي الشيعي. وفي مجملها اتسمت هذه الدراسات بأنها اشتملت على «مادة علمية بحثية أولية». بحيث تناولت هذه الدراسات موضوعا لم يبحث من قبل بشكل معمق.

أما الدراسات الثلاث الأخرى وهي: الإسلام يقود الحياة، والخميني والدولة الإسلامية، ونظرية ولاية الأمة، تعتبر في مجملها دراسات تفاعلية مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، مع شيء من الاختلافات في تفاصيلها. حيث تجرد دراسة الشهيد

السيد الصدر «الإسلام يقود الحياة» ملهمة لكثير من مواد الدستور الإيراني. ودراسة الشيخ مغنية «الخميني والدولة الإسلامية» تعتبر إشادة بالثورة الإسلامية. ودراسة الشيخ شمس الدين «نظرية ولاية الأمة» في المجمل ناقشت فكرة «ولاية الفقيه» وطرحت فكرة «ولاية الأمة على نفسها».

□ المصادر

- الخميني، روح الله. الحكومة الإسلامية، ١٩٦٩ م.
- شمس الدين، محمد مهدي. نظرية ولاية الأمة، ١٩٨٩ م.
- الشيخ، حسين منصور. الدكتور الفضلي يفتح أوراقه للحوار، ٢٠٠٩ م.
- الصدر، محمد باقر. الإسلام يقود الحياة، ١٩٧٩ م.
- الصدر، محمد باقر. لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٩٧٩ م.
- الصدر، محمد باقر. الأسس الإسلامية، ١٩٥٨ م.
- الفضلي، عبد الهادي. الأسس الإسلامية: عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول للدستور الإسلامي، مجلة المنهاج، العدد ١٧، ٢٠٠٠ م.
- الفضلي، عبد الهادي. الدولة الإسلامية، ١٩٧٩ م.
- الفضلي، عبد الهادي. في انتظار الإمام، ١٩٦٨ م.
- الفضلي، عبد الهادي. الإسلام مبدأ، ١٩٦٦ م.
- الفضلي، عبد الهادي. لماذا اليأس، ١٩٦٦ م.
- الفضلي، عبد الهادي. حضارتنا في ميدان الصراع، ١٩٦٤ م.
- الفضلي، عبد الهادي. ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها ووثائقها، ١٩٦٣ م.
- الفضلي، عبد الهادي. مشكلة الفقر، ١٩٦٢ م.
- الفضلي، عبد الهادي. التربية الدينية، ١٩٦٠ م.
- مغنية، محمد جواد. الخميني والدولة الإسلامية، ١٩٧٩ م.

الشيخ الفضلي العالم الموسوعي

د. فهد إبراهيم أبو العصاري - المدينة المنورة

بعض الناس تعرفه حينما تتحدث إليه ويتحدث إليك وبعضهم تعرفه من خلال قراءتك عنه وبعضهم تعرفه من خلال قراءتك كتبه ومقالاته وربما تعرفت عليه من خلال خطبه، كذلك هناك دور للاحتكاك المباشر والمخالطة سواء في العمل أو الجوار أو أماكن العبادة ليعرف الناس بعضهم بعضًا.

من الناس من تستطيع أن تقنع نفسك أنك عرفت من جلسة واحدة لكن البعض الآخر ربما تحتاج إلى مدة طويلة حتى تتمكن من كشف بعض مخبوءاته وعناصر شخصيته.

بالنسبة لشيخنا الفاضل آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله من النوع الذي تعتقد أنك تستطيع أن تعرفه بسهولة لقربه من الناس وقربهم منه ولكثافة إنتاجه الخطابي والكتابي والتدريسي.

لكن الحقيقة غير ذلك... إنه بحر عميق يصعب غوره، الرجل لم يكن غامضًا، أبدًا لا شيء من ذلك... لكنه كان موسوعيًا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وهذا - باعتقادي - سر عدم القدرة على كشف كل جوانب شخصيته.

كان عليه السلام متواضعاً لدرجة أنه قد يكون في مجلس فلا يُعامل كما يُعامل أصحاب الفضيلة وأصحاب المعالي والسعادة... إنه جزء من ذلك الجمهور لا أكثر... وأذكر أنه إبّان وجوده في جده وكان وقتها أستاذاً في جامعة الملك عبد العزيز - كان في الموسم الحسيني يحضر بعض المجالس الحسينية شأنه شأن أي مستمع آخر ولم يُطلب منه أن يشارك بمحاضرة أو كلمة في تلك المجالس وكان الخطباء في ذلك الوقت قليلي الخبرة بمتطلبات الخطابة الحسينية... كذلك لم يبادر هو الى الطلب من أصحاب المجلس أن يكون له دور... كان يحضر لبركة المجلس ويستمتع ويخرج كأبي فرد آخر من أفراد المجتمع.

نعم، إن زملاءه في العمل عرفوا مقدار علمه وتفوقه في مواد اللغة العربية على وجه الخصوص فاختاروه بالإجماع رئيساً لقسم اللغة العربية.

تقرأ كتبه مرة وأخرى وثالثة فتزداد إعجاباً بهذا العالم المحقق وينكشف لك في كل قراءة شيئاً جديداً يجعلك منجذباً نحوه.

تستمع إلى خطاباته فتخاله مفكراً يشغل تفكيرك وينشطه، لا يفرض نفسه إلا بمقدار ما يقتنع من يستمع له... يطرح آراءه للمناقشة، يتقبل آراء الآخرين ويحترمها، ويهدوء يقرع الحجّة بالحجة فلا تملك إلا أن تحترمه حتى لو خالفته بالرأي.

كان ساحة الشيخ الفضلي عليه السلام أكاديمياً من الطراز الأول، عمق في الفكر، دماثة في الأخلاق، قدرة على الإدارة، تمكن من مواده التي يدرسها.

كان يبذل بشره للجميع وابتسامته لا تفارقه، كان يعي ويطبق ما روي عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقبي صاحبه عذاب النار».

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

يلتف حوله طلابه وزملاؤه في الجامعة لينهلوا من ندير علمه وليستردوا بآراءه.. يتعامل معهم كأحدهم أساتذة كانوا أم طلاباً.. فلا يتميز عنهم بشيء إلا بخبرته وتجربته وواسع علمه.

في الحوزة وصل درجة الاجتهاد وهي مرحلة متقدمة في العلوم الدينية ولكنه بقي ذلك المتواضع القليل الكلام الكثير العلم.. يعرفه طلاب العلوم الدينية المتفوقون فيرتاحوا إلى مجلسه ويهتموا بفكره ورأيه.

وان كان شيخنا الفضلي كثير العلم فقد كان أيضاً كثير العمل وبالذات العمل الفكري.. لقد ترك خلفه رحمه الله أكثر من سبعين مؤلفاً بالإضافة إلى بعض التحقيقات لمن سبقه من العلماء.. ومن هذه المؤلفات ما تبنته بعض الجامعات وبعض الحوزات العلمية مثل:

- ١ . خلاصة علم الكلام
- ٢ . مختصر النحو
- ٣ . تلخيص العروض
- ٤ . أصول البحث
- ٥ . مذكرة المنطق

وغيرها.

وللفضلي رحمه الله كتابات أثرت الساحة الدينية والأدبية والاجتماعية على حد سواء ومن أمثلة ذلك:

- ١ . الغناء
- ٢ . اللامات
- ٣ . تحقيق التراث

٤. مراكز الدراسات النحوية

٥. الدولة الإسلامية.

وغيرها الكثير.

ومن مؤلفاته اللافتة كتابه الموسوم (مشكلة الفقر) والذي عرض فيه لأهم مشكلة تواجه العالم وهي الفقر ويبيّن أضرار هذه المشكلة وأسبابها وطرق معالجتها - حتى لتحسبه رجل اقتصاد واجتماع لا ينازع.

كما كتب ﷺ في السياسة حيث له كتاب بعنوان (رأي في السياسة) لخص فيه بعض العناوين في هذا المجال كالمعرفة ودورها في تحصيل العقيدة وتوفير حق الحياة والثقافة العلمية الاجتماعية والفكر التشريعي.

كما تحدث في هذا الكتاب عن بعض المغالطات السياسية والتلاعب بالألفاظ وركز على أهمية الأولوية للهوية الإسلامية.

أما بالنسبة للتوجيه عبر المنبر الحسيني فقد كان المرحوم الفضلي من أبرز الخطباء غير التقليديين، وقد أحسن بيت الحكمة الثقافي صنعاً حيث جمع بعض خطبه في الكتاب الموسوم (النهضة الحسينية بين مقتضيات الواقع الاجتماعي والقيام بالواجب الشرعي): حيث نأى بالقضية الحسينية عن بعض الجوانب التي ألصقت فيها كالجانب الفتوي والقبلي وبين كيف أن الحسين ﷺ إنما قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغيير من حالة الانحدار التي فرضتها السياسة الأموية على الناس وكل ذلك من الجانب الشرعي الذي يمليه الوضع القائم آنذاك على المسلمين - يأتي الحسين ﷺ في الطليعة، حيث أنه أحق من غير.

نعم كان التغيير يتطلب تضحية هائلة، لكن الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه الخالص كانوا على استعداد لتقديم تلك التضحية المطلوبة.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ومن هنا جاءت خطابات الفضلي التي ضمها هذا الكتاب لتعطينا قراءة صحيحة للشورة الحسينية وأبعادها ومراميتها وأهدافها ومن ثم تطوراتها ونتائجها، والتي رسخت في الناس قابلية التضحية بالنفس والنفيس من اجل المبادئ - فالأجساد تموت لكن المبادئ تبقى على قيد الحياة ما شاء الله.

وواقعنا اليوم يشهد عبر المجالس والمواكب وكل وسائل الإعلام إن تضحية الحسين لا مثيل لها وإن انتصار الدم على السيف حقيقة لا مواربة فيها.

رحم الله شيخنا الفضلي رحمة واسعة وجزاه خيرًا بما قدم وجعله من رفقاء محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.. وجعل البركة فيمن خلفهم بعده من أبناء وطلاب ومتابعين والحمد لله أولاً وأخيراً.

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي مثلاً للعالم الفاضل

الأستاذ عمار كاظم

في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام حديث عن صفة العلماء، لأن للعلماء دورهم الكبير في التأثير على الأمة، فإذا كانوا في مستوى العلم وفي مستوى الرسالة، فإنهم يستطيعون أن يرتفعوا بالأمة ليعطوها من العلم الحق، ومن الرسالة العدل والخير والانفتاح، لينفتح الإنسان على الله لأن أي علم لا يفتح على الله فهو جهل.

حدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام صفات العلماء واعتبروا أن قضية العلم تكمن في أن ينطق الإنسان مع الناس كلهم ومع الحياة كلها في الحق كله وفي العدل كله، وفي آفاق الله بقدر ما يتسع له المجال في أن يفتح على آفاق الله.

ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اطلبوا العلم في أي مكان تجدونه، ولي هناك مكان يُحظر فيه العلم، فإذا انفتحتم على طلب العلم ففكروا أنه لا بد أن يلتقي مع سعة الصدر، لأنك لن تكون عالماً كما هو العلم في قيمته الإنسانية إذا لم يتسع صدرك للذين يختلفون معك، والذين يرفضون أفكارك لتدخل معهم في حوار العلم مع العلم، ولتثبت لهم بالعلم أنهم مخطئون إذا كانت الحقيقة تختلف عما التزموا به أو

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

تقتنع بما عندهم إذا قدموا لك الحجة والبرهان والدليل».

«وتزينوا بالحلم والوقار»، فالعلم ليس إنساناً يتبختر ويستعرض عضلاته وكلماته، ولكن العالم من يعيش وقار العلم لأن العلم يعطيه السكينة وهذا الهدوء الإنساني الذي يجعله يتحرك مع الناس بإنسانيته دون جعجعة ودون خيلاء.

«وتواضعوا لمن تعلمونه العلم» فلا تتضخم شخصيتكم بما تملكونه من العلم على من هو دونكم، بل تواضعوا له وكونوا له قدوة حسنة ومتواضعة في كل نظرية تعلمونه إياها.

وفي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إن من علامات الفقه الحلم»، لأن الحلم يعلم الإنسان سعة الصدر عندما يواجه الأفكار المختلفة ويجعل الإنسان يعيش معنى الإنسانية في ذاته.

فقدنا الراحل آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي كان مثلاً صادقاً للعالم الرباني والفقيه المجدد والمفكر الرسالي الذي تربي على يديه وعبر مناهجه الدراسية العلمية جيل من العلماء والمثقفين الرساليين وأثرى الساحة بعطائه الفكري الأصيل.

الشيخ الفضلي كان قمة في العلم والفضل، ومثلاً أعلى في الخلق والتواضع وسعة الصدر وحب للناس.

هذه الشخصية التي عرجت إلى ربها راضية مرضية تنقلت بين ربوع الفضيلة ومعاهد العلم، وكان عليه السلام مفخرة من مفاخر الحوزات العلمية والجامعات والمعاهد العلمية والدينية.. كما أشار السيد الشهيد الصدر في رسالته للشيخ الفضلي إلى مكانته ومقامه «من يرفع الرأس عالياً ويشكل رقماً من الأرقام الحية على عظمة هذه الحوزة وأملاً من آمال الحوزة ومفاخرها»، وكان رفيق درب للمرحوم المرجع السيد محمد حسين فضل الله، حيث عبر عن هذه العلاقة في رسالته «هكذا عرفناك يا أبا علي أخاً

القسم الثاني: كتابات الوفاء

عزيرًا ورفيق درب طويل حتى عبرت إلى ضفة الخلود، ترك رحيلك فراغًا كبيرًا وكان له الأثر البالغ في النفوس».

فقدنا الراحل الشيخ الفضلي لم يقتصر دوره ونشاطه على الدراسة والتدريس الحوزوي والأكاديمي، بل ساهم في تجديد المناهج الحوزوية وإصلاحها من خلال تأليف العديد من الكتب وإعدادها ومنها كتب مذكرة المنطق، خلاصة علم الكلام، أصول البحث، أصول الحديث، أصول علم الرجال، مبادئ علم الفقه، وغيرها من الكتب والمؤلفات في الفكر الإسلامي وعلوم اللغة العربية.

رحمك الله يا شيخنا العزيز كل من عرفك شهد بأخلاقك العملية العالية على المستوى السلوكي واحترامك للحرية في ممارسة قناعات الآخرين، وعملك بصدق للوحدة الإسلامية فكنت من الشخصيات الإسلامية البارزة في العمل الوحدوي، فمن أمثالكم نتعلم الحرص في تحصيل العلم والمعرفة ونتعلم كيف تعمل بهدوء وصمت.

فقدناك يا شيخنا الفضلي، نسأل الله تعالى أن يتغمد روحك الطاهرة بالرحمة الواسعة، ويمشرك مع الأنبياء والصديقين والصالحين والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

سمات المشروع الفقهي عند العلامة الفضلي

الشيخ صالح محمد الغانم^(*)

أرأيت من حملوا على الأعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى من وقعته متتابع الأزبادِ
ما كنتُ أعلمُ قبل حطك في الثرى أن الثرى يعلو على الأطوادِ

لم يكن الشيخ الدكتور الفضلي رحمته الله يمثل قمةً تراثيةً لأهل منطقته فحسب، بل كان قمةً شامخةً منيرةً للأمتين الإسلامية والعربية قلَّ نظيره سمناً وعلماً وفكراً وأدباً «سخر نفسه لخدمة الإسلام في مختلف المجالات الفقهية والأصولية والتاريخية والأدبية»^(١).

حيث «قضى العلامة الفقيه عمره الشريف في الجهاد العلمي والسياسي والدفاع عن مقدسات الأمة الإسلامية وقضاياها العادلة.. كان رحمته الله ملاذاً لعلماء الأمة حيث جسد بفكره وحركته وجهاده وجهوده الوجدانية قدوة لتأليف القلوب وتوحيد الصف الإسلامي»^(٢).

(*) منتدى السهلة الأدبي، الطرف ٢٨ / ٥ / ١٤٣٤ هـ

(١) من كلمة تأيينه للشيخ محمد علي التسخيري ٢٧ / ٥ / ١٤٣٤ هـ.

(٢) تأييد قائد الثورة الإسلامية في إيران السيد علي الخامنئي ٢٨ / ٥ / ١٤٣٤ هـ.

وسيكون كتابه الموسوم (مبادئ علم الفقه) مدار الاستنتاج والتعليق في موضوعنا هذا عن سمات المشروع الفقهي عند الفضلي.

وأهم هذه السمات التي تميز بها بحث الشيخ الفضلي رحمته في مشروعه الفقهي هي:

١. العنصر التعليمي: والذي يزود الدارس بالمعلومات الوافية عن المادة المطلوبة.
٢. العنصر التربوي: وهو الذي يعرّف الدارس كيفية التعامل مع المعلومة واستثمارها، ويفتح آفاق ذهنه على مختلف شؤون الحياة ذات العلاقة.

يهدف تكوين الذهنية العلمية التي تساعد الطالب على الانتقال من مرحلة إلى أخرى ولديه من التجارب ونكات التفكير ما تجعله يشق عباب العلم إلى شواطئه بكل يسر وسهولة.

٣. العنصر التباعي: حيث نلاحظ الشيخ الفضلي يتتبع المعلومة من المعاجم والموسعات والكتب التخصصية والشروح والحواشي والمدونات، ليكون لدى المتعلم حصيلة وافية تؤهله لجمع الآراء المختلفة والترجيح بينها.
٤. العنصر الشمولي: فلا يرتضي الشيخ الفضلي في تناوله لعلم من العلوم أن يذكر آخر ما توصل له العلماء في هذا المجال بل يستعرض كل ما له علاقة من بعيد الزمن أو قريبه بالموضوع بهدف توسيع مدارك القارئ أو الدرس لكل ما سيواجهه في ميدان التحصيل العلمي.

مثلاً: تناول في موسوعة (مبادئ علم الفقه) تعريف الفقه وموضوعه وفائدته وحكم تعلمه، ويقول: (رأيت أن أنهج في تبويب موضوعات الفقه - هنا - طريقة التطعيم، فألتزم بالقديم مع تطعيمه بشيء من الحديث، حتى يسهل على الدارس الرجوع إلى كتب التراث الفقهية)^(١).

(١) مبادئ علم الفقه - الفضلي ج ١ ص ٢١.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

وَبَوَّبَ كتابه مبادئ علم الفقه بطريقة جديدة تشحذ الأذهان وتنظيم المطلب:

- أهلية التكليف
- العبادات
- الأحوال الشخصية
- المعاملات المالية
- الأطعمة والأشربة
- الإلزامات الشخصية
- الحكم
- العقوبات.

٥. التتبع التاريخي: هذا العنصر نادراً إن لم نقل لا نجده غالباً في كتب العلماء الفقهية، فتراه في باب الحج مثلاً عندما يتناول المواقيت، تراه يعرفها ويحقق في أسماؤها التاريخية والحديثة ومواقعها وطرقها مدعماً ذلك بالصور والمشجرات، ويربطها بالطرق على الواقع المعاش على الأرض؛ وتجده يتبع ذلك في كل معالم الحج والزيارة، والجزء الثالث من كتابه المبادئ الخاص بالحج نجد شواهد كثيرة لهذا المنهج.

٦. عنصر التبسيط: وهذا من أبرز ما تميز به الفضلي رحمته الله حيث تجد مؤلفاته بشكل عام تنحو منحى التسهيل والتبسيط ليتعامل الطالب مع المادة العلمية بشيء من الاستيعاب من غير تشتت أو تهييب فيتخرج ناضج الفكر يعطي دروسه لمن بعده على منهج واضح ميسر.

٧. التعامل مع كل الآراء والاتجاهات بأسلوب علمي ومهذب: فلا يستهين رأياً ولا يستبعد مذهباً، فهو يتتبع آراء الفقهاء القدماء والمتأخرين وحتى متأخري المتأخرين، وأيضاً كثيراً ما يلحق في كل باب رأيه الفقهي رحمته الله بما هو الراجح عنده؛ ولو هيأ لشخص أن يجمع آرائه من هذه الموسوعة لتكونت عندنا رسالة عملية بأهم آرائه الفقهية.

٨. حسن التصنيف: إذ نجد الشيخ الفضلي يختار في مؤلفاته ما يسد به المكتبة الإسلامية ويكثر من روافدها فقد ألف في مجالات شتى بحسب طاقته وفكره ما سد به رفوف المكتبة الإسلامية بما هو مفيد ونافع.
٩. العنصر التنظيمي المستمر: فالشيخ الفضلي لا تختلف محاضراته عن كتبه في التنظيم وإعطاء المعلومة بثوق وأريحية ليعكس حرصه على القارئ أو المتلقي في الاستفادة مما يطرح ويكتب.
١٠. تضمين الملاحق: فغالبًا ما نجد العلامة الفضلي في أكثر كتبه يضع ملاحقًا استقاها من موسوعات أخرى يقصد بها عموم الفائدة وكما لها، فقيمة كل امرئ ما يحسنه.

وكما قيل قديماً: (إن للرجل نصيباً من اسمه).

وهكذا الشيخ عبد الهادي الفضلي، حيث اهتدى بنور علمه ومنبره الكثير من المسلمين بشتى أطرافهم وطبقاتهم، كما هو الفضلي إذ بفضلها سما في معالي العلم والأخلاق.

ويا لحسن ما قال فيه الشاعر الأستاذ أبو تمام حسن الربيعي:

سبعون عاماً ما خبا القنديلُ في كل عصف يستجدُّ فتيلُ
من أين أسرجت العزيمة مُرَّةً وزمان (قومك) خاملاً مشلولُ

رحمك الله أيها الشيخ الجليل رحمة مكللة بالرضا والإكرام، فقد رحلت عنا مجللاً بنور العلم والصبر وتلك عقبى الصابرين المحسنين.

فإننا لله وإنا إليه راجعون.

من ذكريات الفضلي (استراتيجية نشر فتوى الإمام الحكيم)

الأستاذ محمد بن الشيخ يوسف الجعفر (*)

في عصر مرجعية زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم عليه السلام اجتاح المد الشيوعي أنحاء العراق من أوله الى آخره حتى أصيب الناس باليأس وأن الشيوعية ستستولي على العراق وينتهي الدين ومعاله...، فلجأ الناس إلى السيد الحكيم ليقول كلمته.

فلما أصدر السيد الحكيم فتواه (الشيوعية كفر والحاد)... كان ذلك الوقت الدكتور الشيخ الفضلي عضواً في هيئة تحرير مجلة الأضواء لجماعة العلماء (مؤلفه من السيد محمد حسين فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ كاظم الحلفي، والفضلي).

يقول الدكتور الفضلي: سألني السيد مهدي نجل السيد الحكيم: متى تذهبون إلى بغداد لأعمال المجلة، فقلت ربما غداً أو بعد غد أنا والشيخ كاظم الحلفي فطلب أن أقابله أنا والشيخ كاظم، فلما التقينا أخرج السيد مهدي الفتوى بخط السيد

(*) المصدر: محاضرة في تأيين الشيخ الأراكي.

الحكيم وختمه وقال: أريد أن تذهبا إلى بغداد وتنشراها عن طريق الصحف، قلت: هذا الموت الأحمر راح يقطعوننا ويسحلوننا وينكلون بنا لو علموا بهذا قال: لا أحد يعلم بها إلا السيد وأنتما، وسيبقى الأمر سرّاً حتى تنشر في الصحف.

فخرجنا وركبنا سيارة إلى الكوفة وفيها تجولنا بعد أن أخفينا الفتوى في مكان نقدر أن لا يصلوا إليها أحد باستراتيجية درست مع السيد مهدي، وبعدها ركبنا إلى الحلة ونزلنا بالحلة فتجولنا لكيلا يفهم أننا نريد بغداد فنراقب، وبعدها ركبنا إلى بغداد وكانت الاستراتيجية أن تنشر الفتوى في جريدة الحرية للقوميين وجريدة الجهاد للحزب الإسلامي لإخواننا أهل السنة.

وهناك ذهبنا إلى شخص شيعي معمم من الحزب الإسلامي نظمنا إليه فقلنا له الموضوع فقال: ما يرتبط بجريدة الجهاد أنا أتولاه وما يرتبط بالحرية أنتم أتولاه.

وبعدها ذهبنا واتصلنا بشخص من جريدة الحرية لأننا لا نستطيع دخول مكاتب الجريدة لأننا كنا مراقبين بشدة فلما جاءنا قلنا له أهم شي تأخذ الفتوى بالزنكوغراف أربع نسخ وتسترجع لنا الأصلية، وقام بسرية تامه وعمل ما عمل فأخذ نسخة للجهاد ونسخة له لجريدته بالحلة، ونسخة للحرية، وكنا اشترطنا ألا تطبع الفتوى إلا في آخر لحظة طباعة الجريدة كي لا يهجم الشيوعيون وتحذف الفتوى وأن لا يشاع عنها أي شيء.

وبعدها رجعنا إلى النجف الأشرف ووصلنا قريب الفجر وأخبرنا السيد مهدي بالموضوع وعلى أن يبقى التكتم إلى أن تنزل الفتوى بالصحف، وعندما تأخر وصول الصحف للنجف، تم الاتصال ببغداد فقبل أن السيد الحكيم أصدر فتوى بكفر الشيوعية وإحاديها وحرمة الانتماء للحزب الشيوعي فتهافت الناس على الصحف ووقعت أحداث وأحداث، فممكّن أن تصلكم سيارة الصحف وقد لا تصلكم.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ولما وصلت السيارة للنجف تهافت الناس على السيارة وهكذا انتشرت الفتوى وعززت بفتوى من المراجع الآخرين، ولو لم يكن هذا التحرك من السيد الحكيم ما كان ليقضى على الشيوعية.

وبهذه المناسبة أنشد الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله:

حتى تداركنا كالرعد منطلقا صوت الفتاوى على أفواه من زأروا
دوى بها نفر من خير قادتنا عند الخطوب فمرحى أيها النفر
فانجاب ليل وولت ظلمة ومشى ضوء ورفرف فتح أبلج نضر

وترجل الفارس

الأستاذ عبد الله عبد الرحمن - الإمارات

لماذا تخيرت ركنًا قصيا وخلفت كل المرارات فيا

وهكذا ترجل الفضلي عن جواده.

ترجل الأمة الإسلامية بأمس الحاجة اليه.

ترجل الفارس الذي كان يجوب سوح الظلام بفانوس العلم والمعرفة والوعي فيبدد ظلمة الجهل والتخلف بنور العلم والمعرفة وسكنت روحٌ مجبولة من الخلق الرفيع، والسجايا التي تبسط فروعها على رؤوس محبيه فتنشئ قلوبهم أملاً ب حياةٍ قد شوهتها المصالح والمآرب.

ترجل الفضلي، بل ترجل التواضع والأريحية الفذة، ترجل مخلفًا وراءه حسرات وحسرات تتبعه في رحلته الأخيرة إلى رحاب الرضوان.

يقينًا يا أبا عماد إن ترجلك فريد من نوعه فقد ترك في قلوب محبيك شهقة ما أظنها ستهدأ، وجرحًا ما إخاله سيندمل.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

إيه أبا عماد... ترى من سيودعك في هذا الرحيل، وكل شيء حولنا يلهمج بعطاياك الفكرية والمعرفية.

ولا ريب أن الكثيرين يرحلون، ويتقلون من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، لكن القليل من يترك انتقاله صوتاً مدوياً في النفوس، وناقوساً يتردد صداه كل حين، إنهم أنت وأمثالك يا أبا عماد، أنت وأمثالك من حباهم الله وألبسهم رداء الأنبياء وكلهم بإكليل العلماء، وكانوا الرقم الصعب في معادلة العلم والعمل، أنت يا أبا عماد من كنا ندرأ بنور علمه ظلمة الجهل ونقوم به اعوجاج تفكيرنا الهائج، ونستنير به كلما هبت عواصف التخلف الهوج.

ترجل الفضلي عن جواده، ترجل بهاء الموضوعية، والصدق في تبني مشروع الفكر، ترجل من لم تغره بهرجة الظهور، ترجل من آثر الكوة التي تأخذ الأبواب بضياؤها على دوائر الضوء الزائفة.

نعم يا أبا عماد، بكيك اليوم بكاء الثكلى فقد كان صدائك يهز الأعماق في روحي، وكان علمك يشحذ الأمل في قلبي بأن للعلم رجالاً نذروا أنفسهم له بلا مقابل دنيوي فقد كان تنوع ثروتك الفكرية يدغدغ روحي وعقلي بالحياة.

وأكثر ما استفدته منك يا أبا عماد هو المنهج العلمي الموضوعي الذي كنت أراه في كلماتك وكتاباتك... فكنت عندما أقتني الكتب أقرأ فهارسها لكي أقبل على شرائها ولكن عندما أقرأ اسم الشيخ الفضلي أقتنيها من دون مراجعة عنوان أو فهرس؛ لعلمي ويطيني بموضوعيتك والقيمة المضافة في جهدك العلمي.... يا أبا عماد.

لقد كنا نبحت ونرصد ونفتش عن جواهرك ونتاجاتك العلمية، وكنا نبحت في تاريخك العلمي منذ اليوم الأول الذي عرفنا فيه الفضلي عالماً ومفكراً يحمل هم الرسالة والإسلام إلى هذا اليوم الذي اختطفك منا الموت لتلحق بالرفيق الأعلى

القسم الثاني: كتابات الوفاء

حيث الجزاء الأوفى والنعيم الأبدي يا حبيبي يا أبا عماد.

ترجل الفضلي واستراحت روحٌ متقدة بالعلم والعمل وتوقفت همّةً اتخذت الليل والنهار فضاءً لنبس التراث وإخراج جواهره الثمينة لمن يعرف قيمتها ولكن الزمن بليله ونهاره توقف عند هذا العطاء المخلص الغزير ليكتب لك الله الراحة الأبدية، وما عند الله خيرٌ وأبقى حيث الأنس بلقاء الحبيب فهو الغاية التي كنت ترنو إليها من وراء كل هذا العطاء.

إن بعض الذين أعطاهم العلم بعضه صيروه أداة وجاهًا ومكاسب دنيوية، والله تبارك وتعالى أعلم بالنيات وبالمقابل كنت - على النقيض من هؤلاء - أنت المتواضع في علمك، الدمث في أخلاقك، فلم تتخذ الوجاهة العلمية لك منهجًا بل كنا نراك ونسمع عنك الكثير من تواضع العلم الذي لا نراه متجسدًا إلا في حياة العطاء من أهل بيت الطهر والإباء.

وقد صدق من قال:

ترصدك الموتُ كم يشتهيك لأنك كنت الوجودَ الشهيًا

فسلام على روحك الوثابة وقلبك الطاهر وخلقك الرفيع.

وعهدًا منا إنا على العهد سنبقى نستهدي بعطائك درب الهداية والنور، وعوضنا الله بأمثالك وهنيئًا لك الانتقال إلى ضفاف الخلود.. يا حبيبي يا أبا عماد.

صبخة العرب ترثي الشيخ الجليل عبد الهادي الفضلي

الشيخ صبري الفرحان

صبخة العرب، البصرة - العراق - مقيم حالياً في كندا

طفل ذكي ما أروع خطابه، هكذا وصفته أمهاتنا في طفولته المبكرة عندما كان يستنهض هممهن ليوفر الماء للمصلين في المسجد، مسجد (جبر دهش) في منطقة صبخة العرب^(١) الذي يصلي فيه والده ميرزا محسن رحمته الله الذي قدم من السعودية إلى العراق ليدرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وفي مرحلة البحث الخارج أشار عليه السيد المرجع محسن الحكيم رحمته الله مرجع المسلمين في ستينيات القرن العشرين أن يقيم في البصرة ليصلي في المساجد التي يكثر فيها الأحسائيون ويكون وكيلاً عنه... فكان يقسم الأسبوع بين مسجد في قضاء الزبير ومسجد آخر في قضاء شط العرب ومسجد يقيم في بيت قريب منه وهو مسجد صبخة العرب القريبة من مركز البصرة القديمة، في هذا البيت قضى طفولته شيخنا الجليل أبو عماد رحمته الله.

وبعدها انتقل والده الشيخ في بيت في منطقة البصرة القديمة حي (محلة)

(١) حي (محلة) تقع بالقرب من منطقة البصرة القديمة ضمن قضاء الرباط الكبير الذي هو قضاء مركز محافظة البصرة جنوب العراق.

الخليلية، هناك بات شابًا يافعًا يدرس على يد والده وبعض المشايخ.

وانتقل إلى النجف الأشرف ليكمل دراسته الحوزوية، ويأتي في بعض الأعياد ليصلي بالمصلين في مسجد صبيحة العرب في صلاة العيد.

كان عقلية فذة، قرأت له كتاب التربية الدينية الذي أدخلته مدارس الإمام الصادق الخاصة ضمن منهجها^(١)، كتاب بسيط في طرحة يخاطب الأطفال والشباب اليافعين، عميقًا في محتواه وهدفه، وعرفت أن سباحة الشيخ ألفه في الوقت الذي كان يقضيه في السيارات أثناء تنقله من مكان إلى آخر خلال يومه، رغم أنه كان يكتب في مجلة الأضواء^(٢) إلا أنه يتحرك بهدوء دون ضجيج ويفكر بعمق، ما دلني على ذلك إلا سفره إلى المملكة العربية السعودية ليستقر مدرسًا للغة العربية في إحدى جامعاتها، وكان ذلك على أثر الهجمة الشرسة للبعث على الحركة الإسلامية في العراق التي كان يمثلها حزب الدعوة الإسلامية، فأعدم الشيخ الشهيد عارف البصري عليه السلام والشيخ الشهيد حسين معن عليه السلام وآخرين، وفرّ من فرّ ومنهم الباحثة العالم الشيخ مهدي الأصفي - حفظه الله - الذي كان يقيم رجال الأمن حفلات التعذيب للشباب في زرنانات البعث الكافر بسبه^(٣)، ولا أجنب الحقيقة أن أقول

(١) مدارس الإمام الصادق كانت مدارس أهلية ولكن ضمن مديرية التربية تدار بتمويل ذاتي والإدارة والمدرسين أناس مؤمنون يدخلون ضمن المنهج الرسمي بعض دروس التربية الدينية، فكان كتاب المدرسة الدينية لسباحة الشيخ عبد الهادي يدرس في مرحلة الثالث ابتدائي، كانت إحدى هذه المدارس تحت اسم مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الابتدائية في منطقة البصرة القديمة محلة (نظران) تأسست على ما في البال ١٩٧٠م بعدها عندما استتبت السلطة للبعث ألغى جميع المدارس الخاصة، وبقي اسم المدرسة معلق على مدرسة ثانوية مسائية حكومية لحد الآن.

(٢) مجلة الأضواء: هي نشرة الحركة الإسلامية في العراق في منتصف القرن العشرين، كان يكتب فيها الافتتاحية فيها السيد الشهيد المرجع محمد باقر الصدر عليه السلام وعموداً يكتب فيه السيد المرجع محمد حسين فضل الله عليه السلام، ومن كتابها سباحة الشيخ عبد الهادي عليه السلام.

(٣) (كواد مهدي الأصفي)، هذه أهزوجة جلاوزة نظام البعث عند تعذيب أحد الشباب في

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

شيخنا الجليل بهذا الحجم.

هناك، جمع بين التحصيل الحوزي والتحصيل الأكاديمي فكان أستاذاً جامعياً يشار إليه، وعالمًا معتدلاً يطرح الإسلام الأصيل، ترك تركةً علمية لا يستهان بها فهي منهالاً لطلاب العلم والحقيقة، جعلها الله صدقة جارية له.

يجله ويكبره أكثر المراجع، زاره السيد الخائني - حفظه الله - في مرضه، وكان يزوره السيد محمد حسين فضل الله عليه السلام فيكبره ويشير عليه أن يحاضر في حوزة المرتضى في سوريا التي كان يشرف عليها السيد محمد حسين فضل الله عليه السلام.

قبلها كان من تلاميذ السيد الشهيد محمد باقر الصدر عليه السلام، ويكن له السيد محسن الحكيم عليه السلام والسيد الخوئي عليه السلام وحتى السيد السيستاني - حفظه الله - أجل الاحترام.

كان متواضعاً لم ينكر واقعه، ذكر منطقة طفولته صبيحة العرب بكل تفاصيلها في كتاباته بقرها بطيبة أهلها وكل شيء عنها، مع تنكر الكثير لها.

فارق الدنيا والكل ينعه ولكن بصمت كحركته .. شيخنا الجليل الصبيحة تنعك لعلا ترد شيئاً من عرفانك لها، فإلى جنان الخلد يا عماء.

سبعينات القرن العشرين، أذكرها بالنص وأرجو أن لا أسف بقلمي، إنها أذكرها لأبين بعض من همجية البعثين وشر استهم.

العلامة الفضلي مؤرخاً للعلوم الإسلامية

أضواء عامة على تجربة «أصول علم الرجال»

الشيخ أحمد عبد الجبار السمين

□ تمهيد

عُرف شيخنا العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي - كأحد رواد التجديد في المقررات الدراسيّة في الحوزات العلميّة، الذين منهم أساتذته: الشيخ محمّد رضا المظفر (١٣٨٣هـ) والسيد محمّد باقر الصدر (١٤٠٠هـ) والسيد محمّد تقي الحكيم (١٤٢٣هـ)، الذين انعطفوا بالمقررات الدراسيّة الحوزوية إلى اتجاه أكثر معاصرة ومواكبة لما هو جديد على المستويات العلميّة والتربويّة؛ لتكون الحوزات وطلابها بمستوى المواجهة الثقافيّة/ الحضارية التي يخوضها المسلمون اليوم ضد الاتجاهات الفكرية الأخرى.

وريادته هذه حصرت في ذهن الآخر في هذه الزاوية أعني زاوية تحديث مقررات الدراسيّة، وغيّبت ظواهر علمية مضيئة أثارها الشيخ الفضلي - في ثنايا كتاباته الدراسيّة وغير الدراسيّة، لا تقلّ في الأهميّة عن مشروعه الأساس، ومن هذه الظواهر؛ التوسع في المقدمات العلميّة (المبادئ التصورية) للعلوم، توظيفه للفروع العلميّة المعرفيّة المتنوّعة في العلوم الشريعة، إعادة هيكلة العلوم بما يتناسب مع

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

الترتيب المنطقي والتربوي، إعادة صياغة اللغة العلمية الحوزوية من جديد، وغيرها من الظواهر التي تستحق الرصد فالتقييم والتقويم.

هنا - في هذه الأوراق الماثلة - أتناول إحدى هذه الظواهر المثارة وهي: التأريخ للعلوم الإسلامية، التي درسها في غير واحد من كتبه الدارسية وغير الدارسية كما سألين إن شاء الله تعالى، ولا أريد أن أطيل حديثي، لذا فسأقتصر على الإضاءة العامة على تجربته في التأريخ لعلم الرجال من خلال كتابه (أصول علم الرجال).

□ تاريخ العلوم، إطلالة عامة

١- من الواضح أن العلوم كالكائنات الحية، لها تكون ونشأة ونمو ونضج وقوة... إلى أن تبدأ بالكبر والشيخوخة، إلى أن يصل حال بعضها إلى الموت والاندثار، لتحل علوم أخرى محلها.

فالعلوم لا تتكون دفعة واحدة، إنما هي مجموعة من الأفكار التي يثيرها ويثيرها العلماء في علوم شتى لتتشكل منها فيما بعد مسائل مختلفة تدور كلها حول محور واحد، هو ما يُعبّر عنه بـ«موضوع العلم» الذي يكون هو المعيار في ضم أي مسألة تحت مظلة هذا العلم أو ذاك، لتتطور العملية أكثر فيكون لعلاج هذه المسائل والبحث فيها منهج خاص يميّزها عن غيرها من العلوم، فتصنّف المصنّفات الباحثة فيه، وتتكون المدارس والاتجاهات في هذا العلم وهكذا^(١).

٢- إن الجهود العلمية التي يبذلها العلماء والباحثون في أي علم من العلوم تكون قائمة على التعاطي «المنحاز» مع العلم والمعطيات العلمية فيه؛ بمعنى أن الباحث حال قيامه بالعملية البحثية يكون نظره مركّزاً على الحقيقة ومحاوله الكشف

(١) كأنموذج على هذا لاحظ: السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى): ١٤٩، تحقيق وتعليق: مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية / ١٤١٩ هـ، قم.

عنها في داخل العلم نفسه، فيدخل البحث بذهنية التصويب والتخطئة، ومعياره لقياس الآراء والنظريات هو مدى مطابقتها للواقع أو قربها منه، ولا تعنيه إلى حد ما الفترات الزمنية بين هذه الآراء وسيرها التاريخي.

فالأصوبيّ مثلاً، عند بحثه في العلاقة بين اللفظ والمعنى (حقيقة الوضع) ما يهّمه في هذا البحث هو الخروج بنظريته الخاصة به أو ترجيح إحدى النظريات المطروحة بعد نقده للنظريات الأخرى، فالمعياره عنده مدى حكاية إحدى هذه النظريات أو نظريته للواقع، وإثبات أنّ ما سواها لا تطابق الواقع أو تطابقه بنسبة معيّنة، فهو بهذا منحاز للحقيقة التي ينشدها من خلال بحثه.

٣- في مقابل التعاطي «المنحاز» مع العلم الذي بيّنته في أعلاه، هناك تعاطٍ أخرى وهو ما قد يُعبّر عنه بالتعاطي «الحيادي»^(٢)، وهو الدّراسات التي يقف فيها الباحث أمام العلم ومعطياته موقفاً بعيداً عن أيّ انتصارٍ لنظرية أو رأي، فالمسافة بين الباحث وبين كل الأطراف من آراء ونظريات مسافة واحدة؛ لأنّ غرضه هنا ليس معرفة مدى مطابقة معطيات هذا العلم للواقع، بل قراءة العلم قراءةً تاريخيةً بعيدة عن ذهنية التخطئة والتصويب، وهو ما يراد بتاريخ العلوم، «تاريخ العلوم سعيٌّ فكريٌّ لدراسة المعرفة الإنسانية دراسةً تاريخيةً تستبعد في أكثر الأحيان عناصر الصواب والخطأ والحكم والتحكيم، وإن كانت نتائجه نافعة في الدرجة الثانية لتأكيد مقولات أخرى»^(٣)، وبتعبير آخر يمكن أن نقول إنّ تاريخ العلم هو رصد لحركة العلم الكلية والجزئية رسداً تاريخياً؛ فالباحث يلاحظ فيه حركة العلم منذ نشأته إلى تطوّره ونضوجه وبروز الاتجاهات المختلفة فيه وتكوّن المدارس المتنوّعة داخله وعلاقتها ببعض وأنواع مصنّفاته وأبرز أعلامه و...، وهذا ما يمكن أن يُطلق عليه

(٢) الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني، وقفات وملاحظات: ٩٣، دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى/١٤٢٧هـ.

(٣) المصدر نفسه: ٩٢.

الحركة الكلية للعلم، في مقابل الحركة الجزئية فيه؛ وهي الرصد التاريخي لظواهر ومفردات داخل العلم، كالتأريخ للمدارس العلمية أو مدرسة منها، المراكز العلمية أو مركز منها، اتجاه معين في العلم، مسألة من مسائله يؤرخ فيه الباحث لأول انبعاث لها وحركتها ضمن المدارس والاتجاهات العلمية وما صنّف فيها، وهكذا بقيّة مفردات العلم.

٤- على ما ذكر أعلاه يتّضح أنّ دراسة التاريخ العلمي تتطلّب مواصفات إضافية على مواصفات الباحث في غيره.

ولو أردنا أن نخصّص الحديث بالباحث في تاريخ العلوم الإسلامي، فلعنّ أهم هذه المواصفات هي:

- الإطلاع المفصّل على التّراث الإسلامي: فكلمًا اتسعت دائرة إلمام الباحث بالتّراث وجزئياته، كلما كان تأريخه للعلم أدق، والعكس بالعكس؛ لأنّ طبيعة البحث التاريخي تعتمد على وفرة المعطيات التي سيربط بينها الباحث لإيضاح خط سير العلم.

وفي داخل هذا الإطار أيضًا، فإنّ تعدد نوعيّة التراث الملمّ به سيؤثّر كذلك في دقّة الصورة التاريخية التي سيحصل عليها الباحث، فالمطلع على التراثين السّني والشيعي ستختلف نتائجه التاريخية عن المقتصر على تراث إحدى الطائفتين، وهكذا.

- المطالعة الفوقانية للتّراث: هناك من يمتلك اطلاعًا مفصّلًا في التّراث الإسلامي إلا أنّه لا يمتلك القدرة على ملاحظة هذا التراث بنظرة فوقانية يحدد من خلالها المسارات المختلفة التي يسير عليها العلم، وهذا ما يفترق به الباحث الحيادي عن المنحاز، فإنّ ما يهّم الثاني هو رصد المعلومات التي

تسلمه إلى النتيجة، من دون أن يهتمّ بنشأة هذه المعلومات وطبيعة حركتها وتطورها، خلافاً للباحث التاريخي.

٥- وبعد هذا العرض الإجمالي للتاريخ العلمي، يمكن الآن أن نتبين بعض الفوائد الأساسية للبحث التاريخي، وأذكر هنا فوائد ثلاث:

الأولى: الكشف عن علاقات العلوم لفهم أوعى لها

من أهم الموضوعات التي تشغل ذهن المؤرّخ هو بداية تكوّن العلم، فكيف نشأ هذا العلم أو ذاك؟ ليكتشف المؤرّخ بعد عمليّة الرصد التاريخي أنّ العلم الذي هو في صدد التأريخ له يلتقي في أساسه مع علم آخر، انفصلا عن بعضهما البعض لأسباب معيّنّة يكشف عنها البحث التاريخي، وهذا ما سيؤثر في فهم طبيعة بعض الظواهر في العلم الجديد؛ فمثلاً «لو رجعنا لعلم الرجال عند الإماميّة في الحدّ الأدنى، سنجدّه - في بعض حقبة الزّمنية على الأقل - مستقرّاً في رحم علم التّراجم، ولم يُفصل بينها بشكل واضح ونهائي وصریح إلا مع الحرّ العاملي (١١٠٤هـ)، وذلك في كتابه (أمل الأمل في علماء جبل عامل)، فقد خصّص العاملي هذا الكتاب للحديث عن علماء عامل لأسباب ذكرها، وقبل ذلك كانت كتب الرجال مختلطة - في الجملة - بكتب التّراجم»^(٤). ولن نستطيع فهم سبب ذكر علماء الرجال - مثلاً - لمصنّفات الرّاوي إلا إذا أدركنا - عبر البحث التاريخي - أنّ أحد أهمّ جذور علم الرجال هو علم المصنّفات، فالمصادر الرجاليّة الأولى كفرستي النجاشي والطّوسي هما في الأساس كتابان لرصد مصنّفات وكتب الشيعة^(٥).

(٤) أحمد عبد الجبار السمين، دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية.. تقاريرات محاضرات ساحة الشيخ حيدر حب الله: ٤٣، دار الفقه الإسلامي المعاصر، الطبعة الأولى/ ١٤٣٣هـ

(٥) المصدر نفسه: ٤٥.

الثانية: إعطاء الصورة الشاملة للمشهد العلمي، وإبراز ما هُمّش من نتاج

إنّ الأجواء العلمية والتّعليمية تُبرز مجموعة من الشّخصيات أو المدارس التي يُحتزل من خلالها المشهد العلمي في علم ما، وهذا الاختزال غير صحيح لأنّه يؤثّر على آخريين أسهموا في تطوير الحركة العلمية؛ فينتج من ذلك صورة غير واقعيّة عن المشهد العلمي وتفاعلاته، ففي علم الكلام - مثلاً - «تبرز أسماء المفيد والصدوق والحليّ والمظفرّ وكاشف الغطاء والمطهري والإيجي واللاهيجي والقاضي المعتزلي وابن روزبهان... فيما تحتفي أسماء العشرات الآخريين من ذوي النّشاط والفاعلية في تنمية علم الكلام ومداولته على الأقلّ كالحليين؛ أبي الصّلاح [في] [الكافي في الفقه]، وابن زهرة [في] [غنية النزوع] والحرّ العاملي [في] [إثبات الهداة] والفيض الكاشاني [في] [علم اليقين] والسيد شبر [في] [حق اليقين] وغيرهم»^(٦).

الثالثة: إرجاع المسائل والنّظريات العلمية إلى أصولها الأصليّة

لبعض النّظريات والمسائل في علم ما أصول وجذور في علم آخر، لا نستطيع الوصول إليها إلا من خلال البحث التاريخي، ولمعرفة هذه الجذور دور هامّ في فهم النّظريات وكشف المُرادات الغامضة لبعض من تناولها، فربّ مسألة أصولية بالتّبع التاريخي تظهر لنا أصولها الكلاميّة أو الفلسفيّة أو... وقد قام الشهيد مرتضى مطهري (١٣٩٩هـ) بهذا النوع من الاكتشافات بشكل واسع في علم الفلسفة، فأرجع بعض النّظريات التي اشتهرت بها بعض الشّخصيات إلى شخصيات أخرى سابقة، كما أرجع أصول بعض المسائل الفلسفية إلى علوم أخرى كالكلام والعرفان، يقول في بحث تاريخ مسألة «وحدة الوجود وكثرته»: «لم تُطرح هذه المسألة في كتب الفلاسفة القدماء بالصورة التي هي عليها الآن، من حيث عنوانها والشّكل الذي

(٦) الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الديني، وفقات وملاحظات: ١١١، مصدر سابق.

نراها عليه في الكتب الحديثة، فالفلاسفة السابقون لملا صدرا لم يذكروها كما هي عليه بعده ... ومن المحتمل أن يكون العامل الذي أدخل بحث «أصالة الوجود» في الفلسفة، هو نفسه الذي أدخل بحث «الوحدة والكثرة» في أبحاث الفلسفة، وربما كان العرفان الإسلامي أحد أهم العوامل المؤثرة في ذلك، ولعلّ أول من أدخل هذه المسألة إلى العرفان الإسلامي وذكرها بهذا العنوان الصريح هو محيي الدين بن عربي في القرن السابع الهجري^(٧).

وغيرها من الفوائد^(٨).

□ نزعة القراءة التاريخية للعلوم الإسلامية

القارئ لتراث العلامة الفضلي- سيلاحظ ويوضح عمق اهتمامه بمسألة التاريخ العلمي، وهذا الاهتمام يكشف عن إيمان بأهمية أمثال هذه البحوث والدراسات؛ وأرى أنّ أهم ما يميّز تجاربه في هذا الميدان هو الشمولية، والتنوع.

أما الشمولية، فقد طالت تجاربه في التاريخ أكثر من علم، فباستقراء سريع في مؤلفاته سيبدو الأمر جلياً، فأرّخ للفقه في (تاريخ التشريع الإسلامي) وفي الجزء الأول من (دروس في فقه الإمامية)، كما أرّخ لعلم الأصول في مقدمة كتابه (دروس في أصول فقه الإمامية)، وتناول تاريخ علمي الدراية والرجال من خلال (أصول علم الحديث) و (أصول علم الرجال)، وأرّخ أيضاً للفلسفة بشكل عام ولللسفة الإسلامية بشكل خاص في كتابه (خلاصة الحكمة الإلهية)، ولعلم الكلام في كتابه (خلاصة علم الكلام)، وللمنطق في (خلاصة المنطق)، كما تناول تاريخ الفكر

(٧) الشيخ مرتضى مطهري، دروس في الفلسفة الإسلامية، ١: ١٦٣، ترجمة: الدكتور عبد الجبار الرفاعي، الطبعة الثانية/ ١٤٢٩هـ، مركز دراسات فلسفة الدين.

(٨) لتفصيل أكثر حول بعض فوائد تاريخ العلوم، يمكن مراجعة: الشيخ حيدر حب الله، مسألة المنهج في الفكر الإسلامي، وفتات وملاحظات: ١٠٤-١٢٤، مصدر سابق.

الإنساني في كتاب (أصول البحث)، وأيضاً أرخ للعلوم القرآنية؛ للتجويد في (الموجز في علم التجويد) وللقراءات القرآنية في (القراءات القرآنية.. تاريخ وتعريف)، هذه نماذج من أعماله في العلوم الإسلامية، أمّا في غيرها فأذكر نموذجين الأوّل (مراكز الدّراسات النحوية) كتأريخ لعلم النحو، والثاني لنشأة التحقيق في أوروبا والبلاد العربية في (تحقيق التراث).

أمّا التنوّع، فيظهر من الجزئيات التي تناولها بالبحث التاريخي، منتقلاً بين تاريخ المدارس والمسائل والتصانيف والمصطلحات وموضوعات الأحكام وغيرها.

وكنماذج على بعض هذا أذكر: تاريخ التقليد^(٩)، تاريخ المصنّفات في بحث (الاستصحاب)^(١٠)، تاريخ التّصنيف في (العام والخاص)^(١١)، تاريخ (أسباب التّمكك عند الإنسان)^(١٢)، تاريخ (البنوك)^(١٣)، تاريخ (الصلاة)^(١٤)، تاريخ (الغناء)^(١٥)، تاريخ مصطلحيّ (البراءة والاحتياط)^(١٦) وغيرها الكثير في ثنايا كتبه ومقالاته.

(٩) التقليد والاجتهاد.. دراسة فقهية لظاهره التقليد والاجتهاد الشرعيين ٤٣-٤٧، مراجعة وتصحيح لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية/ ١٤٢٧هـ.

(١٠) دروس في أصول الإمامية ٢: ٤٧٣-٤٧٤، مراجعة وتصحيح لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية/ ١٤٢٧هـ.

(١١) المصدر نفسه ٢: ٣٠٣-٣٠٤.

(١٢) دروس في فقه الإمامية ٤: ١٣-١٧، قيد الطبع.

(١٣) المصدر نفسه ٥: ١٧.

(١٤) مبادئ علم الفقه ١: ٧٥، مراجعة وتصحيح لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية/ ١٤٣٢هـ.

(١٥) مجلة المنهاج، العدد ٩، السنة الثالثة، ربيع ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ٣٩-٤٦.

(١٦) دروس في أصول فقه الإمامية ٢: ٥٠١-٥٠٢، مصدر سابق.

هذه الوفرة تكشف لنا مدى حضور تاريخ العلوم في عقلية شيخنا الفضلي-، ولعلّ السبب في ذلك هو تأثيره بأصول البحث الأكاديمي؛ لأنّ أمثال هذه البحوث لم تكن مصبّ اهتمام الحوزات العلميّة كما كانت مصبّ اهتمام الجامعيين، يقول- في «التطوّر الفكري الأصولي» مشيرًا إلى هذا الأمر: «لم أر - في حدود مراجعاتي وقراءاتي - من كتّب في هذا الموضوع نظير ما رأيته وقرأته في كتابات الأساتذة الجامعيين، باستثناء ما جادت به يراعة أستاذنا المجدد الشهيد الصدر في مقدّمة الحلقة الأولى...»^(١٧).

□ العلامة الفضلي ومنطلق التاريخ لعلم الرجال

تعدّ تجربة العلامة الفضلي- في التاريخ لعلم الرجال في مقدّمة كتاب (أصول علم الرجال) من التجارب الأولى والقليلة عند الإمامية، والتي منها:

- الأصول الأربعة في علم الرجال للإمام الخامنئي.
- تاريخ علم الرجل في القرون الخمسة الأولى للشيخ حسين الرّاضي.
- علم الرجال الشيعي.. مدخل إلى مراحل تكوينه وانطلاقته للدكتور مجيد معارف.
- دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية، تقارير لمحاضرات الشيخ حيدر حب الله، ولعلّ هناك غيرها.

إلا أنّ ما ميّز تجربة الفضلي- في مقدّمة كتابه أنّها انطلقت في البحث التاريخي من منطلق آخر غير ما هو سائد عند غيره، فقد حاول تفكيك البناء الكليّ لعلم الرجال، فلم يتعامل معه على المستوى التاريخي ككتلة واحدة يؤرّخ لها، إنّما كشف عن مكوّنات هذا البناء عبر أمور:

(١٧) دروس في أصول فقه الإمامية ١: ٨٩، مصدر سابق.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

الأمر الأوّل: تعريف العلم، وإعطاء الضابط لإطلاق العلم على مجموعة المعارف والمسائل المنظّمة، فهل كل معرفة منظّمة هي علم أم لا؟ لأنّه بهذا التحديد سيكون هناك معيار تُقاس من خلاله أيّ معرفة تمرّ علينا لتحديد انتهائها إلى دائرة العلوم.

فالعلم عند الدكتور الفضلي - هو: «مجموعة الأصول العامة أو القواعد الكلية لهذا النوع من المعرفة الذي نحن بصدد دراسته»^(١٨).

فالمناز الأساس للعلم عن غيره من المعارف المجتمعة؛ هو كون المعارف العلميّة ذات طابع عامّ أو كليّ يمكن انطباقها على جزئيات، والملاحظ أنّ المسائل والمعارف الرّجالية منها ما يكون ذا طابع كليّ له جزئياته التي ينطبق عليها، ومنها ما ليس كذلك، فموضوع «توثيق الرجالي لأسانيده» قاعدة كليّة لها جزئيات منها: توثيق علي بن إبراهيم لرجال أسانيد تفسيره.

أمّا ما ذكره الشيخ النّجاشي - مثلاً - من أنّ عبد العزيز العبدويّ الكوفي: روى عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو ضعيف^(١٩)، فإنّها مسألة جزئية.

الأمر الثاني: باستقراء المدوّنات الرّجالية بشكل عام يظهر أنّها على صنفين مختلفين؛ الصّنف الأوّل: ما يكون مختصّاً بذكر قيم رواة الحديث من وثاقة وضعف وسواهما، ككتاب (اختيار معرفة الرجال) للشيخ الطوسي، و(الفهرست) للشيخ النّجاشي، و(خلاصة الأقوال) للعلامة الحليّ، وغيرها.

(١٨) أصول علم الرجال: ١٩، مراجعة وتصحيح لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية/ ١٤٣٠ هـ.

(١٩) النّجاشي، رجال النّجاشي: ٢٤٤، تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة التاسعة/ ١٤٢٩ هـ.

والصَّنْف الثاني: هي تلك المدوّنات التي تتناول الأصول العامة والقواعد الكلّية التي تُطبّق على جزئياتها (رواة السند) من أجل معرفة قيمة الراوي الرجالية؛ ككتاب (الفوائد الرجالية) للسيد محمّد مهدي بحر العلوم، و(وجيزة في علم الرجال) للميرزا المشكيني، و(درر المقال في شرح الدراية والرجال) للشيخ إبراهيم الكرباسي وغيرها.

الأمر الثالث: إنّ المدوّنات الأولى في علم الرجال كانت من الصَّنْف الأوّل، أعني بها تلك التي تذكر قيم الرواة، ولا يظهر من عناوينها التي نُقلت إلينا أنّها ذات طابع كليّ، وما يؤيّد هذه الفكرة هو أنّ المؤرّخين وإن وقع بينهم خلاف في أوّل من صَنّف في علم الرجال^(٢٠)، إلا أنّ عناوين كتب هؤلاء المختلّف حولهم هي من الصَّنْف الأوّل من المدوّنات، واستمرّ الحال على هذا إلى القرن لحادي عشر الهجري مع الشيخ البهائي (١٠٣١هـ) في كتابه (الفوائد الرجالية) حيث عدّ أوّل مصنّف مستقل في القواعد الرجالية، لتتوالى التأليفات بعده^(٢١).

إذاً، هناك تفاوت زمني بين ظهور مدوّنات علم الرجال من الصَّنْف الأوّل ومدوّناته من الصَّنْف الثاني.

من مجموعة هذه الأمور الثلاثة استطاع العلامة الفضلي - أن يفكك بناء علم الرجال بالنّظر المشهورة إلى نوعين:

النّوع الأوّل: هو ما أطلق عليه اسم «مادّة أسماء رجال الحديث»، أو «أسماء

(٢٠) للتفصيل لاحظ: السيد حسن الصدر، الشيعة وفنون الإسلام: ٢٢٦ وما بعدها، تحقيق السيد مرتضى الميرساجدي، مؤسسة السبطين العالمية، الطبعة الأولى/ ١٤٢٧هـ؛ أحمد عبد الجبار السمين، دروس تمهيدية في تاريخ علم الرجال عند الإمامية.. تقارير محاضرات الشيخ حيدر حب الله: ٧٢ وما بعدها، مصدر سابق.

(٢١) أصول علم الرجال: ١١١، مصدر سابق.

الرجال»، أو «مادة رجال الحديث»؛ وهو عنوان أطلقه على «قيم الرواة من توثيق وتحسين وسواهما، تلکم القيم المذكورة في كتب الرجال قرين اسم كل راوٍ»^(٢٢)، أمّا مادة هذا النوع، فيقول عنها: «وقد تمثّلت مادة أسماء الرجال فيما يعرف بكتب الرجال التي هي بمثابة معاجم تشتمل على تعريف الراوي وتقييم حاله»^(٢٣)، ويقول أيضًا: «فالمادة الموجودة في المدونات المعروفة بكتب الرجال، أمثال (رجال الكشي) و(رجال الطوسي) و(خلاصة الأقوال) للعلامة الحليّ و(تنقيح المقال) للشيخ المامقاني، تحتوي اسم الراوي ونسبه أو نسبته، وتقييمه من قبل الرجالين»^(٢٤).

النوع الثاني: وهو ما أطلق عليه اسم «علم رجال الحديث»، أو «علم الرجال»؛ وهو ما يحتوي على «الأصول العامة والقواعد الكلية التي تُطبّق من قبل الباحث أو الفقيه على الجزئيات الموجودة في كتب الرجال التي هي تعريف الراوي وتقييم حاله، من أجل أن نعرف أنه ثقة أو غير ثقة»^(٢٥)، يقول مبيّنًا مادة علم الرجال «وقد تمثّلت مادة علم الرجال فيما يعرف بـ(الفوائد الرجالية) و(الكليات الرجالية)»^(٢٦).

إذًا من هذه النظرة الخاصة لعلم الرجال انطلق الشيخ الفضلي - في بحثه التاريخي، ليسير مع كل من هذين النوعين في مساريهما، ويحدد أبرز معالمهما.

□ من التاريخ الكلي للرجال إلى تاريخ الجزئيات

بيّن في سابق أن التاريخ العلمي يرصد الحركتين الكلية الجزئية للعلم، ففي التاريخ الكلي يتحرك الباحث مع العلم منذ تكوّنه ونشأته إلى بلوغه أوج قوّته

(٢٢) المصدر نفسه: ٢٠.

(٢٣) المصدر نفسه: ٣٤.

(٢٤) المصدر نفسه: ٣٣.

(٢٥) المصدر نفسه: ٣٤.

(٢٦) المصدر نفسه: ٣٤.

وعطائه، عبر المرور على المحطّات الرئيسة في العلوم من مدراس أو اتّجاهات ومصنّفات و...، لتكون مادة التاريخ الكلّي مدخلاً لتأريخ أكثر تخصصاً من خلال تركيز البحث مرّة أخرى على مفردة من مفردات ذاك البحث الكلّي، كأن يتناول تاريخ مدرسة علميّة معيّنة، أو نوع من مصنّفات هذا العلم، أو فكر أحد أعلامه إلى ما سواها من موضوعات.

في كتاب (أصول علم الرجال) يمكن إعطاء مجموعة من النماذج التي قام الشيخ الفضلي - بممارسة عامّة للتأريخ الجزئي لعلم الرجال؛ ولأنّ الكتاب دوّن كمقرر دراسي فقد راعى المؤلّف فيه الجانبين التربوي والتعليمي، الجانبان اللذان يفرضان عليه مراعاة الطالب من حيث الكميّة والكيفيّة، لذا سيجد القارئ أنّ ما سأذكره من نماذج جاءت مختصرة.

١) تاريخ المصنّف الرّجالي:

من المشكلات التي ابتلي بها المسلمون في مصنّفاتهم هي مشكلة ضياع المصنّف الإسلامي وفقدانه، وهذه المشكلة التاريخية أسباب عديدة، ولعلّ أهمّها العوامل السياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد شكّل فقدان المصنّف الإسلامي أزمة أثرت على الحركة العلمية عند المسلمين، فمثلاً بسبب ضياع ما يُعرف بالأصول الأربعمئة التي تُعدّ أهم مصادر الحديث عند الشيعة - بسبب ضياعها - تشكّلت أزمة الوثوق بصدور الحديث، مما اضطر علماء الشيعة إلى طرح الكثير من الحلول لهذه الأزمة، وغيرها الكثير.

وعلى المستوى الرجالي هناك عدد من المدوّنات التي فقدت فترة من الزمن لتظهر مرّة أخرى متأخّرة عن زمان مؤلّفها، وحتى يثق الباحث بأنّ ما ظهر متأخراً هو عين ما فقد، ينبغي دراسة تاريخ المدوّن منذ تدوينه وظروف فقدانه وظهوره.

لقد أشار العلامة الفضلي- إلى شيء من هذا في ثنايا كتابه، محاولاً رصد تاريخ بعض المصنّفات، هنا أسرد بعض هذه الموارد:

▪ وقع خلاف بين الأعلام في كتاب (الضعفاء) في أكثر من جهة، يؤرّخ الدكتور الفضلي- للكتاب لعلاج بعض هذا الخلاف، فيذكر كيف أنّه لم يُذكر في فهرسي النجاشي والطوسي اللذين كانا معاصرين للغضائري أو ابنه، ليعثر عليه السيد أحمد بن طاووس الحلّي (٦٧٣هـ) ويدرجه ضمن كتابه (حلّ الإشكال في معرفة الرجال) الذي ألفه سنة ٦٤٤هـ، ليستفيد منه تلميذاه ابن داوود والعلامة الحلّيين في تأليف كتابيهما (الخلاصة) و(الرجال)، ليذكر أنّ كتاب (حلّ الإشكال) يُفقد من بعد الحلّيين، ليحصل الشهيد الثاني (٩٦٦هـ) على نسخة (حلّ الإشكال) المدرج فيها (الضعفاء)، لتنتقل النسخة إلى الشيخ صاحب المعالم (١٠١١هـ) من والده الشهيد، لتختفي هذه النسخة بعدها وتظهر عند الشيخ عبد الله التستري (١٠٢١هـ) فيستخرج منها ما أدرجه ابن طاووس في كتابه من (الضعفاء)^(٢٧).

▪ نسبته إلى ابن الغضائري (القرن ٥) كتابين لم يصلنا إلينا، وهما: (فهرس المصنّفات) و(فهرس الأصول)، معتمداً في نسبتها إليه على نصّ للشيخ الطوسي في مقدّمة كتابه (الفهرست)^(٢٨).

▪ كما أنّه ينسب إلى ابن الغضائري نفسه كتاباً آخر هو (كتاب الممدوحين والموثّقين) اعتماداً على ما نقله ابن داوود والعلامة الحلّيين من هذا الكتاب^(٢٩).

(٢٧) المصدر نفسه: ١٠٣-١٠٤.

(٢٨) المصدر نفسه: ٥٦-٥٧.

(٢٩) المصدر نفسه: ٥٧.

٢) التاريخ الفكري لعلم الرجال:

تحت هذا العنوان يتناول المؤرّخون موضوعات ومسائل متعددة، كلّها تصب في قراءة التطوّر الفكري الذي يمرّ به علم الرجال، وأحد مفردات هذا التطوّر هو ما جدّ من مسائل ونظريات في العلم، وبتعبير آخر: دراسة تاريخ المسألة العلمية، ليجيب على هذين السؤالين: متى تكوّنت وكيف نشأت؟

في ثنايا مقدمة هذا الكتاب - أعني كتاب (أصول علم الرجال) - أشار شيخنا الفضلي - إلى نشأة بعض القواعد الرجالية مكتفياً بذكر أقدم من تناولها.

من هذه القواعد هي:

١. قاعدة: أصالة العدالة في حال الشك في المسلم: يحتل الفضلي - أن أوّل من أشار إلى هذا الأصل هو الشيخ ابن الجنيد الإسكافي (٣٨١هـ)، ليأتي الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) فيؤصّل لها من خلال قوله «إنّ الأصل في المسلم العدالة، والفسق طارئ عليه يحتاج إلى دليل»^(٣٠)، لبيّن مقدار الفاصل الزمني بين إشارة الإسكافي وتأصيل الطوسي، فيترك تفصيل البحث لباحثين آخرين ليثروه.
٢. قاعدة: الوكالة عن الإمام: يذكر أن أوّل من أثارها هو الوحيد البهبهاني (١٢٠٥هـ) في كتابه (الفوائد الرجالية)، والمعروف أن البهبهاني أثار الكثير من النظريات التوثيقية نتيجة الصراع الاذي عاشه مع المدرسة الأخبارية التي كان لها موقف خاص اتجه علم الرجال^(٣١).

(٣٠) المصدر نفسه: ١٥١.

(٣١) للتفصيل لاحظ: أحمد عبد الجبار السمين، دروس في تاريخ علم الرجال عند الإمامية.. تقارير دروس الشيخ حيدر حب الله: ٣٣٦-٣٤٠، مصدر سابق.

□ الخاتمة

حاولتُ من خلال هذه الأوراق أن ألقى بشيء من الضوء العام على تجربة شيخنا العلامة في تأريخه لعلم الرجال عند الإمامية، والموضوع فيه الكثير من العناصر التي تستحق المتابعة والدراسة، وكلّي أمل أن يقوم بهذه المهمة العلماء والباحثون المهتمون بمثل هذه الموضوعات.

وأودّ في خاتمتي أن أطرح على المهتمين بفكر العلامة الدكتور الفضلي - اقتراحًا، هو أن تُدرس شخصيّة الفقيه في جانبها التاريخي والعلمي، أمّا التاريخي فمن خلال توثيق وعرض سيرته العطرة بدءًا بولادته ونشأته في مدينة البصرة (١٣٥٤هـ) إلى رحيله ودفنه في مدينة سيهات (١٤٣٤هـ)، على أن يكون التوثيق مفصلاً في كل محطة من محطات حياته.

أمّا الجانب العلمي في شخصيته فعبر دراسة مناهجه في بناء منظومته الفكرية والتي شملت: علوم القرآن الكريم، علوم الحديث، العقيدة والمعارف العقلية، علم الفقه وأصوله، اللغة العربية وآدابها، المعارف العامة، والفكر السياسي الإسلامي، فضلاً عن مئات المحاضرات والندوات، وعدد كبير جداً من المقالات.

إنّ دراسة شخصيّة الفقيه بجانبها ومن قبل المعاصرين له، سيعطي الأجيال الأسوة الحسنة الحاضرة في كلّ ميادين الحياة برؤية إسلامية.

دور الشيخ الفضلي في إحياء زيارة مرقدي الصحابيين

الشهيدان جعفر الطيار وعمار بن ياسر (رضوان الله عليهما)

فؤاد عبد الهادي الفضلي - سعيد مهدي الخويلدي رحمهما الله

مما تميّز به أستاذنا الشيخ الفضلي هو وجود علاقة خاصة تربطه بالإمام علي عليه السلام، تلك العلاقة الوجدانية التي عايشتها وواكبتها بحكم قربي منه، والتي أحن أن سكناه ونشأته العلمية في مدينة النجف الأشرف بجوار المشهد العلوي الشريف كانت سرًا ودافعًا لها.

□ العلاقة المثمرة

وقد كان من أثر هذه العلاقة الوجدانية بالإمام علي عليه السلام أن انعكست على الاهتمام والارتباط بالخلص من أصحابه رضي الله عنهم، وآثارهم ومراقدهم قراءة وتحقيقًا وزيارة.

فكان من ثمارها اهتمامه بتحقيق آثار المراقد الشريفة لأصحاب علي عليه السلام من خلال منهج سار عليه في التحقيق، اتبع فيه (المنهج التاريخي الميداني) الذي يتبعه الرحالة المكتشفون للآثار والمتمثل بالخطوات التالية:

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

- أولاً: قراءة كتب التراث الإسلامي التاريخية والروائية، وكتب الرحالة المهمة بتحقيق المعالم التاريخية، ومعها المعاجم الجغرافية الحديثة التي أصبح لها ركن مهم في مكتبته العامرة.
 - ثانياً: دراسة وتحليل هذه المصادر التاريخية والجغرافية للتحقق من الموقع المنشود.
 - ثالثاً: زيارة الموقع وآثاره ميدانياً، وتصوير معالمه والشواهد الأثرية الباقية، وتحليل وتوثيق ما يشاهده عبر سؤال أهل المنطقة وسكانها.
 - رابعاً: كتابة البحوث التحقيقية لهذه المواقع وتوثيقها بالوثائق التاريخية والميدانية.
- وقد اتبع هذا المنهج كذلك في تحقيقه لبعض معالم الحج، كميقات قرن المنازل (السييل الكبير)، وميقات يلملم، ونشر بحوثه عن هذه المواقع في المجلات والدوريات العلمية والمتخصصة.

وكان من آثار العلاقة الوجدانية التي أشرنا إليها، زيارته الاستكشافية الميدانية لموقعي: (غدير خم) و(مرقد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري) في الربذة، حيث شهدتهما معه، فكانتا - بحق - حكاية مفعمة بالمغامرة والتحديات، وقد دون الزيارتين في مقالين منشورين حولهما.

ومن المواقع التي كان للشيخ الفضلي دور مهم في البحث عنها وتعرفها وإحياء زيارتها: مرقد الصحابين الشهيدين جعفر الطيار وعمار بن ياسر - رضوان الله عليهما.

وإذ لم يرقم الشيخ بالكتابة عن هذا الموضوع، نورد للقارئ الكريم - بشكل مختصر هنا - قصة تعرفه هذين المشهدين ودور ساحة العلامة في إحياء زيارتهما.

□ ١ - مرقد الشهيد جعفر الطيار

تولى الشيخ الفضلي رئاسة قسم المخطوطات التابع لمكتبة جامعة الملك عبد

العزیز بجدة في الدورة الأولى لتأسيسه بعد أن كان من أول الداعين لتأسيس هذا القسم في الجامعة.

وكجزء من مهامه في القسم، أرسلته الجامعة إلى الأردن للاطلاع على مجموعة من المخطوطات الفلسطينية هناك في عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

وسأل الشيخ أثناء إقامته في الفندق - فندق كاميو بعمّان - عن موقع معركة مؤتة التي كان قد قرأ أن آثار موقعها الآن موجودة في قرية باسم (مؤتة) بالأردن، فأرشد إليها، ومن ثم طلب سيارة نقله إلى موقعها.

وبالفعل قام بزيارته هذه لموقع آثار المعركة في قرية مؤتة في ٢٠/١٢/١٤٠٣هـ (٢٧/٩/١٩٨٣م)، والتي استمدت اسمها من اسم المعركة الشهيرة التي وقعت فيها، وقد استشهد في هذه المعركة - كما هو معلوم - مجموعة من الصحابة الأجلاء، وعلى رأسهم قادتها الثلاثة: جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة - رضوان الله عليهم.

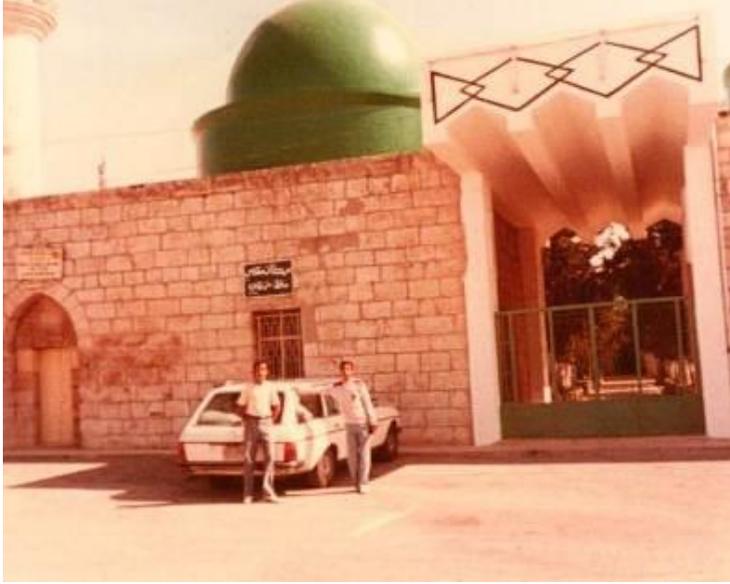
وعند سؤاله أهل المنطقة عن قبور هؤلاء الصحابة، أرشده أهلها إلى قرية مجاورة تسمى (المزار). وعند وصوله لها، شاهد هناك مسجداً مقاماً باسم جعفر الطيار فيه مرقده الشريف، ومشهدين آخرين صغيرين لضريحي زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

وكان قد أقام مسجد جعفر رضي الله عنه الملك الهاشمي عبد الله الأول بناء على لوحة في المسجد مكتوب عليها ذلك^(١).

(١) كتب الشيخ الفضلي في مذكراته اليومية عن هذه الزيارة ما نصه: «زرت مراقد شهداء مؤتة الواقعة في قرية المزار، وهي بعد قرية مؤتة. كما زرت أرض المعركة في قرية مؤتة الواقعة بعد مدينة الكرك بحوالي عشرة كيلوات». كما ذكر أنه التقى في اليوم الذي قبله بأستاذه الدكتور إبراهيم السامرائي رحمته الله في قسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

ويقع ضريح الشهيد جعفر الطيار رحمته الله في جانب من المسجد بارتفاع متر تقريباً عن الأرض.



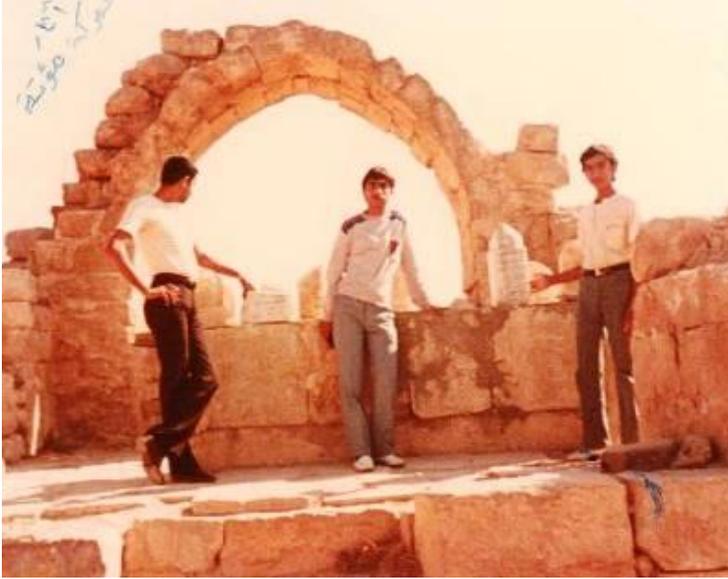
مسجد الصحابي الشهيد جعفر الطيار في قرية المزار قبل تجديد بناءه

وبعد رجوع الشيخ الى جدة، أصبح يرشد الحجاج العراقيين والبنانيين والإيرانيين وشيعة المنطقة الشرقية والخليج إلى مكان القبر الشريف. وابتدأ على إثر ذلك تعرف الزوار إلى المكان وزيارة قبر صاحبه الشهيد ذي الجناحين رحمته الله وقبري جاريه الصحابيين الجليلين زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

القسم الثاني: كتابات الوفاء



قبر الشهيد جعفر الطيار داخل المسجد قبل تجديد بناءه



آثار معركة مؤتة في قرية مؤتة

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

وفي زيارة للشيخ محمد علي التسخيري إلى جدة، أخبره الشيخ الفضلي بالأمر، وطلب منه التحرك - إن استطاع - لتجديد بناء مقام جعفر الطيار والمسجد وتوسعتها بالشكل الذي يناسب صاحبه. فكان أن طلب الشيخ التسخيري من الملك حسين أن يسعى في تجديد المقام مواصلة لعمل جده الملك عبد الله.

وبالفعل، شُيّد على إثر هذا المسعى، وبدعم من الجمهورية الإسلامية بإيران بناء جديد للمسجد والمقام، وأصبح مزارًا معروفًا عند الكثير من مؤسسات وحملات الحج وزيارة العتبات المقدسة.

□ ٢ - مرقد الشهيد عمار بن ياسر

في إحدى زيارات الشيخ الفضلي إلى سورية لزيارة السيدة زينب عليها السلام في عام ١٤٠٧هـ، كان قد قرأ أن موقع معركة صفين يقع الآن على شاطئ الفرات في شمال شرق سورية قريبًا من الحدود العراقية، وهو ما دفعه أن يبدأ رحلته لتحديد الموقع وزيارته.

وقد صحبته في رحلة الاستكشاف مع أخي (معاد) إلى المنطقة المحددة عبر مدينة حلب بعد مبيتنا فيها وزيارتنا لمشهد النقطة الذي يحوي حجرًا وضع عليه رأس الحسين عليه السلام في رحلة السبي، ويروى أن عليها آثار نقطة من دمه الشريف.

وزرنا كذلك في حلب الجامع الأموي، وكان الشيخ قد قرأ أن فيه شقًا في أعلى محرابه يقطر دمًا في يوم العاشر من المحرم من كل عام في مجلة المشرق مج ٣٨ / ١٩٤٠ بقلم الأب فردينان اليسوعي بعنوان: «أولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء»، ص ٤١١، والتي ذكر فيها قطر الدم في أبياته التالية:

والأموي فيه كما قيل حجر أسود ومعه آخر قد استقر
في حائط القبلة من أعلاه غربًا وفي الرأس غدا بناه

القسم الثاني: كتابات الوفاء

في يوم عاشوراء كل موسم يقطر منه قطرة من الدم
لأنهم بالرأس يوم مروا من حلب وكان فيهم شمر
فوضعوا الرأس على ذاك الحجر فخص بالتشريف من ذاك الأثر
وجعلوا الدرابين تحته في الأرض للصون عن الوطاء له

وبالفعل، لما وصلنا الجامع شاهدنا أثراً في أعلى جدار المحراب بلون أسود أقرب لأثر لون الدم بعد جفافه، وفي أعلاه شق صغير يمكن أن يكون موضع تدفق ونزول الدم منه.

ومن ثم توجهنا بعدها بالسيارة شرقاً، قاصدين الوصول إلى موقع المرقد الشريف لعمار بن ياسر رضي الله عنه.

ولما وصلنا إلى قرية على الفرات تدعى (الرقّة) في الطريق إلى مدينة (دير الزور)، رأينا فندقاً اسمه عمار بن ياسر، فسأل الشيخ صاحب الفندق عن مرقد الشهيد عمار بن ياسر رضي الله عنه فأرشدنا إلى مقبرة الرقة، وقد نزلنا في فندق الرقة السياحي قبل ذهابنا إلى الموقع.

وعند وصولنا إلى المقبرة، وجدنا في وسطها قبراً عليه لوحة تشير إلى أنه قبر الشهيد عمار بن ياسر رضي الله عنه، وهناك بناء آخر صغير في المقبرة عبارة عن غرفة في داخلها قبر التابعي الجليل أويس القرني رضي الله عنه، أحد شهداء معركة صفين، ويبدو أن أهل المنطقة يقدسون القبر ويوزرونه، ولذلك شيدوا عليه هذه الغرفة. وقد رأينا بعض الزائرين من أهل المنطقة هناك.

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين



ضريح الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه قبل بناءه

وبعد الزيارة وأخذ بعض الصور، تجولنا مع الشيخ في القرية والمنطقة لتعرف آثارها ومعالمها. وزرنا خلالها باب بغداد ونهر الفرات.

وعند عودته إلى جدة، أخذ الشيخ يخبر زواره من الحجاج والمعتمرين عن المرقد الشريف ويحثهم على زيارته.

ولدى زيارة أحد العلماء الإيرانيين لمنزل الشيخ بجدة، أخبره عن الموقع وطلب منه حث المسؤولين في الجمهورية الإسلامية في إيران أن يزوروا الموقع ويقوموا بتحقيقه ثم بنائه. فكان أن تحقق ما أراد، حيث بدأ البناء من قبل حكومة الجمهورية الإسلامية. وهو الآن مشهد مكتمل بني على طريقة بناء المشاهد المقدسة.

□ العشق الإيماني

ومن نتائج الاهتمام والارتباط الوجداني الذي أشرنا إليه، نذكر أنه أصبحت لدى الشيخ عادة سنوية (أو نصف سنوية أحياناً) واظب عليها في كل عام. وهي

القسم الثاني: كتابات الوفاء

زيارة المراقد الشريفة في رحلة مرسومة الخطى والمنازل، منذ أن كان في جدة، واستمرت بعد انتقاله إلى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، وقد صحبته في عدد منها.

تبدأ رحلته بزيارة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الطائف، ثم زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة البقيع والحزمة عليهما السلام ومسجد الفتح ومسجد الفضيخ.. وباقى مشاهد المدينة المنورة.

ثم ينطلق إلى الأردن لزيارة جعفر الطيار وشهداء مؤتة رضي الله عنهم. ينتقل بعدها إلى سورية لزيارة السيدة زينب عليها السلام والسيدة رقية وحجر بن عدي، ويعرج في نهاية الرحلة إلى مدينة الرقة لزيارة شهيد صفين عمار بن ياسر رضي الله عنه.

وتستغرق رحلته السنوية هذه بين عشرة أيام وأسبوعين، ولم ينقطع عنها منذ سكنها في الجزيرة العربية، إلاّ بعد أن أقعده المرض الأخير، شافاه الله تعالى وأنعم عليه بالصحة والعافية.

وقد عرج في بعض السنين خلال رحلته السنوية هذه لاستكشاف بعض المشاهد الأخرى وزيارتها. نذكر منها قبر الحسن المثنى بينبع النخل، ومشهد أبي أيوب الأنصاري بإسطنبول، ومشهد الشاعر جلال الدين الرومي في مدينة (قونية) بتركيا.

وبخصوص المرقدين الشريفين لجعفر وعمار رضي الله عنهما، فقد كان الشيخ - حفظه الله - يشهد خلال زيارته السنوية كل عام ما وصل إليه البنيان في كل منهما حتى اكتماله، وكان يخبرنا عن ذلك مسرورًا به.

جزاه الله تعالى خير جزاء المؤمنين، وأسكنه في جنانه مع علي عليه السلام وأصحابه الميامين رضي الله عنهم.

القسم الثالث

وللشعر كلمة

يا موت ليتك قد قبلت بديلا

السيد عبد الأمير السيد ناصر السلمان

يا موت ليتك قد قبلت بديلا
ودفنتني بين الرمال بأرضها
وتركت عملاقاً يفيض قداسة
قد كان والتأليف إن بدء السرى
ما فارقت كفاه طول حياته
والليل أمسى والصبح كلاهما
فبجانِبٍ، فقهٌ تَضْمَنُ سفره
ويطبق الذكر الحكيم وسنة
وإذا البلاغة خيمت بضلالها
ويحل من جمل البلاغة لغزها
وإذا تكلم والنحاة حسبته
فكأنما لغة النحاة بكفه
وإذا أرتقى يوماً منصة حفلها
وتجاوبوا فيما يريد وأدركوا
يا أيها الشيخ المبجل لم تنزل

وكتبت لي قبل الفقيده رحيلاً
أو جدلتني النائبات قتيلاً
قد خط من خير العطاء فصولاً
كالتوأمين وما أراد بديلاً
قلماً وما طلبت سواه خليلاً
جهد وليس كما تظن قليلاً
تلك القواعد كي ينير دليلاً
وهنا يطبق فرعها وأصولاً
ألفيته شهماً يعيد فصولاً
كي يستبين الدارسون حلولاً
شيخاً يقود من النحاة قبلاً
تمشي كما طلب الفقيده ذلولاً
نفع الجميع شبيبةً وكهولاً
فيما أعد إلى الصلاح سيلاً
حيّاً وذكرك ما يزال جميلاً

وهنا يشيد بك العراق مجدداً
إذ كنت ابناً تستظل بأفقه
وهناك أحساء تشيد بجهدكم
وهناك سوق للشيوخ ويشرب
وهنا القطيف وتلك قلعة خطها
فلقد خسرننا إذ رحلت لجنّة
وشربت من كف الوصي وكوثر
وتركتنا كالراكبين سفينة
ومشت بنا لغة التباعد وانتهى
فالبعض يعشق للشمال وبعضنا
فكأننا كالأبعدين ولم يكن
أبأ عماد إن سكنت بشاطئ
فلك المحبة في القلوب صنعتها
لا الموت يحجبها وإن بعد السرى
أبأ عماد إن حملت لمرقد
فحسين بات على الرمال وصدوره
وتكسرت تلك الضلوع وطالما
وعلى القنار رأس يرتل للسما
وبه يطاف من الطفوف لكوفة
وعلى النياق القاسيات عقيلة
وهناك سجاد يسير وفي الحشا
يا موت لم تبق العظام بأرضنا
وأخذت موسى والحبيب وهاشما
وكذاك ناصر والحكيم ولم نزل

لك بالوفاء وإن سكنت رمولا
وبه تشارك في العلوم رعيلا
واليوم خلفها الحمام ثكولا
وكذاك بغداد تضم عويلا
ثكلى وتندب قائداً وجليلا
وأقمت بين الجنتين طويلا
ماءً يبرء من يديه عليلا
كادت لأمواج تضيع سيلا
وصلّ وقد منع الزمان وصولا
قد راح يتخذ الجنوب خليلا
قرباً يجمع فرعنا وأصولا
وبقيت بين الغربيتين نزيلا
هيهات يمنحها الزمان أفولا
كلا وإن بقي الفراق طويلا
واخترت ما بين القطيف نزولا
بالأمس عانق يا فقيده خيولا
كانت تعانق بالحنان رسولا
ذكرنا فتمتلاً القلوب ذهبولا
وبجانِبِ ركبٍ يضح عويلا
تخذت من الصبر الجميل خليلا
شجن يذيب جبالها وسهولا
فلقد أخذت من العظام قبلا
وكذا البقية فاضلا وفحولاً
ننعى العظام كهولها وشبولاً

صوت الأمة

السيد حمزة الموسوي

إذا كان سماحة آية الله العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رحمته الله مفخرة من مفاخر الشيعة على حد تعبير الإمام الخامنائي، أو مفخرة من مفاخر النجف الأشرف على حد تعبير سماحة الشيخ المحقق باقر شريف القرشي، فلا شك أنه مفخرة من مفاخر وطننا وبلادنا ومنطقتنا الشرقية من الأحساء والقطيف والدمام في نظر كل مؤمن حر ينتمي إلى هذه البلاد ويعشق ترابها.

مع فارق بسيط وهو أن المذهب المحق متمثلاً في علمائه ومفكريه من أمثال سماحة آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي وسماحة الشيخ الأصفي وسعادة الدكتور محمد علي آذر شب ونظرائهم قد عرفوا حقيقة هذه المفخرة وأدوا حق شكرها، ولكن الكثير منا في بلدنا - وللأسف الشديد - لم يعرف قدر هذه المفخرة ولم يؤدِ شكرها..

لقد عاش سماحة الشيخ سعيداً في نفسه بتعلقه بربه ومحافظته على دينه ومبادئه وبالقلة القليلة المنتفة حوله من أبناء وطلبة ومريدين على رغم ما عاناه وكابده طوال هذه الحياة المباركة من آلام نفسية تهون عند واحد منها كل آلامه الجسدية التي رافقتة في آخر سني حياته رحمته الله..

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

كوننا كأدباء وكتاب نذكره ونكتب عنه، وكوننا كشعراء نتحدث عنه وننظم المراثي فيه لا يزيد شياً من مجد ولا يضيف إليه بعضاً من عظمة، ولكن الواجب بقسميه الديني والإنساني يحتم علينا أن نقوم بذكره وشكره وإن كان ذلك - وبلا شك - سيكون على قدرنا وليس على قدره..

إن كنا لم نوفق أيها العزيز إلى أن نتقدم إليك في حياتك المباركة بطلب العفو على القصور والتقصير المتسرلة به نفوسنا الأرضية غير الراضية وغير المرضية نظراً للكثير من الظروف التي أصبحت أنت الآن أعلم بها منا، فها نحن نتقدم إليك الآن بهذا الطلب ونؤمل فيك الخير - والعفو عند كرام الناس مأمول -، ونزيد على ذلك بأن نسألك - وقد أصبحت مندكاً في القرب الإلهي بعد أن كنت في حياتك المباركة منصهراً فيه ومتلبساً به - أن تسأل الحبيب المعشوق في أن يقبلنا كما قبلك وأن يحشرنا معك في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

والسلام عليك يوم ولدت ويوم رحلت عنا تاركاً قلوبنا نهب الأسى وألم الفراق، ويوم تبعث حياً ونراك في أصحاب الوجوه النضرة الضاحكة المستبشرة التي هي إلى ربه ناظرة، فإلى ذلك اليوم القريب، نودعك ولا نقلوك يا أعز حبيب، ونسأل الله بك أن يحشرنا معك إنه سميع مجيب..

هذه القصيدة من البحر الكامل.

كَمْ كُنْتُ أَطْمَحُ أَنْ تَظَلَّ لِوَاءِ
مُدْنِي وَأَرْيَا فِي لَتَغْبِطُ فِيكَ أَنْ
أَنْتِ الَّذِي شَرَفْتَهَا وَرَفَعْتَهَا
وَلَأَجَلِ ذَلِكَ كَمْ أَنَا حِيَّ اللَّهُ كُنْتُ
أَنْ تَسْتَمِرَّ عَلَيَّ (الْقَطِيفِ) وَحَوْهَا
مَازَلْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَمْحُو الَّذِي
مِنْ مَوْطِنِي قَدْ زَيْنَ الْأَرْجَاءِ
سَتْ الْخِطِّ وَالِدَّمَامَ وَالْأَحْسَاءِ
وَأَلَيْهَا كُنْتُ تُسَلِّطُ الْأَضْوَاءِ
سَتْ صَبِيحَةً وَظَهِيرَةً وَمَسَاءِ
تَرْوِي أَنَسًا لِلْكَمَالِ ظِمَاءِ
لَا بُدَّ مِنْهُ، وَيُبَيِّتَ الْإِرْجَاءِ

وَكَمَا عَلِمْنَا فَالِدُعَاءِ هُوَ الَّذِي
 إِنَّ الدُّعَاءَ إِذَا تَحَدَّرَ مِنْ فَمِ الإِ
 فَاللهُ أَكْرَمُ فِي الأُمُورِ جَمِيعِهَا
 أَنَا أُمَّةُ الإِسْلَامِ كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ
 لَكِنَّمَا اللهُ الَّذِي هُوَ مَا يَكُونُ
 أَنَا أُمَّةُ الإِسْلَامِ كَمَا شِئْتُ الحَيَا
 مِثْلَ الحَمِيزِيِّ العَظِيمِ وَابْنِهِ
 وَكَشَيْخِنَا (الْفَضْلِيِّ) شَبِلِهَا الَّذِي
 فَتَنَّاكَرَ الأَمْوَاتُ لِلأَثَرِ الَّذِي
 وَتَعَجَّبَ الأَحْيَاءُ مِنْ إِحْيَائِهِ
 فَإِذَا بَازَهَارِ العُلُومِ تَفْتَحَتْ
 فِي سِرِّ إِحْيَاءِ المَعَارِفِ كَفُّهُ
 طَرَقَ العُلُومِ جَمِيعِهَا مُتَسَلِّحًا
 مَا كَانَ قَدْ وَصَلَ المَكْرَمُ لِلدَّرَى
 وَلِذَا نَرَاهُ هُوَ المَقْدَمُ دَائِمًا
 وَالنَّاقِمُونَ عَلَيْهِ مَا زَالُوا بِكُلِّ
 هَذَا هُوَ الإِخْلَاصُ يَرْفَعُ أَهْلَهُ

قَدْ كَانَ يُحَدِّثُ فِي الأُمُورِ بَدَاءَ
 يَمَانٍ غَيْرَ فِي الوُجُودِ قَضَاءَ
 مِنْ أَنْ يَرُدَّ لِمَنْ أَتَاهُ دُعَاءُ
 تَبَقَى بِدُنْيَا الصَّالِحِينَ سَمَاءُ
 نُبَازِضِهِ وَسَمَائِهِ مَا شَاءَ
 لِعَالِمٍ هُوَ لَمْ يَزَلْ مِعْطَاءَ
 فَهَمَّا اللَّذَانِ تَنَوَّرَا وَأَضَاءَ
 قَدْ حَيَّرَ الأَمْوَاتُ وَالأَحْيَاءَ
 مِنْهُ بِكُلِّ ثِقَافَةٍ يَتَرَايَ
 لِمَوَاتٍ عِلْمٍ أَتَعَبَ العُلَمَاءُ
 فِي رَاحَتِيهِ حَدِيقَةً غَنَاءَ
 قَدْ أَشْبَهَتْ سِرَّ الحَيَاةِ / المَاءِ
 بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى فَكَانَ لِوَاءِ
 لَوْ عَاشَ يَأْسًا لِحِظَّةٍ أَوْ رَأَى
 لَمَّا نَقِيسُ بغيرِهِ العَلِيَاءُ
 قَضِيَّةٍ إِلاَّ الفَسَادَ، وَرَأَى
 شِئْنَا أَبِينَا كَانَ ذَلِكَ سَوَاءَ

أَبَا عَمَادٍ أَيُّهَا العَلَمُ الَّذِي
 بَلِّغْ مَحْضَ فِكْرٍ نَبِيٍّ قَدْ كَانَ فِيهِ
 عُدْرًا فَإِنِّي فَاصِرٌ وَمُقَصِّرٌ
 لَا يَعْرِفُ العُظَمَاءَ إِلاَّ مِثْلَهُمْ
 مَا جَرَّأَتْنِي لِلحَدِيثِ سِوَى المَشَا
 إِنَّ المَشَاعِرَ كَالوُقُودِ تَمْدُنَا

مَا كَانَ يَكْتُبُ فِي الوَرَى الإِنْشَاءَ
 هُوَ رَأْيُهُ يَتَقَدَّمُ الآرَاءَ
 عَشَقًا، وَمَعْرِفَةً لَكُمْ، وَوَفَاءَ
 لَسْتُ الَّذِي سَيَقِيْمُ العُظَمَاءَ
 عِرِّ: حَسْرَةً، وَتَوَدُّدًا، وَرَجَاءَ
 بِالحَيْلِ نَحْنُ السَّادَةَ الشُّعْرَاءَ

لَيْسَتْ قَصَائِدُنَا بِدُونِ مَشَاعِرٍ
وَأَنَا مَشَاعِرِي الَّتِي أَحْسَسْتُهَا
هِيَ حَسْرَةٌ كَبْرَى لِفَقْدِكَ لَمْ تَزَلْ
لِكِنِّي لَمَّا أُصِبتْ فَقَدْ دَعَوْتُ
حَتَّى وَلَوْ قَدْ كَانَ مِنْ أَعْمَارِنَا
وَرَحَلْتُ فَاسْتَوَلَى عَلَيْنَا كُلُّنَا
وَبَقِيَتْ أَمَلٌ أَنْ تَظَلَّ كَأَنِّي
وَلَأَنِّي أَنَا شَاعِرٌ فَأَنَا هُنَا
وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَالَ نَفْسِكَ نَابِعًا
وَلَقَدْ شَمَمْتُ أَرِيحَ ذِكْرِكَ فَانْحَا
أَتَى ذَهَبِنَا كُنْتَ أَنْتَ أَمَامَنَا
وَلِذَلِكَ لَمْ نَمْلِكْ سِوَى أَنْ نَعْشَقَ الْـ
وَلَدِي تَجْرِبَةً أَنَا مَمْقُوتَةٌ
لَكِنْ وَتَعَلَّمْتُ أَنْتَ أَنْ جُذُورَهَا
وَالْيَوْمَ أَنْتَ ازْدَدْتَ عِلْمًا أَهْمًا
هَذَا طَبِيعَةُ شَاعِرٍ مُتَحَمِّسٍ
لَكِنْ لِعِلْمِي أَنَّ أَيَّ أَبٍ يُعْتَقُ
بِالذَّاتِ لَمَّا أَنْ يَكُونَ أَبًا كَمَثْـ
فَلَقَدْ أَتَيْتُكَ طَالِبًا مِنْكَ الْهُدَى
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ شِفَاءٍ عَاجِلٍ
إِذْ قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ فِي أَنْ يَخْتَوِي
وَلَقَدْ بَيَّسْتُ مِنَ الْعِبَادِ جَمِيعَهُمْ
وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ أَفْضَلَ وَصَفَةَ
وَالْمَوْتُ لَا يَعْنِي الْفَنَاءَ، وَإِنَّمَا
وَالْبَعْضُ صَوْرُهُ كَوَحْشٍ كَاسِرٍ

إِلَّا قَصَائِدَ فَجَّةً جَوْفَاءَ
لَمَّا لَرَّبِّكَ قَدْ أَجَبْتَ نِدَاءَ
تُدْمِي الْفُؤَادَ، وَتَجْرَحُ الْأَحْشَاءَ
تُ اللهُ أَنْ لَا يَفْجَعِ الشَّرَفَاءَ
لِحَبِيبِنَا سَيَقَرُّرُ الْإِعْطَاءَ
أَلَمْ رَجَالًا قَدْ طَوَى وَنَسَاءَ
مَا زِلْتُ فِيكَ أُكِذِّبُ الْأَنْبَاءَ
أَهْوَى الْجَمَالَ، وَأَعَشَقُ الْأَشْدَاءَ
مِنْ ذَاتِهَا مَا كَانَ فِيكَ طِلَاءَ
فِي الْعَالَمِينَ يُعْطَرُ الْأَجْوَاءَ
عِلْمًا، وَعُمُقَ تَجَارِبٍ، وَعُطَاءَ
فَضْلِي فِكْرًا نِيْرًا وَنَقَاءَ
مَعَكُمْ تَقِيضَ جَسَارَةَ وَجَفَاءَ
تَمْتُدُّ فِي النَّفْسِ الْمَرِيضَةَ دَاءَ
كَانَتْ بِنَفْسِي عُقْدَةً وَبَلَاءَ
لَمَّا يَرَى مِنْ أَهْلِهِ الْإِفْصَاءَ
فَإِنَّهُ سَيَسَامِحُ الْأَنْبَاءَ
لِكَ فِي الْقَدَاسَةِ جَاوَزَ الْأَبَاءَ
وَأَنَا أَصَارُعُ دَاخِلِي الْأَعْدَاءَ
عَكَسْتَهُ مِرَاةَ الْخُدُودِ دِمَاءَ
صِدْقًا، وَبَعْضَ تَحْمُلٍ، وَحَيَاءَ
فِي أَنْ يُلَاقُوا لِي هُنَاكَ دَوَاءَ
تَهَبُ الْمَرِيضَ الرَّاحَةَ الْبَيْضَاءَ
هُوَ كَانَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لِقَاءَ
يَدْعُ الْجَمِيعَ بِنَابِهِ أَشْلَاءَ

مَا هَكَذَا الْمَوْتُ الَّذِي دُنَّا بِهِ فَالْمَوْتُ لَيْسَ نِهَايَةً وَفَنَاءًا
هُوَ لَيْسَ غَيْرَ وَلَا ذَةَ أُخْرَى لَنَا فِي عَالِمٍ فِيهِ نُطِيلُ بِقَاءًا
مِثْلَ الْحَيَاةِ بِهَذِهِ الدُّنْيَا يَعِي شَسَّ النَّاسُ فِيهِ سَعَادَةً وَشَقَاءًا

لَكِنَّ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ مَاتُوا فَهُمْ ائْتِنَانِ بُرْهَانًا وَإِسْتِقْرَاءًا
وَهُمَا: الَّذِي قَدْ مَاتَ فِعْلًا إِذَا رَأَى حَ النَّاسِ .. ذَلِكَ مَنْ عَصَى وَأَسَاءَا
لَا يَشْعُرُونَ بِفَقْدِهِ، بَلْ رَبَّمَا قَدْ أَظْهَرُوا الْفِرَاقَ السَّرَّاءَا
أَوْ مَنْ رَقِيَ لَلَّهِ فِي أَعْرَافِهِمْ وَهُوَ الَّذِي لَزِمَ الْهُدَى الْوَصَّاءَا
فَسَيَحْزَنُونَ عَلَى مُصِيبَةٍ فَقَدِهِ وَلَرَبَّمَا هَلَكُوا عَلَيْهِ بُكَاءَا
مَا ظَنَنْتُمْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَوُكْبًا مُتَوَهِّجًا مَلَأَ الْوُجُودَ ضِيَاءَا؟!!!
كَالرَّاحِلِ (الْفَضْلِيِّ) عِمْلَاقِ السَّاءَا يُّعَ نَظْرَةَ فِكْرِيَّةً وَأَدَاءَا
أُنْلَامٌ لَوْ أَنَّا أَقْمْنَا بِاسْمِهِ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَاتَمًا وَعَزَاءَا؟!!!
أُنْلَامٌ لَوْ أَنَّا سَكَبْنَا دِمَاءَنَا فَوْقَ الدَّفَاتِرِ نُذْبَةً وَرِثَاءَا?!!!
أُنْلَامٌ لَوْ أَنَّا تَمَنَيْنَا بِأَنْ نَعْدُو لَهُ فِي الْعَالَمِينَ فِدَاءَا?!!!

ثلاثة نصوص في رحاب منظر الانتظار

السيد حسين الخليفة

«إلى من تنحني إزاء تواضعه الألقاب

فتطأطئُ رأسها حين يُنَعْتُ بها

إلى روح شيخي وأستاذي عبد الهادي الفضلي

- أعلى الله مقامه -»

(١) قلم الانتظار

هكذا بعد أن أُصِيبْتُ يَدُكَ اليمنى

أخرجتَ يسراكَ إلى قلمك المتوثَّب

إلى أوراقك الواهة

وقلتَ لها لا تحزني ولا تخافي،

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

ثُمَّ راحَتِ الفرحَةُ تُغَمِّرُ أوراقَكَ

القسم الثالث: وللشعر كلمة

كُلَّ أَوْرَاقِكَ الْبِيضَاءِ
وَرِحْتَ تُخْرِجُ الْوَجُودَ مِنْ كَمُونِ مَا هَيْتَهُ
تَقُولُ لَيْسَ رَاكٍ أَنْتِ يَمْنَايَ حِينَ تَتَعَبُ يَمْنَايَ
وَتَقُولُ لِدَهْرٍ يَتَّبِعُ السِّفَاسَفَ:
إِلَيْكَ عَنِي أَيُّهَا الزَّبْدُ
أَنَا فِي غَدِي أَتَأَلَّقُ
وَأَنْتِ فِي يَوْمِكَ تُتَمَحَّقُ
فَكَأَنِّي بِكَ تَبْكِي
وَأُخْلَاصَاتِي تَضْحَكُ

(٢) حضور الانتظار

بَعِيدًا عَنِ الضَّجِيجِ
بَعِيدًا عَنِ ضَوْضَاءِ الْأَمَكْنَةِ
هَنَّاكَ فِي دَارَةِ الْغُرَيِّينَ
تَعِيشُ نَشْوَةَ الْهَدْوِ
وَيَنَّاغِيكَ صَرِيرُ أَقْلَامِكَ الْكَادِحَةِ
تُهَيِّئُ نَفْسَكَ لِلْقَاءِ اللَّهِ
عَلَى طَرِيقَةِ الرَّبْذِيِّ فِي مَنْفَاهِ
ذَاكَ الَّذِي عَشْتَهُ فِي وَجْهِ أَبِيكَ
مَنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِكَ

وكَلَّمَا أَرْتَكَ الْمَوَاقِفُ صَدَقَ لَهْجَتِهِ ...
كان محسناً في احتضانك
وفي تفجير طاقتك الكامنة
ثمَّ كنتَ محسناً في انطلاقاتك كلها
هادياً نفسك بالقبس الذي أخذته من أبيك
منذُ نعمة أظفارك
كنتَ تكبرُ والنورُ يزدادُ شعاعاً
وأنتَ تزدادُ تالقاً
في البصرة الفيحاء
في النجف الأشرف
في كلِّ بقعةٍ من بلادِ السواد
كنتَ تُحِيلُ أحزانها فرحاً
حين تُثلجُ قلوبَ المثقفين
وقلوبَ البسطاء
بكلماتٍ تضعُ أقدامهم على الطريق
تُعلِّمُهُمُ كيف يواجهون المدَّ الأحمر
وكيف يُقزِّمون دخیلَ الأفكار
أياً كان شكلُهُ
وأياً كانت مصادرهُ

القسم الثالث: وللشعر كلمة

وبعد أن أنخت رحالك في دارة الغريين

رحت تنقل الغريين إلى دارتك

باصطبارك على ما أنت عليه

وبمكابداتك النبيلة

كأنك تستحضر الدعاء المأثور:

«اللهم اغفر لقومي...»

وإن كان بعضهم يعلمون ...

كنت تتوحي الحقيقة

وإصابة الحكم الواقعي

باجتهادٍ تتظافر فيه الجهود

ويغيبُ تكريسُ الذات

باجتهادٍ يتماشى وفحوى الإطلاق

كما هو مفادُ آيةِ النفر

وكما قرّرت في دروسِ أصولك

أنَّ الإطلاقَ لا يفتقرُ إلى قرينة

وعدمُ القيدِ قرينةُ الإطلاقِ

غيرَ أنَّ الذينَ أدمنوا التعلُّقَ بالذيولِ

الذينَ يتنفضون إذا ذكِرَ اللهُ وحدهُ

وتشمئزُّ قلوبُهُم أيُّما اشمئزازِ

يهرعون إلى بضاعتهم المفلسة
إلا من رصيد الكلمات الساخرة
التي تصدُّ عن سبيلِ توخِّي الحقيقة
أو تُجادلُ كاليهودِ في مثل مسألة ذبح البقرة
تتبعُ سذاجتهم أو خبثهم
والنتيجةُ سيِّان
سبحان الله ..!
كيف لا يتعظُّ المشاكسون .. ؟!
كيف لا يحتزلون التجارب .. ؟!
فكم حوربَ الأنبياء، وكم حوربَ العلماء
وكم استهزئَ بالحكماء
غيرَ أنَّ الوجودَ لا زالَ يحفلُ بالنورِ الذي قدَّموه إلينا
وما زالت الشواهدُ تُشيرُ إلى خيبة الخفافيش
وخيبة أساليهم الغبية
سبحانَ الله ..!
الخفافيشُ لم يتعظوا
وقد مضغوا كلَّ أطرافِ خيبتهم العمياء
وأنتَ في دارةِ غريِّك
غريِّ حيدرة الإنسانِ الذي تماهيتَ فيه

وغريِّ علمِهِ الذي كان ظلَّكَ الوارفَ في خليجِ المفازات
ترفَّعُ عن النظرِ إلى الحناتِمِ السود
تصنَعُ من سوادِ مداكِ الديمِ البيضاء
ثمَّ تُطلقُها من دارتِكَ المتواضعة
تقولُ لها: اذهبي، حلَّقي في الآفاق
أغِيثِي المتعطِشِينَ إلى الحكمة
إلى الطريقِ اللاحِبِ إلى بابِ مدينةِ العلم
وتقولُ لها: اغسلي القلوبَ بزلالِ المعرفة
فكم من جاهلٍ لو عرفَ انشرح صدرُهُ للإيمان
وتقولُ لها: وسَّعي رقعةَ العارفين
فالذين يُبلِّغون رسالاتِ الله
يكرهون الغموض
ويكرهون التعميةَ على الناس
ويكرهون بناءَ الأبراجِ العاجيةِ من أصفادِ العُقد
كما يكرهون أنفسَهُم إن هم لم يؤثِّروا
ولم يخلقوا الوعيَ الذي أرادتُهُ الرسالات
وتقولُ لها: أضيئي كلَّ عتمةٍ تمرِّينَ فيها
فأنا أحضُرُ حينَ تسجلين حضورَكَ في سجلِّ الخلود
في قلوبِ المتعلمين

ومن أدركوا سبيل النجاة

و حين تنتشليين الحيارى

تُطفئِينَ ظمأهم المعرفى

تُحرقين تَبَلُّدهم

تُؤجِّجين مشاعرهم

ثمَّ تقولين لهم: تفضَّلوا

من هنا تُدركون الغدير ...

وتقول لها: سلامٌ سلامٌ

وللغافلين تقول: سلاما

تقول لها: اذهبي أينما شئتِ

فإنَّ ودقك يُنبئُ الورود

ويُحيلُ غيثك اليدَ رِياضًا ..

اذهبي، فإنَّ خراجك عند الله

وما عند الله خيرٌ وأبقى

سبحان الله ..!

أين من جمع خراج المحلِّ؟

وأين بطانتُهُ،

ومن سوّدوا صفحاتهم بمدادِ خراجه ..!؟

سبحان الله ..!

القسم الثالث: وللشعر كلمة

هما سحابتان
سحابةٌ تُسجِّلُ حضورَ اندثارِها
بالمهوى والضجيجِ،
وسحابةٌ تُسجِّلُ حضورَ ديمومتِها
بالمهدى والهدوء
وهما مسلكان
بالحمقِ يكرعُ المغفلونَ خمرتهم
وبالحكمةِ ينتشي العارفونَ بهاءَ الموضوع.
وهما في الدهور
وجهتا سائرين
وكلُّ يدوْنُ وفق رؤاه
حروفَ الحضور

(٣) مدد الانتظار

أيها الموت
أيها الموت هاك شذى وردتي الذابلة
لا اعتراض عليك
وفي يديك أزمنة القافلة
هل سأبقى أنتظرُ
أنتظرُ من يدخلني جنَّةَ الألق

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضلي بين الرحيل والأربعين

من يخرقُ المؤلفَ مألوفُهُ
من يُعلمني علماً جَمًّا في معناه
علماً مكتملَ الروح لا تشوبُهُ الشوائب
تقطرُ موسيقى أحرفِهِ شَهْدًا
كذاك الذي علَّمنيه شيخِي الفضلي
غداةً انداحت عليَّ أحرفُهُ الواضحة
في بحرِ ثوانٍ وثوانٍ
في نصفِ دقيقةٍ؟!
هل أعيشُ خيالَ كنههِ طويلاً
طويلاً حتى تخوم الأبد
هل يتكرَّرُ ما تحقَّق لي ذاتَ يوم
في رشفة شاي أنهل من حكمتِهِ
حتى تبدو مثلَ الخيالِ حقيقتهُ
ويأخذ شكلاً جديداً في حضرتهِ
يُجبلُ كلَّ زوايا التصوِّفِ
كنهُ المدد ..!

صورة الرحيل وشريط الذكريات

فؤاد الفضلي

حلَّ الرحيلُ وشاءت الأقدارُ
يا أيها الهادي نعمتَ بريشةٍ
فالبصرةُ الفيحاءُ طابت منبتاً
وملكت بالنجف العلومَ ومنهلاً
لم تأل جهداً في الجهاد ترومه
حتى إذا فعل التشطُّي فعله
كان المقامُ قربَ مكة والقري
في كل شهرٍ عمرةٌ نسعى لها
ولطيبةٍ كنا نشدُّ رحالنا
لم ترسم في خاطري من صورة
يتلو الزيارة للحبيب مخلِّقا
وختمتها في الواحيتين تقودها
أثبتت للأجيال أنَّ سعادة الـ
ذكراك تبقى للأنام ثمارها
والموتُ حقٌّ للأنام ستارُ
قدسيَّة جادت بها الأطهارُ
فيها روابٍ للأديب منار
منه نهلت فكانت الأزهار
فكرًا يغذي ساحه الثوار
بغريتنا وتلاشت الأعمارُ
أرح الركابَ فنعمت الأحجارُ
في صحبةٍ حفت بها الأسرارُ
عيداً ألفناه ونحن صغارُ
كوقوفٍ شيخي يكتسيه وقارُ
في جنتيه والمزارُ مزارُ
للمجد تشهدُ أربعُ وديارُ
دارين سرُّ خلودها الأبرارُ
نم في ثراك تحيطه الأنوار

أنعاك أنك لا تزال مهندا

الشيخ عبد الإله الشبيب - النجف الأشرف

أنعاك أنك لا تزال مهندا
أنعاك نهجاً لا يزال مشيدا
أنعاك يا شيخ الفضيلة راحلاً
يا ابن الأطايب لا تزال مبرزاً
إن حان يومكم... خطا قدامه
سبق الخطى منه مداد علومكم
أنعاك لا أدري أنعمى ثلمة
أنعاك أم أنعمى الشريعة فيكم
أبكيك أم أبكي الفراق ولوعة
يكفيك أنك قد حملت أمانة
يكفيك أنك قد حملت قناعة
ما حلّ في غمد وبات مقيدا
مجد العلوم ولا يزال مجددا
ترك الحياة ممجداً ومخلدا
بين الدعاة ولا تزال القائدا
سبقت خطاه وعمرتة والغدا
حتى غدا في خطوه مترددا
راحت تخلد في الزمان مؤبدا
والثلثم فيها واضح وتجسدا
ولقد بكى من قبل فيك المتدى
ظلت شمائلها ترام وتقتدى
فيها مشيت الحق درباً أو حدا

اليوم يُثلمُ بَعْدَكَ .. الإسلامُ

الشاعر مصطفى إبراهيم - صفوى

اليومُ يُثلمُ بَعْدَكَ .. الإسلامُ
اليومَ هجرٌ والقطيْفُ تعانقا
والله .. قد عرفاك رمزا عالما
العلمُ والدينُ إخوانٌ وما انفصلا
أنت الأديبُ حملت النحوَ أُمْنِيَةً
أنتَ الفقيهُ الذي ازدانت به بلدي
كف بها الإسلامُ يبقَى شامخاً
يا آيةَ الفضلِ لن تُحَى فضائلكم
وتنوح فقدك شَيْخَنَا .. الأعلامُ
ويمثل ذاك .. تُخلدُ الأيامُ
عجزت بصنعٍ مثيلهِ الأعوامُ
وأنتَ أنتَ هُم .. أهلٌ وأرحامُ
فكُنتَ للغةِ العِرجاءِ .. قوَّامُ
وكم تهاوت على كفيك أصنامُ
شهدت لفضلِ صنيعها الأعلامُ
والفكرُ تحفظُ لِنَا .. الأعلامُ

ليس رثاءً ... إنما حلمٌ يشبه الرثاء

الشاعر هادي رسول

وقد امتطيتَ إلى السماءِ خيولَهُ
لَوْنَتَ فينا بحرُهُ وسهولَهُ
يومٌ ليرثيكَ النعاةُ نزولَهُ
كنتَ الوجودَ وظلَّهُ وظليلَهُ
نحو الكمالِ لكي تُسامقَ طولَهُ
قد جرّ نحوكَ بذرهُ وحقولَهُ
نُظْفًا فأنجبتَ الربيعَ نخيلَهُ
أرواحنا وقد ابتكرتَ سيولَهُ
وانهمرتَ تزيحُ عنه وحوْلَهُ
كنتَ السفينَ، شرعاهُ ووعولَهُ
بل كنتَ تمنحُ للسؤالِ عقولَهُ
نرمي الظلامَ لظىً ونحرقُ غولَهُ
يا فارسًا وهبَ اليراعَ سهيلَهُ
لكنكَ اخترتَ النجومَ دليلَهُ
ولإن تعثّرَ خطونا لتُثقلَهُ

من أين يتدئُ الرحيلُ فصولَهُ
من أين نعبّرُ نحوكَ الحُلْمَ الذي
من أين نفتحُ الرثاءَ وهل أتى
ما كنتَ فينا واحدًا لكنما
وغرستَ في حقلِ المعارفِ سلماً
حتى دنا القُدسُ الذي طاولته
وبذرتَ في الغيبِ الندى وقذفته
هل كنتَ ماءَ الحب حين تصحّرتَ
وعبرتَ في إنساننا غيثَ القداسةِ
ما كنتَ تيارًا يجدفُ مفردًا
ما كنتَ عقلاً مصمتًا ومغلفًا
وقدحتنا بالضوءِ تُشعلُ وعينا
ومنحتنا رئةَ الخلودِ عوالمًا
سرنا على ما اعوجّ من دربِ الهوى
فمشيتَ تسبقنا لتُصلحَ ميله

القسم الثالث: وللشعر كلمة

ووهبتنا سمّت الضياء يقودنا
هذي الجهات إليك تتحد الصدى
وعلى امتداد النهار كنت مسافراً
يا واهباً جسد العراق فراته
أذكيتم ما حُلّم الربيع عبيره
قد ذبت فيه وذبتما في عاشق
ذبتا كما ذاب (الإمام) بنهجه
وهبطت مصرًا مشرعًا جهة الرؤى
وفتحت في أفق العلوم رتاجه
يا فائضاً علماً تريث لحظة
ما غبت عنا إنما غبنا هنا
ما غبت والموت العقيم تقزمت
نحو اليقين فستميّت وصولة
وتقرّعت نهج السنن وسيلك
متدفقاً فيض المدى وجليك
و(لصدره) كنت الهوى وخليك
ونداكمانثر الشذى وخميك
سبر الغيوب غداة أسرج جيلك
هذي وصيته تُنير أصولك
هل كنت يوسفه لتعصر نيكه؟!
وصعدته حين اقتلعت قفولك
ما زلت مرجل ناره وجليك
والموت حنط سيفنا وصيلك
أقدامه وكسرت فيه نصولك

العمر بعض بقاءك

السيد أحمد الماجد

ونبوغَ فِكْرٍ كَالسَّمَاءِ لِأَفْهَمَكَ
كُونًا وَبَعْضَ بَرَاعَةٍ لِأَتُرْجِمَكَ
تَتَرَى وَثُوبُكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحْجَمَكَ
أَسْرَى بِكَ التَّأْلِيفُ حَتَّى أَعْجَمَكَ
قِرَآنٍ وَالْوَحْيِ الْمُنَزَّلُ صَمَمَكَ
فَرَضْتَ عَلَى عَرْشِ الرَّفُوفِ تَزْعُمَكَ
وَرَوَافِدًا وَصَدَى يُعِينُ تَنْعَمَكَ
وَمَضِيَّتَ مَنْفَرِدًا تُفَجِّرُ زَمْزَمَكَ
سَهْلًا يُدَلِّلُ فِي الْمَدَارِكِ طَلَسَمَكَ
أَعْمَارَ عِلْمِكَ، وَالتَّوَاضُعَ عِلْمَكَ
عَنْكَ السَّرَابَ مُجَاهِدًا مَنْ أَوْهَمَكَ
صِدَأَ الرُّؤْيَى وَحَكَمَتَ أَنْ لَا يَحْكُمَكَ
رَمَلِ الْجُمُودِ، وَلَمْ تُؤَجِّلْ مَقْدَمَكَ
بِلِدَانٍ تَحْقِنُ فِي مَسَافَتِهَا دَمَكَ
وَتَمُوجُ أَصْدَافًا وَتَرْفُدُ مَغْنَمَكَ

جِدْ لِي خِيَالًا وَاسِعًا كِي أَرْسَمَكَ
جِدْ لِلْفَقَاهَةِ مَشْرِقًا، جِدْ لِلرُّؤْيَى
يَا مُلْهَمًا فَشَعِ الْمَدَارِكَ مُلْهَمًا
مَتَقَمِّصًا بَيْنَ اللِّغَاتِ جِهَاتِهَا
وَعَزَلْتَ قَطَرَ الْأَرْضِ تَنْسُجُ قَامَةَ الْـ
فَذَا تَقْيِيسُ الْكُونِ، أَيَّةُ فِكْرَةٍ
فَعَمَّرْتَ مَسْرَحَكَ الطُّوبَى مِرَافِقًا
وَعَرَسْتَ أَبَارَ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَطَى
وَأْتَيْتَ مِنْ أَقْصَى الْفَلَّاسِفِ مَنْطِقًا
وَعَبَرْتَ فَوْقَ الْمَسْتَحِيلِ تَقَاسِمُ الْـ
أَثَّتَ عَقْلَكَ بِالْمَعَارِفِ نَافِضًا
وَخَرَجْتَ مِنْ رَحِمِ الْغُبَارِ مَعَالِجًا
وَنَصَبْتَ أَشْرَعَةَ الْحِرَاكِ، عَبَرْتَ فِي
مِنْ خَارِطَاتِ الْفِكْرِ رَحْتَ تَصَافِحُ الْـ
وَالْوَقْتُ يَكْشِفُ فِي يَدَيْكَ ضَفَافَهُ

وَبَزَغْتَ فِي الْآفَاقِ سِرْبَ ثِقَافَةٍ
عُمُرٌ بِإِيقَاعِ الْجِهَاتِ، بِبِوَصَلَاتِ الـ
مَا أَنْتَ ذَاكَ الصَّامِتُ، الْفَقْهُ الَّذِي
جَاهَرْتَ تَقْتَنِصُ الضَّلَالِ وَتَرْتَمِي
بِخَطَاكَ تَبْتَكِرُ التَّرَاثَ مَرُونَةً
وَتَعُوذُ مِنْ بُقْعِ الْخِرَافَةِ نَاصِعًا
وَتَبَاً عَلَى الْجُدْرَانِ سِرْتَ مَنَازِلًا
فَبَدَوْتَ مَا بَيْنَ النَّمَاذِجِ ثَوْرَةً
هَا أَنْتَ أَنْتَ الْحِوْزَةُ الْأُخْرَى الَّتِي
وَتَشَكَّلْتَ بِالْعَبْرِيَّةِ نَعْمَةً
هَادٍ، فَرَشْتَ صَدَاكَ، كَمِ مِنْ مَنِيرٍ
عَارِضَتْ مَنْ يَنْعَاكَ أَلْفُ عِلْمَةٍ
وَتَشَقُّ أَرْوَقَةَ الرَّفُوفِ مَرِييَا
سَافَرْتُ عَبْرَكَ فِكْرَةً، مُوسِوعَةً،
قَالُوا رَحَلْتَ وَقَدْ رَحَلْتَ عَنِ الْمَدَى الـ
يَا أَيُّهَا الْمَشْغُولُ عَنْ أَوْهَامِنَا
فَجَمَعْتَ فِي يَدِكَ الْبَحَارَ مُجَدِّفًا
وَوَصَلْتَ مِنْ نَجْفِ الْعِرَاقِ مُحْمَلًا
سَافَرْتُ مِنْكَ إِلَيْكَ كَمِ مِنْ آيَةٍ
وَتَفَضُّ أَوْرَاقَ الْجُمُودِ سَلَالَةً
تَمْشِي عَلَى جَيْلِينَ حَيْثُ تَكَلَّمْتُ
سَوَّرْتَ نَفْسَكَ بِالْعَطَاءِ وَلَمْ تَزَلْ
وَرَحَلْتَ فِي يَدِكَ الْحَيَاةَ تَدِيرُهَا
عَوَّدْتَنِي أَنْ أَقْتَدِيكَ وَأَسْتَقِي
ظَامٍ لِمَنْبَرِكَ الْخِيَالَ فُجْدٌ عَلَى

وَفَقَاهَةٍ وَمُفَكَّرًا مَا أَعْظَمَكَ
وَقَتِّ، بِالْإِنْجَازِ قَامَ وَقَدَّمَكَ
صَوْتُ الْقَطِيعِ عَلَى الْمَخَافَةِ أَرْغَمَكَ
ضَوْءَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّقَادُومُ أَضْرَمَكَ
وَتَنْقُحُ الْمَاضِي وَتَتْرِكُ مَعْلَمَكَ
وَلَمَنْ يُسَوِّرُهَا تُذِيْعُ تَبْرُمَكَ
أَحْجَارَهَا وَحَلَفْتَ أَنْ لَا تَهْزِمَكَ
أَنْمُودَجًا لِلْفِكْرِ تَشْبَهُ مُلْهَمَكَ
بَيْنَ الدُّجَى وَالصَّبْحِ مَدَّتْ سُلَّمَكَ
تَحْكِي عَلَى مَرِّ الْمَوَاسِمِ مَوْسِمَكَ
فَرَعَ الزَّمَانَ عَلَى الْمَكَانِ وَقَسَّمَكَ
تُحْيِيكَ، تُشْعِلُ فِي الْمَعَارِفِ أَنْجَمَكَ
وَأَبًا تُورِّعُ فِي الْمَرَايَا تَوَآمَكَ
أَسْطُورَةً وَمَعَاجِمًا، مَا أَعْظَمَكَ!
مَنْظُورٍ مَبْتَكِرًا تُؤَلِّفُ مُعْجَمَكَ
حَيْثُ الْحَقِيقَةُ قَدْ أَتَتْكَ لِتَخْدَمَكَ
وَبِعَدِكَ النَّائِي شَقَقْتَ تَقَدَّمَكَ
بِالتَّجْرِبَاتِ يُشِكُّ قَوْسَكَ أَسْهَمَكَ
شَرِبْتِكَ وَارْتَعَشْتَ مُجَرِّدُ بَرْعَمَكَ
فَقْهِيَّةً، عَجَزَ الْمَدَى أَنْ يَنْظِمَكَ!
شَفْتَاكَ كُنْتَ مُجَدِّدًا مَا أَقْدَمَكَ!
عَالٍ، وَقَدْ عَجَزَ الْعُلَا أَنْ يُكْرِمَكَ
وَفُطِمَتْهَا لَكِنْ أَبَتْ أَنْ تُفْطَمَكَ
مِنْكَ الْهَدَى وَطَنًا وَأَنْ أترْتَمَكَ
كَأَسِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ بِلَسَمَكَ

مِنَ أَيِّ حُزْنٍ أَبْتَدِي أَوْ أَنْتَهِي
فَحَمَلْتُ نَعَشَكَ بِالْجُفُونِ وَأَدْمُعِي
يَا وَالسَّيِّدِي فِي الْفِكْرِ أَيَّتَمَّتِ الرَّؤْيَى
مَنْ لِي بِدُونِكَ سَيِّدِي، وَأَنَا الَّذِي
أَيَّتَمَّتْ عَقْلِي، هَاكَ عَقْلِي عَاجِزًا
أَحْتَاجُ أَنْ أَنْعَى الْحَيَاةَ وَقَدْ مَضَى
يَا أَوْسَعَ الْفَقْهَاءِ، أَطْوَلَ قَامَةٍ
هَذَا الْعَطَاءُ الشَّرُّ فِي لُغَةِ الْمَدَى
الْعَمْرُ بَعْضُ بَقَاكَ لَسْتَ بِرَاحِلٍ
وَالْحُزْنَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَعَمَّكَ
تَرثِي بِخَدِّ الذِّكْرِيَاتِ تَبَسُّمًا
وَتَرَكْتَنِي طِفْلًا أَعْيُنُ أَنْجَمِكَ
عَوَدْتَنِي وَسَطَ الدَّجَى أَنْ أَحْلَمَكَ
وَهُوَ الَّذِي كَمْ طَافَ فِيكَ وَأَحْرَمَكَ
عَنْهَا الْمَدَادُ وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تَحْتَمِكَ
أَنْ لِمَوْتِكَ سَيِّدِي أَنْ يَهْدِمَكَ؟!
أَبَدًا لِقَبْرِكَ لَمْ يَكُنْ لِيُسَلِّمَكَ
وَالْخَلْدُ مِنْ قَبْلِ ارْتِحَالِكَ جَسَمَكَ

أرض النخل تمجد شيخها الراحل

الأستاذة سكيينة عدنان الموسى

أراضي النخلِ إذ نطقتُ
ألا يا حُسنَ ما عزفتُ
حكّت كم شعّ راجلُها
وكم من مسكِهِ شربتُ

حنوتَ على جداولها ... فعانقتَ الضحى فيها
غرستَ بقلبٍ تُربتها... بهاءً صار يروها
وثارت فيك نائرةٌ.... إذ الآلامُ تُدميها
خطوت خُطى فأمّرتِ السنابلُ في حوارها

خُطى أضنى بها التعبُ
بيانُ منك ينسكبُ
مشيتَ على أزقتها

مداد الأربعين .. كلمات الوفاء للعلامة الفضي بين الرحيل والأربعين

فبان الخطو والنَّصَبُ

كأنك نخلةٌ شماءٌ يجني التمرَ جانبيها
إذا حلَّ الشتاءُ بها، رداءً كُنتَ تحميها
إذا حلَّ الخريفُ رأتك أنت صمودَ واديها
يجيءُ الصيفُ في عطشٍ، وإذ عينيك تسقيها

ربيعٌ ناعمٌ أنتَ
وظلٌّ وارفٌ كنتَ
فصرتَ إمامَ مسجدها
وصرتَ الصوتَ والصمتا
وفي ذاك البهاءِ أتت، تُقبَلُ كفَّ ساقِها
تُقبَلُ سُمراً أكتافٍ كم احتملت مآسيها
وتمسحُ عن جبينِ الفضلِ ما أرخت مآقيها
وتهمسُّ: نم أيا شيخِي، وتطربُ في مرآئِها

تُجدُّ فيك يا علما
ومنك سترٌ تحي همما
تُعالجها إذا عجزت
وتبني كلَّ ما هُدِما...

ألا لا زلتَ تحضرها... وتكتبُ في مطاويها

القسم الثالث: وللشعر كلمة

رسائلُ حُبِّ (سيِّدها) ومُنقذها ومُؤويها
ألا لا زِلْتَ تُخبرها ودربَ السيرِ تهديها
لتزهو في مرابعها - بيوسفِ عصرها - تيهها

لتدنو من معانيه

وتربو في مراعيه

لعلَّ يؤمُّ موطنها

وتُفني نفسها فيه

شُغِلتَ بهمَّ معشوقٍ.. غزَلتَ إليه تنزيها
قوافٍ منك شاديةً.. تؤدي عشقَ مهديها
وأحسائيَّ منطقتها.. يهددُ في قوافيها
تركتَ بأرضنا كُتباً لنوصلها ونُهديها

إلى المهديِّ ترتحلُ

كروحك منه تنتهلُ

ليرعاها الأبُّ الأوفى

ويبلغَ وصله الأملُ

من النجف الأسمى

في رثاء العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله

الشاعر السيد هاشم الشخص

سما نجمه بعداً وضاءت شمائله
أرى المجد ما أحنى وربك هامه
أمام سنا الفضلي سار مطأطئاً
فأصغى له الداني وقام مغرداً
كأن نوادي الفضل طوع بنانه
فإن ذكر الفضلي فاض معينه
من النجف الأسمى تراءت قبائها
فعيناه مدت باتساع مجرة
طريق علي دارة العز والإبا
علي وحسبي مَنْ أقام على الذرا
إذا رغبت آماله نيل بلغة
أياديه مدت بالعلوم لمن وعى
أرثيك أم أرثي بفقْدك أمة
فمن ذا يدانيه ومن ذا يفاضله
لغير مهيب أثقل الدهر كاهله
وأرخى له جناحاً وأعيت حباته
وحن له القاصي وهاجت عنادله
تشير له طوراً وطوراً تغازله
ودوت سواقيه وأربت سنابله
فسار كموسى إذ دعت مشاعله
وإن كلت الأقدام فالفكر زاجله
ونهج أمير ديمة المزن هاطله
وما زالت الأيام صبراً تخاتله
فغر الأماني جنده وجحافله
فكل وعاءٍ فاز بالدر حامله
وقد غاب هاديها وعز معادله



فيا موت قل لي ما الذي أنت فاعله
فقيد له وسط القلوب منازل
ويا موت هل تدري بأنك قاتلي
وهل كنت تدري أن روحا زكيه
نعيت لنا نفسًا وطاشت حلومنا
وكانت كماضي السيف عزمة روحه
أفاض على الحوزات برًا وأنعمًا
ضمير على الأخلاق والدين والحجا
إذا أعضلت للقوم في البحث فكرة
وإن أشرقت للناس شمس حقيقة
ويكفيه ما خط الشهيد بوصفه
وإن ذكر الصدر العظيم بثورة

أصبت به المرمى وعجت صواهله
وفي خالد الجنات ضاءت منازل
بسهمك قتلاً حين ريشت مقاتله
حواها عظيم القدر كفك غائله
كأن أديم الأرض هاجت زلازله
وما الجسم إلا غمده وحمائله
(فلجته المعروف والجود ساحله)
ومن عشقه القرآن فالذكر كافله
وحارت بها الأفهام فهني مسائله
أنارت سما الدنيا فتلك رسائله
إذا لم أجد في مدحه ما يماثله
وأضحى لها رمزاً فأنت فضائله

منحلة العلوم

في رثاء العلامة الفاضل الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمته الله

الشاعر جاسم محمد عساكر

تتلهبان بأقدس النظرات
بهما طعنت حشاشة الظلمات
سُهد المداد، ويقظة السنوات
عَرَِقَ (العراق) بدجلة و فرات
بيتاً رفيع السور والشرفات
يا من يتوق لك الزمان الآتي
نُشرت حياة بعد طي حياة
لاحت ملامحه على مرآة
ماذا يبوح الغيم للزهرات
فيك العلوم، صداقة النحلات
بجهاد ليل وازدراء سبات
في الحبر، يمزغك الطريق العاتي
أشعلت من زيت على الصفحات

عيناك أم وهجان في مشكاتي
عيناك أم رُحمان من ألق الضحى
لم تنعسا أبداً، توطنَ فيهما
ويداك أم نهـران في طولينهما
يا رب بيت العلم يا بناءه
ما كنت في الإعراب (فعلاً ماضياً)
أكمل حياتك في النفوس فطالما
ثم التفت جهة الصباح فربما
علمت ثغر الغيم في خلواته
وأرقت منحلة العلوم فأدمنت
سبعون سوسنة فتقت أريجها
تمشي على جثث الثواني رافلاً
وتكاد تحرقك السطور لفرط ما

وأنا ذكرْتُكَ إذ عبرتَ عواطفِي
وبعثتني من مرقدِي) متجردًا
أحييتَ في جنبِي ألفَ حديقةٍ
أيامَ تحضنكَ القُرى ريجانةً
ومسيلُ صوتكَ خلف كل منصبةٍ
فأشنَّ غاراتي على معلومةٍ
حلقتَ بي حتى تألم منكبي
وأخذتني أعلى وأرفعَ همّةٍ
ونسبتني للضوء، أكرمَ نسبةٍ
يا أنتَ لم أكشف لموتكَ علّةً
خابَ الترابُ فلم يكنْ لك موطنًا
حتى عجبْتُ لألفِ ألفِ مشيعٍ

زمنًا، تلملمُ في يدك شتاتي
وبك اكتشفتُ على ضفافك ذاتي
وقتلتَ في جنبِي ألفَ فلاةٍ
صلتُ لها الأشجارُ في الطرقاتِ
للفكرِ تطلقُ وافرَ الكلماتِ
حتى تعودَ بصيدها غاراتي
وتفصدتُ - مشدودةً - فقراتي
من أن تكونَ غرائزي غاياتي
لي أخوتي فيه ولي أخواتي
حتى أسلسل - رائيًا - أبياتي
إن الترابَ لموطنُ الأمواتِ
دفنوا المجرةَ في ثرى (سيهاتِ)

رجب ١٤٣٤هـ

المحتويات

| | |
|----|---|
| ٧ | تقديم |
| ١٩ | القسم الأول: كلمات التعازي وشواهد العزاء |
| ٢١ | بيان أبناء الفقيد <small>رحمته</small> |
| ٢٥ | أولاً: من بيانات المراجع وعلماء الدين |
| ٢٧ | بيان الإمام السيد علي الخامنئي |
| ٢٩ | بيان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي |
| ٣٠ | بيان السيد محمود الهاشمي |
| ٣١ | بيان الشيخ جعفر السبحاني |
| ٣٢ | بيان أمين عام العتبة العلوية المقدسة |
| ٣٤ | الشيخ عيسى أحمد قاسم البحراني |
| ٣٥ | بيان المجلس الإسلامي العلمائي بالبحرين |
| ٣٧ | بيان السيد علي فضل الله |
| ٣٨ | بيان الحوزة العلمية بالأحساء |
| ٣٩ | علماء القطيف والأحساء يعززون برحيل العلامة الفضلي |
| ٤٣ | بيان الشيخ اليعقوبي |
| ٤٥ | بيان مكتب السيد كمال الحيدري |

- ٤٦ بيان مكتب السيد حسين الصدر - الكاظمية
- ٤٧ بيان الشيخ محمد مهدي الأصفي
- ٤٩ بيان مكتب الشيخ محمد علي العمري
- ٥١ ثانياً: من برقيات الجهات والمؤسسات الحكومية
- ٥٣ صاحب السمو الملكي ولي العهد ووزير الدفاع
- ٥٤ صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية
- ٥٥ صاحب السمو الملكي نائب أمير المنطقة الشرقية
- ٥٧ ثالثاً: من بيانات المراكز والجامع العلمية والإعلامية
- ٥٩ المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام
- ٦١ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
- ٦٣ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
- ٦٤ جامعة المصطفى العالمية بقم المقدسة
- ٦٦ رئيس ديوان الوقف الشيعي بالعراق
- ٦٧ حزب الدعوة الإسلامية
- ٦٩ حزب الدعوة الإسلامية - تنظيم العراق وقناة المسار الأولى الفضائية ..
- ٧١ مركز الغدير للدراسات والنشر
- ٧٣ مؤسسة كاشف الغطاء العامة - النجف الأشرف
- ٧٤ جامعة آل البيت عليه السلام العالمية
- ٧٧ رابعاً: شواهد مما كتب عن مجالس العزاء وخطب الجمعة
- ٧٩ مؤسسة الأبرار بلندن تقيماً تائبيناً للشيخ الفضلي
- ٨٥ رجل علم وإيمان وعمل
- ٨٧ الشيخ الناصري ينعى الشيخ الفضلي
- ٨٨ كان الشيخ الفضلي أهلاً لكل الأوسمة
- ٩٠ المعتوق: الفضلي أثرى المكتبة الإسلامية والحوارات العلمية بمؤلفاته ..

| | |
|-----|---|
| ٩٢ | أمير الشارقة يُقدّم واجب العزاء في وفاة الفضلي |
| ٩٣ | الراحل الفضلي مصداق العالم الرباني..... |
| ٩٥ | الشيخ الفضلي حفظ للطائفة كينونتها، وردم الهوة بين السنة والشيعة .. |
| ١٠٥ | القسم الثاني: كتابات الوفاء |
| ١٠٧ | الموت يغيب علماً من أعلام الإصلاح في الفكر والثقافة |
| ١١٠ | العلامة الفضلي <small>رحمته الله</small> عالمٌ تجديديٌّ وفقيهٌ معاصر |
| ١١٣ | وجع الرحيل |
| ١١٦ | أستاذ العلماء، سيبقى نبراساً للعطاء |
| ١١٩ | الفضلي ير حل تاركاً ٧٠ مؤلفاً في اللغة والأصول |
| ١٢٣ | العلامة عبد الهادي الفضلي: أكبرُ من حنجرة الناعي |
| ١٢٥ | السَّيِّحُ الفضلي: من البصرة والنجف إلى جدة والقطيف |
| ١٣٠ | من رواد حزب الدعوة الإسلامية الشيخ الدكتور الفضلي في ذمة الله .. |
| ١٣٥ | الأمير سعود بن نايف يعزي أسرة الفضلي في الدكتور عبد الهادي |
| ١٣٦ | رحمك الله يا شيخنا الفضلي |
| ١٣٩ | العلامة الفضلي .. مفكراً إصلاحياً |
| ١٤١ | أكاديميون ومشايخ يتذكرون الفضلي: عالم لغة وهب نفسه للعلم |
| ١٤٤ | الدكتور الفضلي ... جسارة الفقيه المثقف |
| ١٤٩ | رحم الله اللغوي الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي |
| ١٥٣ | المتلقي والعلامة الفضلي بين صدمة الكتابة وذهول المجالسة |
| ١٥٨ | رحيل الفضلي خسارة علمية ومعرفية للوطن العربي |
| ١٦٢ | خلاوات وذكريات في مناسبة تأبين الدكتور الشيخ الفضلي <small>رحمته الله</small> |
| ١٦٧ | الشيخ حيدر حب الله في تأبين الفضلي |
| ١٦٩ | الشيخ الفضلي سيرة نماذج ومناهج |
| ١٨٠ | الفضلي رائد الإصلاح والتجديد الحوزوي |
| ١٩٧ | الشيخ الفضلي وزبدة الحقب - مجلة الوعي |

- آية الله العلامة الفضلي .. لغة الفقه والقانون..... ٢٠٠
- كلمات عن الفضلي..... ٢٠٦
- الشيخ الفضلي .. معينٌ لا يُغور ٢٠٨
- الشيخ عبد الهادي الفضلي من المهد إلى اللحد..... ٢١٣
- التراث الأحسائي في فكر العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي..... ٢١٧
- آية الله الفضلي: منارة أحسائية ثالثة في مجال الكتب والمؤلفين ٢٢٧
- الفضلي .. أمة في رجل..... ٢٩٢
- النجف الأشرف: حضور في دلالات أربع عند العلامة الفضلي ٢٩٩
- مشروع الوحدة وخلفيات التجزئة عند الدكتور الفضلي ٣٢٦
- الفضلي منهج ورسالة في الاعتدال .. التبليغ نموذجًا ٣٤٨
- العلامة الفضلي رحمته .. معالم فكرية وروحية..... ٣٥٥
- رحيل رجل الفكر والعلم والأدب..... ٣٦١
- الدولة الإسلامية في فكر العلامة الفضلي رحمته..... ٣٦٥
- الشيخ الفضلي العالم الموسوعي..... ٣٧٤
- الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي مثلاً للعالم الفاضل ٣٧٩
- سمات المشروع الفقهي عند العلامة الفضلي..... ٣٨٢
- من ذكريات الفضلي (استراتيجية نشر فتوى الإمام الحكيم)..... ٣٨٦
- وترجل الفارس ٣٨٩
- صبخة العرب ترثي الشيخ الجليل عبد الهادي الفضلي ٣٩٢
- العلامة الفضلي مؤرخاً للعلوم الإسلامية..... ٣٩٥
- دور الشيخ الفضلي في إحياء زيارة مرقد الصحابيبن..... ٤١١
- القسم الثالث: وللشعر كلمة ٤٢١
- يا موت ليتك قد قبلت بديلاً..... ٤٢٣
- صوت الأمة..... ٤٢٥
- ثلاثة نصوص في رحاب منظر الانتظار..... ٤٣٠

المحتويات

| | |
|----------|---|
| ٤٣٩..... | صورة الرحيل وشريط الذكريات |
| ٤٤٠..... | أنعاك أنك لا تزال مهندا..... |
| ٤٤١..... | اليوم يُتلمَّ بعدك .. الإسلام..... |
| ٤٤٢..... | ليس رثاءً ... إنها حُلْمٌ يُشبهه الرثاء |
| ٤٤٤..... | العُمُرُ بَعْضُ بَقَاكَ..... |
| ٤٤٧..... | أرض النخل تمجد شيخها الراحل |
| ٤٥٠..... | من النجف الأسمى |
| ٤٥٢..... | منحلة العلوم..... |
| ٤٥٥..... | المحتويات..... |